موعود الأديان

ردّاً على

شبهات حول إمام الزمان(عج)

تحت رعاية

سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري

منتظری، حسینعلی، ۱۳۰۱ ـ
موعود ادیان: پاسخ به شبهاتی پیرامون امام زمان (عج). عربی.
موعود الأديان: ردّاً على شبهات حول إمام الزمان (عج) / تحت رعاية المنتظري.
تهران: خرد آوا، ۱۳۸۷.
۵۱۲ ص ۴۰۰۰۰ ریال ISBN : 978 - 600 - 90673 - 0 - 5
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتابنامه: ص. [۴۹۵]ـ۵۰۸؛ همچنین به صورت زیرنویس.
مهدویت ـ دفاعیه‌ها و ردیه‌ها.
رده‌بندی کنگره ۱۳۸۷ ۸۰۴۳ م ۷۶۴ م / BP ۲۲۴
رده‌بندی دیویی ۲۹۷ / ۴۶۲ شماره کتابشناسی ملی ۱۲۸۲۱۷۵

موعود الأديان

تحت رعاية: سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري

الناشر: المؤسسة الثقافية خرد آوا
المطبعة: صادق
الطبعة: الأُولى
تاريخ النشر: صيف ١٣٨٧ (شعبان‌المعظم ١٤٢٩)
عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخه
سعر النسخة: ٤٠٠٠ تومان
الرقم الدولي: ٥ ـ ٠ ـ ٩٠٦٧٣ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨

« مراكز التوزيع »
قم، شارع الشهيد محمّد المنتظري، الزقاق ١٢، الرقم ٣٢٦
هاتف: ١٤ ـ ٧٧٤٠٠١١ * فكس: ٧٧٤٠٠١٥ (٠٢٥١)
طهران: شارع الانقلاب، شارع دوازده‌فروردين، تقاطع وحيد نظرى، الرقم ٢٧
بناية فروردين، الطبقه الأُولى، تفكّر نو، هاتف: ٦٦٩٧٨١١٦ * جوال: ٠٩١٢ ٢٥٢ ٥٠٥٠
البريد الإلكتروني: AMONTAZERI @ AMONTAZERI . COM

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى ولي العصر وصاحب الزمان موعود الاديان الالاهية
الامام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف -
اهدي هذه البضاعة المزجاة، وارجو من ساحته المقدسة
القبول والشفاعة يوم الحساب، والسلام عليه وعلى آبائه
الطاهرين ورحمة الله وبركاته.
٢٨ ربيع الاول ١٤٢٩ - ١٣٨٧/٢/١٦

فهرس الموضوعات

تمهيد ١٩
المقدّمة ٢٣

الفصل الأوّل

الهداية الإلهية في الكتاب و السنّة **٢٧**

المحور الأوّل: دلالة صريح القرآن على حجّية السنّة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم ٢٩
المحور الثاني: حجّية عترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما أمرت بها السنّة ٣٢
حديث الثقلين ٣٢
روايات أُخرى متواترة من طرق أهل السنّة ٣٤
الطائفة الأُولى: الروايات الدالّة على وجود الأوصياء الاثنى عشر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ٣٤
من المقصود بالوصيّ و الخليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ٣٦
تفسير الخلفاء بالأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام باعتراف القندوزي ٣٨
الطائفة الثانية: فضائل الأئمّة عليهم السلام و علومهم ٣٩
رواية الغدير ٤٠
المقصود من كلمة «مولى» في حديث الغدير ٤٢
سائر الروايات الدالّة على فضائل علي عليه السلام ٤٦
الطائفة الثالثة: تصريح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأسماء الأئمّة عليهم السلام ٥٠
الإمامة و عبدالله بن سبأ ٥٤
اشتهار أسماء الأئمّة في زمان الخلفاء ٥٦

الفصل الثاني

القرآن يشير إلى المهدي الموعود ٥٩

أوّلاً: لا يلزم ذكر جميع المعارف الدينية في القرآن الكريم ٦١
ثانياً: عدم ذكر الكثير من المعارف الدينية في القرآن الكريم..... ٦٢
ثالثاً: تطبيق الآيات القرآنية على المهدي (عج) كما في كتب أهل السنّة و... ..... ٦٣

الفصل الثالث

تواتر روايات المهدي الموعود في كتب أهل السنّة ٧٣

الأوّل: مقالة علماء السنّة حول تواتر روايات المهدي عليه السلام ٧٥
الثاني: وحدة «إمام الزمان» الشيعة و «المهدي الموعود» في روايات أهل السنّة.. ٨٢
الثالث: المهدي الموعود عليه السلام في صحيح مسلم..... ٨٣

الفصل الرابع

المهدي و تهمة الدين الجديد! ٨٩

هل صحيح أنّ المهدي عليه السلام سوف يأتي بدين جديد، و كتاب غير القرآن؟..... ٩١
الأوّل: عمل المهدي عليه السلام بالقرآن و السنّة كما جاء في روايات الشيعة..... ٩١
الثاني: ليست الخلافة إلّا العمل بالقرآن و السنّة ٩٥
بحث في روايات «غربة الإسلام في آخر الزمان»..... ٩٧
روايات الشيعة..... ٩٧
روايات السنّة..... ٩٩
الف: عدم اختصاص روايات «تجديد الدين» بالشيعة فقط ١٠٠
ب: التحقيق في سند روايات الشيعة..... ١٠٠
ج: المقصود من الكتاب الجديد ١٠١
د: مقاتلة أهل التأويل للمهدي الموعود..... ١٠١

الفصل الخامس

الاختلافات المدَّعية بين إمام زمان الشيعة و مهدي موعود السنّة ١٠٣

الاختلاف الأوّل: اسم حضرة المهدي عليه السلام..... ١٠٥
الاختلاف الثاني: المهدي عليه السلام من ذرّية الحسن أو من ذرّية الحسين عليهما السلام ١٠٥
الجواب ١٠٥
روايات أهل السنّة..... ١٠٦
الروايات القائلة أنّه ولد الإمام حسن المجتبى عليه السلام ١١٢
شهادة من التاريخ..... ١١٣
خمس فرضيات باطلة..... ١١٤
حمل الروايات المطلقة على المقيّدة..... ١١٧
الاختلاف الثالث: حمل و ولادة و طول عمر و محلّ حياة إمام زمان الشيعة ١١٨
الجواب ١١٨
الموضوع الأوّل: مدّة حمل و ولادة المهدي (عج) لا تشذّ عن سائر البشر..... ١١٩
الموضوع الثاني: مناقشة طول عمر الإمام المهدي (عج) و غيبته..... ١٢٠
أوّلاً: الإمكان الذاتي و الوقوعي لطول العمر..... ١٢٠
طول العمر في القرآن..... ١٢٣
ماذا يقول أهل السنّة في بقاء حياة عيسى عليه السلام ؟..... ١٢٦
ما قاله اثنان من علماء السنّة..... ١٢٧
ثانياً: طول عمر و غيبة المهدي عليه السلام في روايات أهل السنّة..... ١٣٠
ثالثاً: رأي علماء السنّة حول ولادة المهدي عليه السلام..... ١٣٣
الموضوع الثالث: قصّة السرداب و جذرها التاريخي..... ١٤٠
محلّ حياة و ظهور المهدي عليه السلام في الروايات الشيعية ١٤٢
الاختلاف الرابع: الظهور لنصرة الإسلام أم للانتقام من العرب و الأموات؟.... ١٤٥
الجواب ١٤٥

روايات انتقام المهدي عليه السلام من الأموات ١٤٦
روايات كراهة المهدي للعرب..... ١٤٨
و هنا بعض المسائل..... ١٥٠
الاختلاف الخامس: انتقام إمام الزمان من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و ١٥٨
الجواب ١٥٨
ألأوّل: حرق أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم والانتقام منهم ١٥٩
الثاني: حدّ عائشة ١٦٥
الاختلاف السادس: إعمار المساجد بواسطة المهدي الحقيقي، و تخريبها ١٦٧
الجواب ١٦٧
الاختلاف السابع: المهدي الحقيقي يعمل بكتاب اللّه تعالى و سنّة رسوله ١٦٩
الجواب ١٦٩
الأوّل: الكتاب و السنّة مبدأ عمل الإمام المهدي عليه السلام ١٦٩
الثاني: مشابهة أفعال المهدي عليه السلام مع سائر الأنبياء..... ١٧٠
الثالث: الأحكام الخاصّة بزمن ظهور المهدي عليه السلام ١٧١
الاختلاف الثامن: يظهر المهدي الحقيقي من المشرق، و يكون ظهور الإمام ... ١٧٤
الجواب ١٧٥
الاختلاف التاسع: إكمال الدين يتمّ بواسطة إمام الزمان، و تطبيقه على ١٧٥
الجواب ١٧٥

الفصل السادس

مشابهة مسيح اليهود المزعوم و إمام زمان الشيعة ١٧٧

المشابهة الأُولى: جمع اليهود في بيت‌المقدس بواسطة المسيح، و جمع ١٧٩
الجواب ١٨٠
الروايات السنّية..... ١٨٠
الروايات الشيعية..... ١٨٣
تجميع الروايات..... ١٨٥

المشابهة الثانية: إحياء الموتى و تشكيل الجيوش منهم..... ١٨٦
الجواب ١٨٦
المشابهة الثالثة: تعذيب جثث أعداء اليهود و الشيعة..... ١٨٩
الجواب ١٩٠
المشابهة الرابعة: محاكمة أعداء اليهود والشيعة والاقتصاص منهم..... ١٩٠
الجواب ١٩٠
المشابهة الخامسة: قتل ثلثي البشر..... ١٩١
الجواب ١٩١
الروايات الشيعية، سندها و متنها ١٩١
روايات أهل السنّة..... ٢٠٦
تجميع روايات الشيعة والسنّة..... ٢٠٧
المشابهة السادسة: تغيير أجسام اليهود و الشيعة، و إطالة إعمارهم ٢٠٨
الجواب ٢٠٨
المشابهة السابعة: كثرة النعم والخيرات حين يظهر المسيح المزعوم و إمام ٢٠٩
الجواب ٢١٠
روايات السنّة..... ٢١٠
روايات الشيعة..... ٢١٣
دلائل أوجه التشابه السبعة كما يراها الكاتب ٢١٥
الجواب ٢١٥
أوّلاً: هل صحيح أنّ إمام الزمان عليه السلام يدعو اللّه باللسان العبري؟ ٢١٥
ثانياً: يحمل المهدى عليه السلام معه التابوت و الحجر و عصا موسى عليه السلام ... ٢١٨
ألف: في روايات السنّة..... ٢١٨
ب: في روايات الشيعة..... ٢٢٠
ملاحظة حول روايات الشيعة و السنّة..... ٢٢٣
ثالثاً: هل يحكم إمام الزمان (عج) بحكم داود عليه السلام ؟..... ٢٢٥
رابعاً: أوجه الشبه الحرفية في المعتقدات والأفعال ٢٢٦

بشارات و نبوءات التوراة مستند الكاتب في مدّعاه ٢٢٦
الجواب ٢٢٨
الأُولى: نبوءة الإنجيل بالأربعة عشر معصوم عليهم السلام ٢٣٠
الثانية: نبوءة العهد العتيق حول نبّي الإسلام صلى الله عليه وآله و المهدي عليه السلام ٢٣٢
الثالثة: بشارة و نبوءة التوراة حول الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام ٢٣٤
إشارات الأناجيل الأربعة بظهور المهدي عليه السلام ٢٣٥
إشارات في متون زرتشت حول المنجي ٢٣٩
الأوّل: مجيء المنجي ٢٣٩
الثاني: صفات المنجي ٢٤٠
الثالث: خصائص زمان الظهور ٢٤٢
الرابع: زمان ما قبل الظهور ٢٤٤
بشارات البوذية ٢٤٥
بشارات الهندوس ٢٤٦
النتيجة ٢٤٩
المنجي من وجهة نظر العقل ٢٥٠

الفصل السابع
شبهات حول ولادة و غيبة المهدي(عج) ٢٥٣

الشبهة الأُولى: عدم اعتقاد بعض علماء الشيعة بولادة المهدي الموعود(عج). ٢٥٥
الجواب ٢٥٥
الفهم الخاطئ لكلام هؤلاء العظماء ٢٥٥
بعض المسائل ٢٥٧
المسألة الأُولى: التصريح بولادة المهدي عليه السلام في تلك الكتب المُشار إليها. ٢٥٧
عدم معرفة الكاتب بكتب الشيعة ٢٥٨
المسألة الثانية: ولادة و غيبة المهدي في روايات أهل السنّة ٢٦٠
المسألة الثالثة: دلالة القرآن على حجّية العترة ٢٦٥

المسألة الرابعة: تصريح كبار رجال السنّة بولادة المهدي عليه السلام ٢٦٦
الشبهة الثانية: إخفاء ولادة المهدي (عج) عن عيون بني هاشم ٢٦٦
الجواب ٢٦٦
ألف: شدّة حسّاسية الحكومة العبّاسية من مسألة الولادة و إخفاء خبرها ٢٦٦
ب: خصوصيات المهدي في أخبار الشيعة و السنّة ٢٦٧
ج: حوادث زمن الظهور غير الطبيعية في أخبار السنّة ٢٦٨
د: تكرار سنن الأُمم السالفة ٢٧١
روايات السنّة ٢٧١
روايات الشيعة ٢٧٢
الشبهة الثالثة: الاختلاف في ولادة المهدي عليه السلام ٢٧٣
الجواب ٢٧٣

الفصل الثامن
غيبة المهدي(عج) والخوف على النفس ٢٧٥

المحور الأوّل: القرآن والخوف على النفس ٢٧٨
المحور الثاني: أرضية النصر الإلهي ٢٧٩
دور الابتلائات في انقطاع البشر عن غير اللّه ٢٨١
١ـ يأس البشرية أرضية للظهور ٢٨٢
٢ـ الانقطاع عن الأسباب المادّية و نزول النصر الإلهي ٢٨٤
٣ـ تحقيق أفعال البشر بأيديهم ٢٨٥
٤ـ انتصار المهدي عليه السلام بنصرة أصحابه له ٢٨٦

الفصل التاسع
الانتفاع بالمهدي(عج) في زمان غيبته ٢٨٧

المحور الأوّل: الاتّهام الباطل للشيعة ٢٨٩
المحور الثاني: فوائد المهدي عليه السلام في غيبته ٢٩٠

الفوائد الظاهرية ٢٩٠
الفوائد الباطنية ٢٩٣
١ـ العلّة الغائية للعالم ٢٩٣
٢ـ الإمام واسطة الفيض ٢٩٥
عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الإمام عليه السلام ٢٩٨
إشكال و جواب ٢٩٩
سؤال يُطرح على كاتب الكرّاسة ٢٩٩
المحور الثالث: تعطيل أغلب أحكام الدين في زمان الغيبة ٣٠٠

الفصل العاشر

علم الأئمّة(ع) بالحوادث والكتب السماوية ٣٠٣

الموضوع الأوّل: علم الأئمّة عليهم السلام بماكان في الماضي و ماسيكون في المستقبل ٣٠٥
إمكان معرفة الإنسان بالغيب ٣٠٦
رأي أبي علي سينا ٣٠٦
رأي الفخر الرازي ٣٠٧
تصريحات السهروردي ٣٠٨
تصريحات أرسطو أو فلوطين ٣١١
القرآن و علم الغيب ٣١٢
علم الأئمّة عليهم السلام كعلم الناس؟ ٣١٥
الحديث الأوّل ٣١٥
الحديث الثاني ٣١٨
رجوع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام في مشكلات الأمور ٣١٩
تصريحات ابن أبي الحديد ٣٢٠
تصريحات ابن خلدون ٣٢٥
كلام ملّا علي القوشچي ٣٢٦

الإمامة و أرضيتها كما يراها العلّامة الطباطبائي ٣٢٧
الموضوع الثاني: علم الأئمّة عليهم السلام بقتلهم و تسميمهم ٣٢٩
إشكالية الجبر و الجواب عنها ٣٣٠
الموضوع الثالث: علم الأئمّة عليهم السلام و اختلاف أجوبتهم ٣٣٢
الموضوع الرابع: تشكيك بعض الأصحاب بعلم الأئمّة عليهم السلام ٣٣٣
الجواب عن هذه الشبهة ٣٣٤
١ـ التقيّة بين الأئمّة عليهم السلام و خلّص أصحابهم ٣٣٤
٢ـ مدح الإمام الصادق عليه السلام لخواصّ أصحابه ٣٣٧

الفصل الحادي عشر

شجاعة الائمّة(ع) و علاقتهم بحكّام الجور و الثوار ٣٣٩

الأوّل: وظيفة الأئمّة عليهم السلام الأساسية ٣٤١
الثاني: الشجاعة الحدّ الفاصل بين التهوّر و الجبن ٣٤٢
فلسفة السكوت ٣٤٥
الثالث: علاقة الأئمّة عليهم السلام بالثوار ٣٤٦
الرابع: بحث في مسألة صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ٣٤٨
أسباب فرض الصلح المشروط على الإمام الحسن عليه السلام ٣٥١

الفصل الثاني عشر

بعض الشبهات حول الأئمّة(ع) ٣٥٧

١ـ تعيين الوصي من قبل الإمام ٣٥٩
٢ـ حصر الإمامة في الولد الأكبر ٣٦٠
٣ـ غسل الإمام لن يكون إلّا بيد إمام ٣٦١
٤ـ علامة الإمامة سلاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم و درعه ٣٦٣
تابوت السكينة لموسى عليه السلام ٣٦٣

تشبيه سلاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم و درعه بتابوت السكينة ٣٦٤
٥ـ الرواية الدالّة على وجود عشر علامات للإمامة ٣٦٧
ألف: اختلاف الطبيعة البشرية بين الإمام عليه السلام والناس..... ٣٦٨
ب: الإمام لا يجنب..... ٣٧٠
الروايات المخالفة للقرآن والسنّة القطعية ٣٧٣
تزييف و تحريف الروايات على مرّ التاريخ ٣٧٣
سؤال..... ٣٧٤
الجواب ٣٧٥

الملحق الأوّل ٣٧٩

متن أسألة الدكتور أُميد حول إمام الزمان(عج)..... ٣٨١
فرضية إمام الزمان عليه السلام ٣٨١
جواب سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري ٣٨٣
فيما يرتبط بإمام الزمان عليه السلام ٣٨٣

الملحق الثاني
ردّ الشبهات على كتاب موعود الأديان ٣٨٩

البحث الأساسي و الجادّ في رأي الكاتب..... ٣٩٣
معنى العترة في كتب أهل السنّة..... ٣٩٥
المراد من أهل البيت في آية التطهير ٤٠٢
أحاديث الشيعة..... ٤٠٢
أحاديث أهل السُنّة..... ٤٠٣
الملاحظة الأُولى: شأن نزول آية التطهير في كتب أهل السُنّة ٤٠٨
أهل البيت من وجهة نظر عائشة ٤١٢
الملاحظة الثانية: استنباط مخالف ٤١٣

الملاحظة الثالثة: أُمّ سلمة و أصحاب الكساء..... ٤١٤
الملاحظة الرابعة: العلاقة بين حديث الثقلين و حديث «خلفائي اثنا عشر».... ٤١٥
حديث الثقلين الحجر الأساسي في عقائد الشيعة..... ٤١٦
سند حديث الثقلين..... ٤١٧
عدد رواة حديث الثقلين ٤١٨
رفض حديث الثقلين بلا دليل ٤٢٠
استدلال أم فرضية أم رؤيا؟ ٤٢١
دراسة حديث: «اثنا عشر خليفة»..... ٤٢٢
الملاحظة الأُولى: حديث الاثنى عشر خليفة في كتب أهل السنّة..... ٤٢٢
تواتر أحاديث «خلفائي اثنا عشر» ٤٢٤
تأويلات أهل السنة و تهافتها..... ٤٢٥
التأويلات دليل على الإقرار بصحّة الصدور ٤٢٦
الملاحظة الثانية: تطابق حديث «الاثنى عشر خليفة» مع المذهب الشيعي..... ٤٢٧
الملاحظة الثالثة: القرائن الموجودة في حديث «خلفائي اثنا عشر»..... ٤٢٨
استمرار حبل الخلافة، في حديث «خلفائي اثنا عشر»..... ٤٣١
إشكال و جوابه ٤٣٢
الملاحظة الرابعة: إشكال عدم تطابق مضمون حديث ٤٣٣
الملاحظة الخامسة: التصريح بأسماء الخلفاء الاثني عشر من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ٤٣٤
أسماء خلفاء النبي في كتب أهل السنّة ٤٣٦
بحث الاثني عشر إماماً في القرنين الثاني والثالث..... ٤٤١
إشكالات و ردود..... ٤٥٠
الإشكال الأوّل: ظهور فرق مختلفة في زمان الأئمّة عليهم السلام..... ٤٥٠
الإشكال الثاني: عدم اطلاع زرارة على وصي الإمام الصادق عليه السلام..... ٤٥٣
الإشكال الثالث: سؤال الأصحاب من الأئمّة المتأخرين عن أوصيائهم ٤٥٥
كتاب الإمام الجواد عليه السلام إلى علي بن مهزيار ٤٦١

الإشكال الرابع: شدّة اختلاف الآراء حول الإمام بعد الحسن العسكري عليه السلام ... ٤٦٣
حديث «من مات و لم يعرف إمام زمانه...» ٤٦٦
تطبيق حديث «من مات و لم يعرف إمام ...» على الأئمّة المعصومين عليهم السلام ٤٦٨
حديث: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض» ٤٧٠
تواتر الحديث ٤٧٢
دراسة دلالة الحديث على هذا الموضوع ٤٧٢
إشكال و جوابه ٤٧٤
بشارة التوراة و نقد الكاتب و الردّ عليه ٤٧٥
ادعاءات بلا دليل ٤٧٨
الادّعاء الأوّل ٤٧٨
الادّعاء الثاني ٤٨٠
الادّعاء الثالث ٤٨١
طرح قضية الغيبة في القرنين الأوّل والثاني ٤٨٣
استبعاد الشيعة طول الغيبة ٤٨٥
موقف الشيعة من فرقة الواقفية ٤٨٧
ردّ على الشكوك العلمية والتاريخية في ولادة الإمام المهدي ٤٨٨

المصادر ٤٩٥

تمهيد:

«المهدي الموعود أم المهدي المزعوم؟» عنوان الكرّاسة التي تمّ إرسالها مؤخّراً إلى سايت انترنت سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري (دامت بركاته)، و هي عبارة عن مجموعة مقالات تشكيكية، ردّاً على جواب سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري على أسألة السيّد الدكتور مسعود أُميد من مدينة نيويورك حول إثبات وجود إمام الزمان عليه السلام.

و لأجل اطّلاع القرّاء الكرام المحترمين على المتن الكامل لسؤالات الدكتور أُميد و أجوبة سماحة آيةاللّه المنتظري، قمنا بنقل بعضها في آخر هذا الكتاب.

ابتدأ كاتب الكرّاسة بمقدّمة تحت عنوان: «الشكّ في فرضية إمام الزمان و الاختلاف الكبير بينها و بين حقيقة المهدي الموعود»، حيث تطرّق فيها إلى ذكر موضوعين:

١ـ صفات المسيح المنتظر موعود اليهود.

٢ـ صفات و أعمال إمام الزمان، و تشابهها مع أعمال مسيح اليهود المزعوم.

حيث يدّعي من خلال كتيبه هذا وجود اختلافات تسعة بين إمام زمان الشيعة مع مهدي موعود السنّة، و يعرض من خلال استناده إلى بعض كتب

اليهود كالتوراة و التلمود سبعة أوجه شبه (مفتعلة) بين مسيح اليهود المزعوم و إمام زمان الشيعة، و يستخلص إلى هذه النتيجة: بأن جذور الاعتقاد الشيعي بإمام الزمان هو ما جاء في تلك الكتب اليهودية.

و كان يسعى من خلال كلامه إلى إثبات المواضيع الأربعة التالية:

١ـ عدم ثبوت ولادة إمام زمان الشيعة.

٢ـ لا فائدة تُرجى من غيبة المهدي مزعوم الشيعة.

٣ـ عدم وجود أيّ منفعة من هذا الموهوم.

٤ـ لماذا قام علماء الإمامية بتلفيق هذه الكذبة الخطيرة و تزييف ولادة المعدوم هذا؟

ثمّ قام بذكر ما يقارب من ثلاثين شبهة حول المهدي عليه السلام و كذلك سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام.

و نتيجة لتشكيكه بإحدى مسلّمات المذهب الشيعي و هي وجود و غيبة المهدي عليه السلام و بعض فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام كعلمهم، متمسّكاً ببعض الروايات الضعيفة و غير المسندة، و قيامه بإلصاق أشنع التهم بالمذهب الشيعي و علمائه العظام، و من جانب آخر من الممكن أنّ هذه التشكيكات المذكورة في الجزوة ربّما تجد لها قبولاً في أذهان البعض، إرتأى سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري مناقشة و نقد كلّ ما طُرح فيها، و يجيب عن شبهاته.

الجدير بالذكر، يدّعي الكاتب أنّه من المدافعين عن الإسلام، و يتّهم الشيعة بأنّهم يعملون على ضرب الإسلام، و إمام زمانهم ضدّ الإسلام و

ضدّ العرب و يدعو الناس إلى تلبية نداءات مصلحين أمثال كسروي! و الحال أنّ كسروي هو أحد الأقطاب المعادين للعرب و اللغة العربية، اللهمّ إلّا إذا كانت للكاتب أغراضٌ أُخر.

كما أنّ الكاتب نسب نقده هذا إلى جماعة السنّة، و لكن مع قليل من التأمّل في كتيبه هذا و المصادر التي استفاد منها في تدعيم أقواله، يُستنتج أنّه يميل إلى الفرقة الوهابية، و عمدة مصادره التي استند إليها مأخوذة من كتبهم.

و مع ذلك كلّه فإنّا ننقل في كتابنا هذا أكثر الموضوعات حول إمام الزمان عليه السلام من كتب الرواية و التفسير لأهلّ السنّة، و مع تعدّد الطبعات و اختلاف نسخ الكتب المذكورة ننقل المصادر من الطبعات الجديدة، و لكن من الممكن وجود بعض الموارد المختصرة غير المتناسقة بين الطبعات المختلفة.

و أيضاً اكتفينا في استشهادنا بالروايات الطوال المشتملة على مواضيع مختلفة بنقل الفقرات التي تؤيّد ما نرومه، و تركنا غيرها.

راجياً من الباري تعالى أن يتقبّل هذا العمل البسيط و أن يحوز على رضا مولانا صاحب العصر و الزمان أرواحنا له الفداء.

مكتب سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري

«قسم الردّ على الأسألة الدينية»

المقدّمة :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين،

والصلاة و السلام على خير خلقه محمّد و آله الطاهرين،

سيّما بقيّة اللّه في الأرضين.

موضوع المهدي الموعود عليه السلام من أهمّ المواضيع و البحوث المطروحة منذ عهود قديمة بين المسلمين.

و في صدر الإسلام أيضاً قام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمّة المعصومون عليهم السلام بالبشارة بظهور باسط العدالة من نسل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و ذكروا صفاته و علاماته. و حتّى سائر الأديان الإلهية بشّرت في تعاليمها الدينية بظهور المنجي و المصلح في آخر الزمان، و أُقيمت لذلك الأدلّة العقلية مضافاً بالأدلّة النقلية.

و يشترك أتباع الأديان الثلاثة ـ المسيحية و اليهودية و الإسلام ـ في هذه العقيدة، و أنّ مستقبل العالم يشكّله هؤلاء الصلحاء و العبّاد، و أنّ الذي سينقذ البشرية من التيه و الضلالة هو من ذرّية إبراهيم عليه السلام،

و لكنّ الاختلاف في أنّه من أيّ ولد من ذرّية إبراهيم عليه السلام ؟

يعتقد اليهود و المسيح أنّه من أولاد إسحاق و يعقوب مع هذا الاختلاف ؛ حيث يقول المسيحيون إنّه نفسه عيسى بن مريم عليه السلام، يحييه اللّه تعالى آخر الزمان لنجاة البشرية و يرى اليهود أنّه لم يولد بعد.

و المسلمون جميعاً يعتقدون أنّه من ذرّية إسماعيل و من أحفاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم و فاطمة عليها السلام، قانونه الإسلام، يحكم بما جاء في شرع النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

و يعتقد الشيعة من بين المسلمين و استناداً إلى مصادرهم المنقولة أنّه من أحفاد الإمام الحسين عليه السلام، و ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ولد عام ٢٥٥ أو عام ٢٥٦ أو عام ٢٥٨ من الهجرة، و هو خاتم الأوصياء الاثنى عشر الذين أوصى بهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، و له غيبتان : الغيبة الصغرى و الغيبة الكبرى، و بعد انتهاء فترة الغيبة الصغرى (التي استمرّت ٦٩ عاماً) فإنّه لا يزال في غيبته الكبرى.

و يتّفق القليل من السنّة مع الشيعة في هذا الاعتقاد، و لكنّ الغالبية منهم يعتقدون بعدم ولادته عليه السلام، و أنّه سيولد آخر الزمان.

و على كلّ حال، فبين اليهود و المسيحيّين و المسلمين إجماع على ظهور المصلح و المهدي آخر الزمان، حيث سينقذ البشرية من الجور و الظلم و الضلال، و لكنّهم اختلفوا في خصوصيات المنجي و كيفية ظهوره.

و مع إطالة مدّة غيبته الكبرى برزت عدّة تساؤلات و شبهات حول وجوده بحاجة إلى أجوبة و توضيح، و هي ملحّة أكثر من السابق.

و في هذا الصدد و بعد انتشار جوابنا على الأسألة المطروحة حول المهدي عليه السلام وصلتنا جزوة عن طريق إيميلنا، يسعى كاتبها في ردّه على الأجوبة المطروحة إلى إثبات عكس آرائنا، و إنكار قضية وجود المهدي عليه السلام.

حيث أورد ما يقارب من ثلاثين شبهة حول المهدي عليه السلام و سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، و شكّك بأهمّ مسلّمات المذهب و هي أصل وجود المهدي عليه السلام، و كذلك بعض فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام، و أخذ يقذف التهم جزافاً على الشيعة و علمائهم، مستخدماً أسلوب التحريف و التمسّك بالروايات الضعيفة.

و مع أنّ أسلوب الكاتب المذكور كان بعيداً عن روح و طريقة الحوار و التحقيق العلمي، و لكنّ عدم الإجابة على شبهاته و افترائاته من الممكن أن يسبّب تخريب بعض أذهان العوام من الناس، أو تكون وسيلةً بيد المعاندين و أعداء الدين.

و ليعلم أنّ ما جاء في هذه المجموعة ليس تحقيقاً كاملاً حول المهدي عليه السلام ؛ إذ هذا يحتاج إلى تأليف كتب ضخمة. كان الهدف من تأليف هذا الكتاب فقط هو الإجابة على الشبهات المطروحة في تلك الكرّاسة.

و في الختام ضمن شكرنا للفضلاء الذين اشتركوا في تدوين و كتابة هذه المجموعة أسأل اللّه تعالى صحّتهم و تعجيل ظهور شمس الإمـامة المشرقة وليّ العصر و الزمان المهدي الموعود (عج).

راجياً أن لا يبخل القرّاء الكرام علينا بدعائهم الكريم.

و السلام علينا و على جميع عباد اللّه الصالحين.

تير ١٣٨٤ ـ جمادى‌الأولى ١٤٢٦

المنتظر لظهوره (عج) ـ حسينعلي المنتظري

الفصل الأوّل:

الهداية الإلهية

في الكتاب و السنّة

الهداية الإلهية في الكتاب والسنّة

يبتدأ كاتب الكرّاسة بحثه بالقول:

من البديهيات الواضحة أنّه على كلّ مسلم أن يستقي معتقداته من القرآن الكريم الحجّة الإلهية الوحيدة في هذه الأرض؛ لأنّ الهداية الإلهية منحصرة في القرآن الكريم، و لذا وصف تعالى كتابه بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّه هُوَ ٱلْهُدَىٰ**﴾، والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً تابع للقرآن و مطيع له: ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾.

و تتوضّح الإجابة على هذا الموضوع في محورين:

المحور الأوّل: دلالة صريح القرآن على حجّية السنّة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم

لاإشكال و لاترديد في أنّ القرآن ـالذي هو الكتاب السماوي الوحيد للمسلمينـ جاء لهداية البشرية جمعاء، و لكن حصر الحجّة الإلهية و طرق الهداية بالقرآن وحده ليس بصحيح؛ إذ العقل و الإدراكات العقلية أيضاً أحد طرق الهداية، بل يمكن القول إنّها أساس كلّ الاستدلالات و الحجج، و حتّى إثبات حجّية القرآن نفسه أو فهمه أو تفسيره و كيفية العمل بدلالته، و أيضاً الوصول إلى فهم أُصول الدين، كلّ ذلك يتمّ عن طريق العقل و الاستدلالات العقلية الصحيحة.

إضافة إلى العقل فالسنّة المحمّدية صلى الله عليه وآله وسلم تعتبر هي واحدة من الحجج المهمّة في الدين، القرآن نفسه يشهد بذلك في صريح آياته، نشير إلى البعض منها و التي تدلّل على حجّية قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

١ـ ﴿وَ مَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[١].

٢ـ ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

و باتّفاق الفريقين فإنّ من أبرز مصاديق أهل الذكر هم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته الأطهرين عليهم السلام.

٣ـ ﴿وَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣].

صريحة في اعتبار حجّية ما يبيّنه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للناس ممّا نزل عليه من قبل اللّه تعالى.

٤ـ ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٤].

فلو لم تكن السنّة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم حجّة لما جعلها القرآن حَكَماً لرفع المنازعات و الاختلافات بين الناس و قرنها ـ في الرجوع ـ مع كلام اللّه تعالى.

٥ـ ﴿فَلاَ وَ رَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٥].

تُبيّن هذه الآية أنّ ملاك الإيمان هو تسليم المسلمين لحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقضائه في كلّ ما يحصل بينهم من منازعات و مشاجرات.

١ـ الحشر (٥٩): ٧.
٢ـ النحل (١٦): ٤٣.
٣ـ النحل (١٦): ٤٤.
٤ـ النساء (٤): ٥٩.
٥ـ النساء (٤): ٦٥.

٦ـ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَىٰ * وَ مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١].

٧ـ ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللّهُ﴾[٢].

٨ـ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[٣].

٩ـ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤].

١٠ـ ﴿وَ مَن يُطِعِ ٱللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ ٱللّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾[٥].

١١ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللّه وَ أَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلاَغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٦].

١٢ـ ﴿وَ أَقِيمُوا ٱلصَّلاَةَ وَ آتُوا ٱلزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٧].

و آيات أُخرى كثيرة، كالآية ٨٠ من سورة النساء، و الآيتين ١٥٧ و ١٥٨ من سورة الأعراف، و الآية ٦٦ من سورة الأحزاب، و جميع تلك الآيات التي وصفت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالبشير و النذير و الهادي، و كلّها تدلّ دلالة واضحة على حجّية و صحّة الاهتداء بالسيرة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة؛ فمن دون حجّية

١ـ النجم (٥٣): ٢ ـ ٤.
٢ـ آل‌عمران (٣): ٣١.
٣ـ النور (٢٤): ٦٣.
٤ـ النور (٢٤): ٥١.
٥ـ النور (٢٤): ٥٢.
٦ـ النور (٢٤): ٥٤.
٧ـ النور (٢٤): ٥٦.

السنّة و وجوب الإطاعة المطلقة لها لامعنى لتوبيخ اللّه للمخالف لها.

إذن طريق الهداية الإلهية غير منحصر بالقرآن الكريم، فقول و فعل و حتّى تقرير الرسول‌الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً حجّة و طريق هداية أقرّها اللّه تعالى و أمر المسلمين باتّباعها.

المحور الثاني: حجّية عترة النبي‌الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما أمرت بها السنّة

حديث الثقلين

و هو الحديث المتواتر بين الفريقين، قرن فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن بالعترة، و عدل بعضهما ببعض، و جعلهما مرجعاً و هداية للمسلمين من بعده، حيث قال:

«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي (سنّتي) ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً».

و إنّك لترى كلمة «عترتي» مشتركة في أغلب الكتب التي نقلت هذا الحديث، و على فرض «سنّتي» ـ كما ذكرت بعض المصادر ـ فإنّ كليهما تدلّان على ما نريد إثباته من عدم انحصار الحجّية الإلهية بالقرآن الكريم وحده.

و ذُكر هذا الحديث في كتب الصحاح و السنن و أسانيد أهل السنّة بعبارات مختلفة لا تؤثّر في مضمونه و المعنى المقصود منه.

و رواة هذا الحديث من طرق السنّة من الكثرة حتّى أنّ المرحوم العلّامة السيّد حامد حسين الهندي رحمه الله جمعها في مجلّدين ضخمين سمّاهما

«عبقات‌الأنوار»... فلم نجد رواية متواترة اتّفق عليها الفريقان و نقلاها في كتبهما المعتبرة كهذه.

صدع بها رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في مواقفٍ له شتّى، تارةً يوم عرفة في حجّة الوداع، و أُخرى يوم الثامن عشر من ذي‌الحجّة في غدير خم، و مرّة على منبره في المدينة، و أُخرى في حجرته المباركة في مرضه[1].

و للتذكير نقول: استناداً لتحقيق صاحب كتاب «الكشّاف المنتقى» فإنّ حديث الثقلين ذُكر في أكثر من مئة و تسعة و عشرين كتاباً من كتب أهل‌السنّة بلفظ «**و عترتي أهل بيتي**»، و أيضاً قام علماؤهم بتأليف سبعة كتب تتناول بالبحث حديث الثقلين الذي ورد بلفظ «**و عترتي و أهل بيتي**»[2].

و بالنظر إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقول أو يفعل أيّ شيء إلّا بأمر وحياني

١ـ راجع: دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الإسلامية، ج ١، ص ٥٨، و ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه الصواعق المحرقة، ص ١٤٩ و ١٥٠ طرقاً كثيرة لهذا الحديث وردت عن نيف و عشرين صحابياً، حيث قال: «و في بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، و في أُخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه و قد امتلأت الحجرة بأصحابه، و في أُخرى أنّه قال ذلك بغدير خم، و في أُخرى أنّه قال ذلك لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف... و لا تنافي؛ إذ لامانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن و غيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز و العترة الطاهرة».

يقول المرحوم العلاّمة السيّد شرف‌الدين رحمه‌اللّه في حاشية كتابه بعد نقل كلام ابن حجر: «لو لم يصدع صلى الله عليه وآله وسلم إلّا في إحد موقفيه إمّا عرفة أو الغدير لوجب أن يكون متواتراً، لأنّ الذين حملوه عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في كلّ من اليومين كانوا تسعين ألفاً على أقل الروايات» النصّ و الاجتهاد، ص ٥٧٨.

٢ـ الكشّاف المنتقى لفضائل علي المرتضى عليه السلام، ص ٢٠٨ و ما بعدها.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١] فحجّية سنّة النبي و عترته الطاهرة هي الأُخرى مستندة إلى الوحي الإلهي، و لها جذورها في القرآن، و مصداق لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[٢].

روايات أُخرى متواترة من طرق أهل السنّة

إضافة إلى رواية الثقلين فهناك روايات أُخرى منقولة من طرق الشيعة و السنّة تشير إلى الحجج و الأوصياء أو الأئمّة بعد النبي و هم اثنى عشر إماماً، و تدلّ كلّها على حجّيتهم و تؤكّد على دورهم في تبنّي الهداية الإلهية.

و تنقسم إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأُولى:

الروايات الدالّة على وجود الأوصياء الاثنى عشر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

و ملخّص هذه الروايات مجموع في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الأوصياء من بعدي اثنى عشر كلّهم من قريش**»... و من جملتها:

١ ـ جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول في حجّة الوداع:

> «**لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه، لا يضرّه مخالف و لا مفارق حتّى يمضي من أُمّتي اثنى عشر أميراً... كلّهم من قريش**»[٣].

١ـ النجم (٥٣): ٣ و ٤. ٢ـ البقرة (٢): ١٢٠.
٣ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣٩٨ و ج ٤٠٦ و ج ٥، ص ٨٧.

٢ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

> «**لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش**»[١].

٣ ـ جابر بن سمرة، قال: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

> «**يكون اثنى عشر أميراً**»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: «**كلّهم من قريش**»[٢].

٤ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

> «**يكون بعدي اثنى عشر خليفة**»[٣].

و مثلها في «المستدرك»[٤] و «سنن أبي داود»[٥] و «مسند الطيالسي»[٦] و «المعجم الكبير»[٧] و «سنن الترمذي»[٨] و «مسند أحمد»[٩] و عشرات الروايات الأُخرى بنفس المضمون منقولة في كتب السنّة المعتبرة.

جاء في أكثر من ثلاثين رواية منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اثنى عشر خليفة**»، وغلب على البقية الأُخرى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «**اثنى عشر عدد نقباء بني‌إسرائيل**»، والتعبيران معاً في روايات أُخرى... و أيضاً وردت عبارات من قبيل «أمير» و «قيّم» و «ملك» فيها.

١ـ صحيح مسلم، ج ٦، ص ٤. ٢ـ صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٢٧.
٣ـ كنزالعمّال، ج ١١، ص ٦٢٩، ح ٣٣٠٦٥؛ الصواعق‌المحرقة، ص ١٨٩؛ ينابيع‌المودّة، ج ٣، ص ٢٨٩. ٤ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٦١٧.
٥ـ سنن أبي‌داود، ج ٢، ص ٣٠٩. ٦ـ مسند الطيالسي، ص ١٠٥ و ١٨٠.
٧ـ المعجم الكبير، ج ٢، ص ٢٥٥، ح ٢٠٦٧.
٨ـ سنن الترمذي، ج ٣، ص ٣٤٠.
٩ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣٩٨ و ج ٥، ص ٨٦ و ٩٠ و ٩٣ و ٩٨ و ١٠١.

و بأيّ حال، لا يوجد شكّ في أنّ تلك الروايات المذكورة ـ بالإضافة إلى الروايات المنقولة من طرق الشيعة ـ هي روايات متواترة، سواء كان تواترها إجمالياً أو معنوياً، و أنّها وافية لإثبات حجّية سنّة الاثنى عشر خليفة أو (أمير أو قيّم أو ملك) للهداية، كحجّية القرآن و السنّة النبوية؛ إذ ليس من المعقول أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بتعريف مجموعة لهداية الناس ليس لهم اعتبار و حجّية من قبل اللّه تعالى.

من المقصود بالوصيّ و الخليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

من الممكن أن يقال إنّ هذه الروايات كلّية مجملة، إذن فعلى أي دليل تمّ حمل تعابير مثل «**خلفائي**» و «**أوصيائي**» و... على أئمّة الشيعة الاثنى عشر دون غيرهم؟

ردّاً على هذا الإشكال نقول:

أوّلاً: في القسم الثاني و الثالث من الروايات ـ التي سنذكرها في هذا الفصل ـ المنقولة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تصريح بأسماء هؤلاء الخلفاء والأوصياء، سنشير باختصار إلى أهمّها.

ثانياً: لا يُعقل أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو ﴿**مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[1] يقوم في مواقف حسّاسة كحجّة الوداع بإرجاع أُمّته إلى مجموعة من الناس غير معروفة، فيسبّب فوضى في التشخيص و سبباً لأن يجتهد كلّ واحد من المسلمين في تشخيص هوية هؤلاء الخلفاء وفق ما

١ـ النجم (٥٣): ٣ و ٤.

تمليه عليه سليقته.

إذا ما ثبت بالتواتر أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد قام بطرح قضية الخلفاء من بعده فليس مقبولاً أن نقول إنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرّفهم أو يدلّ عليهم.

ثالثاً: من تعبير «**خلفائي**» و أمثالها التي طرحت بكثرة في تلك الروايات يمكن أن نستفيد أنّ جميع صفات و أخلاق هؤلاء الخلفاء لابدّ أن تكون شبيهة مع صفات و أخلاق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و أهدافه؛ إذ الخليفة يعني النائب، فلا بدّ من لزوم التناسب و الشبه بين النائب و المنوب عنه عند العقل و العقلاء.

و عليه، فخلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لابدّ أن يحملوا صفاته كالعلم و العصمة و سائر الخصال النفسانية، بحيث تجعلهم أهلاً للنيابة و القيام مقامه، و لذا فإنّ تعبير «**خلفائي**» لا يمكن قطعاً أن يُطلق على خلفاء بني أُمية و بني العبّاس و أمثالهم؛ فشتّان ما بين صفات و أخلاق و مقام النبي و علميته مع خلفاء بني أُمية و بني العبّاس، مضافاً إلى أنّ عددهم لا يوافق العدد الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «**اثنى عشر**».

و لقائلٍ أن يقول: إنّه يمكن استثناء بعض الخلفاء الصالحين، كعمر بن عبدالعزيز و المهدي العبّاسي، بإضافة أبي بكر و عمر و عثمان و علي والحسن، و يكون المجموع اثنى عشر...

نقول: هذا توهّم باطل تنفيه الروايات نفسها؛ إذ لازم ذلك حصول انقطاع زمني بين هؤلاء الخلفاء، فهناك فاصلة زمنية طويلة بين الحسن و عمر بن عبدالعزيز، بينما الروايات تدلّ بوضوح على عدم الانقطاع و على التوالي،

كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يزال**» و «**متوالياً**»، بل في «مسند أحمد» و «المعجم الكبير»[1] إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لن يزال...**» ممّا يدلّ على الاتّصال الزمني بين الخلفاء.

أضف إلى هذا فإنّ المتعارف من إطلاق الحديث النبوي الشريف «**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية**» أو «**من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية**»[2]، لازمه أنّ لكلّ زمان إمام صالح واجب الطاعة والمعرفة، و هو خلاف التوهّم السابق الذي لازمه خلوّ بعض الأزمنة من الإمام أو الخليفة اللائق و الصالح.

تفسير الخلفاء بالأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام باعتراف القندوزي

فاضل القندوزي ـ من أكابر علماء السنّة ـ يقول في مقصود النبي صلى الله عليه وآله وسلم من «الخلفاء الاثنى عشر»:

قال بعض المحقّقين: إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله وسلم اثنى عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان و تعريف الكون و المكان علم أنّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديثه هذا الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام من أهل بيته و عترته؛ إذ لا يمكن أن يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من

١ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٨٦؛ المعجم الكبير، ج ٢، ص ٢١٥.

٢ـ مثله منقول بحدّ التواتر من طرق السنّة نشير إلى أبرزها: المعجم الكبير، ج ١٩، ص ٣٨٨؛ حلية الأولياء، ج ٣، ص ٢٢٤؛ مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٢١٨؛ كنز العمّال، ج ١، ص ١٠٣؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٩٦؛ شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣٩، و غيرها.

أصحابه؛ لقلّتهم عن اثني عشر، و لا يمكن أن يحمله على الملوك الأُموية؛ لزيادتهم على اثني عشر و لظلمهم الفاحش، إلّا عمر بن عبدالعزيز؛ و لكونهم غير بني هاشم، و لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**كلّهم من بني هاشم**» في رواية عبدالملك عن جابر...

و لا يمكن أن يحمله على الملوك العبّاسية؛ لزيادتهم على العدد المذكور و لقلّة رعايتهم الآية: ﴿**قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ**﴾، و حديث الكساء، فلابدّ من أن يُحمل هذا الحديث على الأئمّة الاثنى عشر من أهل بيته و عترته صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم و أجلّهم و أورعهم و أتقاهم و أعلاهم نسباً و أفضلهم حسباً و أكرمهم عندالله...[1]، فلا يبقى طريق سوى حمل تلك الروايات عليهم عليهم السلام.

الطائفة الثانية: فضائل الأئمّة عليهم السلام و علومهم

هناك روايات كثيرة متواترة منقولة من طرق أهل السنّة في فضائل و كمالات الإمام علي عليه السلام و أهل البيت عليهم السلام و علوّ شأنهم و مقامهم و علومهم، جاءت بتعابير مختلفة كلّها تحكي و تدلّ على اعتبار حجّيتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. من هذه الروايات:

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٩٢.

١ـ رواية الغدير

و هو الحديث المعروف بحديث الغدير، حيث يقول فيه رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد مقدّمة:

«أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: نعم يا رسول‌اللّه. قال: **«من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه»**[١].

و بهذا الشأن يقول المحدّث القمّي:

الطبري ... صاحب المصنّفات الكثيرة... و كتاب «في طرق حديث الغدير»، المسمّى بكتاب الولاية الذي قال الذهبي ـ وهو من علماء أهل السنّة و صاحب كتاب «ميزان الاعتدال» ـ: إنّي وقفت عليه كتاب الطبري فاندهشت لكثرة طرقه»[٢].

يدّعي المرحوم محمّد تقي المجلسي قائلاً:

نقل محمّد بن جرير الطبري في كتابه الولاية حديث الغدير من خمسة و سبعين طريقاً[٣].

١ـ راجع: مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٢٨١ و ٣٧٠؛ كنز العمّال، ج ١١، ص ٣٣٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ١٣، ص ٦٩؛ خصائص أمير المؤمنين، ص ١٠٠؛ أُسد الغابة، ج ١، ص ٣٦٧ و ج ٤، ص ٢٨ و ج ٥، ص ٢٦٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٩، ص ٢١٧ و ج ١٢، ص ٤٩؛ مجمع الزوائد، ج ٧، ص ١٦ و قريب منه في ذخائر العقبى، ص ٦٧، البداية و النهاية (تاريخ ابن كثير)، ج ٧، ص ٣٧٠.

٢ـ الكنى و الألقاب، ج ١، ص ٢٤١. ٣ـ روضة المتّقين، ج ١٣، ص ٢٤٧.

و ينقل صاحب كتاب «غاية المرام» هذا الحديث بأكثر من ثمانين سند من طرق السنّة[١]. و ابن عقدة ـ من علماء الزيدية ـ أفرد له كتاباً و طرقه من مئة طريق و خمس طرق[٢].

و عدّ المرحوم العلّامة الأميني صاحب «موسوعة الغدير» من روى هذا الحديث من الصحابة مئة و عشرة[٣]، و من التابعين أربعة و ثمانين[٤]. ثمّ ذكر طبقات رواة علماء السنّة من بداية القرن الثاني حتّى القرن الرابع عشر الهجري، فكانوا ثلاثمئة و ستّين نفراً، مستنداً في ذلك على ما ذكرته كتبهم[٥].

و عدّ من ألّف كتاباً يتناول بالحصر هذا الموضوع من الفريقين بأكثر من ستّة و عشرين أغلبهم من السنّة[٦]. و ذكر أسماء الرواة من أهل السنّة الذين نقلوا الحديث و ذكروا من بارك للإمام عليه السلام و هنّأه، بالغاً إلى ستّين[٧].

١ـ غاية المرام، ص ٧٩، المقصد الأوّل، الباب ١٦.

٢ـ المصدر السابق، ص ٩٠. ٣ـ الغدير، ج ١، ص ١٤ ـ ٦٠.

٤ـ المصدر السابق، ص ٦٢ ـ ٧٢. ٥ـ المصدر السابق، ص ٧٣ ـ ١٥١.

٦ـ المصدر السابق، ص ١٥٢ ـ ١٥٧.

٧ـ الغدير، ج ١، ص ٢٧٢ ـ ٢٨٣ و سيطلع القارئ أكثر على أسناد الحديث و جواب الشبهات التي طرحت بهذا الشأن، و على الموارد التي استند فيها إلى هذا الحديث الشريف الإمام علي عليه السلام، فاطمة الزهراء عليها السلام و الإمامان الحسن و الحسين عليهما السلام و بعض الخواصّ من الشيعة لإثبات إمامة علي عليه السلام. و أيضاً أسماء من شهد لعليّ عليه السلام بالفضل استناداً عليه، و فيهم أمثال عمرو بن العاص و أبو هريرة و عمر بن عبدالعزيز و المأمون العبّاسي، راجع: الغدير، ج ١، ص ٩ ـ ٢١٣.

المقصود من كلمة «مولى» في حديث الغدير

لا يمكن حصر تفسير كلمة «مولى» بالمحبّ فقط؛ و ذلك لأسباب كثيرة أهمّها:

أوّلاً: أنّ أغلب الحاضرين في ذلك الموقف و فيهم عمر بن الخطّاب قد فهموا أنّ المراد من كلمة المولى الإمامة و الولاية، و هذا يفسّر كيف أنّ المسلمين و على رأسهم أبو بكر و عمر و عثمان و طلحة و الزبير و سائر المهاجرين و الأنصار، ما أن أنهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خطابه حتّى هجموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و على علي عليه السلام، و أخذ كلّ واحد منهم يمسح على يد كلّ منهما و يبايع لهما[1]، و في بعض كتب أهل السنّة أنّ عمر بعد ما سمع خطاب النبي يبارك عليّاً و يقول:

«هنيئاً لك يابن أبي طالب؛ أصبحت مولاي و مولى كلّ مؤمن و مؤمنة»[2]. و في بعض الروايات السنّية بدل «هنيئاً لك» «بخٍ بخٍ لك»[3]، و المعنى واحد.

فلو كانت كلمة «مولى» تعني «محبّ» لكان تعبيرهم بـ«أصبحت» الدالّ على الحدوث و الإيجاد لغواً من الكلام؛ إذ هو عليه السلام قبل نصبه يوم الغدير كان محبّاً لهم و لكنّه لم يكن إماماً و وليّاً ظاهراً، خلاف ما إذا كان المقصود

١ـ الغدير، ج ١، ص ٢٧٠، نقلاً عن الطبري في كتاب «الولاية».
٢ـ فرائد السمطين، ج ١، ص ٦٤؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٢٨١.
٣ـ المصدر السابق.

«الولاية» و «الإمامة» فهي أمر ظاهري حاصل بالجعل و الاعتبار.

يقول السمعاني على ما نقل صاحب كتاب «غاية المرام» عن كتاب «فضائل الصحابة» ـ و هو من علماء السنّة ـ بعد أن أخذ الرسول بيد علي عليه السلام قال:

«هذا وليّكم من بعدي...»، و يقيناً لا معنى لهذا الكلام إن قلنا إنّه صلى الله عليه وآله وسلم أراد محبّة علي عليه السلام؛ و ذلك لأنّ محبّة الأفراد لعليّ و محبّة علي عليه السلام لهم أمر غير مختصّ بزمان ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و ما يكون منحصراً بالزمن التالي، و الذي أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد عليه هو إمامة علي عليه السلام و ولايته[1].

و شبيه هذا النقل رواية عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قوله:

«ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي ؟ما تريدون من علي؟ إنّ عليّاً منّي و أنا منه، و هو وليّ كلّ مؤمنٍ بعدي»[2].

هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم صدر حين بعث النبي عليّاً مع أفراد أُخر إلى اليمن و هم قسّموا الحلل و لبسوها بغير إذن من علي فلمّا تبيّن له أخذ الحلل منهم، ثمّ أنّهم لمّا عادوا شكوا إلى النبي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اقضاكم علي فشكوا ثانياً، ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً: **«ما تريدون من علي»**.

ثانياً: جملة صدر الرواية حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم: **«أتعلمون أنّي أولى**

١ـ غاية المرام، ص ٨٤، ح ٥٥، المقصد الأوّل، الباب ١٦.
٢ـ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٩٦، ح ٣٧٩٦، باب مناقب علي بن أبي طالب؛ التاج الجامع للأُصول، ج ٣، ص ٣٣٤ فما بعدها مع تفات يسير في النقل.

بالمؤمنين من أنفسهم... ؟»، و لم يقل مثلاً: أتعلمون أنّي نبيّكم؟ قرينة قوية على المطلب، إذ كان يؤكّد على أمر الولاية و الإمامة، لا أمر النبوّة و الرسالة. و هذه الجملة أفضل شاهد على أنّ مراد النبي صلى الله عليه و آله و سلم من كلمة «مولاه» هو أن ينسب هذه الأولوية و الولاية التي كانت له على الناس إلى شخص علي من بعده، و لذا فإنّه ما أن أخذ التصديق من الحاضرين بقولهم «نعم» حتّى قال: **«من كنت مولاه فهذا علي مولاه»**، فينطبق الكلام طبعاً على إمامة علي عليه السلام و ولاية و أولوية على سائر الناس.

ثالثاً: من مجموع القرائن و الشواهد الحافّة بإيراد الخطاب النبوي يُفهم أنّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كان يقصد أمراً في غاية الأهمّية و الخطورة، يتوقّف عليه مصير المسلمين في المستقبل، أمراً لا يمكن حمله على دعوتهم إلى محبّة علي عليه السلام فقط.

انتخاب زمن آخر سنوات عمر الرسول الشريف و في وقت وداعه مع كثير من المسلمين الذين لا يزورونه بعد، و أمره بحبس جميع المسلمين في مكان واحد سواء القوافل التي تقدّمته أو تلك التي لم تصل بعد لعقد ذلك المنتدى الرهيب في موقف حرج، ثمّ أخذ الإقرار من الجميع بأولويّته منهم، و رفع يد علي عليه السلام عالياً ليراها الجميع... فهذه كلّها قرائن دالّة على هذا الأمر الخطير، و من البعيد عقلاً تفسيرها على أنّه أراد دعوتهم إلى حبّ علي عليه السلام كما أحبّوه عليه السلام، و كأنّه قد أتى بشيء جديد لم يكن و لم يعلموه، إذ طالما صرّح و دعى الناس لحبّ أهل بيته عليهم السلام و في مواضع شتّى أطلع عليها القاصي والداني.

رابعاً: بناءً على ما نقله كتاب «النصّ و الاجتهاد» عن الطبري و الترمذي و غيرهما من كبار أهل السنّة، كابن حجر في «صواعقه» أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل أن يطرح موضوع ولاية علي عليه السلام إضافة إلى أخذه الإقرار من الحاضرين بالتوحيد و النبوّة التي هي من أُصول الدين، فإنّه أخذ الإقرار منهم أيضاً ـ من الحاضرين ـ بالاعتقاد بالمعاد و الجنّة و النار.

و يضيف قائلاً:

> ... حيث سألهم أوّلاً فقال: **«أليس تشهدون أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمّداً عبده و رسوله؟** ـ إلى أن قال ـ: **و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها و أنّ اللّه يبعث من في القبور»**، ثمّ عقّب ذلك بذكر الولاية ليُعلم أنّها على حدّ تلك الأُمور التي سألهم عنها فأقرّوا بها، و هذا ظاهر لكلّ من عرف أساليب الكلام و مغازيه من أُولى الأفهام[1].

و هذا الربط، و جعل قضيّة الولاية بحدّ أُصول الدين أشار إليها صاحب «غاية المرام» نقلاً عن كتاب «فصول الأئمّة المهمّة» تأليف علي بن أحمد المالكي و عن «مناقب» ابن المغازلي الشافعي و هما من علماء السنّة[2].

إذاً، لا يمكن حمل «مولى» على المحبّ، و لذا قال صاحب «الغدير»:

> و إن تنازلنا إلى أنّه أحد معانيه، و أنّه من المشترك اللفظي، فإنّ للحديث قرائن متّصلة و أُخرى منفصلة تبلغ إلى عشرين

١ـ النصّ و الاجتهاد، ص ٥٨٦.

٢ـ غاية المرام، ص ٨٨ و ٨٩، ح ٧٩ و ٨٨، المقصد الأوّل الباب ١٦.

قرينة تدلّ على أنّ مقصود النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كلمة مولى ليس إلّا الأُولى بالنفس تنفي إرادة غيره[١].

ثمّ أخذ يعدّ لذلك الشواهد و القرائن.

سائر الروايات الدالّة على فضائل علي عليه السلام

٢ـ رواية أحمد بن حنبل، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله لابنته فاطمة عليها السلام:

«أما ترضين أنّي زوجتك أقدم أُمّتي سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حلماً»[٢].

و بالطبع، حين يكون علي عليه السلام أكثرهم علماً يكون قوله للآخرين معتبر و حجّة.

٣ـ و قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي... أنت أوّلهم إيماناً باللّه و أوفاهم بعهد اللّه و أقومهم بأمر اللّه و أقسمهم بالسوية و أعدلهم في الرعية و أبصرهم في القضية و أعظمهم عند اللّه يوم القيامة مزيّة»[٣].

٤ـ قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

١ـ راجع: الغدير، ج ١، ص ٣٧٠.

٢ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٢٦؛ المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ٢٣٠، ح ٥٣٨؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٠٢؛ كنز العمّال، ج ١١، ص ٦٠٥، ح ٣٢٩٢٤.

٣ـ المناقب، للخوارزمي، ص ١١٠، ح ١١٨؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٢٣، ح ١٧٤؛ لسان الميزان، ج ٢، ص ١٩؛ حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٥ و ٦٦.

«فإنّ وصيّي و موضع سرّي و خير من أترك بعدي و ينجز عدتي و يقضي ديني علي بن أبي‌طالب»[١].

٥ـ الرواية المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجى و من تخلّف عنها غرق»[٢].

٦ـ و رواية المنزلة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحقّ علي عليه السلام:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[٣].

٧ـ نقل عبداللّه بن عكيم عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّه نزلت في حقّ علي عليه السلام في ليلة المعراج ثلاثة خصال: أنّه سيّد المؤمنين، و إمام المتّقين، و قائد الغرّ المحجّلين»[٤].

٨ـ الرواية المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحقّ علي عليه السلام:

١ـ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٣.

٢ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٢، ص ٣٤٣؛ نظم درر السمطين، ص ٢٣٥؛ ينابيع المودّة، ج ١، ص ٩٣؛ إسعاف الراغبين، ص ١١٠؛ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٥١٩. و اللازم بالذكر إنّ هذا الرواية مروية في الكتب التالية بدون كلمة: «ألا» و «فيكم»: حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦؛ مناقب الإمام علي بن أبي‌طالب، ص ١٣٧ و ١٣٨؛ ذخائر العقبى، ص ٢٠؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٨؛ الجامع الصغير، ج ٢، ص ٥٣٣، مقتل الحسين، للخوارزمي، ج ١، ص ١٠٤، و مع تفاوت يسير في المعجم الصغير، ج ١، ص ١٣٩؛ شرح نهج‌البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢١٨.

٣ـ صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠؛ صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٢٩.

٤ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٨؛ مجمع الزوائد، ج ١، ص ٧٨؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤٣، ح ١٠٧.

«أنت أخي و وصيّي و خليفتي من بعدي فاسمعوا له و أطيعوا...»[١].

٩ـ الرواية المشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«عليٌ مع الحقّ و الحقّ مع علي، يدور معه حيثما دار»[٢].

١٠ـ عن أُمّ سلمة قالت: سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«عليٌّ مع القرآن و القرآن مع علي، لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض»[٣].

١١ـ الرواية المشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا مدينة العلم و علي بابها»[٤].

١٢ـ الرواية المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، و أهل بيتي أمان

١ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١٥٩؛ تاريخ الأُمم والملوك «تاريخ الطبري»، ج ٢، ص ٦٣.

٢ـ تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٤٤٩؛ و مثله في صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٣٩٨؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٦ و ١٧٧ الأحاديث من ١٣٨ ـ ١٤٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٧٢.

و يذكر الفخر الرازي في تفسيره، ج ١، ص ٢٠٥ قائلاً: «من اقتدى في دينه بعليّ بن أبي‌طالب فقد اهتدى؛ و الدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّهم أدر الحقّ مع علي حيث دار». وابن أبي الحديد وثّق هذا الحديث، راجع: شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٢٧٠.

٣ـ المناقب، للخوارزمي، ص ١٧٧.

٤ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٦؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٤؛ المعجم الكبير، ج ١١، ص ٦٥ و ٦٦؛ تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١١٠؛ كنز العمّال، ج ١٣، ص ١٤٨؛ تهذيب الآثار، ج ١، ص ٩٠، ح ١٨١.

لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[١].

١٣ـ رواية عمر بن الخطّاب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«حبّ علي براءةٌ من النار»[٢].

١٤ـ عن المقداد بن الأسود، قال: سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«معرفة آل‌محمّد براءة من النار، و حبّ آل‌محمّد جواز على الصراط، و الولاية لآل محمّد أمان من العذاب»[٣].

١٥ـ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد»[٤].

و بعد هذا نقول:

حينما تكون محبّة و موالاة أهل بيت النبي عليهم السلام براءةً من النار و لا يقارن بهم أحد من الخلق، فيُعلم أنّهم الهداة و أنّهم أفضل الناس أجمعين.

١ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٤٩؛ الصواعق المحرقة، ص ٩١، ١١١ و ١٤٠؛ نظم درر السمطين، ص ٢٣٤؛ ينابيع المودّة، ص ٢١ و ٢٢؛ فيض القدير، ج ٦، ص ٢٩٧ و نقل هذا الحديث الكشّاف المنتقى، ص ٤٠٤ و ٤٠٥ نقلاً عن خمسة و ثلاثين كتاب آخر من كتب أهل السنّة.

٢ـ الفردوس، ج ٢، ص ٢٢٦؛ كنوز الحقائق، ج ١، ص ١١٧؛ مناقب سيّدنا علي، ص ٣٣؛ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٧٥ و ٢٩١.

٣ـ مناقب سيّدنا علي، ص ١٣؛ فرائد السمطين، ج ٢، الباب ٤٩؛ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٤٠؛ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٣٣٢.

٤ـ كنز العمّال، ج ٦، ص ١٠٤؛ الفردوس، ج ٥، ص ٣٤؛ كنوز الحقائق، ج ٢، ص ١٢٩؛ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٨٣.

أفيُعقل أنّ شخصاً قال عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى﴾[1] بأنّه «أعلم الناس» و «أقدم الناس إسلاماً» و «أوفاهم بأمر اللّه و عهده» و «من كنت مولاه فعليّ مولاه» و «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» و «سيّد المؤمنين» و «إمام المتّقين» و «قائد الغرّ المحجّلين» و «أنت أخي و وصيّي و خليفتي من بعدي» و «علي مع الحقّ و الحقّ مع علي» و «علي مع القرآن و القرآن مع علي» و «أنا مدينة العلم و علي بابها» و «أهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف» و... فلا يكون قوله و فعله حجّة؟!

و كيف يُعقل أنّ أهل بيت النبوّة و معدن الرسالة الذين شبّههم رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم بسفينة نوح و يقول فيهم: «من ركبها نجى و من تخلّف عنها غرق» أن لا يكون قولهم و فعلهم معتبر و حجّة يُقرنون بغيرهم من الناس؟!

من هنا نرى أنّ الشيعة حينما يحتجّون في مسائل الأُصول و الفروع من الدين بسنّة عترة نبيّهم، فهم ـ في الحقيقة ـ يتمسّكون بالسنّة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم، و التمسّك بالسنّة هو التمسّك بالقرآن.

الطائفة الثالثة: تصريح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأسماء الأئمّة عليهم السلام

روايات عديدة منقولة عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم، إضافة إلى أنّ أغلبها تنصّ على أنّ الخلفاء بعده اثنى عشر خليفة، ففي بعضها تصريح بأسمائهم جميعاً، أو أنّ أوّلهم علي عليه السلام و آخرهم المهدي عليه السلام، أو أنّ أوّلهم علي عليه السلام و آخرهم الولد التاسع من صلب الحسين عليه السلام.

١ـ النجم (٥٣): ٣.

نذكر هنا بعض هذه الروايات المنقولة من طرق أهل السنّة:

١ ـ جاء في «ينابيع المودّة» عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إنّ خلفائي و أوصيائي و حجج اللّه على الخلق بعدي اثنى عشر، أوّلهم علي و آخرهم ولدي المهدي...»[1].

٢ ـ عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبداللّه الأنصاري يقول: قال لي رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا جابر، إنّ أوصيائي و أئمّة المسلمين من بعدي أوّلهم علي ثمّ الحسن ثمّ... ثمّ القائم، اسمه اسمي و كنيته كنيتي، محمّد بن الحسن...»[2].

٣ ـ رواية أُخرى طويلة عن جابر بن عبداللّه الأنصاري، عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و فيها يذكر أسماء الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام:

دخل جندل بن جنادة اليهودي على رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنّي رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام، فقال: **«يا جندل، أسلم على يد محمّد خاتم الأنبياء، و استمسك الأوصياء من بعده...»** ثمّ قال: أخبرني يا رسول‌اللّه عن أوصيائك من بعدك... قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«أوصيائي الاثنى عشر»**. قال جندل: هكذا وجدنا في التوراة. و قال: يا رسول‌اللّه سمّهم لي.

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٩٥. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣٩٩.

فقال: «أوّلهم سيّد الأوصياء أبو الأئمّة علي... ـ ثمّ قال ـ و يكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه...»[١].

تقول الرواية إنّه عاش إلى أن كانت ولادة علي بن الحسين عليه السلام، فخرج إلى الطائف و مرض و شرب لبناً... و مات و دفن بالطائف.

٤ـ صاحب كتاب «مقتضب الأثر» من طريق أهل السنّة ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَ عَلَى ٱلأَعْرَافِ رِجَالٌ...﴾[٢]، قوله:

«هم الأوصياء من آل‌محمّد الاثنى عشر، لا يعرف اللّه إلّا من عرفهم و عرفوه...»[٣].

٥ـ أبوالطفيل عن علي عليه السلام، قال:

«قال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، أنت وصيّي... و أنت الإمام و أبو الأئمّة الإحدى عشر، الذين هم المطهّرون المعصومون، و منهم المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً...»[٤].

٦ـ و عن أبي الطفيل أيضاً قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول:

«ليلة القدر في كلّ سنة ينزل فيها على الوصاة بعد رسول‌اللّه ما ينزل». قيل له: و من الوصاة يا أميرالمؤمنين؟ قال: «أنا و أحد عشر من صلبي هم الأئمّة المحدّثون...»[٥].

١ـ المصدر السابق، ص ٢٨٥.
٢ـ الأعراف (٧): ٤٦.
٣ـ مقتضب الأثر، ص ٤٨.
٤ـ ينابيع المودّة، ج ١، ص ٢٥٣.
٥ـ مقتضب الأثر، ص ٢٩ نقلاً عن كتب أهل السنّة.

٧ـ عبداللّه بن عبّاس، عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إنّ خلفائي و أوصيائي و حجج اللّه على الخلق بعدي اثنى عشر، أوّلهم أخي و آخرهم ولدي». قيل: يا رسول‌اللّه، و من أخوك؟ قال: «علي بن أبي‌طالب». قيل: فمن ولدك؟ قال: «المهدي الذي يملؤها قسطاً و عدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً...»[١].

٨ـ ابن عبّاس أيضاً عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا سيّد المرسلين، و علي بن أبي‌طالب سيّد الوصيّين، و أنّ أوصيائي بعدي اثنى عشر، أوّلهم علي بن أبي‌طالب، و آخرهم القائم»[٢].

٩ـ ثابت بن دينار عن زين‌العابدين عليه السلام، عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«الأئمّة بعدي اثنا عشر، أوّلهم أنت يا علي، و آخرهم القائم...»[٣].

١٠ـ عبدالسلام الهروي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«ما خلق اللّه خلقاً أفضل منّي... فقلت يا ربّ و من أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد، أوصياؤك المكتوبون على سرادق عرشي. فنظرت فرأيت اثنى عشر نوراً... أوّلهم علي

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣١٢، ح ٥٦٢؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٨٣.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣١٢، ح ٥٦٤.
٣ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩٥.

و آخرهم القائم المهدي...»[1].

١١ ـ و في رواية طويلة عن أبي الطفيل، و فيها سؤال اليهودي من علي عليه السلام حول أوصياء الرسول، فأجابه عليه السلام:

«لهذه الأُمّة بعد نبيّها اثنى عشر إماماً... أنا و آخرنا المهدي».

قال اليهودي: صدقت. قال: علي عليه السلام: **«سل عن الواحدة».**

قال: اخبرني كم تعيش بعد نبيّك؟ و هل تموت أو تُقتل؟

قال عليه السلام: **«أعيش بعده ثلاثين سنة، و تُخضب هذه ـ و أشار إلى لحيته ـ».** فقال اليهودي: **«أشهد أن لا إله إلّا اللّه...»**[2].

١٢ ـ عن ابن عبّاس قال: سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أنا و علي و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[3].

الإمامة و عبداللّه بن سبأ

و في سياق سعيه لإثبات أنّ فكرة إمام الزمان (عج) مؤامرة تاريخية ليس إلّا، يذكر كاتب الكرّاسة:

لا بأس أن نعرف أنّ مؤامرة الإمامة و الوصاية ظهرت أوّل ما

١ـ المصدر السابق، ص ٣٧٩. ٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٧.

٣ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٢، ح ٤٣٠ و ص ٣١٣، ح ٥٦٣. و قريب من هذا المضمون مع تفاوت يسير مرويّ في مقتل الحسين، للخوارزمي، ج ١، ص ٩٦ و ١٤٦ و ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٩١ و ٣٨١.

ظهرت في تاريخ الإسلام عن طريق عبداللّه بن سبأ اليهودي الذي كان يتظاهر بالإسلام، و فكرة إمام الزمان أيضاً... أثر من آثار تلك المؤامرة.

على الرغم من أنّ مسألة الإمامة و الوصاية خارجة عن موضوع البحث، و لكن يُجاب على هذا التوهّم بإيجاز:

أوّلاً: بناءً على وجهات نظر تحقيقية لبعض المؤرّخين الشيعة المعاصرين، فإنّ موضوع عبداللّه بن سبأ اسطورة تاريخية ليس إلّا، لا وجود لها في التاريخ. يقول العلّامة مرتضى العسكري:

أُسطورة عبداللّه بن سبأ وضعها سيف بن عمر، و هو في كتب رجال أهل السنّة إضافة إلى اتّهامه بالزندقة فهو ضعيف، متروك الحديث، كذّاب، يضع الحديث، غير مأمون لا يُعتمد عليه و... يقول ابن حبّان: «سيف بن عمر كان يضع الحديث و يروي الموضوعات عن الإثبات...»[1].

و يقول أيضاً:

نقل الشيعة قصة غلوّ عبداللّه بن سبأ في كتب الرجال و الحديث من كتاب «رجال الكشّي»، قال النجاشي عنه: «الكشّي... و روى عن الضعفاء كثيراً»[2].

ثانياً: و على فرض وجود هذه الشخصية في التاريخ الإسلامي، فهو

١ـ ترجمة عبداللّه بن سبأ، ج ١، ص ٧٠. ٢ـ المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠.

استناداً إلى بعض الروايات قطب من أقطاب الغلوّ بين المسلمين، ادّعى النبوّة لنفسه فيما بعد، كما ادّعى الربوبية و الأُلوهية لأمير المؤمنين عليه السلام، و لذا يستفاد من بعض الروايات ـ على فرض الصحّة ـ أنّ الإمام علي عليه السلام تعامل معه و فرقته بشدّة.[1]

ثالثاً: استناداً لما ذكر في المحور الثاني من هذا الفصل، يتوضّح و هن بطلان ادّعاء الكاتب بأنّ عبدالله بن سبأ واضع فكرة الإمامة و الوصاية في الإسلام.

اشتهار أسماء الأئمّة في زمان الخلفاء

من جملة الشواهد التاريخية الدالّة على أنّ خلفاء النبي صلى الله عليه و آله و سلم و اسم آخرهم المهدي (عج) كان من المسلّمات الواضحة المشهورة بين الناس في ذلك المقطع الزمني، أنّ العبّاسيّين استغلّوا ذلك في ثورتهم على الدولة الأموية، حيث استطاعوا برفعهم شعار مظلومية و حقّانية أهل بيت النبوّة عليهم السلام أن يجمعوا شرائح كبيرة من المجتمع حولهم؛ للاستفاده منهم للقضاء على الخلافة الأموية... و بعد ضعف الدولة الأموية قاموا ببيعة إبراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنّى بعنوان مهدي الأُمّة، و بعد موت إبراهيم ادّعوا أنّهم أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و من نسل بني هاشم؛ و قاموا بالإضافة إلى تطبيق الآيات و الروايات المرتبطة بذوي القربى على أنفسهم، بإطلاق اسم المهدي الموعود

١ـ رجال الكشّي، ص ١٠٦.

على ولد المنصور، و أيضاً بتطبيق «روايات المشرق» ـ أي الأعلام التي سترتفع من المشرق ـ التي سارت على الألسنة كواحدة من نبوءات النبي صلى الله عليه و آله و سلم في علائم ظهور المهدي، بتطبيقها على أعلام أبو مسلم الخراساني السوداء، و بهذه المناسبة جعلوا لبس السواد من شعائر دولتهم.

و هذا ما لخّصه أبو العبّاس السفّاح ـ أوّل خلفائهم ـ في خطبته لأهل الكوفة: «الحمد للّه الذي اصطفى الإسلام... و خصّنا برحم رسول اللّه و قرابته».

و بعد تطبيق آيات ذوى القربى على العبّاسيّين، قال:

> يا أهل الكوفة! إنّا و اللّه ما زلنا مظلومين مقهورين على حقّنا، حتّى أتاح اللّه لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقّنا... فاعلموا أنّ هذا الأمر فينا ليس بخارج منّا حتّى نسلّمه إلى عيسى بن مريم[1].

* * *

بناءً على ما أوضحناه في هذا الفصل بالاستناد إلى الآيات القرآنية، تكون السنّة النبوية صلى الله عليه و آله و سلم حجّة، و بالتبع تكون العترة هي الأُخرى حجّة كالقرآن، فلا تنحصر الحجّية بالقرآن كما أسلفنا.

١ـ تاريخ الأمم و الملوك «تاريخ الطبري»، ج ٦، ص ٨٢ ـ ٨٤.

و يبدو أنّ مؤلّف الكرّاسة على الرغم من ادّعائه أنّه من السنّة، و لكن يبدو من خلال أقواله تلك أنّه من أعداء سنّة و عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ و إلّا فإنّ أهل السنّة يعتقدون بحجّية السنّة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم و يحبّون عترته عليهم السلام، و كتبهم دالّة على ذلك.

الفصل الثاني:

القرآن

يشير إلى المهدي الموعود

القرآن يشير إلى المهدي الموعود

يدّعي كاتب الكرّاسة قائلاً:

لا يوجد في القرآن أيّ دلالة على إمام الزمان المزعوم إلّا ما حُرّف و أُوِّل بطريقة الباطنية....

هذا الادّعاء مرفوض من عدّة جهات:

أوّلاً: لايلزم ذكر جميع المعارف الدينية في القرآن الكريم

الف ـ لا يوجد دليل على لزوم ذكر أي موضوع بعينه في القرآن، والمقصود من قوله تعالى: ﴿وَ لاَ رَطْبٍ وَ لاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1]، و قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[2] في صورة ما إذا كان المقصود من الكتاب هو هذا القرآن، لا الكتاب التكويني و نظام الوجود، ناهيك بكلّ ما يرتبط بأمر هداية الإنسان ـ الذي هو الهدف الأصلي من إنزال الكتب السماوية ـ موجود في القرآن الكريم.

ب ـ لا شكّ و لا ترديد في أنّ كلّ القرآن كتاب هداية لا بعضه فقط، و من جملة آياته التي لها دور أساسي في هداية الناس، تلك التي تدعو الناس إلى متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أهل العلم. في الحقيقة بعض من المعارف و التعاليم

١ـ الأنعام (٦): ٥٩.

٢ـ الأنعام (٦): ٣٨.

الدينية قد طرحت في القرآن الكريم بصورة غير مستقيمة، يعني تلك التي جاءت على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته عليهم السلام.

كلّنا نعلم أنّ أغلب أركان العبادات و حتّى بعض ما يختصّ بأُصول الدين لم يُذكر صراحتاً في القرآن الكريم، و إنّما جاء ذكرها و تبيانها على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته عليهم السلام. و هذا لا ينافي ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَ لاَ رَطْبٍ وَ لاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1]؛ و لأنّه ـ كما أوضحنا سالفاً ـ لابدّ من اعتبار القرآن ككلّ ملاكاً لا بعضه، و الآية: ﴿وَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2] صريحة في أنّ الذكر يعني القرآن لابدّ تبيينه و توضيحه من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و من دون ذلك يبقى في الجملة مبهماً مغلقاً عن الأفهام.

و عليه فإنّ ذكر اسم المهدي (عج) على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافٍ للاعتقاد به، و لا لزوم لذكره في القرآن.

ثانياً: عدم ذكر الكثير من المعارف الدينية في القرآن الكريم

عدد الأئمّة و صفاتهم، و أيضاً كثير من أركان و شرائط العبادات، من جملة ذلك عدد ركعات الصلاة اليومية و كيفية أدائها، و كثير من العلوم و أحكام الدين، لم تُذكر أو توضّح في القرآن، بل تُرك أمر تبيانها و توضيحها في عهدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

موضوع الإمامة و ولاية الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من ثبوته

١ـ الأنعام (٦): ٥٩.
٢ـ النحل (١٦): ٤٤.

بالأدلّة العقلية فإنّ القرآن الكريم و بنحوٍ عام قرن طاعة أولي الأمر بطاعة اللّه و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَ أَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَ أُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1]، و لاشكّ أنّ المقصود من أولي الأمر في هذه الآية هم الأئمّة المعصومون عليهم السلام؛ و ذلك:

الف ـ حمل الأمر المطلق من قبل اللّه تعالى في هذه الآية بالإطاعة لغير المعصوم غير صحيح؛ فغير المعصوم معرّض للذنب و الخطأ، و قبيح على اللّه الحكيم أن يأمر بالطاعة المطلقة لشخص في معرض الانحراف و الخطأ.

من هنا فسّر البعض من أهل العلم و التفسير من السنّة أنّ المراد من أولي الأمر في الآية الشريفة هم الأئمّة المعصومون عليهم السلام، كما جاء في «شواهد التنزيل»[2] و «تفسير البحر المحيط»[3] و «ينابيع المودّة»[4] و «فرائد السمطين»[5].

ب ـ الروايات المعتبرة المنقولة عن العترة تدلّ على أنّ المراد من «أولي الأمر» في الآية «الأئمّة المعصومون» عليهم السلام.

ثالثاً: تطبيق الآيات القرآنية على المهدي (عج) كما في كتب أهل السنّة و اختلاف ذلك عن التحريف و التأويل

أمّا القسم الثاني من ادّعاء الكاتب أنّه: «لا يوجد في القرآن أيّ دلالة على إمام الزمان المزعوم إلّا ما حُرّف و أُوّل بطريقة الباطنية».

١ـ النساء (٤): ٥٩.
٢ـ شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٩٠.
٣ـ البحر المحيط، ج ٣، ص ٢٧٨.
٤ـ ينابيع المودّة، ج ١، ص ٣٥١.
٥ـ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٤، ح ٢٥٠.

فهو ادّعاء بلا دليل إذ تطبيق الحقائق العامّة في القرآن على بعض المصاديق ليس من مقولة التحريف و لا التأويل الباطل. و بخصوص المهدي فإنّ الكثير من كبار المفسّرين السنّة ذكروا آيات تنطبق على المهدي (عج) الموعود، من جملة هذه الآيات:

١ـ قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاةَ ...**﴾[١].

ذكر النيشابوري في **غرائب القرآن**[٢]، و الفخر الرازي في **تفسيره**[٣]:

قال بعض الشيعة: المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد اللّه تعالى به في القرآن و الخبر، أمّا القرآن: ﴿**وَعَدَ ٱللّه ٱلَّذِينَ أَمَنُوا مِنكُمْ وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ**﴾[٤]. و أمّا الخبر:

«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يخرج رجل من أُمّتي، يواطىء اسمه اسمي و كنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً»[٥].

سكت النيشابوري على قول الشيعة و لم يعقب، و أشكل الرازي عليهم قائلاً: «إنّ تخصيص المطلق من غير الدليل باطل». و بناءً على هذا فإنّه لا إشكال في إطلاق عموم «الغيب» على المهدي (عج) بنظر هذين العالمين الكبيرين.

١ـ البقرة (٢): ٣.
٢ـ غرائب القرآن، ج ١، ص ١١٥.
٣ـ التفسير الكبير، ج ٢، ص ٣٩.
٤ـ النور (٢٤): ٥٥.
٥ـ المعجم الكبير، ج ١٠، ص ١٣٥.

أمّا صاحب كتاب «ينابيع المودّة» فإنّه يقطع بنزول هذه الآية بحقّ المهدي (عج) بقوله: **«هذه الآية نزلت في القائم المهدي»**[١].

٢ـ عن ابن أبي الحديد في ذيل كلام لأمير المؤمنين في «نهج البلاغة» يقول فيه عليه السلام:

«لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها، عطف الضّروس على ولدها»[٢].

والآية التي ذكرت بعده: ﴿**وَ نُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ**﴾[٣]. قال: «و أصحابنا يقولون إنّه وعد بإمام يملك الأرض و يستولي على الممالك»[٤].

٣ـ الآلوسي في تفسيره لهذه الآية: ﴿**أَنَّ ٱلأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ**﴾[٥] يقول:

المراد من الأرض أرض الدنيا، حيث سيسلّط اللّه فيها المؤمنين، و لن يكون ذلك قبل ظهور المهدي و نزول عيسى عليه السلام[٦].

٤ـ و جاء في «الصواعق المحرقة» في ذيل هذه الآية: ﴿**وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ**﴾[٧]:

قال مقاتل بن سليمان و من تبعه من المفسّرين: إنّ هذه الآية نزلت في المهدي[٨].

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٤٥.
٢ـ نهج البلاغة، كلمات القصار، ٢٠٩.
٣ـ الأنبياء (٢١): ١٠٥.
٤ـ شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٢٩.
٥ـ الأنبياء (٢١): ١٠٥.
٦ـ تفسير روح المعاني، ج ١٧، ص ٩٥.
٧ـ الزخرف (٤٣): ٦١.
٨ـ الصواعق المحرقة، ص ١٦٢.

و قد أيّد صاحبا «إسعاف الراغبين»[١] و «ينابيع المودّة»[٢] نـزول هـذه الآية بحقّ المهدي عليه السلام.

٥ـ و نقل صاحب «غاية المـرام»[٣] عـن كـتاب «البـيان» فـي أخـبار صاحب الزمان للكنجي الشافعي:

إنّ سعيد بن جبير استدلّ بقوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ**﴾[٤] على إثبات حـياة المـهدي عليه السلام بقوله: و المراد به المهدي الذي هو من عترة فاطمة عليها السلام.

و قال صاحب كتاب «الديباج»: «المراد من الآية: ظهور حجّة اللّه»[٥].

٦ـ و جاء في كتاب «ينابيع المودّة»:

و في مناقب الخوارزمي عن جابر بن عبداللّه الأنصاري في خبر طويل جاء فيه: أنّ يهودي دخل على رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن مسائل من جملتها عن أوصيائه و عددهم، فذكرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واحداً بعد آخر حتّى وصل إلى الإمام الحسن و ابنه المهدي، قال:

«و ابنه محمّد يُدعى بالمهدي... فيغيب ثمّ يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً، طـوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمتّقين على محبّته، أولئك الذين وصفهم اللّه في كـتابه و قـال: ﴿هُـدىً لِـلْمُتَّقِينَ * ٱلَّـذِينَ

١ـ إسعاف الراغبين، ص ١٣٩. ٢ـ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٤٥٣.
٣ـ غاية المرام، ص ٧١٢، الباب ١٢٤، الفصل الأخير.
٤ـ التوبة (٩): ٣٣. ٥ـ الديباج على المسلم، ج ٥، ص ٣٣٨.

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[١]، و قال تعالى **﴿أُولٰئِكَ حِزْبُ ٱللّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ٱللّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾**[٢]»[٣].

٧ـ ينقل صاحب كتاب «ينابيع المودّة» عن «فرائد السمطين»:

«الحسن بن خالد، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«فإذا خرج أشرقت الأرض بنور ربّها... و هو الذي يناد منادٍ من السماء يسمعه جميع أهل الأرض: ألا أنّ حجّة اللّه قـد ظهر... فاتّبعوه؛ فإنّ الحقّ فيه و معه، و هو قول اللّه تعالى: ﴿إِن نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِنَ ٱلسَّماءِ آيَةً فَـظَلَّتْ أَعْـنَاقُهُمْ لَـهَا خَاضِعِينَ﴾[٤]»[٥].

٨ـ «ينابيع المودّة» أيضاً في ذيل هذه الآية: **﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُـولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ ٱلْحَقِّ...﴾**[٦] قال:

«واللّه ما يجيء تأويلها حتّى يخرج القائم المهدي عليه السلام»[٧].

٩ـ ينقل صاحب كتاب «مقتضب الأثر» رواية مـن طـرق السـنّة، عـن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«ليلة القدر في كلّ سنة ينزل فيها على الوصاة بعد رسول اللّه ما ينزل». قيل له: و من الوصاة يـا أمـيرالمـؤمنين؟ قـال: «أنا و أحد عشر من صلبي ...»[٨].

١ـ البقرة (٢): ٢ و ٣. ٢ـ المجادلة (٥٨): ٢٢.
٣ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥. ٤ـ الشعراء (٢٦): ٤.
٥ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٨٧. ٦ـ الفتح (٤٨): ٢٨.
٧ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٣٩. ٨ـ مقتضب الأثر، ص ٢٩.

يستفاد من هذه الرواية أنّ في سورة القدر إشارة إلى المهدي عليه السلام، خصوصاً مع التوجّه إلى قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ...﴾[1] الظاهرة بالاستمرار و الاتّصال، و قطعاً تشمل زمان الغيبة. و يُستفاد أيضاً من هذه الرواية أنّ وصيّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي محلّ نزول الملائكة و الروح، كذلك دائماً و في كلّ عام.

و هذه كانت نماذج من بعض كتب أهل السنّة و مفسّريهم الذين ذكروا في كتبهم الآيات التي تنطبق على المهدي الموعود، أكثر عشرات المرّات ممّا جاء في كتب التفاسير الشيعية عن المعصومين عليهم السلام ؛ و بما أنّا أثبتنا حجّية أخبار العترة، فلا مجال بعد ذلك لأحد الطعن بالتمسك بالروايات المنقولة عن أئمّة و أهل بيت النبي عليهم السلام، و إن كان هدفنا في هذه الأجوبة المختصرة هو نقل الروايات من طرق السنّة و حسب.

هذا من جانب، و من جانب آخر نقول للذين ينكرون تطبيق الآيات على المهدي: إنّ كبار علماء السنّة قد أفردوا كتباً مستقلّة تتناول بالذكر الآيات القرآنية النازلة بحقّ الإمام علي عليه السلام، أمثال:

١ـ أبو نعيم الأصفهاني، صاحب كتاب «ما نزل من القرآن في علي» أو «ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين».

أشار المرحوم العلّامة الأميني إلى هذا الكتاب في «الغدير»[2].

٢ـ محمّد بن أحمد بن أبي الثلج، صاحب كتاب «التنزيل في النصّ على أمير المؤمنين».

١ـ القدر (٩٧): ٤.
٢ـ الغدير، ج ٤، ص ١٠١.

نقل عنه المرحوم ابن طاووس في كتابه «اليقين»[1] بعض المسائل.

٣ـ أبو بكر محمّد بن مؤمن الشيرازي، صاحب كتاب «نزول القرآن في شأن أمير المؤمنين».

أشار المرحوم ابن شهرآشوب في كتابه «المناقب»[2] إلى هذا الكتاب.[3]

٤ـ الحاكم الحسكاني الحنفي، صاحب كتاب «شواهد التنزيل و هو ما نزل من القرآن في علي»[4].

٥ـ الحسين بن الحكم الحبري الكوفي، صاحب كتاب «ما نزل من القرآن في علي»[5].

٦ـ المظفّر بن أبي‌بكر الحنفي، صاحب كتاب «ما نزل من القرآن في علي»[6].

إذن لا يستعبد تطبيق بعض الآيات على الإمام المهدي عليه السلام أيضاً، كما نقل علماء السنّة، فإن لم يجز تطبيقها على المهدي (عج) لم يجز تطبيقها على الإمام علي عليه السلام أيضاً؛ لوحدة الملاك.

و من اللازم التذكير أنّه في كتاب «غاية المرام» المقصد الثاني نقل في أكثر من مئة و ثلاثة و عشرون باباً آيات تنطبق على أهل بيت النبي عليهم السلام، منقولة من كتب أهل السنّة، أو الروايات المنقولة من طرقهم بشأن بعض

١ـ اليقين، ص ٤٥.
٢ـ المناقب لابن شهرآشوب، ج ٢، ص ١٧٣.
٣ـ مقدمة كتاب المناقب، للخوارزمي، ص ١٢ ـ ١٤.
٤ـ الكشّاف المنتقى لفضائل علي المرتضى، ص ١٤.
٥ـ المصدر السابق.
٦ـ المصدر السابق.

الآيات المنقولة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام و التي تنطبق على أهل البيت عليهم السلام.

و أيضاً ذكر صاحب كتاب «حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين» أربعة عشر آية كلّها تنطبق على الإمام علي عليه السلام أو على أهل بيته عليهم السلام بصورة عامّة، جمعها من كتب أهل السنّة مع ذكر السند و الطريق. و هذه الكتب عبارة عن:

الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٢٩٣؛ **تفسير الرازي**، ج ٣، ص ٦١٨ و ج ٨، ص ٣٩٢؛ **تفسير البيضاوي**، ص ١٥٤؛ **تفسير الكشّاف**، ج ١، ص ٢٦٤ و ج ٢، ص ٣٣٩؛ **تفسير النيشابوري**، ج ٢، ص ٢٨؛ **طبقات النقول**، ج ٢، ص ١٥؛ **مشارق الأنوار**، ص ٧٥؛ **صواعق ابن حجر**، ص ٧٤؛ **سيرة الحلبي**، ج ٣، ص ٣٠٢؛ **نور الأبصار**، ص ٦٩؛ **تفسير الطبري**، ج ١٢، ص ١٠ و ج ٢٥، ص ٥٨؛ **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٣٦ و ج ٣، ص ٢٧٠؛ **صحيح مسلم**، ج ٢، ص ٣٣١؛ **الشرف المؤيّد**، ص ١٠؛ **مصابيح السنّة**، ج ٢، ص ٢٠٠؛ **الخصائص الكبرى**، ج ٢، ص ٢٦٤؛ **الإتحاف**، ص ١٨؛ **إسعاف الراغبين المطبوع بحاشية نور الأبصار**، ج ٤، ص ٤٥؛ **تفسير روح البيان**، ج ٣، ص ٢٣٠ و ج ٦، ص ٥٤٦؛ **إصابة ابن حجر**، ج ٤، ص ٣٠٧؛ **منتخب كنز العمّال**، ج ٥، ص ٤٣؛ **ينابيع المودّة**، ج ١، ص ٩٣، ٩٤ و ٩٩؛ **تفسير الجلالين**، ج ١، ص ٣٥؛ **تاريخ الخلفاء**، ص ٦٥؛ **الفتوحات الإسلامية**، ج ٢، ص ٣٤٢[1].

١ـ راجع: حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين، ج ١، ص ١٤٤ و مابعدها.

و أيضاً نقل الخوارزمي ـ من كبار علماء أهل السنّة ـ في «مناقبه» الفصل السابع آيات منقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو عن أصحابه تنطبق على علي عليه السلام مع ذكر سندها[1].

الجدير بالقول إنّ صاحب كتاب «الكشّاف المنتقى لفضائل علي المرتضى» قد ذكر في كتابه أربعة و سبعين آية يعتقد علماء أهل السنّة أنّها نزلت بحقّ علي عليه السلام. و قد ذكر أكثر من مئتي كتاب عن أهل السنّة كلّ منها ذكر بعض هذه الآيات بشأن المهدي عليه السلام.

و للتذكير نقول: إنّه ليس المقصود من قياس الإمام المهدي عليه السلام بالإمام علي عليه السلام إثبات وجود إشارات في القرآن لها علاقة بالإمام المهدي (عج)، بل المقصود ما يقابل استبعاد ما أنكره الكاتب من وجود إشارات في القرآن ترتبط بالإمام المهدي عليه السلام؛ لأنّ حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد.

و نستخلص النتيجة من هذا الفصل: أنّه لالزوم لذكر موضوع الإمام المهدي عليه السلام في القرآن، كما هو الحال لكثير من العلوم و الأحكام و المعارف الدينية، مضافاً إلى أنّ الكثير من علماء السنّة و كذا الشيعة قد أشاروا إلى وجود آيات في القرآن الكريم تنطبق على موضوع الإمام المهدي عليه السلام و قد أشرنا إليه.

١ـ المناقب، للخوارزمي، ص ١٨٦.

الفصل الثالث:

تواتر روايات المهدي الموعود

في كتب أهل السنّة

تواتر روايات المهدي الموعود في كتب أهل السنّة

يدّعي كاتب الكرّاسة قائلاً:

ما جاء في أخبار الآحاد حول المهدي لا ارتباط له بإمام زمان علماء الإمامية المزعوم الذي هو آلة بأيديهم لأجل تضليل مقلّديهم، بل هي تدور حول مصلح من ذرّية رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يعمل بدين الرسول، لا أنّه يأتي بدين جديد كما تدّعي ذلك كتب الإمامية.

و تنقسم الإجابة على هذا الإدّعاء إلى عدّة أقسام:

الأوّل: مقالة علماء السنّة حول تواتر روايات المهدي عليه السلام

ادّعاء كون أخبار المهدي عليه السلام هي أخبار آحاد، ناتج من قلّة دراية الكاتب و معرفته؛ إذ على الرغم من أنّ بعض تلك الأخبار الموجودة في كتب الفريقين، سواء ما ترتبط بجزئيات زمان الظهور أو العلائم التي تسبقه، أو ما يقوم به من أعمال خاصّة، هي أخبار آحاد، بعضها ضعيف السند أو المتن، ولكن أصل وجود المهدي عليه السلام و ظهوره آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً، و ما يرتبط بهذا الظهور من وقائع و أحداث، هي أخبار قطعية و مدلول روايات متواترة منقولة عن كتب الفريقين.

و سنكتفي في كتابنا هذا مراعاةً لأسلوب و آداب الحوار المنطقي، و في مقام الاستدلال و إثبات المطلوب بالاستناد إلى كتب و روايات و آراء أهل السنّة. و من جانب آخر نشير إلى نماذج من أقوال علمائهم ما يختصّ بإثبات تواتر روايات المهدي الموعود عليه السلام.

١ـ يذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»:

قد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدين و الدنيا و التكليف لا ينقضي إلّا عليه[١].

٢ـ و جاء في «إسعاف الراغبين»:

تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بظهور المهدي، و هو من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يملأ الأرض عدلاً و قسطاً[٢].

٣ـ ابن حجر عن أبي الحسين الآجري قال:

قد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ المهدي (عج) من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يملأ الأرض عدلاً، و أنّه يملك سبع سنين، و يخرج مع عيسى عليه السلام و يساعده على قتل الدجّال بأرض فلسطين، و أنّه يؤمّ هذه الأُمّة و عيسى يصلّي خلفه[٣].

٤ـ يقول العلّامة البرزنجي:

واعلم أنّ الأحاديث الواردة في ظهور المهدي على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر، بعضها صحيح و بعضها حسن و

١ـ شرح نهج البلاغة، ج ١٠، ص ٩٦.
٢ـ إسعاف الراغبين، ص ١٣٨، الباب ٢.
٣ـ الصواعق المحرقة، ص ١٦٧.

بعضها ضعيف و هي الأكثر، و لكن لكثرة رواتها فإنّ الضعيف ينجبر بالقوي... و قد تواترت الأخبار على ظهوره، و أنّه من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلاً[١].

٥ـ و أورد الشيخ علي ناصف في كتاب «غاية المأمول»:

اعلم أنّ المشهور بين الكافّة من أهل العلم على مرّ الأعصار أنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين و يُظهر العدل و يتبعه المسلمون، و يخرج الدجّال و أنّ عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجّال أو يساعده على قتله... .

و خرّج أحاديث المهدي جماعة من الأئمّة، منهم أبو داود و الترمذي و ابن ماجة و البزّاز و الحاكم و الطبراني و أبويعلى الموصلي و الإمام أحمد... و قد بالغ ابن خلدون في تضعيف أحاديث المهدي كلّها فلم يصب بل أخطأ[٢].

و في نفس الكتاب عن «فتح الباري»:

تواترت الأخبار بأنّ المهدي من هذه الأُمّة، و أنّ عيسى ينزل من السماء و يصلّي خلفه... و الصحيح أنّ عيسى رُفع، و هو حيّ.

و جاء في الكتاب كذلك:

١ـ الإشاعة لإشراط الساعة، ص ٨٧.
٢ـ غاية المأمول على هامش التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول، ج ٥، ص ٣٨٢.

أنّ الشوكاني قد أيّد في رسالته المسمّاة التوضيح تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي و الدجّال و المسيح.

و يضيف «غاية المأمول»:

ثبت أنّ أحاديث المهدي متواترة، و هذا كافٍ لمن كان يملك ذرّة من الأنصاف و الإيمان[١].

٦ـ و يؤيّد الكنجي في كتابه «البيان» الباب ١١ أيضاً تواتر روايات المهدي.

٧ـ و ينقل صاحب كتاب «كفاية الموحّدين» عن الشافعي قوله بتواتر روايات المهدي. و أيضاً صاحب كتاب «البرهان» في علامات مهدي آخر الزمان يذكر آراء أربعة من علماء المذاهب الأربعة ممّن قطعوا بصحّة روايات المهدي و ظهوره. و هؤلاء الأربعة هم: «ابن حجر الشافعي صاحب كتاب «المختصر» و أحمد بن ضياء الحنفي، و محمّد بن محمّد المالكي، و يحيى بن محمّد الحنبلي...»[٢].

٨ـ و يؤكّد كلّ من حافظ العسقلاني في «تهذيب التهذيب» و السيوطي في «الحاوي للفتاوى تواتر الأخبار في المهدي»، و أنّه من أهل البيت عليهم السلام، و أنّه يحكم سبع سنين يملأ الأرض عدلاً و يصلّي خلفه عيسى و ...[٣].

ينقل كذلك ابن حجر عن أبي الحسين الآجري تواتر هذه الروايات[٤].

١ـ المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٢ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، ص ١٧٧ و ١٨٣.

٣ـ تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٢٦. ٤ـ الصواعق المحرقة، ص ١٦٧.

٩ـ و يؤيّد صاحب كتاب «إتحاف أهل الإسلام» أصل ظهور المهدي، وكذا صاحب كتاب «مناقب الشافعي،» و أنّه من أهل بيت النبي، و يؤكّدان على تواتر الروايات في ذلك[١].

١٠ـ و يعد السفاريني الحنبليّ موضوع ظهور المهدي الموعود من العقائد المقطوع بها؛ لدن كبار علماء السنّة، و يدّعي تواتر الروايات في ذلك، و يضيف بصريح القول:

الإيمان بظهور المهدي كما هو متعيّن عند أهل العلم، واجب[٢].

و نفس القول ينقله صاحب كتاب «طبقات الحنابلة» عن الشيخ حسن البربهاري الحنبلي.

١١ـ يقول محمّد صديق حسن القنوجي:

الأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدّاً تبلغ حدّ التواتر، و هي مذكورة في السنن و المعاجم و المسانيد[٣].

و في مكان آخر يقول:

لا شكّ في ظهور المهدي آخر الزمان،... فقد تواترت الروايات فيها، واتّفق عليها الجمهور خلفاً عن سلف إلّا

١ـ المهدي، ص ٦٢. ٢ـ لوامع الأنوار البهية، ج ٢، ص ٨٤.

٣ـ الإذاعة لما كان و يكون بين يدي الساعة، ص ١١٢.

البعض ممّن لايُعتنى بقوله[١].

١٢ـ يقول العلّامة محمّد بن جعفر الكتّاني بعد نقله لرأي ابن خلدون المخالف لروايات المهدي و إشارته إلى الردود و النقد عليه:

و قد كثرت بخروجه الروايات حتّى بلغت حدّ التواتر[٢].

١٣ـ يقول الدكتور الشيخ عبدالمحسن العبّاد الرئيس الأسبق للجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة ـ و الذي يستند إليه كاتب الكرّاسة في أكثر من مورد ـ في ردّه على الشيخ عبدالله بن زيد آل‌محمود رئيس القضاء القطري الذي يذكر في رسالته «لا مهدي يُنتظر بعد الرسول خير البشر»:

بأنّ فكرة المهدي ليست من معتقدات قدامى أهل السنّة، و لم يتطرّق إليها بذكر أصحاب رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و لا الأتباع من بعدهم... يقول العبّاد:

الأحاديث كثيرة و مستفيضة حول ظهور المهدي آخر الزمان نقلها عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الأصحاب و التابعون، و هي متواترة فكيف يمكنه القول إنّ الأصحاب و التابعين لم ينقلوها أو يروونها؟!

ثمّ ينقل الشيخ عبدالمحسن العبّاد الاعتقاد بتواتر روايات المهدي عن الشوكاني في كتابه «التوضيح»، و صديق حسن خان في كتابه «الإذاعة»، حيث يقول:

١ـ المصدر السابق، ص ١٤٥.

٢ـ النظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص ٢٢٦ و ٢٢٧.

و هي متواتر بلا شكّ و لا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحرّرة في الأُصول. و أمّا الآثار عن الصحابة المصرّحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً...[١].

هذا و قد نقل كاتب الكرّاسة اعتراف الشيخ الدكتور عبدالمحسن العبّاد بتواتر روايات المهدي في كرّاسة «**الفرق الكبير بين المهدي الموعود و إمام الزمان المزعوم**».

و للتذكير: فإنّ كاتب كرّاسة «المهدي الموعود أو المهدي المزعوم» قد نقل الكثير من المواضيع المرتبطة بفكرة إنكار المهدي عن رسالة الشيخ عبداللّه بن زيد رئيس القضاء القطري «لا مهدي يُنتظر بعد الرسول خير البشر»، تلك الرسالة التي قام الشيخ عبدالمحسن العبّاد بالردّ عليها و تفنيد ما جاء فيها في مجلّة «الجامعة الإسلامية» تحت عنوان: «عقيدة أهل السنّة و الأثر في المهدي المنتظر» الذي يشتمل على أربعين موضوعاً مرتبطة بالمهدي عليه السلام.[٢]

ثمّ نقل عن أصحاب الصحاح و السنن و المسانيد ما ذكروه من روايات حول المهدي (عج).

و أخيراً لا يبقى مجال أمام الكاتب إلّا الاعتراف بما نُقل من تواتر روايات المهدي (عج) عن طريق أهل السنّة.

١ـ مصلح جهانی و مهدی موعود از دیدگاه أهل سنّت، ص ١٦٧.

٢ـ المصدر السابق، ص ١٦٤ ـ ٢٩٦.

الثاني: وحدة «إمام الزمان» الشيعة و «المهدي الموعود» في روايات أهل‌السنّة

لنا كلام هنا على القسم الآخر من ادّعاء صاحب الكرّاسة حين يقول: «لا ارتباط بين المهدي الموعود و إمام الزمان مزعوم هؤلاء الشيعة...» ... نقول:

إنّ هذا الكلام لا يستند إلى أيّ دليل؛ و ذلك لأنّ كلّ تلك الروايات المنقولة المتّفق عليها بين‌الفريقين على اختلاف تعابيرها قد دلّت على أنّ خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو نقباءه أو أئمّة المسلمين اثنى عشر، و وفق هذه الروايات فإنّ المهدي الموعود (عج) هو أحدهم و هو آخر الخلفاء.

و تعابير مثل: «لا يزال» و «ما دام الدين قائماً»، صريحة بأنّه ما دام الإسلام قائماً لا تخلو الأرض من خليفة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و لأنّه بشهادة التاريخ ثبت موت الخلفاء الأحد عشر فلم يبق إلّا التسليم ببقاء الخليفة الثاني عشر، و هو حيّ غائب ينتظر الإجازة و الإذن بالظهور، و هو المهدي الموعود عليه السلام. و مقصود الشيعة من إمام الزمان هو هذا الخليفة الحيّ المنتظر.

لو قال: إنّ المهدي لم يولد بعد، و متى ما ولد فسيكون الخليفة.

نقول: إنّ مفاد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»** المنقول من طرق أهل السنّة[1]، أنّه لا يخلو زمان من إمام و حجّة؛ و الإمام المذكور في هذه الرواية كرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في كونه أكمل الناس و

١ـ و قد أشرنا إليها و إلى مصادرها السنّية في الفصل الأوّل.

يقوم مقامه و هو إمام العصر و الزمان المهدي الموعود (عج).

و هذا المعنى مستفاد أيضاً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم **«لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض...»** المذكور في ذيل رواية الثقلين المتواترة، و التي هي مورد قبول السنّة و الشيعة إذ معنى عدم انفصال العترة عن القرآن أنّه ما دام القرآن موجود بين الناس، فالعترة كذلك، و اليوم لم يبق من العترة غير مهديها الغائب (عج).

و قياس الإمامة بالرسالة و تلك الفترة من الرسل أصحاب الشرائع، قياس باطل، إذ لا إشكال في وجود خلفاء في فترات الرسل يحفظون كتب و شرايعهم، و طبق الأخبار المقطوعة الصدور أنّه لا يوجد نبيّ و صاحب شريعة بدون خليفة و قائم مقامه، و خلفاء و أسباط و نقباء الأنبياء اثنى عشر، و بالطبع هم من أكمل الناس و أئمّة زمانهم.

الثالث: المهدي الموعود عليه السلام في صحيح مسلم

حول ذكر المهدي في كتب أهل السنّة يقول كاتب الكرّاسة:

> بعد مراجعتي لكتاب «صحيح مسلم» ليس فقط إنّي لم أعثر على مدّعى مطلوب الشيخ منتظري، بل و لا حتّى حديث واحد مذكور فيه عن المهدي.

و يُردّ عليه:

أوّلاً: جاء في كتاب «سبائك الذهب» لأحد كبار علماء السنّة:

اتّفق العلماء على أنّ المهدي هو هذا الذي سيظهر آخر الزمان و يملأ الأرض عدلاً و قسطاً[١].

فلو لم يكن مسلم ـ مع كونه معروفاً و من كبار علماء السنّة ـ ممّن لا يعتقد بذلك لما ادّعى صاحب «السبائك» ما ادّعى.

و ثانياً: الرواية التالية ذُكرت في أكثر كتب أهل السنّة، و على رأسها صحيحي مسلم و البخاري بأسنادٍ مختلفة:

كيف أنتم إذا نزل ابن مريم و إمامكم منكم؟[٢].

و جاء أيضاً في «صحيح مسلم»: قال جابر بن عبداللّه: سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«لا تزال طائفة من أُمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ بنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أمراء...»[٣].

و جاء في هذه الرواية في «عقدالدرر» بعد جملة «فينزل عيسى بن مريم» قوله:

«طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدي فيقال له: تقدّم يا نبيّ اللّه فصلّ بنا، فيقول: إنّ هذه الأُمّة أمير بعضهم

١ـ سبائك الذهب، ص ٧٨.

٢ـ صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٤، كتاب الإيمان، ح ٢٤٤ و ٢٤٥؛ في صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٣.

٣ـ صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٥، كتاب الإيمان، ح ٢٤٧.

على بعض...»[١].

و يفهم من هذه الرواية جيّداً أنّ نبيّ اللّه عيسى يقتدي في صلاته بإمام الأُمّة المحمّدية المهدي عليه السلام. و يتأيّد هذا المضمون بما جاء في رواية أبي سعيد الخدري عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، يقول:

«منّا الذي يصلّي عيسى ابن مريم خلفه»[٢].

والرواية الأخيرة جاءت في أكثر كتب السنّة، من جملتها: «كنز العمّال»[٣] و «البرهان»[٤] و «مناقب المهدي» بنقل «عقدالدرر»[٥]. و جاءت في كتب أُخرى بنفس المضمون كلّها صريحة باقتداء عيسى به في الصلاة، من جملتها: «غاية المأمول (شرح التاج الجامع للأُصول)»[٦] و «إسعاف الراغبين»[٧] و «العرف الوردي (الحاوي للفتاوى)»[٨] و « الصواعق المحرقة»[٩] و «ينابيع المودّة»[١٠] و «الفتن»[١١]، و كتب أُخرى[١٢].

و على هذا فإنّ المقصود من جملة «و إمامكم منكم» في رواية صحيحي مسلم و البخاري هو هذا المهدي الموعود (عج).

١ـ عقدالدرر، ص ٢٩٣، ح ٣٥٣.

٢ـ المصدر السابق، ص ٨٤.

٣ـ كنز العمّال، ج ١٤، ص ٢٦٦.

٤ـ البرهان في علامات المهدي، ص ١٥٨.

٥ـ عقد الدرر، ص ٨٤، ح ٣٥.

٦ـ غاية المأمول بهامش التاج الجامع للأُصول، ج ٥، ص ٣٦٠.

٧ـ إسعاف الراغبين، ص ١٣٨.

٨ـ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

٩ـ الصواعق المحرقة، ص ١٦٧.

١٠ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٤٣.

١١ـ كتاب الفتن، ص ٢٣٠.

١٢ـ للاطّلاع أكثر راجع: منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٥٣.

و في رواية أُخرى جاءت في «صحيح مسلم» بسند أبي هريرة بدل «وإمامكم منكم» «أَمّكم منكم»[١]. و بقرينة الروايات الآنفة الذكر المصرّحة بإمامة المهدي (عج)، يفهم من هذه الرواية أيضاً أن المقصود هو إمامة المهدي للخلائق.

أمّا السبب في عدم ذكر روايات المهدي بصورة مفصّلة في صحيحي مسلم و البخاري، فنلفت الانتباه إلى ما أوضحه الدكتور الشيخ عبدالمحسن العبّاد الرئيس السابق للجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة في مجلّة «الجامعة الإسلامية»:

عدم درج هكذا أحاديث في الصحيحين لا يعدّ دليلاً على ضعفها عند الشيخين «البخاري و مسلم»؛ و ذلك أنّهما لم يدّعيا أبداً في صحيحيهما أنّهما نقلا كلّ ما كان صحيحاً، و لم ينقل عنهما أنّهما قصدا جمع كلّ ما هو صحيح، حتّى يمكن القول إنّ كلّ ما لم يجئ في الصحيحين فهو ضعيف، بل إنّ البخاري و مسلم صرّحا خلاف ذلك.

يقول ابن عمرو في كتاب «علوم الحديث»: «لم يسجّل البخاري و مسلم جميع الأحاديث الصحيحة في صحيحيهما».

و نقل عن البخاري قوله: «لم أقيّد في كتابي إلّا الصحيح،

١ـ صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٤.

ولكن بسبب كثرة الأحاديث أغضيت عن نقل بعض الأحاديث الصحيحة».

و يقول النووي في مقدّمة «شرح صحيح مسلم»: «... لم ينقلا «البخاري» و «مسلم» جميع الأحاديث، و لكنّهما صرّحا أنّهما لم يستطيعا تسجيل جميع الأحاديث، و كان هدفهما جمع طائفة من الأحاديث ...»[١].

و جاء في هامش كتاب «عقدالدرر» قوله:

رواية نزول عيسى عليه السلام و صلاته خلف المهدي عليه السلام قد وردت في كتاب «المنار المنيف» لابن القيم، و أيضاً كتاب «مسند حافظ» بن أبي أُسامة عن رسول‌اللّه، قال:

«ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي...».

و ابن القيم صحّح سنده، و الشيخ عبدالمحسن العبّاد قد ذكره في كتابه «عقيدة أهل السنّة و الأثر في المهدي المنتظر»، و قال: هذا الحديث و أحاديث كثيرة أُخرى دالّة على ظهور المهدي آخر الزمان. في الحقيقة هي مفسّرة و شارحة لتلك الرواية المذكورة في صحيحي مسلم و البخاري»[٢].

هذا و أنّ حديث **«المهدي من سادات أهل الجنّة»** إضافة إلى أنّه مذكور في كثير ما كتب السنّة فقد نقله أيضاً كتاب «المنتخب من صحيح البخاري و مسلم»[٣].

١ـ مصلح جهانى، ص ١٧٣ فما فوق. ٢ـ عقدالدرر، ص ٢٩٢، ح ٣٤٩.
٣ـ راجع: من هو المهدي، ص ٨٥ الهامش.

* * *

و نتخلّص من كلّ ما ذكرنا في هذا الفصل:

أوّلاً: تواتر روايات المهدي (عج) في كتب السنّة أيضاً.

ثانياً: لا تغاير أو اختلاف بين إمام الزمان في عقيدة الشيعة و المهدي الموعود عند أهل السنّة.

كما أنّ في الصحيحين توجد هذه الروايات ولو بنحو الإشارة.

الفصل الرابع:

المهدي و تهمة الدين الجديد!

هل صحيح أنّ المهدي عليه السلام سوف يأتي بدين جديد، و كتاب غير القرآن؟

الكاتب في فصل آخر من كرّاسته يدّعي قائلاً:

> المقالات و التصريحات الموجودة في كتب الإمامية حول هذه الأُسطورة المزيّفة تدلّ على انسلاخ هذا الإمام عن الإسلام؛ لأنّه سوف يأتي بدين جديد و كتاب آخر غير القرآن... يختلق النعماني عن أبي جعفر: أنّ القائم يقوم بأمرٍ جديد و كتابٍ جديد و قضاءٍ جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلّا السيف، و لا يستتيب أحداً... و الطوسي ضمن تأييده لهذا الموضوع يختلق عن أبي عبداللّه: أنّ القائم يقوم بأمرٍ جديد غير ما عرفه الناس.

و هذا الادّعاء باطل لسببين:

الأوّل: عمل المهدي عليه السلام بالقرآن و السنّة كما جاء في روايات الشيعة

ليس من معتقد الشيعة أبداً أنّ المهدي (عج) يأتي بدين جديد و كتاب غير القرآن، بل ـ و كما هو مطابق لتلك الأخبار المنقولة من طرق الشيعة و السنّة ـ هم يعتقدون أنّ إمام الزمان يظهر ليحيي كتاب اللّه و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم،

وليقضي على البدع و الأهواء و يزيلها عن الدين و ساحة القرآن الكريم، و يقضي على الكفر و الشرك و يمحوهما من الوجود و يستقر الإسلام.

نذكر هنا بعض من تلك الروايات المنقولة من طرق الشيعة:

١ـ عن علي عليه السلام فيما قال حول الملاحم و الفتن:

«يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، و يعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي...». و منها «حتّى تقوم الحرب بكم عن ساق... فيريكم كيف عدل السيرة، و يحيي ميّت الكتاب و السنّة»[١].

هذه الخطبة بنظر الشرّاح هي جزء من نبوءة الإمام عليه السلام حول المستقبل و حول سيرة و عمل المهدي (عج).

يقول ابن أبي الحديد في شرحه لها:

هذه إشارة إلى إمامٍ يخلقه اللّه تعالى في آخر الزمان، و هو الموعود به في الآثار و الأخبار[٢].

٢ـ جاء في تفسير قوله تعالى: **﴿وَ قَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾**[٣] و قوله تعالى: **﴿وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَتَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ للّه﴾**[٤]: يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لم يجيء تأويل هذه الآية، ولو قد قام قائمنا بعده سيرى من

١ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨.

٢ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٤٠ و ٤٦.

٣ـ التوبة (٩): ٣٦. ٤ـ الأنفال (٨): ٣٩.

يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، و ليبلّغنّ دين محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغ الليل حتّى لا يكون شرك على ظهر الأرض كما قال اللّه»[١].

٣ـ ينقل صاحب «مجمع البيان» عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إنّ ذلك (اي استقرار الإسلام كلّه في الأرض) يكون عند خروج المهدي من آل محمّد، فلا يبقى أحدٌ إلّا أقرّ بمحمّد»[٢].

٤ـ في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه:

«و عند ذلك يؤيّده اللّه بجنودٍ لم تروها، و يظهر دين نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم على يديه على الدين كلّه ولو كره المشركون»[٣].

٥ـ و جاء في رواية حذيفة في «البحار»:

«تجري الملاحم على يديه و يظهر الإسلام...»[٤].

٦ـ ينقل أبو سعيد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«ثمّ يبعث اللّه رجلاً منّي و من عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً... و ذلك حتّى يضرب الإسلام بجرّانه»[٥].

١ـ تفسير العياشي، ج ٢، ص ٥٦.

٢ـ مجمع البيان، ج ٥، ص ٤٥، و قريب منه في تفسير التبيان، ج ٥، ص ٢٠٩.

٣ـ الاحتجاج، ج ١، ص ٣٨٢؛ تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦١٩.

٤ـ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٨٣.

٥ـ الأمالي، للشيخ الطوسي، ص ٥١٢؛ بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٦٨.

جران البعير: مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره، فإذا برك البعير و مدّ عنقه على الأرض قيل: ألقى جرانه. راجع: لسان العرب.

٧ـ يروي أحمد بن عمر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الدنيا لا تذهب حتّى يبعث اللّه رجلاً منّا أهل‌البيت يعمل بكتاب اللّه...»[١].

٨ـ عن عبداللّه بن عطاء قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن سيرة المهدي كيف سيرته؟ فقال:

«يصنع ما صنع رسول‌اللّه، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول‌اللّه أمر الجاهلية، و يستأنف الإسلام جديداً»[٢].

و الجاهلية التي يهدمها المهدي عليه السلام هي البدع و المفاهيم المغلوطة حول الدين و القرآن و إعمال الأهواء النفسية و الدوافع غير الإلهية في أُمور الدين و فهمه و تبليغه.

٩ـ و في مرفوعة ابن محبوب عن الإمام الباقر عليه السلام:

«والقائم يومئذٍ بمكّة عند الكعبة مستجيراً بها يقول:... فأنا بقيّة آدم و خيرة نوح و مصطفى إبراهيم و صفوة محمّد، ألا و من حاجّني في كتاب اللّه فأنا أولى الناس بكتاب اللّه، ألا و من حاجّني في سنّة رسول‌اللّه فأنا أولى الناس بسنّة رسول‌اللّه و سيرته...»[٣].

١ـ الكافي، ج ٨، ص ٣٩٦؛ الوافي، ج ٢، ص ٤٥٩.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٣، ح ١٠٨.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٥، ح ٧٨ و ص ٣٤١، ح ٩١؛ الغيبة، للنعماني، ص ٢٨١، و قريب منه في كتاب المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة، ص ١٨.

١٠ـ روايات الباب التاسع عشر من كتاب «الغيبة» للنعماني[١]، جاءت بتعابير مختلفة كلّها تصرّح أنّ المهدي يظهر حاملاً راية رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، تلك الراية التي لم تُحمل بعد حرب الجمل إلى هذا اليوم، دالّة بوضوح على كذب ما نُسب إلى الشيعة، و تؤيّد ما ذهبنا إليه في هذا المطلب.

١١ـ كما و توجد روايات تصف المهدي بما كان يتمتّع به الأنبياء كإبراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، من صفات و خصائص فمن تلك التي تشبّهه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جاء في الحديث عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال:

«... و أمّا سنّةٍ من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فيهتدي بهداه و يسير بسيرته»[٢].

و الاهتداد بهداه لن يكون إلّا عبر إدامة مسيرته و إقامة دينه.

الثاني: ليست الخلافة إلّا العمل بالقرآن و السنّة

جميع الروايات التي تصف الأئمّة عليهم السلام بالخلفاء و تذكر عددهم و خصوصياتهم و أسمائهم، و التي بلغت حدّ التواتر ـ من طرق الشيعة و السنّة ـ كلّها تدلّ على أنّ مقام المهدي (عج) هو مقام الخليفة لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، والمكمل لمسيرته. و من البديهي أنّ إطلاق الخليفة لا يكون إلّا على ذلك الشخص الذي يديم مسيرة الرسالة و يتحمّل ما كان يتحمّل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مسؤوليات و مهام.

١ـ الغيبة، للنعماني، ص ٣٠٧.
٢ـ كمال الدين، ص ٣٥١.

فمن هذه الروايات:

١ـ رواية حمّاد بن زيد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[١].

٢ـ رواية عبداللّه بن مسعود عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

٣ـ رواية مسروق عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

٤ـ رواية أبو الفرج عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

٥ـ رواية أبي طفيل في سؤال رجل يهودي من الإمام علي عليه السلام عن خلفاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم[٥].

٦ـ رواية عبداللّه بن عمر بن عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[٦].

٧ـ رواية مكحول عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[٧].

٨ـ رواية عائشة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[٨].

و روايات أُخرى مذكورة في كُتب التفاسير و الحديث الشيعية.

و في روايات أُخرى متواترة منقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيها بدل «خليفة» و «خلفاء» كلمات مثل «نقباء»، «أوصياء»، «أسباط»، «أئمّة»، و «قيّم»، كلّها تدلّ على ما أسلفنا الإشارة إليه في هذا الفصل من أنّها تشير

١ـ الغيبة، للنعماني، ص ١١٨. ٢ـ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٢٢٩.
٣ـ كمال الدين، ص ٣٨٠؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٢٥٥ نقلاً عن علي بن موسى.
٤ـ المناقب لابن شهرآشوب، ج ١، ص ٢٩١.
٥ـ الكافي، ج ١، ص ٥٢٩.
٦ـ الغيبة، للنعماني، ص ١٠٤؛ الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ١٣٠؛ مناقب ابن شهرآشوب، ج ١، ص ٢٩١. ٧ـ كمال الدين، ص ٢٧٣.
٨ـ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣٠٠؛ إعلام الورى، ص ٣٦٥.

لأولئك الأشخاص الذين تقع عليهم مسؤولية حفظ الدين و الرسالة و الانتهاج بنهج صاحب الشريعة من بعده، و آخرهم سيملك الأرض و يحكّم فيها تعاليم الإسلام و مبادىء الشريعة، بلا زيادة أو نقصان.

كان جيّداً لو أنّ كاتب الكرّاسة الذي اتّهم الإمامية اعتقادهم بأنّ المهدي (عج) يأتي بدين جديد و كتاب جديد، أن يذكر اسم عالم شيعي واحد معروف يعتقد بهذا القول أو يروّج له.

بحث في روايات «غربة الإسلام في آخر الزمان»

جاء في الروايات: أنّ الإسلام سيعود غريباً آخر الزمان و يندرس، و لا يبقى منه إلّا اسمه، و من القرآن إلّا رسمه. و جاء في بعضها: أنّ المهدي (عج) بظهوره سينقذ الإسلام من هذه الغربة و يعيد إليه الحياة. سوف ننقل بعضها من طرق الفريقين.

أوّلاً: روايات الشيعة

١ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام في سياق الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللّهُ الذين آمَنُوا مِنْكُم وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾[١]، قال:

«و ذلك إذا لم يبق من الإسلام إلّا اسمه و من القرآن إلّا

١ـ النور (٢٤): ٥٥.

رسمه، و غاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له ...»[١].

٢ـ عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمرٍ جديد كما دعا إليه رسول‌اللّه، و أنّ الإسلام بدأ غريباً و سيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»[٢].

٣ـ و جاء في رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الإسلام بدأ غريباً و سيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء... ثمّ قال: يستأنف الداعي منّا دعاءً جديداً كما دعى رسول‌اللّه»[٣].

٤ـ و في رواية أُخرى عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... و اللّه لكأنّي أنظر إليه بين الركن و المقام يبايع الناس على كتابٍ جديد...»[٤].

٥ـ و جاء في رواية أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«... يقوم بأمرٍ جديد و سنّةٍ جديدة و قضاءٍ جديد...»[٥].

٦ـ و في رواية أُخرى عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام:

«... يقوم القائم بأمرٍ جديد و سنّة جديدة و قضاء جديد...»[٦].

١ـ الاحتجاج، ج ١، ص ٣٨٢؛ تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦١٩.
٢ـ الغيبة، للنعماني، ص ٣٢١.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٢٢.
٤ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ١٣٥.
٥ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٥.
٦ـ المصدر السابق، ص ٢٣٣.

ربما كانت هذه الروايات هي مستند ادّعاء الكاتب و ما نسبه إلى الشيعة من معتقدات، دون ملاحظة بقيّة الروايات الأُخرى لسيرة و نهج المهدي الموعود عليه السلام.

ثانياً: روايات السنّة

يوجد في كتب أهل السنّة أيضاً مشابه للروايات المذكورة، منها:

١ـ رواية حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتّى لا يدرى ما صيام و لا صدقة و لا نسك، و يسري على كتاب اللّه في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية...»[١].

٢ـ رواية ابن عبّاس و فيها سؤال رجل يهودي من رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عن مسائل، من جملتها عن الحوادث الواقعة في المستقبل ـ نظير ما وقع لبني‌إسرائيل ـ و التي تنتهي بظهور المهدي الموعود، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم:

«و أنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتّى لا يُرى، و يأتي على أُمّتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلّا اسمه و لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، فحينئذٍ يأذن اللّه تعالى له بالخروج فيظهر الإسلام به و يُجدّده ...»[٢].

١ـ عقدالدرر، ص ٣٩٩، ح ٤٧٦؛ المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٤٧٣، و فيه بدل «يدرس» «يندرس».
٢ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٤، ح ٤٣١؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٣. و ذُكرت هذه الرواية أيضاً في بحارالأنوار، ج ٣، ص ٣٠٣ و ج ٣٦، ص ٢٨٣ و كتب شيعية أُخرى.

٣ـ رواية عبداللّه بن عطاء عن الإمام الباقر عليه السلام حول سيرة المهدي عليه السلام:

«و يهدم ما قبله كما صنع رسول‌اللّه، و يستأنف الإسلام من جديد»[١].

و في ما يرتبط بالروايات الآنفة نشير إلى بعض المسائل:

الف: عدم اختصاص روايات «تجديد الدين» بالشيعة فقط

كما بيّنا سابقاً من ذكر روايات أهل السنّة أنّ كاتب الكرّاسة لا يحقّ له التهجّم على الشيعة و اتّهامهم بهذه التهمة الباطلة، فإذا كان هناك من إشكال ـ و لا يوجد ـ فالأجدر به هو ـ و كان من أهل السنّة ـ أن يجيب عليه.

ب: التحقيق في سند روايات الشيعة

بعض الروايات التي ذكرناها آنفاً ضعيفة السند، مثل الرواية الثالثة التي في سندها الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، الذي قال عنه بعض علماء الرجال الشيعة: «كذّاب ملعون»[٢].

كذلك الرواية الرابعة التي في سندها ابن البطائني، و حسب الظاهر هو علي بن أبي حمزة الذي قال عنه أبو الحسن علي بن حسن بن فضّال: «كذّاب متّهم»[٣]. و هو أحد أعمدة الواقفة، كان وكيلاً للإمام موسى بن جعفر عليه السلام

١ـ عقدالدرر، ص ٢٨٧، ح ٣٤٥، و هذه الرواية مذكورة أيضاً في الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٢.
٢ـ منتهى المقال، ج ٢، ص ٤٠٨. ٣ـ بهجة الآمال، ج ٥، ص ٣٥٧.

و عنده أموال كثيرة، استولى عليها بعد وفاة الإمام و لم يسلّمها إلى ولده الرضا عليه السلام، كما لم يقل بإمامته.[١]

ج: المقصود من الكتاب الجديد

بقرينة الروايات المذكورة في الدليلين الأوّل و الثاني، و التي أوضحت غربة الإسلام ابتداءً و استدامةً، يُفهم أنّ المراد من الكتاب الجديد و السنّة الجديدة و الأمر الجديد و القضاء الجديد ليس ديناً غير الإسلام أو كتاباً غير القرآن، و إنّما المقصود الوضوح و إعادة هيكلية الأحكام و علوم التوحيد و الحقائق المحرّفة أو المنسيّة، أو ما أُجمل من القرآن، و أيضاً تأويل القرآن و تفسير آياته بما يختصّ بباطنه، أو كما عرّفه الإمام علي عليه السلام في نهج‌البلاغة[٢]: **«فيحيي ميّت الكتاب و السنّة»**.

و من البديهي أنّ بيان الحقائق الجديدة و التفاسير و التأويلات غير المذكورة، و القضاء بالحقّ بعيداً عن الأهواء و الحوافز غير الإلهية، و التي هي من أعمال المهدي المنتظر عليه السلام، يُعتبر عند غالبية عوام الناس الذين ابتعدوا عن حقيقه الكتاب و السنة كأنّما قد جاء بسنّةٍ جديدة أو كتابٍ جديد.

د: مقاتلة أهل التأويل للمهدي الموعود

إضافة إلى ماذكر على مبنى الروايات الدالّة على أنّ المهدي (عج) سيواجه قوماً يؤوّلون القرآن و يقاتلونه حسب هذا التأويل، فإنّ ذلك إن دلّ على شيء

١ـ منتهى المقال، ج ٤، ص ٣٢٧ و ٣٢٨. ٢ـ نهج‌البلاغة، الخطبة ١٣٨.

فإنّما يدلّ على أنّ القرآن ـ حين الظهور ـ يُفسّر على خلاف حقيقته و ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أي طبق أهواء المؤوّلين، و الإمام عليه السلام يعامل معهم على تفسير القرآن و تأويله كما هو حقّه.

والشاهد على ما ذكر ما ينقل الفضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... إنّ قائمنا إذا قام أتى الناس و كلّهم يتأوّلون عليه كتاب اللّه يحتجّ عليه به...»[1].

و أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... و أنّ القائم يخرجون عليه فيتأوّلون عليه كتاب اللّه و يقاتلونه عليه ...»[2].

* * *

و يُفهم من تلك الروايات الشيعية و السنّية أنّ المهدي (عج) لا يأتي بدين غير الإسلام أو كتاب غير القرآن، و لا يقضي إلّا بما قضى به الإسلام؛ والمقصود من الدين الجديد و الكتاب الجديد كما جاء في بعض الروايات من الفريقين ـ بالإضافة إلى ضعف سند بعضها ـ هو ترك التحريف و التفسير الغلط من الدين و القرآن، و إظهار الحقائق المخفية أو المنسية و كشفها للناس.

١ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٩٧.
٢ـ المصدر السابق.

الفصل الخامس:

الاختلافات المدَّعية بين إمام زمان الشيعة و مهدي موعود السنّة

الاختلافات المدّعية
بين إمام زمان الشيعة و مهدي موعود السنّة

و هو حينما يقول:

لا يوجد أيّ ارتباط بين المهدي الموعود في الروايات، و إمام الزمان الموعود عند الشيعة.

يشير إلى عدة اختلافات بينهما و ذلك إنّما يعبّر عن قلّة علمه بالروايات. و نتطرّق إلى ذكر اختلافاته المزعومة و نجيب عليها:

الاختلاف الأوّل: اسم حضرة المهدي عليه السلام

يقول: «اسم المهدي في كتب أهل السنّة و الروايات الصحيحة هو محمّد بن‌عبداللّه أمّا إمام زمان الشيعة المزعوم فاسمه محمّد بن الحسن».

الاختلاف الثاني: المهدي عليه السلام من ذرّية الحسن أو من ذرّية الحسين عليهما السلام

يقول: «المهدي الحقيقي من ذرّية الإمام الحسن رضي اللّه عنه، والإمامية تدّعي أنّ إمام الزمان المزعوم من نسل الحسين رضي اللّه عنه».

الجواب

لإبطال هذين الادّعائين و إثبات أنّ إمام الزمان (المهدي الموعود) هو ابن

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، بالإضافة إلى وجود الروايات المتواترة القطعية من طرق الشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله و الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فإنّنا نشير إلى الروايات المنقولة من طرق أهل السنّة في كتبهم المعتبرة و المصرّحة بأنّ المهدي هو ابن الإمام العسكري عليه السلام، و أيضاً الروايات الدالّة على أنّه التاسع من صلب الإمام الحسين عليه السلام و هذه بعض هذه الروايات:

روايات أهل السنّة

١ـ رواية طويلة عن ابن عبّاس عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في جواب أسألة رجل يهودي و اسمه (نعثل) حول مسائل من جملتها من هم أوصياء النبي و أسمائهم؟ فأجابه الرسول صلى الله عليه وآله فيما أجابه:

«... ثمّ ابنه الحسن، ثمّ الحجّة بن الحسن فهذه اثنى عشر أئمّة عدد نقباء بني‌إسرائيل»[١].

و كان يطلق على أوصياء موسى عليه السلام النقباء.

٢ـ رواية جابر بن عبداللّه الأنصاري و فيها سؤاله النبي صلى الله عليه وآله عن أوصيائه و عددهم فأجابه صلى الله عليه وآله و متى وصل إلى الإمام الباقر عليه السلام قال:

«يا جابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام»،

ثمّ عدّ له أسمائهم حتّى وصل إلى الحسن العسكري عليه السلام:

«ثمّ القائم، اسمه اسمي و كنيته كنيتي، محمّد بن الحسن بن علي، ذلك الذي يفتح اللّه تبارك و تعالى على يديه مشارق

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٤، ح ٤٣١، و قريب منه في ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٢.

الأرض و مغاربها، ذلك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه للإيمان»[١].

٣ـ رواية جابر بن عبداللّه الأنصاري عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله، و فيها أنّ يهودياً و اسمه جندل بن جنادة يقصّ على النبي صلى الله عليه وآله رؤياه، و أنّه حلم بموسى بن عمران عليه السلام يأمره أن يسلم على يد محمّد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، و أن يستمسك بأوصيائه من بعده. ثمّ يسأل الرسول عن هؤلاء الأوصياء و عددهم و أسمائهم، فذكر له الرسول عددهم و أسماءهم واحداً بعد واحد، حتّى وصل إلى الإمام الهادي عليه السلام فقال:

«... فبعده ابنه الحسن يُدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمّد يُدعى بالمهدي و القائم و الحجّة، فيغيب ثمّ يخرج...»[٢].

٤ـ رواية حذيفة بن اليمان عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«... لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي». فقام سلمان الفارسي فقال: يا رسول‌اللّه، من أي ولدك؟ قال: **«هو من ولدي هذا»، و ضرب بيده على الحسين**[٣].

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩٩ نقلاً عن مناقب الخوارزمي.

٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٤.

٣ـ عقدالدرر، ص ٨٢؛ ينابيع‌المودّة، ج ٣، ص ٣٨٥؛ فرائدالسمطين، ج ٢، ص ٣٢٥، ح ٥٧٥؛ لسان الميزان، ج ٢، ص ٢٣٨.

٥ـ رواية سلمان المحمّدي، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله و إذا الحسين بن علي عليه السلام على فخذه و هو يقبّل خدّيه و يلثم فاه و يقول:

«أنت سيّد ابن سيّد... أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم»[١].

٦ـ رواية أحمد بن إسحق الأشعري عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال:

«يا أحمد، إنّ اللّه تبارك و تعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة من حجّة على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض و به ينزل الغيث، و به تخرج بركات الأرض». قال: فقلت له: يا بن رسول اللّه جُعلت فداك، فمن الإمام و الخليفة بعدك؟ فنهض مسرعاً و دخل بيته ثمّ خرج و على عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، فقال: **«يا أحمد، لولا كرامة اللّه عليك ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سمّاه رسول اللّه صلى الله عليه وآله و أعطاه كنيته، و هو الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً»**[٢].

٧ـ رواية سليم بن قيس الهلالي، يقول:

رأيت عليّاً عليه السلام في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان و جماعة من المهاجرين و الأنصار، يتحدّثون و يتذاكرون فضائلهم، و علي بن أبي طالب عليه السلام ساكت لا ينطق هو. فأقبل القوم عليه فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنعك أن تتكلّم؟ فقال: فأخذ عليه السلام يعدّ فضائله، و ما قاله الرسول فيه، و ما نزلت بحقّه

١ـ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٤٤.
٢ـ المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٧.

من الآيات، و التي منها قوله تعالى:

﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾[١]. و ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله جواباً لمن سأله قائلاً: يا رسول اللّه، هؤلاء الآيات خاصّة في علي؟ فقال صلى الله عليه وآله: **«بل فيه و في أوصيائي إلى يوم القيامة»**، و لمّا سأله أصحابه عن أوصيائه قال: **«علي أخي و وزيري و وارثي و وصيّي و خليفتي في أُمّتي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين، واحداً بعد واحد، القرآن معهم و هم مع القرآن، لا يفارقونه حتّى يردوا علي الحوض ...»**[٢].

٨ـ جاء في «فرائد السمطين»:

كان الإمام جلال الدين نسّابة زمانه، نقل لي هذه الرواية بسندٍ معتبر عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله في حديث طويل جاء فيه بعد الإشارة إلى إمامة و وصاية علي عليه السلام و تذكير بعض فضائله: **«الحسن و الحسين إماما أُمّتي... و أبوهما سيّد الوصيّين، و من ولد الحسين تسعة أئمّة تاسعهم القائم من وُلدي»**[٣].

٩ـ و أيضاً جاء في «فرائد السمطين» نقلاً عن الإمام صدرالدين محمّد، عن ابن عبّاس، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال:

١ـ المائدة (٥): ٣.
٢ـ ينابيع المودّة، ج ١، ص ٣٤٣، نقلاً عن كتاب المناقب.
٣ـ فرائد السمطين، ج ١، ص ٥٤، ح ١٩.

«أنا و علي و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[١].

هذه الرواية و إن لم تكن صريحة بذكر اسم المهدي (عج)، و لكن بقرينة الروايات الأُخرى المصرّحة بأنّ الولد التاسع من صلب الحسين هو المهدي الموعود، يرتفع الإبهام عن هذه الرواية.

١٠ـ «فرائد السمطين» عن مشايخه يعني الإمام جمال الدين الرضي والإمام جلال الدين عبدالحميد و الإمام شمس الدين شيخ الشرف الفخار، عن الإمام الصادق عليه السلام:

«قال أبي لجابر بن عبدالله الأنصاري: إنّ لي إليك حاجة، فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟... فخلا به فقال له: يا جابر اخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أُمّي فاطمة بنت رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم، حين وُلد الحسين وما أخبرتك به أُمّي أنّ في اللوح مكتوباً. و كان في اللوح أسامي النبي و الأئمّة المعصومين بكامل مشخّصاتهم، و مسائل أُخرى من ضمنها: ... أبوالقاسم محمّد بن الحسن هو حجّة الله القائم،

١ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٢، ح ٤٣٠، و بسندٍ آخر من نفس المصدر، ج ٢، ص ٣١٣ و ص ٢٥٩ بسنده عن أبي الطفيل عن الإمام الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال لعليّ: «اكتب ما أملي عليك، قال علي عليه السلام: يا رسول‌الله، و تخاف النسيان؟ قال: لستُ أخاف عليك النسيان و قد دعوت الله لك أن يحفظك فلا ينساك، لكن اكتب لشركائك. قال: قلت: و من شركائي يا نبيّ‌الله؟ قال: الأئمّة من ولدك. و أومأ بيده إلى الحسين ثمّ قال: الأئمّة من ولده».
و بقرينة سائر الروايات يرتفع إبهام أنّ المهدي من أولاد الحسين في هذه الرواية.

أُمّه جارية اسمها نرجس...»[١].

١١ـ عن أبي سليمان عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، قال:

«ليلة أُسري بي إلى السماء... فنظرت إلى يمين العرش فإذا مكتوب:... و الحسن بن علي و محمّد المهدي بن الحسن، كأنّه كوكب درّي...»[٢].

١٢ـ عن عبدالسلام الهروي، قال: سمعت دعبل الخزاعي يقول:

«لمّا أنشدت لمولاي الرضا عليه السلام قصيدتي التي أوّلها «مدارس آيات خلت من تلاوة»، فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم اللّه و البركات

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليّ و قال لي:

«يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام و متى يقوم؟» فقلت لا يا مولاي، إلّا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يُطهّر الأرض من الفساد و يملؤها عدلاً. فقال: «يا دعبل، الإمام بعدي محمّد ابني، و بعد محمّد ابنه علي، و بعد علي ابنه الحسن، و بعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته...»[٣].

١٣ـ قال الإمام الحسين عليه السلام:

«دخلت على جدّي رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم، فأجلسني على فخذه و

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٦ ـ ١٤١، ح ٤٣٥.
٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٨١. ٣ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٣٧، ح ٥٩١.

قال لي: إنّ اللّه اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمّة تاسعهم قائمهم»[١].

لإثبات صحّة سند و متن هذه الروايات المروية من كتب اهل السنة لا يستطيع كاتب الكرّاسة الادّعاء أنّها ـ كلّها ـ ضعيفة؛ ففي هذه الصورة سوف يحكم بعدم اعتبار الكثير من الكتب السنّية التي ألّفها كبار علمائهم و مشاهيرهم.

بالمقابل نحن لا ندّعي أنّ كلّ هذه الروايات صحيحة و قطعية الصدور، و لكن لا يمكن لنا إنكارها كلّها، و البعض منها قطعية الصدور بالإجمال و هو ما يصطلح عليه في الأصول بالتواتر الإجمالي.

الروايات القائلة إنّه ولد الإمام حسن المجتبى عليه السلام

ثمّ إنّ تلك الروايات المنقولة من طرق أهل السنّة و القائلة إنّ الإمام المهدي هو ابن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام،[٢] بصرف النظر عن صحة سندها و عدم صحّتها يمكن مناقشتها من عدّة وجوه:

أوّلاً: هذه الروايات معارضة بأُخرى غيرها منقولة من طرق أهل السنّة أيضاً ـ كما بيّنا سابقاً ـ مصرّحة بأنّ المهدي عليه السلام هو من أولاد الإمام الحسين عليه السلام أو التاسع من ذرّيته.

ثانياً: الكبار من علماء الحديث السنّة ـ الذين سنذكر أسماءهم بالتفصيل

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩٥.

٢ـ عقدالدرر، ص ٨٢، ٩٤ و ١٠٤، ح ٣١، ٤٩، ٦٥.

في هذا الفصل ـ أعرضوا عن هذه الروايات، و إعراض أهل الحديث و الاجتهاد عن رواية دليل ضعف سندها و عدم حجيّتها عندهم.

ثالثاً: بالنظر إلى تواتر الروايات المستفيضة من طرق السنّة و الشيعة الناصّة على أنّ المهدي (عج) هو من أولاد الحسين عليه السلام، يقوى الاحتمال أنّه و نتيجة لعدم استخدام التنقيط في ذلك الزمان في الضبط و الكتابة، و تشابه هذين الاسمين ربما قُرء «حسين» «حسناً».

رابعاً: و بالالتفات إلى وجود بعض الروايات من طرق السنّة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «**المهدي ابن الحسن و الحسين**»،[١] يمكن القول إنّه لا يوجد تعارض بين تلك الروايات، و كلّها صحيحة خصوصاً إذا ما عرفنا أنّ زوجة الإمام السجّاد «يعني أُمّ عبداللّه، و هي أُمّ الباقر عليه السلام أيضاً» هي بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ممّا يعني أنّ الإمام الباقر و الأئمّة من بعده و من جملتهم المهدي عليهم السلام هم أولاد الإمام الحسن كما هم أولاد الحسين عليهم السلام.

شهادة من التاريخ

و من جملة الشواهد التاريخية على صحّة الأخبار الدالّة على أنّ المهدي (عج) هو ابن الإمام الحسن العسكري، عليه السلام ما ذكره التاريخ أنّ فكرة انتظار خروج الإمام و ظهوره كان شائعاً في عصر الأئمّة المعاصرين لخلفاء بني أُمية و بني العبّاس، و أنّه ابن الإمام العسكري، عليه السلام و كان هذا يقلق الخليفة المعتمد العبّاسي أيما قلق ممّا حدى به التضييق على الإمام

١ـ المصدر السابق، ص ٢٢٥ و ٢٧٩، ح ٢٤٨ و ٣٢٣.

العسكري عليه السلام و مراقبته في أولاده، و كلّف بعض القوابل و أمرهنّ بالبحث والتفتيش عن ولادته في بيوت بني هاشم و بالذات الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

يكتب الصدّوق:

و لم يزل الذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهّموا عليها الحبل ملازمين لها سنتين حتّى تبيّن لهم بطلان الحبل[1].

فلو كان الخليفة العبّاسي يعتقد و يعلم أنّ تلك الأخبار من موضوعات الشيعة، فما الباعث من خشيته و تحسّسه من ولادة المولود في زمانه و بالذات من الإمام العسكري عليه السلام. ثمّ إنّ تعامل المعتمد العبّاسي مع موضوع ولادة المهدي (عج) يتشابه تماماً مع تعامل فرعون في قضية ولادة موسى، عليه السلام حيث تيقّن من أخبار المنجّمين بولادة هذا الموعود.

و وفق هذه القرائن و الروايات المذكورة لا يبقى مجال للشكّ أنّ المهدي (عج) هو من ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام و من صلب الإمام الحسين عليه السلام، و اسمه هو محمّد بن الحسن العسكري، و ليس محمّد بن عبدالله كما يدّعيه كاتب الكرّاسة.

خمس فرضيات باطلة

و لمّا ثبت في الروايات السابقة أنّ المهدي (عج) هو الولد التاسع من صلب الإمام الحسين عليه السلام، لم يبق أمام كاتب الكرّاسة و أمثاله في حال لازالوا على

١ـ كمال الدين، ص ٤٣.

إصرارهم على الإنكار إلّا الالتزام بأحد الأُمور التالية:

١ـ رفض هذه الروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جملتاً و تفصيلاً، مع تسليمه بصحّتها جميعاً أو بعضها، و لانظنّة يلتزم بهذا المحذور.

٢ـ رفض سند جميع هذه الروايات أو دلالتها، و بديهي أنّ رفض هذه الروايات الكثيرة و المتواترة و التي صحّحها أهل الخبرة و أهل الحديث و عملوا بها بدون برهان أو دليل منطقي، يعتبر نوعاً من العناد و اللجاج مع الحقيقة. يقول المرحوم آيةالله السيّد صدرالدين الصدر حول صحّة هذه الروايات عند أهل السنّة:

صرّح جماعة من أئمّة الحديث بصحّة و اعتبار هذه الروايات، و نقل الحاكم ـ الذي هو إمام هذا الفنّ و من كبار الصنعة ـ بعضها، و قال: هي صحيحة بشرط الشيخين[1].

٣ـ الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيّ غائب إلى حين يقدّر اللّه تعالى خروج المهدي (عج) منه و تولّده. و لا ينفعهم هذا الكلام و ذلك:

أوّلاً: شهادة التاريخ القائلة إنّ الحسن العسكري عليه السلام توفّى عام ٢٦٠ هـ.

ثانياً: لو أنّهم التزموا و قبلوا ببقاء الإمام العسكري عليه السلام حيّاً كلّ هذا الوقت، فلماذا يستبعدون ذلك عن المهدي، (عج) و الحال أنّ «حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد».

٤ـ الإفتراض بإنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام مات و لكن متى شاء اللّه أحياه و أخرج منه ولده المهدي (عج)، هذا الأمر و إن لم يكن مستبعداً و أنّه

١ـ المهدي لصدر الدين الصدر، ص ١٢٦.

ممكن ذاتاً متى شاء اللّه فعله، و لكن:

أوّلاً: هذه هي الرجعة التي أنكرها الكاتب و من على شاكلته، و لا يوجد دليل لا من العقل و لا من الشرع على بطلان الرجعة[١].

ثانياً: لازم ذلك خلّو الزمان من وجود الإمام، بالإضافة إلى مخالفته لمفاد الرواية المتواترة «**من مات و لم يعرف إمام زمانه...**»[٢].

سوف نثبت في هذا الكتاب أنّه لابدّ من وجود إمام في كلّ عصر و زمان، وأنّه أمرٌ ضروري.

ثالثاً: و افتراض إحياء الموتى أبعد و أشكل من افتراض بقاء الأحياء، فإذا كان بقاء المهدي (عج) حيّاً أمراً صعباً لايُستساغ فإنّ الاعتقاد بإحياء الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد هذه القرون المتطاولة سيكون أصعب،

رابعاً: لا يوجد في الروايات أيّ دليل على هذا الافتراض.

٥ ـ المهدي الذي هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولد ثمّ مات، و هذا أيضاً يناقض الحديث المتواتر: «**من مات و لم يعرف إمام زمانه...**» المنقول من طرق أهل السنّة. أضف إلى هذا فإنّ هذه الفرضيه هي خلاف ما اتّفق عليه علماء السنّة و الشيعة، و يستبعد وجود شخص له معرفة قليلة بهذه الروايات يعتقد بهذه الفرضية.

إذن لا يبقى إلّا التسليم ببقاء المهدي (عج) حيّاً إلى هذا اليوم. و إذا ما

١ـ للاطّلاع أكثر على حقيقة الرجعة و الجواب على الشبهات التي طرحت حولها راجع: تفسير الميزان، ج ٢، ص ١٠٦ و أيضاً بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ١٢٢.

٢ـ راجع: الفصل الأوّل في هذا الكتاب حيث تمّ تخريجها و مناقشتها.

رفض الكاتب التسليم بهذا فعلى أقلّ التقادير يجب التوقّف و السكوت و ليس الإنكار بلا دليل أو برهان؛ لأنّ الإنكار بهذا النحو من المصاديق البارزة للخرافة، و يعد خروجاً عن الأُسلوب العلمي في المناظرة.

حمل الروايات المطلقة على المقيّدة

الروايات المتواترة من طرق الشيعة و السنّة كلّها مطلقة بأنّ المهدي (عج) هو من أولاد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أو علي عليه السلام أو فاطمة عليها السلام، و حتّى أُولئك الذين لا يقولون بولادة المهدي عليه السلام فإنّهم يذعنون بأنّه من ذرّية النبي و علي و فاطمة صلوات اللّه تعالى عليهم.

و توجد أيضاً روايات أُخرى كثيرة من طرق الشيعة و السنّة تشير إلى أنّ المهدي عليه السلام من أولاد الحسين بن علي عليهما السلام، و لكن لم تقيّده بالتاسع من ولده.

و على القاعدة الأُصولية و العقلائية ـ التي هي مورد قبول الشيعة و السنّة ـ يجب حمل الطوائف الأربعة للروايات المطلقة عن الإمام المهدي (عج) بتلك المقيّدة لها. يعني أنّ تلك الروايات الدالّة على أنّ المهدي من ذرّية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو ذرّية علي عليه السلام أو فاطمة عليها السلام، أو تلك الروايات التي تشير إلى أنّه من أولاد الحسين عليه السلام، فهذه الروايات كلّها تُحمل على الروايات المقيّدة التي تقول أنّ المهدي (عج) هو الولد التاسع من أولاد الإمام الحسين عليه السلام، و هي بمثابة قرينة منفصلة لتلك الطوائف الأربعة من الروايات المطلقة.

الاختلاف الثالث: حمل و ولادة و طول عمر و محلّ حياة إمام زمان الشيعة خارق لقوانين الطبيعة

يقول كاتب الكرّاسة:

ولادة و عمر المهدي التي أشارت إليها كتب السنّة لا تشذّ به عن بقيّة البشر، و لا توجد في رواية واحدة صحيحة تذكر أنّه يختلف أو يشذّ عن بقية البشر؛ أمّا إمام الزمان المزعوم فإنّ مدّة الحمل به و ولادته في ليلة واحدة فقط، و أنّه دخل السرداب و هو في سنته الثانية أو الخامسة على اختلاف تلك الروايات المجعولة، و لا يزال فيه إلى الآن حيث قد مضت ١٢٥٠ سنة، و على قول العلّامة البرقعي: لو كان هذا الكلام صحيحاً لكان الواجب على الأحياء إنقاذه من هذا السرداب!

الجواب

في الحقيقة، كاتب الكرّاسة بطرحه هذا الادّعاء، فإنّه يثير مواضيع عديدة حريّ بنا التوقّف عندها و مناقشتها:

الأُولى: ولادة المهدي (عج) ـ كسائر البشر ـ مسألة طبيعية إلّا أنّ الشيعة يرسمون لهذا الأمر صورة غير طبيعية و يدّعون أنّ مدّة حمله و ولادته كان في ليلة واحدة.

الثانية: إنكار العمر غير الطبيعي، و هو و إن لم يصرّح بموضوع الغيبة،

و لكن يفهم من كلامه أنّه ينكرها بالملازمة.

الثالثة: أنّه دخل السرداب و هو في سنته الثانية أو الخامسة و بقي متخفيّاً فيه إلى هذا الوقت.

و سنناقش هذه المواضيع المُثارة كلّ واحدة على حدة بالنقد و التمحيص.

الموضوع الأوّل: مدّة حمل و ولادة المهدي(عج) لاتشذّ عن سائر البشر في الروايات الشيعية

إلقاء نظرة على الروايات الشيعية التي تتناول موضوع حمل و ولادة المهدي (عج) كافٍ لتوضيح أنّه لا توجد أيّة رواية شيعية صحيحة واحدة تذكر أنّ حمله و ولادته كانا في ليلة واحدة، و إنّما المذكور فيها هو إخفاء مدّة حمله و زمن ولادته، إمّا بصورة كلّية أو الإخفاء عن أعين الناس.

و المقصود من الناس في مثل هذه الروايات عموم الناس أو خصوص المخالفين، و هذا الأمر كاملاً طبيعيّ، خصوصاً إذا ما عرفنا أنّ الخليفة المعتمد العبّاسي كان يضيّق الخناق على الإمام الحسن العسكري عليه السلام و يحتجزه في إحدى معسكراته النظامية، إذ كان على علم تام بتلك الروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله و الأئمّة المعصومين عليهم السلام و المتداولة بين الناس الدالّة بوضوح على أنّ خلفاء النبي صلى الله عليه وآله هم الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام و آخرهم القائم بالسيف الذي سينتقم من الظالمين و الغاصبين و يبيدهم ليقيم حكومة الحقّ و العدل الإلهي. فقام بالتضييق الشديد على الإمام

العسكري عليه السلام، و كلّف بعض القوابل بمراقبة نساءه و الدخول عليهنّ البيت بغتةً و بلا سابق إعلام؛ للإطمئنان على عدم حصول الحمل في ذلك البيت.

و قطعاً فإنّ إخفاء الحمل و الولادة ليس أمراً مستحيلاً، فالذي يعتقد بالقدرة الإلهية المطلقة، و إمكان وقوع المعجزات في طول تاريخ حياة الأنبياء، و تلك الحوادث المهمّة التي حصلت لإبراهيم عليه السلام و عيسى عليه السلام و موسى عليه السلام، و التي أشار إليها القرآن الكريم، لا يشكّ في إمكان إخفاء حمل المهدي (عج) و ولادته غير العادية بأمر اللّه تعالى و إرادته، كلّ ذلك ممكن و مطابق لحكمة اللّه تعالى في ظلّ شرائط الحكومة الظالمة التي كانت تترصّد لهذه الولادة لتقضي عليها أو الحيلولة دون حصولها.

الموضوع الثاني: مناقشة طول عمر الإمام المهدي(عج) و غيبته

فيما يختصّ بالعمر غير الطبيعي للمهدي عليه السلام و غيبته نشير إلى بعض الأُمور:

١ـ الإمكان الذاتي و الوقوعي لطول العمر.

٢ـ إثبات الوقوع كما في الروايات.

٣ـ رأي علماء السنّة.

أوّلاً: الإمكان الذاتي و الوقوعي لطول العمر

الإمكان الذاتي: لطول عمر الإنسان أمرٌ غير قابل للنقاش و الشكّ؛ لأنّ طول عمر الإنسان من قبيل خرق العادة، و خرق العادة ليس أمراً غير ممكن

في ذاته، و أقصى ما يقال فيه إنّه غير عادي و قابل للاستبعاد، و مع استبعاده لا يمكن سلب إمكانه الذاتي في الحصول، فالعلل و الأسباب التي لها تأثير في عالم الوجود لا تنحصر بهذا العالم أو تكون معلومة لدى البشر و تحت اختياره.

كثير من الأُمور و بالخصوص تلك الخارجة عن دائرة المحسوسات والعلوم المادّية و التجريبية التي ثبتت بالأدلّة القطعية بعيدة بالإضافه إلى الذهن العادي، نظير إثبات وجود الخالق و صفاته أو الملائكة و الوحي والمعجزات و المعاد و البرزخ و الروح المجرّدة، و نظائرها.

و حتّى في دائرة الأُمور المادية أيضاً نشاهد كثير من الاكتشافات كانت تعدّ من الأُمور المستبعدة لدى إنسان القرون السالفة، و بعضها كان ضمن دائرة الأُمور التي لا يمكن تحقيقها، و كذلك اكتشافات البشر في المستقبل تعتبر مستبعدة عند بشر اليوم؛ من هنا قيل: كل ما يسمعه الإنسان و لا يجد الدليل القاطع على ردّه، ليس له نفى إمكانه، يقول القرآن الكريم ﴿**وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾[١]؛ و ذلك لأنّ: ﴿**وَ مَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[٢].

نلفت إلى مثالين من اعترافات علماء الطبيعة:

١ـ يقول موريس متذرلينك:

كنّا نتوهّم أنّا وقعنا على أسرار الذرّة الصغيرة؛ لا زالت أسرار ذرّات الكهرباء و الألكترون مجهولة عندنا، و ليس لدينا أدنى فكرة عن مكوّنات ذرّاة الكهرباء و الألكترون و تركيباتها؛

١ـ الإسراء (١٧): ٣٦.

٢ـ الإسراء (١٧): ٨٥.

بسبب صغر حجم الألكترون اللامتناهي و عدم إمكان القبض عليه بسبب سرعته في الحركة و الانتقال، و وضعه تحت مجهر الفحص و التشريح؛ كما لا نعلم ممّا تتركّب ذرّة النور «فوتون»، و لا زلنا عاجزين عن تحليل و تشريح ذرّاة أمواج الصوت أو ما يصطلح عليه باليونانيه «فوتون»[١].

٢ـ يقول انشتاين:

لا زالت اسطورة السرّ الكبير مُستعصية الفهم... تعلّمنا إلى الآن أشياء كثيرة من كتاب الطبيعة، و تعرّفنا على لغة الطبيعة... رغم هذه المعرفة فإنّا لا زلنا مقابل هذه المجلّدات الضخمة من المعرفة بعيدين عن حلّ و كشف أغلب المسائل والأُمور[٢].

الإمكان الوقوعي: أثبتت تحقيقات العلماء و المتخصّصين و تجاربهم أنّه ليس هناك اجتناب أو حظر في إمكان طول عمر الإنسان، إذ ثبت أنّ حصول جسم الإنسان و روحه على التغذية المناسبة و الكافية بلا زيادة أو نقصان، و تشخيصه لجميع الآفات و الأمراض الجسمية و الروحية التي قد تصيب الجسم و تؤثّر عليه، و من ثمّ اجتنابها، فلا يفسح المجال لعلل الموت و أسبابه.

و أيضاً ـ بالتجربة ـ تغيير الشروط المادّية و الروحية في الحياة، و مراعات قواعد حفظ صحّة الجسم و الروح في محيط حياة الفرد أو في

١ـ روح به کجا می‌رود، ص ١٤.
٢ـ نظرية انيشتاين، ص ١١.

محيط الآباء و الأُمّهات، فإنّ متوسّط عمر الإنسان قد يتجاوز المأة عام.

و على هذا فإنّ أيّ شخص يمكنه ـ حتّى بالطرق غير الطبيعية أو الاتّصال بعالم الغيب ـ تشخيص علل سلامة الروح و الجسد و الأمراض و الآفات التي تسبّب قصر عمر الإنسان، فإنّه يستطيع أن يعيش قرون عديدة خصوصاً إذا كان ذلك الشخص محطّ عناية و حفظ حضرة الحقّ تعالى، و أنّ المصلحة و الإرادة الإلهية تقتضيان طول عمره.

طول العمر في القرآن

أفضل دليل على إمكان الشيء هو وقوعه. و طبق المصادر الدينية فإنّ الخضر عليه السلام من زمان موسى عليه السلام أو قبله، و عيسى عليه السلام و إدريس عليه السلام، و بناءً على روايات كثيرة من طرق الشيعة و السنّة الدجّال، و بناءً على رواية كتاب «ينابيع المودّة» الخضر عليه السلام و ذي القرنين، كلّ هؤلاء لا زالو أحياءً إلى يومنا هذا[١].

و ربما فُهم إمكان بقاء يونس عليه السلام حيّاً في بطن الحوت إلى يوم القيامه (على فرض بقائه هناك) من هذه الآية: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٢]، و أيضاً من هذه الآية: ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾[٣] يُفهم عمر نوح عليه السلام (في حدود الألف عام).

كما و يستنبط بقاء حياة أصحاب الكهف غير العادي كلّ تلك السنين من الآيات المتعلّقة بهم[٤].

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٤٧.
٢ـ الصافات (٣٧): ١٤٣ و ١٤٤.
٣ـ العنكبوت (٢٩): ١٤.
٤ـ الكهف (١٨): ٩ ـ ١٢.

والناس متشابهون في حقيقتهم الإنسانية، فإن أمكن حصول طول العمر للبعض منهم فإنّ هذا ممكن حصوله للبعض الآخر أيضاً؛ لأنّ «حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد».

ينقل آيةاللّه الشيخ آقا بزرگ الطهراني قائلاً:

رأى أحد العلماء المهدي عليه السلام في المنام و سأله عن دليل طول عمره؟ فقرأ عليه هذه الآية: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[1].

ثمّ يضيف:

و مثل ما ذكره «الكشّاف» في الاستظهار من ظاهر الآية، قال: لو لا تسبيح يونس عليه السلام لبقى حيّاً في بطن الحوت إلى يوم القيامة، إذ الظاهر من تعبير «لبث» البقاء.

و يتحصّل إلى هذه النتيجة:

و لازم بقاء يونس حيّاً في بطن الحوت، بقاء الحوت أيضاً حيّاً إلى يوم القيامة، إذ لا معنى لكلمة «لبث» في بطن الحوت إذا مات الحوت و تلاشى جسمه[2].

و على هذا يستفاد من هذه الآية الشريفة إمكان بقاء يونس عليه السلام و الحوت حيّاً إلى يوم القيامة.

١ـ الصّافات (٣٧): ١٤٣ و ١٤٤.

٢ـ مصلح جهانى و مهدى موعود از ديدگاه أهل سنّت، ص ٣٠٠، نقلاً عن مخطوطة المرحوم الشيخ آقا بزرگ الطهراني.

يذكر صاحب كتاب «كمال الدين» نقلاً عن كتاب «المعمّرين»[1] و غيره و استناداً إلى أقوال المورّخين الشيعة، أسماء أفراد كثيرة من المعمّرين، ثمّ يقول:

و هذه الأخبار التي ذكرتها في المعمّرين قد رواها مخالفونا أيضاً من طريق محمّد بن السائب الكلبي و محمّد بن إسحاق بن بشّار و عوانة بن الحكم و عيسى بن زيد بن آب «رئاب» و الهيثم بن عدي الطائي[2].

و جاء في هذا الكتاب أيضاً:

و مخالفونا رووا أنّ أبا الدنيا علي بن عثمان المغربي لمّا قُبض النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان له قريباً من ثلاثمئة سنة و أنّه خدم بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و أنّ الملوك استحضروه إليهم و سألوه عن علّة طول عمره و استخبروه عمّا شاهد؟ فأخبر أنّه شرب من ماء الحياة فلذلك طال عمره. و أنّه بقي إلى يوم المقتدر، و أنّه لم يصحّ لهم موته إلى وقتنا هذا، و لا ينكرون أمره، فلماذا ينكرون أمر القائم عليه السلام لطول عمره؟![3].

١ـ ينقل المرحوم المجلسي في بحارالأنوار، ج ٥١، ص ١٠٨ عن كتاب الطرائف للسيّد ابن طاووس قوله: رأيت تصنيفاً لأبي حاتم سهل بن محمّد السجستاني و هو واحد من علماء السنّة المعروفين سمّاه المعمّرين. و ليس من المستبعد أن يكون هو هذا الكتاب المذكور.

٢ـ كمال الدين، ص ٥٧٦.

٣ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣٧ و ٥٣٨.

يقول الشيخ الطوسي:

و روى من ذكر أخبار العرب أنّ لقمان بن عاد كان أطول عمراً، و أنّه عاش ثلاثة آلاف سنة و خمسمئة سنة».

و قبل ذلك كان قد قال:

و روى أصحاب الحديث أنّ الدجّال موجود، و أنّه كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و أنّه باقٍ إلى الوقت الذي يخرج فيه»[١].

و طبق الروايات المتواترة السنّية و الشيعية فإنّ خروج الدجّال يكون حين ظهور المهدي (عج)، فيُقتل على يديه عليه السلام و يد عيسى عليه السلام.

ماذا يقول أهل السنّة في بقاء حياة عيسى عليه السلام؟

ينقل «منتخب الأثر»[٢] أنّ البعض من أهل السنّة قد ادّعى الإجماع على بقاء حياة نبيّ اللّه عيسى عليه السلام و نزوله آخر الزمان، ينقل صاحب تفسير «البحر المحيط» عن ابن عطية الأندلسي:

أجمع المسلمون على الحديث المتواتر الدالّ على حياة عيسى و أنّه سينزل آخر الزمان من السماء[٣].

ادّعى أبو حيّان في تفسيره الصغير «النهر المارّ من البحر» المطبوع في حاشية تفسير «البحر المحيط» هذا الإجماع أيضاً.[٤]

و نسب صاحب «لوامع الأنوار البهية» هذا المعنى إلى إجماع المسلمين

١ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ١١٣.
٢ـ منتخب الأثر، ج ٣، ص ٣٠٧.
٣ـ البحر المحيط، ج ٢، ص ٤٧٣.
٤ـ المصدر السابق.

على ذلك و قال:

لا يوجد مخالف لهذا المعنى إلّا البعض من الفلاسفة و أهل الإلحاد، و هؤلاء لا يُعتنى برأيهم.

و نقل عن كتاب «النظم المتناثر من الحديث المتواتر» قوله:

نزول عيسى عليه السلام من السماء ثابت و مقطوع به في الكتاب و السنّة و الإجماع[١].

و بهذا الصدد ينقل صاحب كتاب «منتخب الأثر» بتفصيل رأي المخالفين ـ أمثال محمّد عبده و تلميذه رشيد رضا في تفسير «المنار» و تأثير ذلك في بعض علماء الأزهر من جملتهم الشيخ شلتوت ـ و يشير إلى ردّ آرائهم من قبل بعض علماء الأزهر، و التأكيد على التواتر المعنوي للأخبار الدالّة على حياة عيسى عليه السلام و نزوله آخر الزمان، و إثبات ذلك من القرآن الكريم[٢]، و لا بأس بمراجعته.

ما قاله اثنان من علماء السنّة

١ ـ فيما يخصّ الموضوع الآنف الذكر، جاء في كتاب «غاية المرام» قبل الدخول في موضوع بقاء حياة عيسى عليه السلام، قوله:

يقول الكنجي الشافعي صاحب كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان»: يقول ابن جرير الطبري: الخضر و إلياس باقيان يسيران في الأرض...

١ـ لوامع الأنوار البهية، ص ٩٤.
٢ـ منتخب الأثر، ج ٣، ص ٣٠٧.

و لإثبات حياة عيسى عليه السلام بالإضافة إلى الروايتين المذكورتين في «صحيح مسلم» الدالّتين على حياته عليه السلام و نزوله في آخر الزمان فإنّه يمكن الاستدلال بهذه الآية: ﴿وَ إِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[1]، و لم يؤمن به أحد منذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا، فلا بدّ أن يكون ذلك في آخر الزمان. و هذا المعنى مستلزم لبقاء حياته عليه السلام.

و أمّا الدليل على بقاء الدجّال الحديث المنقول في كتاب «صحيح مسلم»، و هو حديث صحيح.

و أمّا الدليل على بقاء إبليس اللعين فآي الكتاب العزيز، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾[2].

فعندما ثبتت حياة عيسى و الدجّال و الشيطان بالأدلّة المذكورة، فما يبعد إثبات حياة المهدي كذلك؟

ثمّ يضيف لإثبات حياة المهدي عليه السلام بالاستدلال العقلي قائلاً:

و أمّا بقاء عيسى و نزوله أثناء ظهور المهدي عليه السلام و الاقتداء به في الصلاة كما ذُكر في روايات كثيرة؛ و ذلك لأجل إيمان أهل الكتاب و تصديقهم لنبوّة سيّد الأنبياء محمّد صلى الله عليه و آله و سلم، خاتم الأنبياء رسول ربّ العالمين، و يدخل الناس جميعاً في الدين الإسلامي.

١ـ النساء (٤): ١٥٩.
٢ـ الحجر (١٥): ٣٦ و ٣٧.

والمصلحة من بقاء الدجّال مع ما في بقائه من مفسدة لادّعائه الربوبية ـ على ما ذُكر ـ و فتكه بالأُمّة، و لكن في بقائه ابتلاء من اللّه تعالى ليعلم المطيع منهم من العاصي، و المحسن من المسيء، و المصلح من المفسد.

في الحقيقة، بقاء الاثنين «عيسى و الدجّال» فرع على بقائه عليه السلام، فكيف يصحّ بقاء الفرعين مع عدم بقاء الأصل لهما[1]؟

٢ـ جاء في كتاب «ميزان الاعتدال» في توصيف نسطورة الرومي أنّه قال:

رأيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يوماً راكباً و في يده سوط ساق به مركبه فسقط السوط من يده فأخذته فبعد أن لمسته ببدني ردّته إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فدعالي و قال: «**مدّ اللّه في عمرك مدّاً**» ثمّ إنّ عمر بن الحسين الكاشغري قال: رأيت ابن نسطورة في أطراف اليمن و سألته عن مدّة عمر أبيه، قال ثلاثمئة سنة. وكان عمره حين دعاء النبي ثلاثين سنة[2].

فإذا أمكن أن يبلغ عمر أحد أثر دعاء النبي إلى ثلاثمئة سنة فلم لا يمكن أن يطول عمر المهدي (عج) الذي كان ذخيرة من اللّه لآخر أيّام البشر في الدنيا بعناية خاصّة من اللّه تعالى.

١ـ غاية المرام، ص ٧١٢، الباب ١٢٤ من الفصل الأخير.
٢ـ ميزان الاعتدال، ج ٧، ح ٩٠٢٩.

ثانياً: طول عمر و غيبة المهدي عليه السلام في روايات أهل السنّة

الروايات الواردة في كتب الشيعة الحديثية في هذا المضمار تبلغ حدّ التواتر، و لاحاجة لنقلها، و نكتفي بذكر الروايات الواردة في كتب الحديث السنّية.

١ـ رواية الثقلين، و هي كما بيّنا في المحور الثاني من الفصل الأوّل من الروايات المتواترة بين الشيعة و السنّة، و قد قام العلّامة السيّد مير حامد حسين الهندي يجمع رواة هذا الحديث من أعلام السنّة في مجلّدين ضخمين.. و فيها يقول رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً، و إنّهما لن (لا) يفترقا حتّى يردا علي الحوض».

و هذا الحديث مذكور في أكثر كتب السنّة مثل: «سنن الترمذي»[١]، «السنن الكبرى»[٢]، «المستدرك»[٣]، «المعجم الصغير»[٤]، «مسند أحمد بن حنبل»[٥]، «الدرّ المنثور»[٦]، «مجمع الزوائد»[٧]، «السنن الكبرى» للنسائي[٨]، و كتب أُخرى[٩].

١ـ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٨. ٢ـ السنن الكبرىٰ، للبيهقي، ج ١، ص ١١٤.
٣ـ المستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ٩٣ و ج ٣، ص ١٠٩ و ١٢٤ و ١٤٨.
٤ـ المعجم الصغير، ج ١، ص ١٣١ و ١٣٥ و ٢٥٥.
٥ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ج ٥، ص ١٨٢ و ١٩٠.
٦ـ الدرّ المنثور، ج ١، ص ٦٠.
٧ـ مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٧٠ و ج ٩، ص ١٦٣ و ج ١٠، ص ٣٦٣.
٨ـ السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ٤٥.
٩ـ و من أراد الاطّلاع أكثر فليراجع كتاب: من هو المهدي، ص ١١ و ١٢.

عدم افتراق القرآن و العترة هو تلازمهما في عمود الزمان، و العترة في زماننا ليس الّا المهدي (عج)

٢ـ رواية ابن عبّاس عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كائن في أُمّتي ما كان في بني‌إسرائيل حذو النعل بالنعل و القذّة بالقذّة، و أنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتّى لا يُرى...»[١].

٣ـ رواية جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[٢] حيث سأله عن مصاديق «أولي الأمر»، فذكر له صلى الله عليه وآله وسلم أسماء الأئمّة الاثنى عشر، حتّى إذا ما وصل إلى اسم المهدي عليه السلام قال:

«ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه للإيمان»[٣].

٤ـ رواية جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مورد سؤال رجل يهودي يُدعى جندل من رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أوصيائه، فذكرهم له صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى إذا ما وصل إلى ذكر المهدي قال:

«فيغيب ثمّ يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً و عدلاً»[٤].

٥ـ رواية أحمد بن إسحاق الأشعري عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٢، ح ٤٣١؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٣.
٢ـ النساء (٤): ٥٩. ٣ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩٩.
٤ـ المصدر السابق، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

«مثله في هذه الأُمّة مثل الخضر، و مثله مثل ذي القرنين، واللّه ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلّا من ثبّته اللّه على القول بإمامته». و بعد سؤال السائل هل ستطول غيبته أم لا؟ قال: «إي و ربّي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به...»[١].

٦ـ رواية عبدالسلام الهروي عن دعبل الخزاعي الشاعر، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال:

«...و بعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره...»[٢].

٧ـ رواية جابر بن عبداللّه الأنصاري عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم حول المهدي:

«...و هو أشبه الناس بي خلقاً و خُلقاً، تكون له غيبة و حيرة تضلّ فيها الأُمم...»[٣].

٨ـ رواية أبي بصير عن الصادق عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«... المهدي من ولدي، اسمه اسمي و كنيته كنيتي، و هو أشبه الناس بي خلقاً و خُلقاً، تكون له غيبة و حيرة...»[٤].

٩ـ رواية الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام في جواب سؤال عن القائم عليه السلام، قال:

١ـ المصدر السابق، ص ٣١٧. ٢ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٣٧، ح ٥٩١.
٣ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٣٤، ح ٥٨٦؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩٥ـ٣٩٦.
٤ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩٦ـ٣٩٧؛ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٣٤، ح ٥٨٦.

«...الرابع من ولدي... و هو صاحب الغيبة قبل خروجه...»[١].

و هذه الروايات و إن لم تصرّح بحياة الإمام المهدي عليه السلام، و لكن كلمة «غائب» و «غيبة» لا تطلقان و يُراد بهما الحياة الماضية، و لا يقال للشخص الذي لم يولد بعد، أو الشخص الذي رحل من هذه الدنيا و سيرجعه اللّه تعالى إليها بعد أن يحيه، لا يقال لهكذا شخص إنّه غائب.

ثالثاً: رأي علماء السنّة حول ولادة المهدي عليه السلام

فصّل جمع كثير من علماء السنّة حول ولادة المهدي عليه السلام و كيفيتها، و أنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، و هم مثل الشيعة يعتقدون بحياته و أنّه ينتظر الإذن الإلهي له بالظهور. و في أغلب تلك الكلمات التي أشارت إلى أنّ السرداب مكان ولادته عليه السلام أو مكان غيبته أو هو محلّ كرامته، لا يوجد تصريح من قريب أو بعيد إلى أنّه مكان حياته.

و قد جمع كتاب «منتخب الأثر»[٢]، و كذا كتاب «من هو المهدي»[٣] أسماء من ذكر المهدي (عج) من علماء السنّة، و أيضاً كلماتهم حول ولادته و حياته و... و من المناسب الرجوع إليها، و نشير في هذا الفصل إلى بعض هذه الأسماء:

١ـ ابن حجر الهيثمي الشافعي[٤].

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٣٦، ح ٥٩٠؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٨٧ و بهذا المضمون عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفس الكتاب، ج ٣، ص ٣٩٧.
٢ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٧١ـ٣٩٣. ٣ـ من هو المهدي، ص ٤٢٧ـ٤٥١.
٤ـ الصواعق المحرقة، ص ١٢٤.

٢ـ الشيخ عبداللّه بن محمّد بن غامر الشبراوي الشافعي، أُستاذ الجامع الأزهر[١].

٣ـ السيّد مؤمن بن حسن الشبلنجي[٢].

٤ـ تاريخ ابن الوردي[٣].

٥ـ الشيخ الحافظ أبو عبداللّه محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي[٤].

٦ـ شيخ الإسلام أبو المعالي محمّد سراج الدين الرفاعي[٥].

٧ـ الشيخ شمس الدين محمّد بن أطولون الدمشقي الحنفي[٦].

٨ـ الشيخ كمال الدين محمّد بن طلحة الشامي الشافعي[٧].

٩ـ المؤرّخ الشهير ابن خلّكان[٨].

١٠ـ الشيخ شمس الدين أبو المظفّر ابن الجوزي[٩].

١١ـ الشيخ النسّابة أبو الفوز محمّد أمين البغدادي السويدي[١٠].

١٢ـ الذهبي[١١].

١٣ـ ابن الصبّاغ المالكي[١٢].

١٤ـ نصر بن علي الجهضمي[١٣].

١ـ الاتحاف بحبّ الأشراف، ص ٦٨.
٢ـ نور الأبصار، ص ١٥٢، الباب الثاني.
٣ـ ينقل نور الأبصار، ص ١٥٢، الباب الثاني من تاريخ ابن الوردي.
٤ـ كفاية الطالب، ص ٤٥٨.
٥ـ صحاح الأخبار، ص ٥٥.
٦ـ الشذورات الذهبية (الأئمّة الاثنى عشر)، ص ١١٧.
٧ـ مطالب السؤول، ص ٨٩.
٨ـ وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٧١.
٩ـ تذكرة الخواصّ، ص ٢٠٤.
١٠ـ سبائك الذهب، ص ٧٨.
١١ـ العبر، ج ٢، ص ٣١.
١٢ـ الفصول المهمّة، ص ٢٧٤.
١٣ـ ينقل بحارالأنوار، ج ٥، ص ٣١٤.

١٥ـ أبو العبّاس أحمد بن يوسف الشهير بالقرماني[١].

١٦ـ الشيخ عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني[٢].

١٧ـ السيّد جمال الدين عطاء اللّه[٣].

١٨ـ نورالدين عبدالرحمن بن أحمد بن قوام الدين الدشتي[٤].

١٩ـ البيهقي الشافعي[٥].

٢٠ـ الحافظ أبو محمّد أحمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري[٦].

٢١ـ القاضي فضل بن روزبهان[٧].

٢٢ـ أبو محمّد عبداللّه بن أحمد بن محمّد بن الخشّاب[٨].

٢٣ـ الشيخ محيي الدين أبو عبداللّه المعروف بابن عربي[٩].

حيث يقول في كتاب «الفتوحات» حول المهدي عليه السلام:

> و أمّا خاتم الولاية المحمّدية فهي متعلّقة برجل من العرب ذوحسب و نسب، و هو حيّ في زماننا. انكشف لي عام خمسمئة و خمسة و تسعين للهجرة، و انكشفت لي علاماته

١ـ أخبار الدول و آثار الأول، ص ١١٧ و ١١٨.
٢ـ اليواقيت و الجواهر، ج ٢، ص ١٤٥.
٣ـ كشف الأستار، ص ٣١.
٤ـ شواهد النبوّة، ص ٢١.
٥ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٧٤ نقلاً عن شعب الإيمان.
٦ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٥.
٧ـ المصدر السابق، ص ٣٧٨ نقلاً عن إبطال نهج الباطل.
٨ـ المصدر السابق، ص ٣٧٩ نقلاً عن تاريخ مواليد الأئمّة و وفياتهم، بناءً على نقل كشف الأستار.
٩ـ الفتوحات المكّية، الباب ٣٦٦ بناءً على نقل اليواقيت و الجواهر، ج ٢، ص ١٤٥.

المخصوصة التي أخفاها الحقّ تعالى عن عيون عباده. كشف اللّه لي ذلك في مدينة فاس، حتّى رأيت خاتم الولاية، و هو خاتم النبوّة المطلقة الذي جهله الكثير من البشر. و قد ابتلى اللّه أهل الإنكار الذين أنكروا مراتب الكمال و العلم التي وهبها اللّه تعالى له ...[١].

٢٤ـ الشيخ سعد الدين محمّد بن المؤيّد بن أبي الحسين الحموي[٢].

٢٥ـ الشيخ حسن العراقي[٣].

٢٦ـ الشيخ علي الخواصّ[٤].

٢٧ـ حسين بن معين الدين الميبدي[٥].

٢٨ـ الحافظ محمّد بن محمّد محمود البخاري[٦].

٢٩ـ الحافظ أبو الفتح محمّد بن أبي الفوارس[٧].

٣٠ـ أبو المجد عبدالحقّ الدهلوي البخاري[٨].

٣١ـ الشيخ أحمد الجامي النامقي[٩].

٣٢ـ الشيخ فريد الدين محمّد العطّار النيشابوري[١٠].

١ـ الفتوحات المكّية، ج ٢، ص ٤٩. ٢ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٨٠.
٣ـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ج ٢، ص ١٤٠.
٤ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥١ ـ ١٧٠. ٥ـ شرح الديوان، ص ٣٧١.
٦ـ فصل الخطاب بناءً على نقل كشف الأستار، ص ٣٨٧.
٧ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٨٣؛ كشف الأستار، ص ٢٧.
٨ـ المناقب و أحوال الأئمّة بناءً على نقل كشف الأستار، ص ٣٠.
٩ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩؛ مجالس المؤمنين، المجلس السادس.
١٠ـ المصدر السابق، ص ٤٧٣ بناءً على نقل مظهر الصفات.

٣٣ـ جلال الدين محمّد العارف البلخي الرومي المعروف بالمولوي[١].

٣٤ـ الشيخ العارف بأسرار الحروف صلاح الدين الصفدي[٢].

٣٥ـ المولوي علي أكبر بن أسد اللّه المؤدّى من متأخّري علماء الهند[٣].

٣٦ـ الشيخ عبدالرحمن صاحب كتاب «مرآة الأسرار»[٤].

٣٧ـ ملك العلماء القاضي شهاب الدين بن شمس الدين الدولة آبادي[٥].

٣٨ـ الشيخ سليمان بن إبراهيم المعروف بخواجة كلان الحسيني البلخي القندوزي[٦].

٣٩ـ الشيخ عامر بن عامر البصري[٧].

٤٠ـ القاضي جواد الساباطي[٨].

٤١ـ الشيخ أبو المعالي صدر الدين القونوي[٩].

٤٢ـ الفاضل عبداللّه بن محمّد المطيري[١٠].

١ـ المصدر السابق، ص ٤٧٣ بناءً على نقل الديوان الكبير، و طبعاً يوجد اختلاف في سنّي المولوي و العطّار.
٢ـ شرح الدائرة بناءً على نقل ينابيع المودّة، ج ٣، ص ١٣٩.
٣ـ كشف الأستار، ص ٨٠ بناءً على نقل المكاشفات.
٤ـ مرآة الأسرار، ص ٣١.
٥ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٨٦ نقلاً عن المناقب الموسوم بهداية السعداء بناءً على نقل النجم الثاقب و كشف الأستار.
٦ـ ينابيع المودّة، ج ١، ص ٣١.
٧ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٨٧ بناءً على نقل كشف الأستار.
٨ـ البراهين الساباطية في الردّ على النصارى بناءً على نقل كشف الأستار.
٩ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٨٧ نقلاً عن كشف الأستار.
١٠ـ الرياض الزاهرة، بناءً على نقل كشف الأستار.

٤٣ـ مير خواند المؤرّخ الشهير محمّد بن خاوندشاه بن محمود[١].

٤٤ـ المحدّث الكبير إبراهيم بن محمّد بن المؤيّد الجويني الخراساني[٢].

٤٥ـ القاضي المحقّق بهلول بهجت أفندي[٣].

٤٦ـ الشيخ شمس الدين محمّد بن يوسف الزرندي[٤].

٤٧ـ شمس الدين التبريزي[٥].

٤٨ـ المؤرّخ ابن الأزرق[٦].

٤٩ـ المولى علي القارئ[٧].

٥٠ـ القطب المدار[٨].

٥١ـ صدر الأئمّة ضياء الدين موفّق بن أحمد الخطيب المالكي[٩].

٥٢ـ المولى حسين بن علي الكاشفي[١٠].

٥٣ـ السيّد علي بن شهاب الهمداني[١١].

٥٤ـ الشيخ محمّد الصبّان المصري[١٢].

١ـ روضة الصفا، ج ٣.

٢ـ فرائد السمطين، ج ١ و ٢.

٣ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٨٩ نقلاً عن المحاكمة في تاريخ آل محمّد.

٤ـ المصدر السابق نقلاً عن معراج الوصول إلى معرفة آل الرسول.

٥ـ المصدر السابق نقلاً عن كشف الأستار. ٦ـ المصدر السابق بناءً على نقل وفيات الأعيان.

٧ـ المصدر السابق نقلاً عن المرقاة في شرح المشكاة.

٨ـ المصدر السابق نقلاً عن كشف الأستار. ٩ـ المصدر السابق، ص ٣٩٠.

١٠ـ المصدر السابق، ص ٣٩٠ نقلاً عن كشف الظنون.

١١ـ المصدر السابق، ص ٣٩٠ نقلاً عن المودّة القربى المودّة العاشرة.

١٢ـ المصدر السابق، نقلاً عن إسعاف الراغبين.

٥٥ـ الناصر لدين اللّه أحمد بن المستضيء بنور اللّه الخليفة العبّاسي[١].

٥٦ـ أبو الفلاح عبدالحيّ بن العماد الحنبلي[٢].

٥٧ـ الشيخ عبدالرحمن محمّد بن علي بن أحمد البسطامي[٣].

٥٨ـ الشيخ عبدالكريم اليماني[٤].

٥٩ـ الفاضل رشيد الدين الدهلوي الهندي[٥].

٦٠ـ الشاه وليّ اللّه الدهلوي[٦].

٦١ـ الشيخ أحمد الفاروقي النقشبندي[٧].

٦٢ـ أبو الوليد محمّد بن شحنة الحنفي[٨].

٦٣ـ سيّد باقر بن سيّد عثمان البخاري[٩].

٦٤ـ جمال الدين خواجة أحمد الحقّاني[١٠].

هؤلاء المذكورة أسمائهم فوق، كلّهم من العلماء و المحدّثين و المؤلّفين، وبعضهم من كبار عرفاء أهل السنّة، أشاروا في مؤلّفاتهم و أقوالهم و في

١ـ المصدر السابق، ص ٣٩٠ نقلاً عن كشف الأستار.

٢ـ شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٤١ و ١٥٠.

٣ـ درّة المعارف بناءً على نقل ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٢١ و ٣٣٧.

٤ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٣٧.

٥ـ المصدر السابق، ص ٣٩٢ نقلاً عن إيضاح لطافة المقال.

٦ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٩٢.

٧ـ المكاتيب، ج ٣، المكتوب ١٢٣ بناءً على نقل العبقري الحسان.

٨ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٩٣.

٩ـ جواهر الأولياء، ص ٣١، ٣٢، ٣٠٧، ٣٧٨، ٤٧١، ٥٤١، ٥٤٤ و ٥٥٦.

١٠ـ المصدر السابق، ص ٥٤٤.

مجالس دروسهم إلى موضوع ولادة المهدي (عج) و حياته، و أنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام و أنّه حيّ و غائب، بالمدح و الثناء البليغ و بعبارات مختلفة، بالتصريح تارة و بالإشارة أُخرى.

بعد كلّ هذا كيف يسمح لنفسه كاتب كرّاسة «المهدي الموعود أم المهدي الموهوم» أن يدّعي أنّ موضوع حياة المهدي (عج) و غيبته و انتظاره كلّها من جعل الإمامية و وضع علمائهم!

الموضوع الثالث: قصة السرداب و جذرها التاريخي

يقول كاتب الكرّاسة:

> إمام الزمان المزعوم دخل السرداب و هو في سنته الثانية أو الخامسة حسب اختلاف الروايات المجعولة، و لازال فيه رغم مرور أكثر من ١٢٥٠ عام.

هذا الموضوع كذبة كبيرة و لاأساس له من الصحّة؛ لأنّ المذكور في الروايات التاريخية فقط ما يتناول شدّة خوف و حسّاسية حكومة المعتمد العبّاسي بعد شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام من ولادة المهدي عليه السلام، و ما قام به من تفتيش كلّ زوايا بيت الإمام لأجل العثور على صبيّه.

السبب الذي حدى بالإمام العسكري عليه السلام إلى عدم ذكر اسم المهدي (عج) في وصيّته خوفاً على حياته بعد أن أحسّ بالخطر المحدّق به؛ و لمّا تناهى إلى مسامع الحكومة العبّاسية مرض الإمام العسكري عليه السلام قاموا بتشديد المراقبة على بيته و تحرّكاته، و بثّوا العيون و الجواسيس حوله لمراقبته في

الليل و النهار، فكانوا يرصدون كلّ حركة في ذلك البيت، و حتّى كتابة الوصية كانت تحت النظر و المراقبة؛ لهذا السبب، أي لحفظ حياة الصبيّ من الخطر المحدّق به لم يذكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام اسم ولده في الوصيّة.

أحمد بن عبدالله (عبيدالله) بن يحيى الخاقاني والي قم، يعتبر أحد ناقلي خبر وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام والأحداث التي سبقت أو تلت تلك الوفاة، كادّعاء جعفر أخو الإمام العسكري عليه السلام الإمامة و الميراث، يقول ضمن نقله القصّة الكاملة: «غاب المهدي ابن الإمام الحسن» و لم يذكر اسم مكان غيبته.

و نقل بعض المحدّثين كذلك وقائع صلاة المهدي عليه السلام على جنازة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد أن تهيّأ لها جعفر، و أيضاً وقائع ادّعاء الإمامة من قبل جعفر و انكشاف كذبته، و كذا و شايته عند المعتمد العبّاسي، و موضوع غيبة المهدي عليه السلام[1].

يقول آيةالله صدرالدين الصدر رحمه الله:

> لم أعثر على أيّ دليل عمّا قيل على لسان بعض عوام الشيعة و نقلها أهل السنّة كصاحب الصواعق، عن اعتقادهم بأنّ المهدي (عج) دخل السرداب و اختفى فيه.

ثمّ يضيف قائلاً:

> و اعتقد أنّ منشأ ما نسبته بعض الكتابات إلى الشيعة الإمامية هو ما يشاهدونه من زيارتهم لهذا المكان لأجل التبرّك و أداء الاحترام؛ لما يجدون فيه من قداسة خاصّة.

١ـ كمال الدين، ص ١٥٠ ـ ١٥٢.

و من رأيي أنّ سبب هذه القداسة هو وجود صحن العسكريّين، و أيضاً الصحن المجاور أي السرداب، و كلّها أماكن سكن آل‌الرسول عليهم السلام و تشريفهم فيه لسنين عديدة. و من الطبيعي أن تكون أماكن سكنى آل‌البيت و ما يتعلّق بها و حولها محلّ احترام و قداسة عند شيعتهم و محبّيهم؛ أضف إلى هذا، عدم وجود مكان خاصّ لزيارة المهدي (عج)، تعلّقت قلوب الشيعة بمحال ولادته و سكناه، و هي سُنّة حسنة جدّاً و إن لم أعثر على رواية أو دليل شرعي فيها[١].

محلّ حياة و ظهور المهدي عليه السلام في الروايات الشيعية

لا توجد و لا رواية شيعية واحدة تذكر أنّ المهدي (عج) يعيش ـ في زمن غيبته ـ في سرداب أو بئر، بل الروايات الشيعية ـ كنموذج ـ هي من هذا القبيل:

١ ـ يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«يفقد الناس إمامهم فيشهدهم في الموسم فيراهم و لا يرونه»[٢].

٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام:

«لابدّ لصاحب هذا الأمر من عزلة، و لا بدّ في عزلته من قوّة... و نعم المنزل طيبة»[٣].

١ـ المهدي، للسيّد صدر الدين الصدر، ص ١٦٥ و ١٦٦.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ١٥١، ح ٢. ٣ـ المصدر السابق، ص ١٥٣، ح ٦.

يعني سيكون منزله في زمان غيبته مدينة طيبة.

٣ ـ يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«... صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم و يمشي في أسواقهم و يطأ فرشهم و لا يعرفونه، حتّى يأذن اللّه له أن يُعرّفهم نفسه...»[١].

٤ ـ رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ للقائم غيبتين يرجع في إحداهما، و الأُخرى لا يُدرى أين هو، يشهد الموسم يرى الناس و لا يرونه»[٢].

٥ ـ في الخطبة ١٥٠ من خطب أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج‌البلاغة» في مقام الإشارة إلى فتن آخر الزمان و وقائع المهدي عليه السلام جاء:

«... ألا و أنّ من أدركها منّا يسري فيها بسراجٍ منير و يحذو فيها على مثال الصالحين، ليحلّ فيها ربقاً و يعتق رقّاً و يصدع شعباً و يشعب صدعاً في سترة عن الناس، لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره...»[٣].

و كما ترى فإنّ الأعمال التي يقوم بها المهدي (عج) في زمان غيبته و التي ذُكرت في هذه الخطبة و سائر الروايات لا تتناسب و القول في سجنه في سرداب أو بئر.

١ـ المصدر السابق، ص ١٥٤، ح ٩. ٢ـ المصدر السابق، ص ١٥٦، ح ١٦.
٣ـ المصدر السابق، ج ٥١، ص ١١٧، ح ١٦.

٦ـ ينقل أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام :

«يا أبا محمّد، كأنّي أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله و عياله». قلت: يكون منزله؟ قال: **«نعم، هو منزل إدريس عليه السلام ...»**[١].

و لا يوجد أيّ تعارض بين مفاد هذه الروايات؛ لإمكان صدقها جميعاً، فمرّة تذكر أن المهدي عليه السلام يكون في مراسم الحجّ، و أُخرى في المدينة المنوّرة (والتي عبّر عنها بطيبة)، و مرّة بين الناس في الشارع و السوق، و لا توجد رواية واحدة تذكر أنّه يعيش في سرداب أو بئر.

كما لا توجد رواية تذكر أنّ المهدي عليه السلام سوف يظهر من سرداب، و كلّ ما جاء من الروايات أنّه:

١ـ «يظهر بين الركنين»[٢].

٢ـ «فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة»[٣].

٣ـ «فيؤتي و هو خلف المقام ...»[٤].

٤ـ «يخرج المهدي من قرية يقال لها كرعة (اليمن)»[٥].

٥ـ «يخرج من تهامة»[٦].

٦ـ «انحدر عليكم قائم آل محمّد من الحجاز»[٧].

١ـ المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٣١٧، ح ١٣.

٢ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٧٥.

٣ـ كمال الدين، ص ٣٣١.

٤ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٦٣.

٥ـ كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٦٩.

٦ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٠.

٧ـ إثبات الوصيّة، ص ٢٢٦.

الاختلاف الرابع: الظهور لنصرة الإسلام أم للانتقام من العرب و الأموات؟

يدّعي كاتب الكرّاسة قائلاً:

المهدي الحقيقي الذي أشارت إليه الأحاديث سوف يظهر لنصرة الإسلام و المسلمين على اختلاف أجناسهم و أعراقهم. أمّا إمام الزمان مجعول هؤلاء علماء الشيعة فهو يخرج لنصرتهم و ينتقم من الآخرين و حتّى الأموات. و لا يكون في جيشه و بين أفراده قرشيّ واحد لشدّة كراهته لهم و للعرب! أليست هذه عين المؤامرة الشعوبيه على الإسلام و العرب؟

الجواب

و هذه كذبة أُخرى على علماء الشيعة، حيث لا يوجد في أي كتاب روائي أو عقائدي من كتب الشيعة قابل للذكر و مورد تأييد الجميع فيه أنّ إمام الزمان يظهر لنصرة بعض العلماء و خصوص الشيعة و ينتقم من غيرهم، يكفي إلقاء نظرة على كتب الحديث الشيعية حتّى يتّضح أنّ هذه الكتب لا تزيد عمّا ذكرته كتب السنّة أنفسهم القائلة بأنّ الهدف من خروج المهدي (عج) لا يتعدّى ما تبيّنه عبارة الحديث: «يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت ظلماً و جوراً».

روايات انتقام المهدي عليه السلام من الأموات

أمّا ما نسب إلى المهدي (عج) الموعود من قيامه بالانتقام من الأموات، فربما منشأ ذلك الروايات التالية و قد جاءت بتعابير مختلفة، نشير إلى أهمّها:

١ـ رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«لمّا أُسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي... و هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين و الجاحدين و الكافرين...»[١].

٢ـ رواية جارود بن المنذر عن رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«هؤلاء أوليائي، و هذا المنتقم من أعدائي...»[٢].

٣ـ رواية طويلة لجابر بن يزيد عن رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«إنّ الله أوحى ليلة أُسري بي: يا محمّد... و هذا القائم محلّل حلالي و محرّم حرامي و ينتقم من أعدائي...»[٣].

٤ـ روايه أبي حمزة ثابت بن دينار عن الإمام الباقر عليه السلام:

«لمّا قُتل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت الملائكة... فوعزّتي و جلالي... بذلك القائم أنتقم منهم...»[٤].

٥ـ رواية فراة بن الأحنف عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«... لأقتُلنّ أنا و ابناي هذان، و ليبعثنّ الله رجلاً من ولدي في

١ـ كمال الدين، ج ١، ص ٢٥٢.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٣٨، ص ٤٤.
٣ـ الغيبة، للنعماني، ص ٩٣، ح ٢٤.
٤ـ دلائل الإمامة، ص ٤٥٢.

آخر الزمان يطالب بدمائنا...»[١].

٦ـ رواية علقمة بن محمّد الحضرمي عن رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم في خطبة الغدير، جاء فيها حول المهدي عليه السلام:

«... ألا إنّه المنتقم من الظالمين... ألا إنّه مدرك بكلّ ثار لأولياء الله...»[٢].

و لقد جاء في جميع هذه الروايات التعبير بالانتقام من أعداء الله و أعداء الأئمّة عليهم السلام و أعداء الإمام الحسين عليه السلام، و لم يأت في أيّ واحدة منها ذكر إحياء الأموات للانتقام منهم. و الانتقام من أعداء الله و أعداء الأئمّة عليهم السلام ذكرت في روايات الرجعة أيضاً[٣]. و الانتقام من أعداء الله و أعداء الأئمّة منعهم عن النبيل إلى غرضهم.

و مع ظهور المهدي عليه السلام بعد خروج الدجّال و تنامي قوّة و اقتدار الشرك و الكفر و الظلم ـ و هو الهدف القديم لأعداء الله و الأنبياء و الأئمّة ـ فإنّه عليه السلام سوف يقتلع جذور الكفر و الظلم من الأرض، و سيكون هذا أكبر و أفضل إنتقام من أعداء الله و قتلة الإمام الحسين عليه السلام و سائر شهداء طريق الحقّ و العدالة.

و بناءً على ما تعتقده الشيعة فإنّ الرجعة عودة طائفتين من الناس إلى الدنيا يعني أولياء الله و أعداءه، و تعذيب أعداء الله على أيدي أوليائه بالعذاب الأدنى، سيكون طريقة أُخرى من طرق الانتقام. و لقد تمّ تأكيدها

١ـ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ١١٢.
٢ـ الاحتجاج، ج ١، ص ٨٠.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ٤٤ ـ ٥٠، ح ١٦، ٢٠ و ٢٢.

في روايات عديدة، و لا تعتبر أمراً مستحيلاً أو مخالفاً لضرورة من ضرورات العقل و الشرع.

روايات كراهة المهدي للعرب

و القسم الآخر من ادّعاء الكاتب الذي يقول فيه:

لشدّة كراهته للعرب و بالخصوص قريش حتّى إنّه لا يخرج منهم واحد لنصرته.

مستنداً إلى بعض روايات آحاد و ضعيفة السند، نشير هنا إلى بعضها:

١ـ رواية رفيد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... على العرب شديد...»[١].

٢ـ رواية الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«... إذا خرج القائم لم يكن بينه و بين العرب و قريش إلّا السيف، ما يأخذ منها إلّا السيف...»[٢].

٣ـ رواية أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«لا يقوم القائم إلّا على... سيف قاطع بين العرب و اختلاف شديد بين الناس...»[٣].

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٨، ح ١٨.
٢ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٤، ح ٢١، و قريب منه في عقدالدرر، ح ٣٤٦ و ٣٤٧.
٣ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٥، ح ٢٢.

٤ـ رواية موسى الأبار عن الإمام الصادق عليه السلام:

«اتّق العرب فإنّ لهم خبر سوء، أما إنّه لم يخرج مع القائم منهم واحد»[١].

٥ـ رواية علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... ثمّ يتوجّه إلى الكوفة فينزلها و يكون داره، و يبهرج [يعني يهدر الدم] سبعين قبيلة من قبائل العرب ...»[٢].

٦ـ رواية جعفر بن يحيى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم الفساطيط في مسجد الكوفان، ثمّ يخرج إليهم المثال المستأنف أمر جديد على العرب شديد»[٣].

٧ـ رواية رفيد عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول:

قلت لأبي عبداللّه: جعلت فداك يابن رسول‌اللّه، يسير القائم بسيرة علي بن أبي طالب في أهل السواد؟ فقال: **«لا يا رفيد، إنّ علي بن أبي‌طالب سار في أهل السواد بما في الجفر الأبيض، و إنّ القائم يسير في العرب بما في الجفر الأحمر»**. قال: فقلت: جعلت فداك و ما الجفر الأحمر؟ قال: فأمرّ إصبعه على حلقه فقال: **«هكذا، يعني الذبح»**[٤].

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٣، ح ٦٢. ٢ـ المصدر السابق، ح ٦١.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٦٥، ح ١٤٢. ٤ـ المصدر السابق، ص ٣١٣، ح ٧.

٨ـ رواية أُخرى لرفيد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«يا رفيد كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم قد ضربوا فساطيطهم في مسجد الكوفة ثمّ أخرج المثال الجديد على العرب شديد». قال: قلت: جعلت فداك ما هو؟ قال: **«الذّبح... إنّ عليّاً سار بما في الجفر الأبيض و هو الكفّ و هو يعلم أنّه سَيُظهر على شيعته من بعده، و إنّ القائم يسير بما في الجفر الأحمر و هو الذبح، و هو يعلم أنّه لا يُظهر على شيعته»**[١].

٩ـ رواية حارث بن المغيرة و ذريح المحاربي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما بقي بيننا و بين العرب إلّا الذبح، و أومأ بيده إلى حلقه»[٢].

١٠ـ رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... واللّه لكأنّي أنظر إليه بين الركن و المقام يبايع الناس على كتابٍ جديدٍ على العرب شديد. و قال: ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب»[٣].

و هنا بعض المسائل

المسألة الأُولى: يُفهم من الروايات المتواترة بين الشيعة و السنّة أنّ المهدي (عج) سوف يعمل بما في الكتاب و السنّة، و ليس فيها أيّ إشارة إلى ما

١ـ المصدر السابق، ص ٣١٨، ح ١٨.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٤٩، ح ١٠١.
٣ـ المصدر السابق، ص ٢٩٤، ح ٤٢.

يرتبط بالجنس و العنصر و القومية، و إنّما الملاك الإيمان و التقوى و العمل الصالح و العلم و الجهاد، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[١].

ينقل صاحب تفسير «الدرّ المنثور» في ذيل تفسيره لهذه الآية عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في كلام له في خطبة الوداع أيّام التشريق قال:

«يا أيّها الناس، ألا أنّ ربّكم واحد، ألا إنّ أباكم واحد، ألا لافضل لعربيّ على عجميّ، و لا لعجميّ على عربيّ، و لا لأسود على أحمر... إلّا بالتقوى...»[٢].

ولو تعارض مضمون تلك الروايات مع القرآن الكريم و السنّة النبوية الشريفة، اللذان هما من مسلّمات أُصول الإسلام و المذهبين الشيعي والسنّي، فلا يعتقد بها و لا عالم شيعي واحد.

المسألة الثانية: لفظة «العرب» الواردة في تلك الروايات يمكن أن يراد بها الطغات و أعداء اللّه منهم، لا كلّ العرب. و الروايات التي ورد فيها تعبير مثل «طغات العرب» خير قرينة على أنّ المراد من العرب في الروايات المطلقة خصوص الظلمة و الطغاة منهم.

المسألة الثالثة: مضامين تلك الروايات تتعارض تماماً مع روايات أُخرى تتضمّن مدح و تمجيد لطوائف من العرب في هذا الشأن. من باب المثال:

١ـ رواية طويلة لحذيفة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إذا كان عند خروج القائم، ينادي منادٍ من السماء: أيّها الناس

١ـ الحجرات (٤٩): ١٣.
٢ـ الميزان، ج ١٨، ص ٣٣٤ نقلاً عن تفسير الدرّ المنثور.

قطع عنكم مدّة الجبّارين... فالحقوا بمكّة، فيخرج النجباء من مصر و الأبدال من الشام و عصائب العراق، رهبان بالليل... كأنّ قلوبهم زبر الحديد فيبايعونه بين الركن و المقام»[١].

٢ـ رواية أبي خالد الكابلي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا دخل القائم الكوفة، لم يبق مؤمن إلّا و هو بها أو يجيء إليها... و يقول لأصحابه: سيروا بنا إلى هذه الطاغية، فيسير إليه»[٢].

لعلّ المراد من الطاغية في هذا الحديث، الدجّال و من معه.

٣ـ رواية أبي سعيد الخدري عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله:

«يملك المهدي أمر الناس سبعاً أو عشراً، أسعد الناس به أهل الكوفة»[٣].

و يتوضّح من مطالعة الروايتين الأخيرتين حال الرواية الخامسة من المجموعة السابقة المتضمّنة لقتل المهدي (عج) سبعين قبيلة من قبائل العرب في الكوفة. بالإضافة إلى ما ذكرته الروايات الأخيرة لفضائل و كمالات جديرة بالالتفات لطوائف من العرب، ممّا يعني أنّ المقصود بالذمّ ليس كلّ العرب بل الطغات و الظلمة منهم.

و بناءً على احتمال المرحوم المجلسي، لعلّ المراد بالطاغية في الرواية الثانية السفياني، و الكوفة تكون القاعدة للهجوم عليه و محاربته.

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٤، ح ٧٣، وباختلاف يسير في الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٤٧٦.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٠، ح ٥١.
٣ـ غاية المرام، ص ٧٠٤، و راجع: أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٦٥٢.

المسألة الرابعة: ما يرتبط بسند هذه الروايات: أمّا سند الرواية الأُولى فضعيف بسبب «رفيد» حيث لم يُوثّق في معاجم الرجال[١]. إضافة إلى أنّ ابن سنان مشترك بين «محمّد» و «عبدالله»، و الأوّل متّهم بالغلوّ قد ضعّفه أصحاب الرجال[٢].

و في سند الرواية الثانية «أحمد بن محمّد بن سعيد» و هو و إن وثّقه البعض إلّا أنّه زيدي جارودي، و خبره خبر واحد لا يعبأ به في الأُمور الاعتقادية. و أيضاً «الحسن بن علي بن أبي‌حمزة البطائني» الذي قال عنه علي بن فضّال: «كذّاب ملعون»، كما نقله الكشّي عن محمّد بن مسعود، و ذمّه آخرون و لعنوه بتعابير مختلفة[٣].

و في سند الرواية الثالثة ـ إضافة إلى ضعفها من جهة «أحمد بن محمّد بن سعيد» و «الحسن بن علي بن أبي‌حمزة» ـ فإنّ فيها «يوسف بن كليب» و هو مجهول لم يُذكر اسمه في معاجم الرجال.

و أيضاً سند الرواية الرابعة ضعيف بسبب «موسى الأبار» الذي هو مجهول أيضاً[٤].

و سند الرواية الخامسة ضعيف بـ«علي بن أبي‌حمزة».

و ضعف سند الرواية السادسة بسبب جهل الواسطة بين «عبيدالله بن موسى» و «جعفر بن يحيى»، و لذا فقد سقط عن الاعتبار[٥].

١ـ جامع الرواة، ج ١، ص ٣٢١.
٢ـ رجال الكشّي، ص ٣٢٢، ح ٥٨٤.
٣ـ منتهى المقال، ج ٢، ص ٤٠٨.
٤ـ جامع الرواة، ج ٢، ص ٢٧٠.
٥ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٦٥، ح ١٤٢.

و أمّا سند الرواية السابعة فبالإضافة إلى وجود «رفيد» الذي لم يُوثّق فإنّه ضعيف بسبب «محمّد بن فضيل الكوفي»؛ و ذلك لأنّه ضُعّف في «معجم الرجال»، و اتّهمه البعض بالغلوّ[١].

و الرواية الثامنة أيضاً ضعيفة بسبب «رفيد».

و في سند الرواية التاسعة «محمّد بن عبداللّه بن زرارة» و هو و إن كان موضع اختلاف و العلّامة قد وثّقه، إلّا أنّ الشهيد الثاني كان يعتبره غير ثقة[٢].

و الرواية العاشرة أيضاً ضعيفة بسبب «ابن البطائني» و هو «علي بن أبي حمزة البطائني».

و للتنبيه: على فرض القبول بسند تلك الروايات إلّا أنّها لا تثبت أمام نصّ صريح القرآن و السنّة القطعية.

المسألة الخامسة: إضافة إلى ما ذُكر آنفاً، نلفت النظر إلى أنّ عرض صور أهم ما سيقوم به المهدي بعد ظهوره كما جاء في الروايات المعروفة بل المتواترة المعنوية الشيعية و السنّية حيث «**يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت ظلماً و جوراً**»، قد جاءت بتعابير أُخرى، نذكر بعضها.

١ـ عن الرضا عليه السلام:

«**وضع ميزان العدل بين الناس فلا يظلم أحدٌ أحداً**»[٣].

١ـ معجم رجال الحديث، ج ١٧، ص ١٦١ الرقم ١١٥٦٨.
٢ـ جامع الرواة، ج ٢، ص ١٤١. ٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٢، ح ٢٩.

٢ـ عن الإمام الباقر عليه السلام:

«**إذا قام قائم أهل‌البيت قسّم بالسوية و عدل في الرعية**»[١].

٣ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**أما و اللّه ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ**»[٢].

٤ـ عن الإمام الباقر عليه السلام:

«**و كذلك القائم، إذا قام يبطل ما كان في الهدنة ممّا كان في أيدي الناس و يستقبل بهم العدل**»[٣].

و بديهي أنّ تحقيق القسط و العدل، و تقسيم الأموال بين الناس بالتساوي، لا ينسجم مع مضمون تلك الروايات الدالّة على ظلمه لبعض الطوائف.

و في روايات أُخرى إضافة إلى ما تدلّ من تحقيق العدل و القسط بين الناس، فهي تنسب إليه أفعال أُخرى مثل الجود و العفو الكبير، و رفع الحيف و الظلم عنهم، نشير إلى بعضها:

١ـ عن الإمام الرضا عليه السلام:

«**يكون رحمة للمؤمنين، و عذاباً للكافرين**»[٤].

٢ـ عن الإمام الباقر عليه السلام:

١ـ المصدر السابق، ص ٣٥١، ح ١٠٣. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣٦٢، ح ١٣١.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٨١، ح ١٩٢. ٤ـ المصدر السابق، ص ٣٢٢، ح ٣٠.

«و تُجمع إليه أموال الدنيا كلّها ما في بطن الأرض و ظهرها فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام و سفكتم فيه الدماء و ركبتم فيه محارم اللّه، فيعطي شيئاً لم يعط أحدٌ كان قبله...»[١].

٣ـ عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«آخرهم اسمه على اسمي يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً، يأتيه الرجل و المال كدس فيقول: يا مهدي اعطني، فيقول: خُذ»[٢].

٤ـ و نُقل عن الإمام الباقر عليه السلام:

«من أدرك قائم أهل بيتي من ذي عاهة برأ، و من ذي ضعف قوي»[٣].

فهذه التعابير و أشباهها موجودة في روايات السنّة أيضاً، لا حاجة لنقلها، و من أراد التفصيل فليراجع كتاب «المهدي» تأليف آية اللّه السيّد صدرالدين الصدر رحمه الله[٤].

و كم هو واضح الاختلاف بين هذه الروايات و تلك التي أُثيرت حول شخصه عليه السلام.

١ـ المصدر السابق، ج ٥١، ص ٢٩، ح ٢.
٢ـ المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٣٧٩، ح ١٨٦.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٣٥، ح ٦٨.
٤ـ المهدي، ص ٩٣.

و في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«... يستخرج التوراة و سائر كتب اللّه من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة و بين أهل الإنجيل بالإنجيل و بين أهل الزبور بالزبور و بين أهل الفرقان بالفرقان...»[١].

يُفهم من هذه الرواية جيداً أنّه حتّى سائر الملل و أهل الأديان أيضاً سينعمون بالحرّية و عدم الخوف في ظلّ حكومة المهدي عليه السلام، و أنّه سيبيّن لهم أحكام دينهم طبق ما جاء في كتبهم الأصلية.

و على هذا، فليس صحيحاً أبداً ما نسب الكاتب إلى الشيعة قولهم إنّ المهدي يكره العرب و قريش و هو مكتوب في رواياتهم!

مع وجود كلّ هذه الروايات المسندة و المتواترة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، و آراء كبار علماء أهل السنّة حول قضية المهدي و غيبته، فإنّ ادّعاء كاتب الكرّاسة بأنّ إمام زمان الشيعة جزء من مؤامرة شعوبية على الإسلام و العرب، ادّعاء موهون و بعيد جدّاً عن الحقيقة.

و من كلّ ما ذكر اتّضح أنّ وظيفة المهدي و رسالته إحياء القرآن و الإسلام و سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و لا يظهر للانتقام من العرب و الأموات كما يدّعي صاحب الكرّاسة.

١ـ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢٩، ح ٢؛ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٧، ح ٢٦، إلّا أنّ فيه «و بين أهل القرآن بالقرآن».

الاختلاف الخامس: انتقام إمام الزمان من أصحاب رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله و أُمّ‌المؤمنين، خلافاً للمهدي الموعود

حيث يقول:

المهدي الموعود يُكرم أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله و يدعوا لهم بالخير و يسير بسيرتهم، و يحبّ أُمّهات المؤمنين و يذكرهنّ بالخير. أمّا إمام الزمان صنع علماء الإمامية ليس فقط يبغض أصحاب رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله، و إنّما يستخرج جثثهم من قبورهم و يحرقها، و يقتصّ من أُمّهات المؤمنين و يقيم الحدّ على عائشة.

و يذكر أسماء الأصحاب الذين سيستخرج جثثهم قائلاً:

يستخرج صاحبي رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله أبي‌بكر و عمر من قبريهما ... و ينتقم لكلّ المظالم التي حصلت قبل و بعد هذين الصحابيين، من قتل هابيل و قابيل إلى ذنوب أُخوة يوسف بإلقائهم إيّاه في البئر، و ظلم نمرود بإلقائه إبراهيم عليه السلام في النار، و حتّى من ذنوب عبدة النار، سوف يأخذ ثأره و يعمل انتقامه.

الجواب

فهو يطرح ادّعائين:

١ ـ إمام زمان الشيعة ينتقم من أصحاب نبيّ اللّه صلى الله عليه وآله و يحرق جثثهم.

٢ ـ يجلد أُمّ المؤمنين عائشة.

الأوّل: حرق أصحاب رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله و الانتقام منهم

مستنده فيما يرتبط بإخراج جثتي أبي‌بكر و عمر من قبريهما و... روايات ضعيفة لايُعتمد عليها، و يتعارض متنها مع تلك الروايات الكثيرة المتواترة الدالّة دلالة واضحة على أنّ المهدي يعمل بكتاب اللّه و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله، و مؤكّدة على أن خلق و شمائل المهدي هي خلق و شمائل رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله، مملوءة بالرحمة و العطف على عباد اللّه. فمن هذه الروايات الضعيفة:

الرواية الأُولى: في «بحارالأنوار» عن كتاب لأحد الأصحاب ـ و لايُعلم من هو ـ بسند حسين بن حمدان، يتّصل بمحمّد بن نصير، و هو عن عمر بن الفرات، و هو عن محمّد بن مفضل، و هو عن مفضل بن عمر ينقل رواية ينسبها إلى الإمام الصادق عليه السلام، جاء فيها:

«بعد أن يخرج جثّتي أبي‌بكر و عمر من قبريهما، ثمّ يصلبها على الشجرة، يأمر ناراً تخرج من الأرض فتحرقهما و الشجرة، ثمّ يأمر ريحاً فتنسفهما في اليم نسفاً... حتّى إنّهما ليُقتلان في كلّ يوم و ليلة ألف قتلة. و يحمّلهما كلّ ذنوب الخلائق منذ عهد آدم إلى وقت قيام المهدي...»[1]

و مضمون الرواية ـ على فرض صحّة السند ـ يحكي عن كذبها. أمّا ما يختصّ بالسند فكما قلنا إنّ صاحب البحار نقلها عن كتاب لأحد الأصحاب

١ ـ بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ١٤، ح ٢٥.

لايُعلم اسمه، و في سندها محمّد بن نصير عن عمر بن الفرات عن محمّد بن مفضل، و هو عن مفضل بن عمر.

و مفضّل بن عمر هذا و إن كان قد مدحه الشيخ المفيد و قال عنه: «من شيوخ أصحاب أبي عبداللّه عليه السلام و خاصّته و بطانته و ثقاته الفقهاء الصالحين»[١]، و لكنّ النجاشي عرّفه في رجاله بأنّه: «فاسد المذهب مضطرب الرواية لايُعبأ به»[٢]. و نقل العلّامة في «الخلاصة» أنّه «متهافت، مرتفع القول، خطّابي[٣]»[٤].

و أيضاً يضيف ضمن تصريحه بفساد مذهبه و أنّه لايُعتمد عليه قائلاً:

> و حمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً، و لا يجوز أن يُكتب حديثه.

و كذا نقل الكشّي عن حماد بن عثمان بأنّ الإمام الصادق يخاطبه بـ«يا كافر» و «يا مشرك»، و كما جاء في الرواية: أنّ حجر بن زائدة و عامر بن جذّاعة

١ـ الإرشاد، ج ٢، ص ٢١٦. ٢ـ رجال النجاشي، ص ٤١٦.
٣ـ الخطّابية: فرقة كانت معاصرة للإمام الصادق عليه السلام، و أتباعها يعتقدون بإمامة أبي الخطّاب الذي كانت له عقائد منحرفة، من قبيل:
الف: إنّ بإمكان الأئمّة يمكن أن يصلوا إلى مرتبة الأنبياء و حتّى يصلوا إلى مرتبة الأُلوهية... و إنّ الإمام الصادق هو إله على شكل إنسان يظهر في هذا العالم.
ب: المؤمن يوحى له.
ج: إذا وصل الإنسان إلى درجة الكمال فإنّه لن يموت، و إنّما ينتقل إلى عالم الملكوت.
د: الأموات يُرَون سواء في الليل أو النهار. راجع: توضيح المقال في علم الرجال، ص ٢١٤.
٤ـ خلاصة الأقوال، ص ٤٠٧.

الأسدي دخلا على الإمام الصادق عليه السلام فقالا له: جعلنا اللّه فداك إنّ المفضل بن عمر يقول إنّكم تقدّرون أرزاق العباد. فلعنه الإمام الصادق عليه السلام و تبرّأ منه و قال لهما: «**فالعناه و ابرءا منه، برئ اللّه و رسوله منه**»[١].

و هو و إن كان قد جاء مدحه في بعض الروايات و كتب الرجال، و لكن طبق القاعدة المقبولة في علم الرجال: إنّه عند تعارض المدح و الذمّ يقدّم الذمّ.

و أمّا بشأن محمّد بن نصير فإنّ الشيخ في «الغيبة»[٢] و المجلسي في «بحارالأنوار»[٣] نقلاً عن سعد بن عبداللّه قوله: «كان محمّد بن نصير يدّعي أنّه رسول نبي و أنّ علي بن محمّد عليه السلام أرسله. و كان يقول بالتناسخ، و يغلو في أبي الحسن و يقول فيه بالربوبية، و يقول بالإباحة للمحارم و تحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً...». و ينقل الشيخ في نفس الصفحة عن ابن نوح: «كان محمّد بن نصير من أصحاب أبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام فلمّا توفّى أبو محمّد ادّعى مقام أبي جعفر محمّد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزمان. وادّعى (له) البابيّة، و فضحه اللّه تعالى بما ظهر من الإلحاد و الجهل، و لعن أبي جعفر محمّد بن عثمان له و تبرّيه منه، ... قال أبو طالب الأنباري: لمّا ظهر محمّد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر و تبرّأ منه، فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر ليعطف بقلبه عليه و يعتذر إليه، فلم يأذن له و حجبه و ردّه».

١ـ منتهى المقال، ج ٦، ص ٣١٠ـ ٣١٢. ٢ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٣٩٨.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٣٦٨.

و جاء في هامش «بحارالأنوار»:

محمّد بن نصير و هو النميرى الكذّاب الغال الخبيث المدّعى للنّيابة ... يروى عن عمر بن الفرات الكاتب البغدادى الغالي ذو المناكير ...[١].

و لقد عرّف النجاشي عمر بن فرات أيضاً بالغلوّ و الفساد[٢].

و أمّا حسين بن حمدان، فبناءً على نقل و تأييد «جامع الرواة»[٣]:

«كان فاسد المذهب، كذّاباً... ملعون، لايُلتفت اليه». و محمّد بن مفضّل مشترك بين من وثّق و من لم يوثّق. و علي بن عبداللّه مجهول.

و على هذا فلا إشكال في ضعف سند هذه الرواية و سقوطها عن الاعتبار.

الرواية الثانية: طبق ما جاء في هذه الرواية: يقول الإمام الصادق عليه السلام لبشير بن نبّال:

«هل تدري أوّل ما يبدأ به القائم عليه السلام»؟ قلت: لا. قال: **«يخرج هذين رطبين غضّين فيحرقهما و يذريهما في الريح و يكسر المسجد...»**[٤].

١ـ المصدر السابق، ج ٥٣، ص ٢.

٢ـ جدير بالذكر أنّ محمّد بن نصير و إن كان مشتركاً في علم الرجال بين ثلاثة أشخاص مذمومين و ضعفاء و واحد موثّق ممدوح «جامع الرواة، ج ١، ٢٠٨». إلّا أنّ مجرد الاشتراك بين المذموم و الموثّق يكفي في عدم الاعتقاد على روايته. إضافة إلى أنّ نقل محمّد بن نصير هذه الرواية عن رجل غالٍ و فاسدٍ كعمر بن فرات البغدادي يكون شاهداً على أنّ محمّد بن نصير في سند الرواية ليس هو الرجل الموثّق في الرجال.

٣ـ جامع الرواة، ج ١، ص ٢٣٧.

٤ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٨٦، ح ٢٠٠.

راوي هذا الحديث بشير النبّال و هو لم يوثّق، يقول العلّامة في خلاصته عنه: «...فأنا في روايته متوقّف»[١].

الرواية الثالثة: يقول عبدالعظيم الحسني للإمام الرضا عليه السلام: إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت ظلماً و جوراً. فقال عليه السلام:

«يا أباالقاسم ما منّا إلّا قائم بأمر اللّه عزّ وجلّ و هاد إلى دينه، و لكنّ القائم الذي يطهّر اللّه به الأرض من أهل الكفر و الجحود و يملأها عدلاً و قسطاً، هو الذي يُخفى على الناس ولادته و يغيب عنهم شخصه و يحرم عليهم تسميته، و هو سمي رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله و كنيّه، و هو الذي تطوى له الأرض و يذلّ له كلّ صعب... فإذا دخل المدينة أخرج اللات و العزّى فأحرقهما...»[٢].

[و اللات و العزّى إشارة إلى النفرين الذين ذكرهما بشير بن نبّال في الرواية السابقة].

و في سند هذه الرواية السناني و هو مجهول الحال، و الأسدي و هو مشترك بين ثلاثة رجال اثنين منهما غير موثّقين، فلا تكون مورد اعتماد[٣].

الرواية الرابعة: عن المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله قال:

١ـ جامع الرواة، ج ١، ص ١٢٤.

٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٢٨٣، ح ١٠.

٣ـ منتهى المقال، ج ٤، ص ٤١٢.

«لمّا أُسري بي أوحى إليّ ربّي... و هذا القائم الذي يحلّ حلالي و يحرّم حرامي، و به أنتقم من أعدائي... فيخرج اللات و العزّى طريّين فيحرقهما...»[١].

في سند هذه الرواية أحمد بن هلال، و قد نقل «جامع الرواة» عن «فهرست» الشيخ قوله: «كان غالياً متّهماً في دينه». و قال العلّامة في «الخلاصة» والنجاشي و الكشّي في كتابيهما: «ورد فيه ذموم عن سيّدنا أبي محمّد العسكري عليه السلام». و هكذا العلّامة في «الخلاصة» و الاسترآبادي في «الرجال الوسيط» قالا: «و عندي أنّ روايته غير مقبولة»[٢].

الرواية الخامسة: ينقل إسحاق بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«... ثمّ يخرجهما غضّين رطبين فيلعنهما و يتبرّأ منهما و يصلبهما، ثمّ ينزلهما و يحرّقهما، ثمّ يذريهما في الريح»[٣].

و هذه الرواية ينقلها المرحوم المجلسي من كتاب «الغيبة» للسيد علي بن عبدالحميد عن إسحاق بن عمّار بدون ذكر السند.

و إسحاق بن عمّار هذا و إن كان فطحياً و لكنّه ثقة،[٤] و لكن لا توجد معلومات عن سند الكتاب و لا واسطته إلى زمن المرحوم المجلسي، و بالنتيجة فالرواية مرسلة و لا يعتمد عليها.

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٧٩، ح ١٨٥.
٢ـ جامع الرواة، ج ١، ص ٧٤.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٨٦، ح ٢٠١.
٤ـ منتهى المقال، ج ٢، ص ٢٤.

الثاني: حدّ عائشة

مستند كاتب الكرّاسة في مورد حدّ عائشة على يد المهدي، رواية عبدالرحيم القصير، يقول: قال لي أبو جعفر عليه السلام:

«أمّا لو قام قائمنا لقد ردّت إليه الحميراء حتّى يجلدها الحدّ، و حتّى ينتقم لابنة محمّد فاطمة عليها السلام منها». قلت: جعلت فداك و لم يجلدها الحدّ؟ قال: **«لفريتها على أُمّ إبراهيم» [زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم]**[١]. فقلت: فكيف أخّره اللّه تعالى للقائم عليه السلام؟ فقال: **«إنّ اللّه تبارك و تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة، و بعث القائم عليه السلام نقمة»**[٢].

نقل المرحوم المجلسي هذه الرواية عن «علل الشرائع» عن ماجيلويه عن عمّه، و هو عن البرقي، و هو عن أبيه، و هو عن محمّد بن سليمان، و هو عن داوود بن النعمان، و هو عن عبدالرحيم القصير، عن الإمام الباقر عليه السلام.

١ـ إشارة إلى قصّة مذكورة في بحارالأنوار، ج ٢٢، ص ١٥٤، ح ١٠، باب عدد أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نقلها عن الخصال: فيما احتجّ به أميرالمؤمنين على أهل الشورى قال: «نشدتكم باللّه هل علمتم أنّ عائشة قالت لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إنّ إبراهيم ليس منك، و إنّه ابن فلان القبطي، قال يا علي اذهب فاقتله، فقلت: يا رسول اللّه، إذا بعثتني أكون كالمسمار المحمي في الوبر، أو أتثبّت؟ قال: لا، بل تثبّت. فذهبت، فلمّا نظر إليّ استند إلى حائط فطرح نفسه فيه فطرحت نفسي على أثره، فصعد على نخل و صعدت خلفه، فلمّا رآني قد صعدت رمى بإزاره فإذا ليس له شيء ممّا يكون للرجال. فجئت فأخبرت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: الحمد للّه الذي صرف عنّا السوء أهل البيت»؟ فقالوا: اللهمّ لا. فقال: «اللّهمّ اشهد».
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٤، ح ٩.

ما جيلويه موثّق، و لكنّ عمّه غير معروف. و المراد بالبرقي: أحمد بن محمّد بن خالد البرقي حيث قيل عنه في «الخلاصة» و «الفهرست» و «رجال الكشّي» بأنّه يروي عن الضعاف و يعتمد على روايات غير مسندة، قال عنه ابن الغضائري:

«طعن عليه القمّيون و ليس الطعن فيه و إنّما الطعن فيمن يروي عنه»[١].

و محمّد بن سليمان البصري أو (الديلمي) هو الآخر متّهم بالغلوّ[٢].

و عبدالرحيم القصير[٣] لم يوثّق أيضاً.

إذن فسند الرواية ضعيف لايُعتمد عليه، و متنها أيضاً مخالف للروايات التي وصفت المهدي بأنّه كرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في خلقه و صفاته و سيرته بين الناس، و له خصائص الأنبياء كإبراهيم و يوسف و أيّوب و موسى و عيسى عليهم السلام.

كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بنصّ القرآن المجيد ﴿**رَحْمَةً لِلعَالَمِين**﴾ فكيف يكون آخر خليفته نقمة للعالمين؟

أضف إلى هذا أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان رحمة لم يكن يفرّق في إجراء الحدود الإلهية بين أقربائه و سائر المسلمين، فلو كانت عائشة مستحقّة الحدّ قطعاً لم يكن الرسول ليترك إجراءه عليها. و تشهد له قصّة سرقة جارية أُم سلمة التي ثبتت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم و شفعت أُم سلمة لعدم إجراء الحدّ عليها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**هذا حدّ من حدود اللّه لا تضيّع**» و أمر بقطع

١ـ جامع الرواة، ج ١، ص ٦٣. ٢ـ منتهى المقال، ج ٦، ص ٦٢ـ٦٣.
٣ـ المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢١.

يد الجارية. و أيضاً شفع أُسامة بن زيد عند النبي في من استحقّ حدّاً و قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تشفع في حدّ**»[١].

و من كلّ ما ذكر اتّضح أنّ الشيعة لا يعتقدون بتاتاً بهذا الذي نسبه الكاتب إلى إمامهم، بل يعتقدون أنّ خصال المهدي و صفاته هي خصال و صفات نبيّهم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

الاختلاف السادس: إعمار المساجد بواسطة المهدي الحقيقي، و تخريبها بواسطة إمام الزمان

حيث يدّعي كاتب الكرّاسة:

المهدي الحقيقي يعمّر المساجد، أمّا إمام الزمان المجعول فإنّه يخرّبها، و يبدأ بتخريب المسجد الحرام و الكعبة و مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الجواب

و مستند هذا الادّعاء بعض الروايات الضعيفة، منها:

١ـ أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام:

«القائم يهدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه، و مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أساسه، و يردّ البيت إلى موضعه و أقامه

١ـ وسائل الشيعة، ج ٢٨، ص ٤٣، ح ١ـ٣.

على أساسه...»[1].

في سند هذه الرواية علي بن أبي‌حمزة البطائني و هو من عمد الواقفة، و قد كان قد استأثر بأموال كثيرة كانت عنده بالوكالة من الشيعة، و بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام لم يسلّمها إلى الإمام الرضا عليه السلام بحجّة غيبته، و من حينها ظهرت الفرقة الواقفية.

٢ـ عن أبي‌بصير بدون أن تُنسب إلى الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام القائم دخل الكوفة و أمر بهدم المساجد الأربعة حتّى يبلغ أساسها...»[2].

في سند هذه الرواية أيضاً علي بن أبي‌حمزة، و في ذيلها ذكر خبر قتل سبعين قبيلة من قبائل العرب في الكوفة، و قد سبق أن أشرنا إليها.

يقول الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب «الغيبة» فيما يرتبط بعدم الاعتماد على الواقفية بعد نقل الأقوال في ذمّهم: «و امّا ما ترويه الواقفة ... و مع هذا فالرواة لها مطعون عليهم، لا يوثق بقولهم و رواياتهم...»[3].

إذن إضافة إلى عدم اعتبار سند هذه الروايات، فإنّ ما ذكر في جميع تلك الروايات من إعادة المساجد إلى مواضعها الأصلية كواحدة من الأعمال التي يقوم بها المهدي عليه السلام، لا يعني بالضرورة تخريبها عن عنادٍ أو عداوة للإسلام و للمقدّسات الإسلامية، فالفرق بينهما كبير.

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٢، ح ٥٧. و قريب منه رواية أُخرى في، ص ٢٣٨، ح ٨٠ ينقلها عن الإرشاد مرسلة عن الإمام الصادق عليه السلام، و هي إضافة إلى إرسالها يُظنّ كأنّها واحدة مع هذه الرواية.

٢ـ المصدر السابق، ص ٣٣٣، ح ٦١.

٣ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٤٣.

الاختلاف السابع: المهدي الحقيقي يعمل بكتاب اللّه تعالى و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، أمّا إمام الزّمان فإنّه يحكم بحكم داوود عليه السلام

حيث يقول:

المهدي الحقيقي يتعامل بكتاب اللّه و سنّة رسوله، أمّا إمام الزمان المُفتعل فإنّه يحكم بحكم آل‌داوود ـاليهودـ».

الجواب

تتمّ الإجابة على هذا الادّعاء من خلال توضيح بعض المحاور:

الأوّل: «الكتاب و السنّة» مبدأ عمل الإمام المهدي عليه السلام

وفق ما جاء في الروايات المتواترة من الفريقين، أنّ المهدي عليه السلام حينما يظهر يعمل بكتاب اللّه تعالى و سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، و هذا لا يتنافى مع ما ورد من أنّ المهدي عليه السلام و بسبب شروط معينة و أوضاع و أحوال خاصّة بزمان الظهور، تكون له أحكام مخصوصة به، من جملتها الحكم بعلمه عليه السلام بدون بيّنة، كما كان يفعل نبيّ اللّه داوود عليه السلام، كما ورد في الروايات الكثيرة.

مماثلة بعض أفعال المهدي عليه السلام مع دين نبيّ اللّه داوود، ليس دليلاً على أنّ أساس عمله عليه السلام مستخلص من دين داوود عليه السلام.

و قد جاء في القرآن الكريم تشابه أحكام الإسلام و تشريعاته بصورة مجملة مع شرائع إبراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام: ﴿**وَ مَا جَعَلَ**

﴿عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[1].

والمقصود من «في الدين» في هذه الآية هو دين الإسلام، و لكنّه بنفس الوقت أطلق عليه «ملّة إبراهيم» أي دين إبراهيم.

و أيضاً ما جاء في هذه الآية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِى أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَٰهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ﴾[2]، صريحة في أنّ الدين الذي شرّع للمسلمين هو نفسه الدين الذي شرّع لإبراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام مع أنّا نعلم أنّ في الدين الإسلامي توجد أحكام و علوم مخصوصة و كاملة متناسبة مع ظرفه الزماني، لم تكن موجودة في الأديان السابقة.

الثاني: مشابهة أفعال المهدي عليه السلام مع سائر الأنبياء

روايات عديدة ـ أشرنا إليها سابقاً ـ تدلّ على أوجه شبه في نهج و شرائع الأنبياء كإبراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و أيّوب عليه السلام و يوسف عليه السلام، مع سلوك و عمل الإمام المهدي عليه السلام، فلماذا لم يدّع الكاتب أنّ المهدي تابع لشرع و دين هؤلاء الأنبياء؟ مع أنّ جميع الأنبياء ـ أعمّ من كونهم أصحاب شريعة مثل أولي العزم أو أولئك الذين يتّبعون شريعة من سبقهم من الأنبياء ـ لهم احترام و قدسية كبيرة لدى جميع المسلمين و الإمام المهدي بالذات.

١ـ الحج (٢٢): ٧٨.
٢ـ الشورىٰ (٤٢): ١٣.

و ما جاء في بعض الروايات من أنّ المهدي عليه السلام يقضي بعلمه بلا بيّنة كداود و سليمان، عليهما السلام ربما لاتّساع حكومته و تسخير اللّه تعالى له العوامل الطبيعية و الاجتماعية و إمداده بالإمداد الغيبي، فيشبه بذلك حكومة داوود و سليمان عليهما السلام. و عليه، فإذا ما جاء توصيف داوود في كتب اليهود بأنّه نموذج القضاء و الحكومة، و ذكرت الروايات الإسلامية بعض الخصوصيات للمهدي بما تشبه قضاء داوود و حكومته، فليس دليلاً على أنّ المهدي الذي تعتقد به الإمامية قد أخذ من التلمود. فعلى هذا الاستدلال كان يجب على الكاتب أن يقول: إنّ الشريعة الإسلامية أيضاً قد أخذت من أديان و شرائع الأنبياء السابقين كإبراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام.

و في ما يرتبط بالإجابة على هذه الشبهة سوف نذكر في الفصل السادس بعض المسائل التي تختصّ بما ذكرته كتب الأديان السابقة من البشارات و النبوءات حول المهدي الموعود عليه السلام.

الثالث: الأحكام الخاصّة بزمن ظهور المهدي عليه السلام

و في تعليل كيف أنّ المهدي يحكم بعلمه و بدون بيّنة كداوود و سليمان عليهما السلام كما جاء في بعض الروايات، قيل بالرجوع إلى النسخ؛ إذ أساس حكومة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمّة المعصومين عليهم السلام هو القسم و البيّنة.

و هذا الاحتمال جارٍ في جميع الأحكام التي قيل إنّها من مختصّات زمان ظهور المهدي ـ والتي أُشير إليها في الروايات السابقة ـ من قبيل: عدم قبول

الجزية من أهل الكتاب[١]، قتل مانع الزكاة و من بلغ العشرين و لم يتفقّه في الدين، و أمره بهدم المساجد و المشاهد المقدّسة، و أمثال ذلك.

قال المرحوم المجلسي في «مرآة العقول» في مورد القضاء بدون بيّنة:

إنّ القائم إذا ظهر يحكم بما يعلم في الواقعة لاالبينة، و هذا ليس من قبيل النسخ حتّى يرد أن لانسخ بعد نبيّنا، بل إمّا باعتبار التقية في بعضها[٢]، أو اختلاف الأوضاع و الأحوال في الأزمان، فإنّه يمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الإمام بالحكم بالواقع إذا لم يصر سبباً لتفرّق الناس و رجوعهم عن الحقّ، و بالحكم الظاهر إذا كان سبباً لذلك[٣].

و على هذا الأساس فحكم المهدي (عج) إنّما هو بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ليس نسخاً للشريعة.

ثمّ ينقل عن المرحوم الطبرسي صاحب كتاب «إعلام الورى» هذا

١ـ عدم قبول الجزية في زمان ظهور الإمام المهدي (عج) من أهل الكتاب ينافي مع الروايات الدالّة على أنّه (عج) يحكم بين أهل التوراة بالتوراة و بين أهل الإنجيل بالإنجيل (بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢٩؛ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٧، ح ٢٦). إلّا أن يوجّه بما قاله العلّامة المجلسي في البحار، ج ٥٢، ص ٣٨٣ من أنّ عدم قبول الجزية من أهل الكتاب في زمان ظهوره (عج) يكون لأجل وفور الثروة و النعمة للناس في ذلك الزمان و عدم الاحتياج إلى الجزية التي هي من ضرائب الحكومة الإسلامية. و يشهد له ما ورد في روايات الباب من مختصّات ذلك الزمان: «فيفيض المال حتّى لا يقبله أحد».

٢ـ احتمال كون صدور الحكم بالبينة في زمان الأئمّة عليهم السلام لأجل التقية لا يلائم مع ما ورد في كتب الشيعة و السنّة في كيفية قضاء النبي و ما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّما اقضي بينكم بالبيّنة والأيمان».

٣ـ مرآة العقول، ج ٤، ص ٣٠١.

الإشكال و جوابه، و هذا ملخّصة:

«أوّلاً: الروايات الدّالّة على عدم قبول الجزية من أهل الكتاب، و أنّه يقتل من بلغ العشرين و لم يتفقّه في الدين، أو يأمر بهدم المساجد و المشاهد المقدّسة، و يحكم بحكم داود لا يسأل بيّنة و أشباه ذلك، غير مقطوع بها.

ثانياً: على فرض الصحّة، فتأويل ذلك أنّه يحكم بعلمه فيما يعلمه، و إذا لم يكن يعلم فيجب عليه أن يحكم بالشاهد و البيّنة.

و عدم قبول الجزية و الاستماع إلى البيّنة إن صحّ لم يكن نسخاً للشريعة؛ لأنّ النسخ هو ما تأخّر دليله عن الحكم المنسوخ و لم يكن مصطحباً، و أمّا إذا اصطحب الدليلان فلا يكون ذلك نسخاً لصاحبه و إن كان مخالفاً.

و في الموارد المذكورة نرى أنّ الرسول نفسه شرّعها و لكن لم تكن الشرائط الزمانية متحقّقة»[١].

و يمكن القول فيما يرتبط بالأحكام الخاصّة بالمهدي عليه السلام:

أولاً: في سند بعض هذه الروايات علي بن أبي‌حمزة البطائني الواقفي المذهب، أمثال تلك التي تذكر أنّ المهدي يقتل الشيخ الزاني و مانع الزكاة و يهدم المسجد الحرام و مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و يردّ الكعبة إلى موضعها...[٢].

و بعضها مرسلة لم يُذكر سندها، كتلك التي تتطرّق إلى هدم المساجد الأربعة و نقل مقام إبراهيم إلى موضعه[٣].

١ـ مرآة العقول، ج ٤، ص ٣٠٢؛ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٨١ـ ٣٨٤.

٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٩، ٣٢٥ و ٣٣٢.

٣ـ المصدر السابق، ص ٣٣٨ و ٣٣٩.

إضافة إلى وجود ألفاظ غريبة غير مأنوسة في تلك الروايات مثل: «يورث الأخ أخاه في الأظلّة»، و جاء في هامش «البحار»[١]: المراد بالأظلّة: «عالم الأشباح و الأرواح قبل هذا العالم».

والرواية مذكورة في كتاب «الاعتقادات» للصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام بهذا الصورة:

«إنّ اللّه آخىٰ بين الأرواح في الأظلّة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل‌البيت لورث الأخ الذي آخىٰ بينهما في الأظلّة و لم يرث الأخ من الولادة»[٢].

الجدير بالذكر أنّ معنى هذه الرواية التي نقلها الصدّوق و إن لم يكن بتلك الغرابة و لكنّها تخالف تلك الروايات المتواترة الدالّة على أنّ المهدي يعمل و يحكم بما في القرآن و السنّة.

ثانياً: طبق ما جاء في الروايات المتواترة المنقولة من طرق الشيعة و السنّة أنّ المهدي عليه السلام يحكم على أساس كتاب اللّه تعالى و سنّة نبيّه، و الكثير ممّا نسب إلى المهدي في تلك الروايات لا توجد أحكامها لا في الكتاب و لا السنّة، هذا إن لم نقل أنّها تخالفهما.

الاختلاف الثامن: يظهر المهدي الحقيقي من المشرق، و يكون ظهور الامام‌الموهوم من السرداب

حيث يقول:

١ـ المصدر السابق، ص ٣٠٩.
٢ـ الاعتقادات، ص ٤٨.

يظهر المهدي الحقيقي من جهة المشرق، أمّا إمام الزمان المزعوم فيخرج من السرداب.

الجواب

هذا الادّعاء مخالف تماماً مع ما ورد في تلك الروايات المعتبرة التي نقلناها من طرق الشيعة و التي تذكر أماكن لظهور المهدي عليه السلام، مثل: «بين الركن و المقام» و «تهامة» و «مكّة»، و لا منافاة بينها. و ليس فيها أنّه يظهر من السرداب أو البئر.

الاختلاف التاسع: إكمال الدين يتمّ بواسطة إمام الزمان، و تطبيقه على يدالمهدي الحقيقي

يطرح الكاتب آخر ما في حوزته من ادّعائات الفروق بين إمام زمان الشيعة و مهدي موعود السنّة، قائلاً:

الدين الإسلامي دين كامل، لا علاقة له بمجيء المهدي و عدم مجيئه، و بعد مجيئه لا يزيد الدين شيئاً أو ينقص. و ليس إمام زمان الإماميه المزعوم إلّا وهم و خيال.

الجواب

لا يدّعي أي فرد شيعي أنّ الإسلام ناقص و أنّ المهدي يظهر ليتمّمه، بل الشيعة قاطبة تعتقد طبق ما جاء في الروايات المنقولة من طرقهم و من طرق

السنّة بكمال هذا الدين الذي نزل على صدر رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم، و لكـن طـوال فترة غيبة المهدي عليه السلام و بمرور الزمان و بسبب عوامل مختلفة أغلبها ناشئة من أعمال الحكومات الطـاغوتية الظـالمة، أو بـعض الأفـراد الانـتفاعيّين والمنحرفين، فإنّ بعض أحكام هذا الدين الحنيف يصيبها النسيان و التغيّب عن الأذهان أو التحريف، فيقوم المهدي بإحيائها و تجديدها.

وكنّا قد أشرنا قبل هذا إلى الروايات السنّية الدالّة على أنّ المهدي سيقوم بتجديد الحياة في الدين الإسلامي[1].

١ـ الفصل الرابع من هذا الكتاب.

الفصل السادس:

مشابهة مسيح اليهود المزعوم وإمام زمان الشيعة

مشابهة مسيح اليهود المزعوم و إمام زمان الشيعة

ثمّ يشرع بذكر أوجه شبه بين أعمال و أفعال مسيح اليهود المزعوم و إمام زمان الشيعة، ليتخلّص ـعلى حدّ زعمه ـإلى هذه النتيجة و هي وجود تشابه بين ما ورد في كتب اليهود حول المسيح المزعوم، و ما ورد في كتب الإمامية حول إمام الزمان المزعوم.

و يميل إلى القول بأنّ للاثنين منشأ واحد و هو طبقة رجال الدين اليهود و الشيعة. و هذه أوجه الشبه المزعومة:

المشابهة الأُولى: جمع اليهود في بيت‌المقدس بواسطة المسيح، و جمع الشيعة في الكوفة بواسطة المهدي

يقول الكاتب:

> يقوم مسيح اليهود المزعوم بعد ظهوره ـعلى حدّ زعم هؤلاء ـ بجمع اليهود الموزّعين في بقاع العالم المختلفة في مكانٍ واحد و هو بيت المقدس. و إمام الزمان أيضاً بناءً على زعم الإمامية يقوم بعد ظهوره بجمع الشيعة في مكانٍ واحد و هو الكوفة».

الجواب

نكتفي أوّلاً بأن نشير إلى بعض الروايات المنقولة من طرق الشيعة والسنّة بهذا الصدد:

أوّلاً: الروايات السنّية

١ ـ جاء في كتاب «عقدالدرر» عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«يخرج ناس من المشرق فيوطؤون للمهدي»[١].

في هذه الرواية إشارة إلى مجموعة من الناس و حسب.

٢ ـ و جاء في نفس المصدر عن الإمام الباقر عليه السلام:

«تنزل الرايات السود التي تقبل من خراسان الكوفة، فإذا ظهر المهدي بمكّة بعث بالبيعة إلى المهدي»[٢].

٣ ـ و جاء أيضاً عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«تجيء الرايات السود من قبل المشرق كأنّ قلوبهم زُبُر الحديد...»[٣].

٤ ـ و نُقل عن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«ثمّ يسير و من معه من المسلمين لا يمرّون على حصن من بلد الروم إلّا قالوا عليه، لا إله إلّا اللّه فتتساقط حيطانه... ثمّ

١ـ عقدالدرر، ص ١٩٢، ح ١٩١؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٨٧.
٢ـ المصدر السابق، ص ١٩٧، ح ٢٠٢. ٣ـ المصدر السابق، ح ٢٠٣.

يسير إلى رومية فإذا نزل عليها كبّر المسلمون ثلث تكبيرات...»[١].

٥ ـ و في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام:

«فيفتح اللّه تعالى للمهدي أرض الحجاز و يستخرج من كان في السجن من بني‌هاشم و تنزل الرايات السود الكوفة... و يبعث المهدي جنوده في الآفاق... و تستقيم له البلدان و يفتح اللّه على يديه القسطنطنية»[٢].

٦ ـ رواية أم سلمة عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم حول المهدي عليه السلام:

«... فيجتمع الناس إليه كالطير الواردة المتفرّقة حتّى يجتمع إليه ثلاثمئة و أربعة عشر رجلاً فيهم نسوة فيظهر على كلّ جبّار و ابن جبّار...»[٣].

٧ ـ رواية أبي سعيد الخدري عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«يأوي إلى المهدي أُمّته كما تأوي النحل إلى يعسوبها يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً حتّى يكون الناس على مثل أمرهم الأوّل...»[٤].

٨ ـ عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«يرضى بخلافته أهل السماء و أهل الأرض و الطير في الجو...»[٥].

١ـ المصدر السابق، ص ٢٠٨، ح ٢٢٠. ٢ـ المصدر السابق، ص ٢١٧، ح ٢٣٣.
٣ـ مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٣١٥. ٤ـ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢٣٧.
٥ـ الصواعق المحرقة، ص ١٦٤؛ كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤٨١؛ إثبات الهداة، ج ٣، ص ٦٤٢، ح ١٥.

٩ـ رواية حذيفة عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«... فإذا أراد اللّه أن يعيد الإسلام عزيزاً قصّم كلّ جبّار عنيد و هو القادر على ما يشاء أن يصلح أمّة بعد فسادها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا حذيفة! لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه و يظهر الإسلام...»[١].

١٠ـ و جاء في رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«إذا قام قائم آل‌محمّد جمع اللّه له أهل المشرق و أهل المغرب...»[٢].

١١ـ عن الإمام الباقر عليه السلام:

«يظهر المهدي يوم عاشورا... و تصيّر اللّه شيعته إليه من أطراف الأرض تطوي لهم طيّاً حتّى يبايعوه»[٣].

١٢ـ رواية أبي سعيد الخدري عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«ينزل بأمّتي في آخر الزمان بلاءٌ شديد ... لا يجد المؤمن ملجأً يلتجأ إليه من الظلم، فيبعث اللّه ـ عزّوجلّ ـ رجلاً من عترتي... يرضى عنه ساكن السماء و ساكن الأرض...»[٤].

١ـ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢٢١ و راجع: ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩١.

٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٦٤، نقلاً عن جواهر العقدين، ج ٢، ص ٢٢٨.

٣ـ عقدالدرر، ص ١٣٤، ح ١٢٥.

٤ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٤٦٥. و كتب أخرى لأهل السنّة. راجع: منتخب‌الأثر، ج ٣، ص ١٣٩، ح ١١٣٠.

ثانياً: الروايات الشيعية

١ـ عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«... و يخرج الناس خراجهم على رقابهم إلى المهدي»[١].

٢ـ رواية علي بن عاصم عن الإمام الباقر عليه السلام:

«.. يرضى بها كلّ مؤمنٍ ممّن قد أخذ اللّه ميثاقه في الولاية... يخرج من تهامة...»[٢].

٣ـ رواية الحسن بن ثوير عن أبيه عن الإمام السجّاد عليه السلام:

«إذا قام قائمنا أذهب اللّه عزّوجلّ عن شيعتنا العاهة، و جعل قلوبهم كزبر الحديد، و جعل قوّة الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً، و يكونون حكّام الأرض و سنامها»[٣].

٤ـ رواية سعد عن الإمام الباقر عليه السلام:

«... فإذا وقع أمرنا و جاء مهدينا كان الرجل من شيعتنا أجرى من الليث و أمضى من السنان، يطأ عدوّنا برجليه و يضربه بكفّيه، و ذلك عند نزول رحمة اللّه و فرجه على العباد»[٤].

و تعبير «أجرى من الليث و أمضى من السنان» إشارة إلى قوّة الإيمان

١ـ المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة، ص ٨٣؛ تفسير العيّاشي، ج ٢، ص ٦١؛ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٤٥.

٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٠، ح ٤.

٣ـ المصدر السابق، ص ٣١٧، ح ١٢.

٤ـ المصدر السابق، ص ٣١٨، ح ١٧، و قريب منه في ص ٣٣٦، ح ٧٠ و ص ٣٧٢، ح ١٦٤.

و استعداد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام للتضحية و الفداء، و عدم الخوف من العدو.

٥ـ رواية أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام :

«كأنّي بالقائم على نجف الكوفة... لا يبقى أهل بلاد إلّا و هم يرون أنّه معهم... فإذا هزّها لم يبق مؤمن إلّا صار قلبه كزبر الحديد...»[١].

و عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً:

«كأنّي بأصحاب القائم و قد أحاطوا بما بين الخافقين...»[٢].

٦ـ رواية جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام :

«... فيهم النجباء من أهل مصر و الأبدال من أهل الشام والأخيار من أهل العراق...»[٣].

٧ـ رواية أبي ربيعة الشامي عن الإمام الصادق عليه السلام :

«إنّ قائمنا إذا قام مدّ اللّه لشيعتنا في أسماعهم و أبصارهم حتّى [لا] يكون بينهم و بين القائم بريد، يكلّمهم فيسمعون و ينظرون إليه و هو في مكانه»[٤].

البريد اثنى عشر ميلاً، و الميل حوالي كيلومترين، و ربما هذا كناية عن وسائل الاتّصال الجمعي المتطوّرة للبشر في المستقبل.

١ـ المصدر السابق، ص ٣٢٨، ح ٤٨.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٢٧، ح ٤٣.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٣٤، ح ٦٤.
٤ـ المصدر السابق، ص ٣٣٦، ح ٧٢.

تجميع الروايات

كانت هذه نماذج لروايات سنّية و شيعية أشارت إلى أصحاب المهدي عليه السلام. و جاء فيها تعابير مثل «الناس»، «الأُمّة»، «الرايات السود»، «المسلمين»، «أهل الأرض»، «أهل المشرق و المغرب»، «أطراف الأرض»، «المؤمن»، «شيعتنا»، «أهل البلاد»، «أصحاب القائم»، «نجباء مصر»، «أبدال الشام»، و «أخيار العراق»... و المقصود من كلّ هذه التعابير أفراد بالخصوص عُرفوا بالإخلاص و الطهر، تستوعب أذهانهم رسالة المهدي عليه السلام، على أهبّة الاستعداد و التحضير لتنفيذ الأهداف الإلهية التي سيظهر لتطبيقها عليه السلام، كتحكيم العدالة على ربوع الأرض و إزالة الظلم و الجور.

و المقصود من لفظة «الشيعة» التي وردت في بعض تلك الروايات خصوص الأتباع الحقيقيين للمهدي عليه السلام، المستعدّين لتنفيذ تعاليمه و أوامره، سواء كانوا في ضمن أولئك الشيعة المصطلح عليهم قبل الظهور أو لا.

و إذا ما وجدت في المصادر الحالية لليهود تعبيرات مماثلة، فهي نبوءات منقولة من كتب الزبور و العهدين، تختصّ بنبيّنا الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و خلفائه، و أيضاً تختصّ بظهور المهدي آخر الزمان سنشير إليها في ختام الفصل، ولكنّ المبشّرين اليهود الذين لم يسعهم إنكارها قاموا بتطبيقها على غير المهدي الموعود عليه السلام، بعلم أو بغير علم. فمن وجهة نظر هؤلاء ـ الذين لا يعتقدون ببعثة و رسالة المسيح عيسى عليه السلام و كذلك بعثة و رسالة نبيّنا

محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ مصداق هذه النبوءات المسيح الذي سيظهر فيما بعد ليعزّ الدين اليهودي و ينشره بين جميع البشر، فلا يبقى واحد لا يؤمن به.

المشابهة الثانية: إحياء الموتى و تشكيل الجيوش منهم

حيث يقول:

مسيح اليهود المزعوم بناءً على أوهامهم يُحيي الموتى من قبورهم و يضمّهم في صفوف جيشه. و إمام الزمان المزعوم أيضاً يحيي موتى الشيعة و يلحقهم بجيشه.

الجواب

يحتمل أنّ منشأ هذا الادّعاء رواية المفضل بن عمر، حيث يقول:

ذكرنا القائم عليه السلام و من مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبدالله عليه السلام:

«إذا قام أُتي المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا! إنّه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق، و إن تشأ أن تقيم في كرامة ربّك فأقم»[1].

و كذلك بعض العبارات في الزيارة الجامعة، و زيارة وداع الأئمّة عليهم السلام، مثل:

«و جعلني ممّن يقتصّ آثاركم... و يملّك في دولتكم، و يُشرّف في عافيتكم، و يُمكّن في أيّامكم... و مكّنني في دولتكم و أحياني في رجعتكم...»[2].

١ـ المصدر السابق، ج ٥٣، ص ٩١، ح ٩٨. ٢ـ المصدر السابق، ح ٩٩.

لابدّ هنا من بعض الملاحظات المهمّة:

١ـ إحياء الموتى ليس أمراً محالاً على اللّه تعالى، فمتى ما شاءت إرادته و حكمته ذلك حصل و تحقّق، و كلّما ورد دليل قطعي من الشرع لا يسعنا سوى الإذعان و التسليم.

٢ـ إحياء أصحاب الكهف في زمان المهدي عليه السلام و تسليمهم عليه ثمّ عودتهم مجدّداً إلى قبورهم، ذكره الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، و هو من كبار علماء السنّة[1].

و كذا رواية «أصحاب الكهف، أعوان المهدى» المنقولة عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير «الدرّ المنثور»[2]. فإذا كان إحياء أصحاب الكهف أمراً ممكناً فلماذا يُستبعد عن بعض الأفراد الصلحاء المؤمنين من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في زمان الظهور؟

و تشابه هذا مع ادّعاء اليهود لا يعدّ دليلاً على أنّ منشأ اعتقاد الشيعة مصادر يهودية.

بل كما قلنا إنّ تلك النبوءات كانت موجوده في كتب العهدين و لكنّها حُرّفت فيما بعد، أو طبّقت عن عمد و عناد على المسيح المزعوم لليهودية.

٣ـ روايات نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام و صلاته خلف الإمام المهدي عليه السلام، إضافة إلى كتب الشيعة فقد نقلتها كتب السنّة المعتبرة على شكل

١ـ عقدالدرر، ص ٢١٣، ح ٢٢٤. ٢ـ الدرّ المنثور، ج ٤، ص ٢١٥.

التواتر، أمثال: «كتاب الفتن»[١]، «ينابيع المودّة»[٢]، «الدرّ المنثور»[٣]، «الحاوي للفتاوى»[٤]، «فيض القدير»[٥]، «مسند أحمد»[٦]، «المستدرك»[٧]، «سنن ابن ماجة»[٨]، «كنز العمّال»[٩]، «فتح الباري»[١٠]، و عشرات الكتب الأُخرى.

ينقل البخاري عن أبي هريرة أنّه سمع رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم و إمامكم منكم»[١١].

و بنفس المضمون منقول في كتاب «المصابيح» عن «صحيح مسلم» و «البخاري» و أيضاً عن السيوطي في «الجامع الصغير» حرف الكاف[١٢].[١٣]

و الآن نتسائل عن رأي الكاتب في هذا الموضوع و نقول له إمّا أن تقول بموت عيسى و أنّ اللّه تعالى سيحييه حين يظهر المهدي الموعود ليصلّي خلفه و يقتدي به، و تحمل كلمة «النزول» المذكورة في تلك الروايات المعتبرة الآنفة على هذا المعنى، في هذه الحالة تكون قد قبلت بإمكان إحياء بعض الموتى في زمان ظهور المهدي.

١ـ كتاب الفتن، ج ٥، ص ٢٠٠.
٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٩٥ و ٢٩٩.
٣ـ الدرّ المنثور، ج ٢، ص ٢٤٣.
٤ـ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢٢٢ و ٢٢٣.
٥ـ فيض القدير، ج ٥، ص ٣٨٣، ح ٧٣٨٤.
٦ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٢١٧.
٧ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٤٧٨.
٨ـ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٦١.
٩ـ كنز العمّال، ج ١٤، ص ٥٨١.
١٠ـ فتح الباري، ج ٦، ص ٣٥٨.
١١ـ صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٣.
١٢ـ مصابيح السنّة، ج ٢، ص ٣٨٠؛ من هو المهدي، ص ٩٩ نقلاً عن صحيح مسلم.
١٣ـ راجع: منتخب الأثر، ج ١ ـ ٣، الأحاديث ١٥٣، ٤٤٠، ٧٥٧، ٧٦٢، ٧٦٣ و ١١٩٢.

و إمّا أن تقول طبق ما جاء في ظاهر الروايات المذكوره بأنّ عيسى حيّ لم يمت، و هو ما دلّت عليه أغلب الروايات الشيعية أيضاً. فإذا كان كذلك فلماذا تستبعد بقاء حياة المهدي عليه السلام إلى هذا اليوم؟

أضف إلى هذا فإنّ إحياء الموتى في الروايات الشيعية لا ينحصر بأموات الشيعة فقط، بل تشمل آخرين من أُمم أُخرى سبقت الإسلام، من هذه الروايات:

١ ـ ينقل المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام:

«يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبع و عشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام،... و سبعة من أهل الكهف، و يوشع بن نون، و سلمان، و أبو دجانة الأنصاري، و مقداد، و مالك‌الأشتر...»[١].

و في رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «... **و مؤمن آل‌فرعون**»[٢].

٢ ـ جاء في الخطبة المنسوبة إلى الإمام علي عليه السلام:

«... و عدّة أصحابه ثلاثمئة و ثلاثة عشر، منهم تسعة من بني‌إسرائيل، و سبعون من الجنّ...»[٣].

المشابهة الثالثة: تعذيب جثث أعداء اليهود و الشيعة

التشابه الآخر الذي يدّعيه الكاتب في قوله:

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٣، ص ٩٠، ح ٩٥.
٢ـ المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٣٤٦، ح ٩٢.
٣ـ المصدر السابق، ج ٥٣، ص ٨٦، ح ٨٦.

إنّ مسيح اليهود المزعوم يقوم بعد ظهورة بإخراج جثث المذنبين من قبورهم لكي يشهد اليهود تعذيبهم، إمام الزمان المزعوم أيضاً بناءً على زعم مفتعليه يُخرج جثث أصحاب رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من قبورهم ليعذّبهم.

الجواب

و هذا الادّعاء كان قد طرحه الكاتب في الاختلاف الخامس، حيث أثبتنا بطلانه و عدم صحّته.

المشابهة الرابعة: محاكمة أعداء اليهود و الشيعة و الأقتصاص منهم

و جاء في كرّاسته المذكورة تشبيه آخر و هو:

أنّ المسيح المزعوم يحاكم ظلمة اليهود و يقتصّ منهم، كذلك يفعل إمام زمان الشيعة المزعوم حيث يقتص من ظلمة شيعتة.

الجواب

قد توضّح لنا سابقاً في موضوع الاختلاف الرابع بطلان هذا الادّعاء؛ فلا يوجد في أي كتاب شيعي من يدعي أو يقول إنّ إمام الزمان عليه السلام يحاكم أعداء الشيعه و يقتصّ منهم، بل الموجود في الروايات الشيعية و التي ذكرنا بعضها هو الانتقام من أعداء اللّه و الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمّة عليهم السلام و هم الطغاة و الظلمة.

المشابهة الخامسة: قتل ثلثي البشر

و خامس هذه التشابهات المزعومه هو قوله:

إنّ المسيح المزعوم يقتل ثلثي البشر، و إمام زمان علماء الإمامية المزعوم أيضاً يقتل ثلثي البشر.

الجواب

مستند هذا التشابه بعض الروايات الشيعية و السنّية الضعيفة نذكر منها:

الروايات الشيعية، سندها و متنها

١ـ رواية أبي حمزة الثمالي المنسوبة إلى الإمام الباقر عليه السلام، جاء فيها:

«... **ليس شأنه إلّا القتل، و لا يستتيب أحداً...**»[١].

و في سندها ـإضافة إلى أحمد بن محمّد بن سعيد و هو زيدي جارودي ـ الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، حيث نقل الكشي عن محمّد بن مسعود أنّه سمع علي بن الحسن بن فضال قال عنه إنّه «كذّاب و ملعون»، ولعنه آخرون و طردوه[٢]. و في السند أيضاً يوسف بن كليب و هو مجهول. وعليه لايُعتمد على هذه الرواية.

٢ـ رواية زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام:

١ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٥، الباب ١٣، ح ٢٢.

٢ـ منتهى المقال، ج ٢، ص ٤٠٨.

قلت له: أيسير بسيرة محمّدﷺ قال: «**هيهات هيهات يا زرارة، ما يسير بسيرته**». قلت: جُعلت فداك لم؟ قال: «**إنّ رسول‌اللّهﷺ سار في أُمّته باللين، كان يتألّف الناس، والقائمعليه السلام يسير بالقتل، بذلك أُمر في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل و لا يستتيب أحداً...**»[١].

و جاءت هذه الرواية في «عقدالدرر»[٢] أيضاً بتفاوت يسير، و لكن في الهامش ذُكر أنّها مرسلة.

و ضعف سندها بسبب محمّد بن علي الكوفي المعروف بأبي سمينة، يقول عنه صاحب «جامع الرواة»:

ضعيف جدّاً، فاسد الاعتقاد، لا يعتمد في شيء. و قال نجاشي: و كان ورد قم و قد اشتهر بالكذب بالكوفة ... ثمّ شهّر بالغلوّ فجفى و أخرجه أحمد بن محمّد بن عيسى عن قم»[٣].

بالإضافة إلى ضعفها من جهة السند فإنّ مضمونها يخالف الكثير من الروايات المنقولة من طرق الشيعة و السنّة، و التي تنصّ على أنّ المهدي يعمل بسيرة رسول‌اللّهﷺ.

٣ـ رواية أبي‌الجارود عن الإمام الباقرعليه السلام:

«**... و يفتح اللّه له شرق الأرض و غربها، و يقتل الناس حتّى**

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٣، ح ١٠٩. ٢ـ عقد الدرر، ص ٢٨٦، ح ٣٤١.
٣ـ جامع الرواة، ج ٢، ص ١٥٠.

لا يبقى إلّا دين محمّدﷺ...»[١].

يقول الكشّي عن أبي‌الجارود و اسمه زياد بن منذر:

مذموم لا شبهة في ذمّه، و سمّي سرحوباً باسم الشيطان...[٢].

أضف إلى ذلك فإنّ مضمون الرواية يخالف السيرة القطعية للنبيﷺ المعروفة باللين و الرحمة و الدعوة بالّتي هي أحسن، فلم يُعرف عنهﷺ أنّه دعى صاحب دين أومذهب إلى اعتناق الإسلام بالقوّة و العنف استناداً إلى قوله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ**﴾.

و أيضاً هي تعارض رواية جابر عن الإمام الباقرعليه السلام:

«**... و يحكم بين أهل التوراة بالتوراة، و بين أهل الإنجيل بالإنجيل، و بين أهل الزبور بالزبور، و بين أهل القرآن بالقرآن...**»[٣].

حيث يُفهم من هذه الرواية حرية جميع الأديان السماوية في ممارسة شعائرها و طقوسها في زمان حكومة المهديعليه السلام.

٤ـ رواية يحيى بن علاء الرازي عن الإمام الصادقعليه السلام:

«**... و يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت ظلماً و جوراً، و يقتل حتّى يقول الجاهل: لو كان هذا من ذرّية محمّدﷺ لرحم**»[٤].

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٢٩١، ح ٣٤، الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٤٧٤.
٢ـ رجال الكشّي، ص ٢٢٩؛ منتهى المقال، ج ٧، ص ١٢٨.
٣ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٧، ح ٢٦. ٤ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ١٨٨، ح ١٤٩.

في سندها علي بن فضل و أحمد بن عثمان و أحمد بن رزاق، و كلّهم مجهولون.

إضافة إلى مخالفة مضمونها مع مضمون الروايات السابقة الدالّة على أنّ المهدي يتبع سنّة جدّه رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ـ رواية محمّد بن علي الكوفي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«لو يعلم الناس مايصنع القائم إذا خرج لأحبّ أكثرهم أن لا يروه؛ ممّا يقتل من الناس، أما إنّه لا يبدأ إلّا بقريش، فلايأخذ منها إلّا السيف و لا يعطيها إلّا السيف، حتّى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل‌محمّد؛ لو كان من آل محمّد لرحم»[١].

هذه الرواية منقولة في «عقدالدرر» عن طريق محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر، ذكر في هامشها: «هذه الرواية لم ينقلها أحد»[٢].

و أيضاً في سندها محمّد بن علي الكوفي و كما قلنا فإنّه ضعيف و فاسد العقيدة.

٦ـ رواية أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام:

«يقوم القائم بأمرٍ جديد و كتاب جديد و قضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلّا السيف، لا يستتيب أحداً...»[٣].

٧ـ رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام:

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٤، ح ١١٣. ٢ـ عقدالدرر، ص ٢٨٧، ح ٣٤٦.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٤، ح ١١٤.

«ما تستعجلون بخروج القائم! فواللّه... ما هو إلّا السيف و الموت تحت ظلّ السيف»[١].

و في «عقدالدرر» نُقلت هذهِ الرواية مرسلة عن الإمام الحسين عليه السلام، و جاء في الهامش: «لم ينقلها أحد»[٢].

و في سند هاتين الروايتين (٦ و ٧) «محمّد بن علي الكوفي» حيث عُلم حاله. و كذا في سند الرواية السابعة «البطائني»، و حسب الظاهر هو «علي بن أبي حمزة البطائني» من كبار الواقفية. و المذكور في رواية أُخرى قريبة من هذا المضمون باسم ابن البطائني فقط[٣].

٨ـ رواية البطائني المرسلة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام القائم عليه السلام نزلت سيوف القتال، على كلّ سيف اسم الرجل و اسم أبيه»[٤].

إضافة إلى وجود البطائني ـ و هو من عمد الواقفة ـ في سندها، فهي مرسلة.

٩ـ رواية أبي خديجة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ عليّاً قال: كان لي أن أقتل المولّي و أجهز على الجريح، و لكن تركت ذلك للعاقبة من أصحابي إن جُرحوا لم يُقتلوا، و القائم له أن يقتل المولّي و يجهز على الجريح»[٥].

١ـ المصدر السابق، ح ١١٥. ٢ـ عقدالدرر، ص ٢٨٧، ح ٣٤٧.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٥، ح ١١٦. ٤ـ المصدر السابق، ص ٣٥٦، ح ١٢١.
٥ـ المصدر السابق، ص ٣٥٣، ح ١١٠.

و في سند هذه الرواية أيضاً محمّد بن علي الكوفي حيث عُلم حاله، إضافة إلى أنّ مضمون الرواية لا ينسجم مع ما عُرف من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠ـ رواية الحسن بن هارون، قال:

كنت عند أبي عبدالله عليه السلام جالساً فسأله المعلّى بن خنيس: أيسير القائم عليه السلام إذا سار بخلاف سيرة علي عليه السلام؟ فقال: **«نعم، و ذاك أنّ عليّاً سار بالمنّ و الكفّ؛ لأنّه علم أنّ شيعته سيظهر عليهم من بعده، و أنّ القائم إذا قام سار فيهم بالسيف و السبي و ذلك أنّه يعلم أنّ شيعته لم يظهر عليهم من بعده أبداً»**[١].

في سند الرواية محمّد بن خالد و الحسن بن هارون، و هما لم يوثّقا، إضافة إلى مخالفة مضمونها مع ما عُرف من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١١ـ رواية بشير النبّال عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام حول المرجئة:

«... يذبحهم و الذي نفسي بيده كما يذبح القصّاب شاته ـ و أومأ بيده إلى حلقه ـ ... والذي نفسي بيده حتّى نمسح و أنتم العِرق و العَلَق...»[٢].

«العرق» إشارة إلى جريان الدم. و «العَلَق» الدم الغليظ.

و «مسح العرق و العلق» كناية عن ملاقاة الشدائد التي توجب سيلان العرق و الجراحات المسيلة للدم.

١ـ المصدر السابق، ح ١١١.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٥٧، ح ١٢٢.

في سند الرواية «علي بن حسن التيملي» و هو مجهول، و كذا «موسى بن بكر» و «بشير النبّال» حيث لم يوثّقا. قال العلّامة الحلّي في «خلاصته» بشأن بشير: «فأنا في روايته متوقّف»[١].

١٢ـ رواية أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام:

«... يقوم بأمرٍ جديد و كتابٍ جديد و سنّةٍ جديدة و قضاءٍ (جديد) على العرب شديد، و ليس شأنه إلّا القتل، لا يستبقي أحداً...»[٢].

في سند الرواية ابن البطائني، و حسب الظاهر هو علي بن أبي حمزة البطائني من عمد الواقفة و ضعّفه أصحاب الرجال جميعاً. إضافة إلى مخالفة المتن مع ما عُرف من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

رواية أُخرى في سندها ابن البطائني أيضاً بمضمون قريب من هذه، منقولة بواسطة ابن حميد، عن الثمالي، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام، و لكن ليس فيها «و لا يستبقي أحداً»، و بدل «لا يستتيب أحداً» «لا يستنيب أحداً»[٣].

١٣ـ رواية أبي الجارود عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام: في ذكر قتل المهدي لفرقة البُترية[٤] في الكوفة، قال:

١ـ جامع الرواة، ج ١، ص ١٢٤.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣١، ح ٩٦.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٤٩، ح ٩٩.
٤ـ البُترية ـ بالضمّ ـ: من طوائف الزيدية تنسب إلى كثير النوّاء كان يلقّب بالأبتر (أديان و مذاهب جهان، ج ١، ص ٣٠٠).

«... فيضع فيهم السيف... و يهدم قصورها و يقتل مقاتليها حتّى يرضى اللّه عزّ و علا»[١].

و أبو الجارود هذا هو الشخص الذي سُمّي «بالسرحوب» على لسان الإمام الباقر عليه السلام، و «السرحوب» هو اسم شيطان أعمى يسكن البحر، و أيضاً نقل الكشّي روايات في بعضها وصفه بالكذّاب و الكافر[٢].[٣]

١٤ـ رواية أبي الصلت الهروي عن الإمام الرضا عليه السلام حيث سأله:

يابن رسول اللّه، ماتقول في حديثٍ روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: **«إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها»؟ فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلت: و قول اللّه عزّوجلّ: ﴿وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾**[٤] **ما معناه؟ قال: «صدق اللّه في جميع أقواله، و لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم و يفتخرون بها، و من رضي شيئاً كان كمن آتاه،**

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨، ح ٨١. ٢ـ جامع الرواة، ج ١، ص ٣٣٩.

٣ـ وليعلم أنّ صاحب معجم الرجال قد فنّد بالتفصيل في مجلّد ٧، الصفحة ٣٢١ و ما بعدها مستند ما قاله النجاشي و الشيخ و ابن الغضائري و الكشّي و غيرهم من وجوه الضعف لأبي الجارود، و قد أثبت في نهاية الأمر وثاقته استناداً إلى شهادة ابن قولويه صاحب كتاب كامل الزيارات حيث شهد بوثاقة رواة كتابه و منهم أبو الجارود. و أيضاً استناداً إلى شهادة الشيخ المفيد و علي بن إبراهيم في تفسيره بوثاقته.

و لكنّه مع هذه الشهادات لا يمكن الاعتقاد بروايته أبي الجارود، إذ المورد من موارد التعارض بين المدح و الذّم و بالطبع لا يحصل الوثوق اللازم في اعتبار الخبر و حجّيته. و لو سلّم فلا ريب في أنّ خبر أبي الجارود خبر واحد و هو ليس بمعتبر في غير الأحكام الفقهية.

٤ـ فاطر (٣٥): ١٨.

و لو أنّ رجلاً قُتل بالمشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند اللّه عزّوجلّ شريك القاتل، و إنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم ...»[١].

أوّلاً: سند هذا الحديث منقطع و غير معروف؛ و ذلك لأنّ الهمداني ينقله عن علي عن أبيه و هو عن الهروي، و يجب أن تضمّ الرواية أربعة رواة حتّى تصل إلى الإمام، و لا شكّ بوجود أفراد آخرين بالسند و لكن لا يُعلم منهم.

ثانياً: مضمون الرواية ينافي محكمات القرآن و الفقه الإسلامي و العقل؛ فليس من حكم الشرع أو العقل أنّه يُقتل الراضي بالقتل الذي لم يكن لرضاه أيّة تأثير في القتل، نعم الرضا بالقتل أو سائر الذنوب الكبيرة يحكي عن نوع من خبث السريرة و الابتعاد عن اللّه تعالى.

١٥ـ رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام حول قوله تعالى: **﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾**[٢]، فقال:

«واللّه ما نزل تأويلها بعد... فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافر باللّه العظيم و لا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه حتّى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني و اقتله»[٣].

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٣، ح ٦. ٢ـ الصّف (٦١): ٩.

٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٤، ح ٣٦.

و في سند هذه الرواية علي بن أبي حمزة البطائني من عمد الواقفية، و قد مضى ترجمته و علم حاله.

١٦ـ رواية أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام :

«دمان في الإسلام حلال من اللّه لا يقضي فيهما أحد حتّى يبعث اللّه قائمنا أهل البيت، فإذا بعث اللّه عزّ وجلّ قائمنا أهل‌البيت حكم فيهما بحكم اللّه لا يريد عليهما بيّنة: الزاني المحصن يرجمه، و مانع الزكاة يضرب عنقه»[١].

بالإضافة إلى اضطراب و عدم وضوح متن هذه الرواية، فإنّ في سندها ابن شمّون الذي قيل عنه: بأنّه ضعيفٌ جدّاً و غال[٢]، و الآخر عبداللّه بن عبدالرحمن الأصمّ، و هو بالإضافه إلى تضعيفه و رميه بالغلوّ قيل بحقّه: «ليس بشيء، و كان من كذّاب أهل البصرة»[٣].

والقريب من هذه الرواية ذكرها صاحب «البحار» عن أبان بن تغلب نقلاً عن «كمال الدين»، و في سندها ابن يزيد و هو مجهول، و كذلك أبان بن عثمان و هو ناووسي المذهب، بعضهم مدحه و بعضهم ذمّه و طرده[٤]. و حسب ما قيل: إنّ الذمّ و الطرد مقدّم على المدح.

رواية أُخرى عن طريق علي بن أبي حمزة البطائني عن الإمام الصادق عليه السلام و أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام جاءت قريبة من هذا المضمون، و فيها:

١ـ الكافي، ج ٣، ص ٥٠٣، ح ٥.
٢ـ جامع الرواة، ج ٢، ص ٩٢.
٣ـ المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٤.
٤ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٥، ح ٣٩.

«لو قد قام القائم لحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله: يقتل الشيخ الزاني، و يقتل مانع الزكاة، و يورث الأخ أخاه في الأظلّة»[١]. يعني قبل أن يُخلق في هذا العالم.

و قد عُلم حال علي بن أبي حمزة البطائني فلا حاجة للتكرار.

١٧ـ رواية القاسم بن عبيد عن الإمام الصادق عليه السلام :

«... فإذا قام القائم عرضوا كلّ ناصب عليه فإن أقرّ بالإسلام و هي الولاية، و إلّا ضربت عنقه، أو أقرّ بالجزية فأدّاها كما يؤدّي أهل الذمّة»[٢].

راوي هذا الحديث قاسم بن عبيد لم يوثّق، إضافة إلى كون الرواية مرسلة، فالراوي بحذفه الواسطة ـأى لايُعلم من هو ـ نسب الرواية إلى الإمام الصادق عليه السلام.

١٨ـ رواية المرحوم المجلسي عن كتاب «الغيبة» للسيّد علي بن عبدالحميد بدون ذكر الواسطة، من كتاب فضل بن شاذان بدون ذكر الواسطة عن عبداللّه بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام :

«يقتل القائم حتّى يبلغ السوق، قال: فيقول له رجل من ولد أبيه: إنّك لتجفل الناس إجفال النعم، فبعهدٍ من رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أو بماذا؟ قال: ... فعند ذلك يخرج القائم عليه السلام عهداً من رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

١ـ المصدر السابق، ص ٣٠٩، ح ٢.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٧٣، ح ١٦٧.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٨٧، ح ٢٠٣.

ما يختصّ بسند الرواية نقول: لا توجد معلومة لا عن سند سيّد علي إلى كتاب الفضل بن شاذان، و لا عن سند الفضل بن شاذان إلى عبداللّه بن سنان.

١٩ـ رواية المرحوم المجلسي عن الكتاب الآنف الذكر بدون ذكر السند، عن الكابلي، عن الإمام السجّاد عليه السلام:

«يقتل القائم عليه السلام من أهل المدينة حتّى ينتهي إلى الأجفر...»[١].

لا توجد معلومات عن رواة الحديث إلى حدّ الكابلي فلا يمكن الاعتماد عليها.

كذا ينقل الكتاب المذكور بدون ذكر السند عن أبي بصير و هو عن الإمام الباقر عليه السلام ضمن خبر طويل جاء فيه:

«... و ينهزم قوم كثير من بني أُمية حتّى يلحقوا بأرض الروم... فيبعث إليهم القائم عليه السلام أن اخرجوا هؤلاء... فإذا قرأ عليهم الكتاب و رأوا هذا الشرط لازماً لهم أخرجوهم إليه، فيقتل الرجال و يبقر الحبالى...»[٢].

ينقل المرحوم المجلسي عن الكتاب الآنف بدون ذكر السند، عن عبداللّه بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا خرج القائم لم يكن بينه و بين العرب و الفرس إلّا السيف، لا يأخذها إلّا بالسيف، و لا يعطيها إلّا به»[٣].

١ـ المصدر السابق، ح ٢٠٤ و الأجفر كما يقول الفيروز آبادي: هو موضع بين الخريمية و فيد.
نفس المصدر في الهامش. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣٨٨، ح ٢٠٦.
٣ـ المصدر السابق، ح ٢١٠.

الروايتان الأخيرتان إضافة إلى ضعف سندهما يوجد في متنهما اضطراب واضح؛ إذ شقّ بطون الحبالى في كلّ حال غير جائز، و تحكيم السيف يعني تحكيم القوّة و القدرة، خلاف المبادئ التي جاء بها الدين و أقرّتها السيرة النبوية.

ينقل المرحوم المجلسي من الكتاب الآنف الذكر بدون ذكر السند أحاديث أُخرى عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام لا حاجة إلى ذكرها؛ فممّا نقل يتوضّح سائر ما لم يُنقل.

٢٠ـ رواية ابن الحجّاج المرسلة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام القائم أتى رحبة الكوفة فقال برجله (أي أشار) هكذا و أومأ بيده إلى موضع ثمّ قال: احفروا هاهنا، فيحفرون فيستخرجون اثني عشر ألف درع و اثني عشر ألف سيف و اثني عشر ألف بيضة... ثمّ يدعو اثني عشر ألف رجل من الموالي (من العرب) و العجم فيلبسهم ذلك ثمّ يقول: من لم يكن عليه مثل ما عليكم فاقتلوه»[١].

إضافة إلى اضطراب المتن و عدم وضوحه فإنّ في سند هذه الرواية ضعف من جهتين، أوّلاً: رواة الحديث الثلاثة أبو القاسم الشعراني و ابن ظبيان و ابن الحجّاج، مجهولون، و لا يوجد لهم ذكر و اسم في كتب الرجال. و ثانياً أنّ أباالقاسم ينقل الرواية بدون ذكره الطريق عن ابن ظبيان و هذا ما يصطلع عليه في هذا العلم بأنّه حديث منقطع أو مرفوع.

١ـ المصدر السابق، ص ٣٧٧، ح ١٧٩.

٢١ـ رواية بُشر بن غالب الأسدي عن الإمام الحسين عليه السلام :

«يا بُشر، ما بقاء قريش إذا قدّم القائم المهدي منهم خمسمئة رجل فضرب أعناقهم صبراً، ثمّ قدّم خمسمئة فضرب أعناقهم (صبراً)، ثمّ قدّم خمسمئة فضرب أعناقهم صبراً ؟». قال فقلت له: أصلحك اللّه أيبلغون ذلك؟ فقال الحسين بن علي: **«إنّ مولى القوم منهم ...»**[١].

«بشر بن غالب» هذا لم يوثّق في كتب الرجال[٢]. و «قاسم بن محمّد بن الحسين» المذكور في أوّل السند مجهول.

و لا ينطبق مضمون الرواية مع المحكمات الشرعية و العقلية، خصوصاً فقرة القتل «صبراً»، أي في حال شدّ وثاقه و اتّخاذه وضعية الأسير. و قريب من هذا المضمون رواية عبداللّه بن المغيرة عن الإمام الصادق عليه السلام[٣]. و «عبداللّه بن المغيرة» و إن كان قد وثّق كثيراً في كتب الرجال، و لكن الرواية الآنفة التي في «الإرشاد» ـ بناءً على نقل «بحارالأنوار» ـ مذكورة على شكل مرسلة، يعني بحذف السند نقل عنه. و اكتفت بذكر اسم قريش بدون الإشارة إلى سبب قتلهم و هو العداوة للّه و رسوله أو الأئمّة أو كفرهم و شركهم. من هنا و بالأخذ بعين الاعتبار سائر الجوانب الأُخرى المذكورة في الرواية فإنّ متنها مضطرب و ساقط عن الاعتبار.

٢٢ـ رواية عبدالأعلى الحلبي الطويلة، عن الإمام الباقر عليه السلام، جاء فيها:

١ـ المصدر السابق، ص ٣٤٩، ح ١٠٠. ٢ـ جامع الرواة، ج ١، ص ١٢٣.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٨، ح ٧٩.

«ثمّ ينطلق حتّى ينزل الشقرة، فيبلغه أنّهم قد قتلوا عامله، فيرجع إليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرّة[١] إليها بشيء، ثمّ ينطلق...»[٢].

«عبدالأعلى» و إن كان وثّق، و لكن هذه الرواية قد ذكرت في «تفسير العياشي» مرسلة[٣]، أضف إلى ذلك قياس قتل أهل الشقرة بقتلى الحرّة يخالف سيرة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم. و لذا، على فرض صحّة السند فإنّ اضطراب المتن يوجب الخدشة في صحّة نسبتها إلى الإمام المعصوم.

٢٣ـ رواية ابن بكير عن الإمام الكاظم عليه السلام :

«... إذا خرج (القائم) باليهود و النصارى و الصابئين و الزنادقة و أهل الردّة و الكفّار في شرق الأرض و غربها، فعرض عليهم الإسلام فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة و الزكاة و ما يؤمر به المسلم و يجب للّه عليه، و من لم يسلم ضرب عنقه، حتّى لا يبقى في المشارق و المغارب أحدٌ إلّا وحّد اللّه...»[٤].

١ـ هي كلّ أرض ذات حجارة نخرة سود، و المقصود هنا حرّة المدينة، حيث بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام و بيعة أهل المدينة لعبداللّه بن حنظلة ـ ابن غسيل الملائكة ـ و إخراج عامل يزيد بن معاوية و خلعه من الخلافة، فبعث يزيد مسلم بن عقبة في اثنى عشر ألفاً من أهل الشام، فنزل حرّة و اقم، و خرج إليه أهل المدينة فكسرهم و قتلهم قتلاً ذريعاً. راجع: المصدر السابق، ص ٣٤٣ في الهامش.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٤٢، ح ٩١.
٣ـ تفسير العياشي، ج ٢، ذيل الآية ٣٩ من سورة الأنفال.
٤ـ المصدر السابق، ص ٣٤٠، ح ٩٠.

هذه الرواية منقولة في «تفسير العيّاشي»[١] بدون ذكر السند، نقلها المرحوم المجلسي عن هذا الكتاب بدون نقيصة. و على فرض صحّة السند فإنّ مضمونها مخالف لمفاد هذه الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[٢]، و للسيرة النبوية، إذ لم يُعرف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتل غير المسلمين لعدم قبولهم الإسلام، حتّى بعد تشريع حكم الجهاد و حمل السلاح، فلو لم يكن أهل الكتاب أو سائر الكفّار يتعرّضون للإسلام و المسلمين لم يكن ليحاربهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، نعم إنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يتوانى في تبليغهم و دعوتهم بالمنطق للقبول بالإسلام الحنيف.

و للعلم فإنّه قد جاء في بعض الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنّ على مُشركي مكّة، و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً لأجل حفظ الشيعة من خطر مخالفيهم مَنّ على أهل البصرة، و غضّ الطرف عن قتلهم أو أسرهم. و لكنّ القائم عليه السلام يتعامل معهم بالسيف و التأسير[٣].

و هذه الروايات على فرض صحّة سندها فمن الممكن أنّها ناظرة إلى المعاندين المحاربين للحقّ و العدالة.

روايات أهل السنّة

و توجد في كتب السنّة أيضاً روايات شبيهة بتلك التي ذكرناها، نشير إلى نموذجين منها:

١ـ تفسير العياشي، ج ١، ذيل الآية ٨٣ من سورة آل عمران.
٢ـ البقرة (٢): ٢٥٦.
٣ـ وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٧٦ـ ٧٧، الباب ٢٥، أبواب جهاد العدوّ، الأحاديث ١ و ٣.

١ـ رواية ابن زرير عن الإمام علي عليه السلام:

«... **لا يلقاه عدوّ إلّا هزمهم بإذن اللّه، شعارهم أمت أمت...**»[١]. و قريب منه منقول عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أمارتهم: أمت أمت**»[٢].

٢ـ ذكر الثعلبي في تفسير ﴿**حم عسق**﴾ بإسناده عن بكر بن عبداللّه المزني، قال:

«ح»: حرب قريش و العجم و غلبتهم على العجم، «م»: حكومة بني أُمّية، «ع»: علوّ بني العبّاس، «س»: سناء المهدي، و «ق»: قوّة عيسى حين ينزل فيقتل النصارى و يخرّب البيَع[٣].

في هذه الرواية نسب قتل النصارى إلى عيسى عليه السلام.

تجميع روايات الشيعة و السنّة

مهما كان ماذكر في هذه الروايات من القتل و القتال و لكن لا توجد إشارة ـ بصورة كلّية ـ إلى موضوع قتل ثلثي البشر على يد المهدي عجّل اللّه تعالى فرجه.

و كما كرّرنا مراراً أنّه بالإضافة إلى ضعف سند هذه الروايات، فهي من حيث المتن مخالفة لمحكمات القرآن الكريم و سيرة الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

١ـ كتاب الفتن، ص ٢١٦.
٢ـ المصدر السابق.
٣ـ عقدالدرر، ص ٢١٤، ح ٢٢٦.

و لا يمكن الاستناد إلى مثل هذه الروايات في الفروع، فمن باب أولى في المعارف و المسائل الأُصولية و التي من جملتها مايرتبط بالمهدي عليه السلام.

و طبعاً لم يكن مقصود أرباب الحديث من ذكرهم لها في كتبهم لأجل إثبات المسائل الاعتقادية، أو حتّى إظهار عقائدهم، بل كان مقصودهم في ذلك المقطع الزمني ـ حيث تُلِفت أو أُتلفت الكثير من أحاديث الأئمّة الأطهار عليهم السلام و نوادر كتب تلامذتهم و أصحابهم أو هي في معرض التلف والزوال ـ حفظ كلّ ما كان ينسب إلى الأئمّة الأطهار عليهم السلام و إيصاله إلى يد المحقّقين من الأجيال القادمة حيث ستقع عليهم مسئولية فرض الصحيح منها عن السقيم.

المشابهة السادسة: تغيير أجسام اليهود و الشيعة، و إطالة أعمارهم

حيث يقول:

حين يظهر المسيح المزعوم يحدث تغيير في أجسام اليهود و تصبح مثل أعمارهم طويلة. و كذلك حين يظهر إمام الزمان المزعوم تتغير أجسام الإمامية حتّى تعدل قوّة أحدهم قوّة أربعين رجل، فيطأون الناس بأقدامهم و ضربات أيديهم.

الجواب

مستند الكاتب مع قليل من التحريف رواية الحسن بن ثوير عن الإمام السجّاد عليه السلام، قال:

«إذا قام قائمنا أذهب اللّه عزّوجلّ عن شيعتنا العاهة، و جعل قلوبهم كزُبر الحديد، و جعل قوّة الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً، و يكونون حكّام الأرض و سنامها»[1].

و أيضاً رواية سعد عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام:

«... فإذا وقع أمرنا و جاء مهدينا، كان الرجل من شيعتنا أجرى من ليث و أمضى من السّنان، يطأ عدوّنا برجليه و يضربه بكفّيه...»[2].

و روايات أُخرى قريبة من هذا المضمون[3]. و لا يوجد أيّ إشارة إلى تغيير أجسام الشيعة في كلّ هذه الروايات كما ادّعى المؤلّف، بل أشارت إلى قوّة إرادة و إيمان أصحاب الإمام المهدي (عج)، حيث يكونون كزُبر الحديد مقابل أعداء الأوصياء و خلفاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، و الذين هم ـ في الحقيقة ـ سيكونون أعداء اللّه و الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ثمّ إنّه لم تُطرح في تلك الروايات مسألة انسحاق الناس تحت أيدي و أرجل الشيعة، و إنّما انسحاق أعداء الأئمّة، فليس بخافٍ عن أهل هذا الفن استخدام الكناية و الاستعارة.

المشابهة السابعة: كثرة النعم و الخيرات حين يظهر المسيح المزعوم و إمام الزمان

سابع أوجه الشبه التي ادّعاها الكاتب عبارة عن قوله:

حين يظهر المسيح المزعوم تكثر نعم و خيرات الأرض،

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٧، ح ١٢. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣١٨، ح ١٧.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٣٦، ح ٧٠ و ص ٣٧٢، ح ١٦٤.

وعلى زعمهم تجري من الجبال أنهر الحليب و العسل، و تخرج الأرض مخزونها من الطعام واللباس. و حين يظهر إمام الزمان يحدث نفس الشيء، و تجري في الكوفة سواقي الماء و الحليب ليشرب منها الشيعة.

الجواب

أوّلاً: يقول القرآن بصراحة: ﴿**وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ...**﴾[١]. فحيث وعد اللّه تعالى فتح بركاته من السماء و الأرض لإيمان أهل القرى و تقواهم فلابعد في فتح بركاته من السماء و الأرض لأُمة الإسلام في آخر الزمان إذا آمنت بالإمام المنتظر و إطاعته في كلّ المجالات.

ثانياً: جاء في الروايات المتواترة من طرق السنّة و الشيعة و أغلبها مشترك في المضمون أنّه حين يظهر إمام الزمان تظهر بركات الأرض والسماء، و تتكامل الناس بصورة خارقة للعادة.

نشير إلى نماذج منها:

روايات السنّة

١ـ رواية أبي سعيد الخدري عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«تنعم أُمّتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قطّ، ترسل

١ـ الأعراف (٧): ٩٦.

السماء عليهم مدراراً، و لا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلّا أخرجته و المال يومئذٍ كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي اعطني، فيقول: خُذ»[١].

و ذكرت هذه الرواية بتفاوت بسيط في الكتب التالية من كتب أهل السنّة: «الفتن»[٢]، «سنن ابن ماجة»[٣]، «المستدرك على الصحيحين»[٤]، «الحاوي للفتاوى»[٥]، و «ينابيع المودّة»[٦].

٢ـ في رواية أُخرى عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«يخرج في آخر أُمّتي المهدي يسقيه اللّه الغيث، و تخرج الأرض نباتها و يُعطى المال صحاحاً و تكثر الماشية و تعظم الأُمّة...»[٧].

٣ـ رواية أُخرى عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«... يرضى عنه ساكن السماء و ساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلّا صبّته مدراراً، و لا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلّا أخرجته، حتّى تتمنّى الأحياء الأموات...»[٨].

١ـ عقدالدرر، ص ٢٤٥، ح ٢٨٧.
٢ـ كتاب الفتن، ص ٢٢٣.
٣ـ سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٦٧.
٤ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٥٥٨.
٥ـ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٠ و ٢٢٢.
٦ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٦٥.
٧ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٥٥٨؛ عقدالدرر، ص ٢١٥، ح ٢٢٩، و قريب منه في الأحاديث ٢٨٣ و ٢٨٧.
٨ـ كتاب الفتن، ص ٢٢٢؛ مصابيح السنّة، ج ١، ص ١٩٤؛ المصنّف، للصنعاني، ج ١١، ص ٣٧٢ و في الأخير «لا تدع الأرض من مائها شيئاً».

٤ـ و جاء في «عقدالدرر» عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فيبعث المهدي إلى أُمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس، و ترعى الشاة و الذئب في مكانٍ واحدٍ، و تلعب الصبيان بالحيّات والعقارب لا يضرّهم شيء، و يبقى الخير و يزرع الإنسان مُدّاً يخرج له سبعمئة مُدّ؛ كما قال اللّه تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّأْةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، و يذهب الربا و الزنا و شرب الخمر و الرياء، و تقبل الناس على العبادة و المشروع و الديانة و الصلاة في الجماعات، و تطول الأعمار، و تؤدّى الأمانة، و تحمل الأشجار، و تتضاعف البركات، و يهلك الأشرار، و يبقى الأخيار، و لا يبقى من يبغض أهل البيت عليهم السلام»[2].

حول خصوصيات زمن حضرة المهدي عليه السلام، يعني من قبيل رفع العداوة بين السباع و البهائم و لعب الصبيان مع الحيّات و العقارب (لا يضرّهم شيء) كما جاء في رواية «عقدالدرر» الآنفة الذكر، يقول صاحب كتاب «منتخب الأثر»:

يمكن أن تكون ظواهر الروايات هي المقصودة، و لكن لا يُستبعد أن يكون كلّ ذلك كناية عن كمال العدل و الأمان في عهده، و اشتمال أطراف الأرض و جميع نواحيها بهما، فلا يخاف أحدٌ أحداً من الإنسان و الحيوان.

١ـ البقرة (٢): ٢٦١.
٢ـ عقدالدرر، ص ٢٣٢، ح ٢٦٦.

ثمّ يضيف:

و مثل هذه التعابير ـ الكناية و الرمز ـ في أخبار الملاحم و النبوءات ليس بقليل و لا غريب، فمنها ما في «الدرّ المنثور» (و هو من تفاسير السنّة المعروفة):

و أخرج ابن أبي شيبة و أحمد و الحاكم صحّحه عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«و الذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتّى تكلّم السباع الإنسان، و حتّى تكلّم الرجل عذبة سوطه و شراك نعله، و يخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده[1]**»**[2].

روايات الشيعة

كما و توجد في بعض الروايات الشيعية مضامين شبيهة بتلك التي ذكرتها الروايات الآنفة الذكر باختلاف بسيط، و من أراد فيمكنه مراجعة الكتب التالية: «تحف العقول»[3]، «إعلام الورى»[4]، «بحارالأنوار»[5]، «المحجّة»[6]، «الخصال»[7]، و... .

و لا يوجد في أيّ واحدة من هذه الروايات ذكر لجريان عين من الحليب

١ـ الدرّ المنثور، ج ٦، ص ٥٦.
٢ـ منتخب الأثر، ج ٣، ص ١٤٥.
٣ـ تحف العقول، ص ١١٥.
٤ـ إعلام الورى، ص ٤٣٣.
٥ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٦، ح ١١.
٦ـ المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة، ص ٧٩.
٧ـ الخصال، ص ٦٢٦.

دلائل أوجه التشابه السبعة كما يراها الكاتب

و يوضح كاتب الكرّاسة وحدة معتقد الشيعة بالمهدي الموعودعليه السلام مع معتقد اليهود بالمسيحعليه السلام قائلاً:

سبب تأكيدنا على ارتباط هذين الوهمين المزعومين، ما وجدناه من دلائل و أسناد في كتب الإمامية، من جملتها: أنّ إمام زمانهم:

١ـ يدعو اللّه تعالى بلسانٍ عبريّ في الوقت الذي يدّعون أنّه من نسل رسول اللّهصلى الله عليه وآله وسلم العربي.

٢ـ يفتح البلدان بتابوت اليهود، و يحمل معه الحجر و عصا موسىعليه السلام و معه المنّ و السلوى.

٣ـ يحكم بحكم آل داود لا بحكم القرآن.

أليس هذه التشابهات و التوافقات في المعتقدات و الأعمال أدلّة كافية على وحدة المنشأ الاعتقادي.

و الكاتب مع طرحه هذه النقاط يعتقد أنّها أدلّة على وحدة المنشأ الاعتقادي للشيعة و اليهود بما يرتبط بإمام الزمانعليه السلام و المسيحعليه السلام المزعومين، مفصّلاً مدّعاه.

الجواب

أوّلاً: هل صحيح أنّ إمام الزمانعليه السلام يدعو اللّه باللسان العبري؟

الجواب: أوّلاً: المذكور في روايات الشيعة أنّ إمام‌الزمان يدعو اللّه و يتضرّع إليه، و لم تشرّ إلى أنّ الدعاء يكون باللغة العبرية، و هذه نماذج منها:

في الكوفة في عهد المهدي (عج)، نعم جاء في رواية الكاهلي عن الإمام الصادقعليه السلام قوله:

«قال أميرالمؤمنينعليه السلام في وصف مسجد الكوفة: في وسطه عين من دهن، و عين من لبن، و عين من ماء، شراب للمؤمنين، و عين من ماء طهور للمؤمنين»[١].

في سندها «إسماعيل بن زيد» و «يعقوب بن عبداللّه»، و الأوّل و إن كان قد وثّق، و لكنّ الثاني الذي نقل الرواية عن إسماعيل بن زيد لم يُوثّق[٢].

و لذا لا يمكن الاستناد إلى مثل هذه الرواية للتهجّم على عقائد الشيعة في قضيّة المهديعليه السلام، كما أنّ الرواية لم تذكر أو تشير إلى اسم لزمان المهديعليه السلام.

و على فرض صحّة سند الرواية فمن الممكن أن يُراد منها الكناية والإشارة إلى مكانة و منزلة مسجد الكوفة المعنوي و ظهور علوّ مقامه يوم القيامة بصورة نِعم الجنّة المتجسّدة بكثرة عبادات الأولياء في هذا المكان المقدّس.

و في الرواية الثانية و الرابعة من روايات الشيعة في بحث «التابوت والحجر و عصا موسى» [المبحث القادم] أُشير إلى نفس المضمون، و لكنّ سندهما ضعيف.

و على فرض صحّة السند، يمكن توجيه مضمونها، و لا يخالف ما جاء به العقل و لا الشرع.

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٧٤، ح ١٧٢. ٢ـ جامع الرواة، ج ١، ص ٩٦ و ج ٢، ص ٣٤٩.

١ـ رواية إبراهيم بن عبدالحميد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... ثمّ يرفع يديه إلى السماء فيدعو و يتضرّع حتّى يقع على وجهه...»[١].

٢ـ رواية محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام:

«... و صلّى عند المقام و تضرع إلى ربّه...»[٢].

٣ـ رواية صالح بن عقبة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... إذا صلّى في المقام ركعتين و دعا اللّه فأجابه...»[٣].

ثانياً: وفق ما جاء في الأخبار المتواترة المنقولة من طرق الفريقين فإنّ أساس تبليغ و دعوة المهدي كتاب اللّه و سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، و هما باللسان العربيّ، جاء في بعض الروايات المنقولة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«... يدعوهم إلى كتاب اللّه...»[٤].

و بديهي أنّ الدعوة إلى القرآن يكون باللغة العربية و لا يمكن أن تكون بغيرها، جاء في نهج‌البلاغة أيضاً:

«... و يعطف الرأي على القرآن إذا أعطفوا القرآن على الرأي...»[٥].

١ـ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٥٩، ح ٥٦؛ البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٠٨.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٥٩، ذيل الحديث رقم ٥٦.
٣ـ المصدر السابق، ص ٤٨، ح ١١؛ تفسير الصافي، ج ٤، ص ٧١؛ تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩٤؛ تفسير علي بن إبراهيم، ج ٢، ص ١٢٩.
٤ـ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٧٣، ح ١٩.
٥ـ نهج‌البلاغة، الخطبة ١٣٨.

و كتب بعض الأعلام روايات كثيرة منقولة تصرّح بأنّ أعظم ما يقوم به المهدي هو إرجاع الناس إلى كتاب اللّه و سنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم[١].

ثالثاً: الأذكار المنقولة في كتب الأدعية الشيعية المنسوبة إلى المهدي التي نقلت عنه (عج) ـ إمّا بواسطة الأئمّة عليهم السلام أو تعليمه عليه السلام لبعض الصلحاء المتشرّفين بحضرته المباركة ـ كلّها باللسان العربي[٢].

رابعاً: بناءً على بعض الروايات الشيعية فإنّ الشعارات التي تكتب على راية المهدي إحدى هذه الجملات العربية: «الرفعة للّه عزّ وجلّ»، «اسمعوا و أطيعوا»، «البيعة للّه عزّ وجلّ»[٣].

و مع كلّ هذه الشواهد التي ذكرناها الموجودة في كتب الشيعة النافية للنسبة الواردة إلى الشيعة، لا نستبعد أن تكون أمثال هذه التهم من جملة موضوعات اليهود في الإسلام، أو ما يصطلح عليها بالإسرائيليات التي دخلت على شكل روايات في كتب المسلمين.

و على فرض وجود هذه الروايات الإسرائيلية في كتب المسلمين، فإنّ هذا لا يدلّ على صحّتها أو تأييد و اعتقاد علماء الشيعة بها.

نعم، طبق ماجاءت به بعض روايات الشيعة ـ التي ذكرناها سابقاً ـ فإنّ المهدي عليه السلام يحتجّ و يحكم بين أهل الأديان السماويه بكتبهم، و طبعاً لن يكون ذلك إلّا بمخاطبتهم بلسانهم[٤].

١ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٠٧. ٢ـ المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٠.
٣ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٤، ح ٣٥ و ص ٣٠٥، ح ٧٧؛ كمال الدين، ص ٦٥٤.
٤ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥١، ح ١٠٣؛ الغيبة، للنعماني، ص ٢٣٧.

ثانياً: يحمل المهدي عليه السلام معه التابوت و الحجر و عصا موسى عليه السلام

الف: في روايات السنّة

جاء في روايات السنّة إشارات إلى ذكر التابوت و العصا، نشير إلى البعض منها:

١ـ رواية سليمان بن عيسى:

«قد بلغني أنّ على يد المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية، حتّى يُحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس، فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلّا قليلاً منهم، ثمّ يموت المهدي»[١].

٢ـ رواية كتاب «إسعاف الراغبين»:

«إنّ المهدي يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية، و أسفار التوراة من جبل الشام؛ يحاجّ بها اليهود فيسلم كثير منهم»[٢].

٣ـ رواية أبي هريرة عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«تخرج الدابّة و معها عصا موسى و خاتم سليمان فتجلوا وجه المؤمن بالعصا...»[٣].[٤]

١ـ كتاب الفتن، ص ٢٢٣. ٢ـ إسعاف الراغبين، ص ١٣٦.

٣ـ عقدالدرر، ص ٣٧٥، ح ٤٣٩، نقلاً عن المستدرك على الصحيحين، ج ٤، ص ٤٨٥.

٤ـ قد وردت روايات مختلفة في المقصود من الدابّة في الآية ٨٣ من سورة النمل: ﴿...أَخرَجنا لَهُم دابّةً مِنَ الأرض تُكَلِمُهُم...﴾ ففي بعضها عن علي عليه السلام: «أما واللّه ما لهذا ذنب و إنّ لها لحية». راجع: تفسير التبيان، مجمع البيان، تفيير الصافي ذيل تفسير الآية المذكورة.

قال في التبيان: هذه الرواية تشير إلى أنّ الدابّة من بني آدم. و في بعضها عدّ خروج الدابّة من ☜

و ذكر في هامش الكتاب المصادر التي استقى منها هذه الرواية، و هي «مسند الطيالسي»، «مسند أحمد»، «سنن الترمذي»، «سنن ابن ماجة» و «تفسير روح المعاني».

☜ علائم ظهور المهدي (عج)، (بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٢٩٠، ح ٤٨).

و يفهم من بعضها أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم طبّق الدابّة على أميرالمؤمنين عليه السلام (تفسير القمي، ج ٢، ص ١٣١؛ تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٤٦).

و جاء في روايات متعدّدة منقولة عن النبي في كتب الشيعة و السنّة ما يلي: «... و معها عصا موسى عليه السلام و خاتم سليمان عليه السلام يجلوا وجه المؤمن بالعصا و تخطم أنف الكافر بالخاتم حتّى يقال يا مؤمن و يا كافر»، (تفسير مجمع البيان و الصافي ذيل تفسير الآية المذكورة).

و يفهم من بعض الروايات المنقول عن أميرالمؤمنين عليه السلام إنّ خروج الدابّة يكون بعد قتل الدجال بيد من يصلّي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام خلفه... و يكون خروجه من الصفا و معها عصا موسى عليه السلام و خاتم سليمان عليه السلام يضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فينطبع في وجهه: «هذا مؤمن حقّاً» و يضعه على وجه كلّ كافر فينكت في وجهه: «هذا كافر حقّاً»... ثمّ ترفع الدابّة رأسها فيراها من بين الخافقين (المشرق و المغرب) بإذن اللّه جلّ جلاله و ذلك بعد طلوع الشمس من مغربها... ثمّ قال عليه السلام لا تسألوني عمّا يكون بعدها فإنّه عهده عهد إليّ حبيبي رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أن لا أخبر به غير عترتي. قال النزال بن سبرة (هو راوي الحديث): فقلت لصعصعة بن صوحان ـ و هو السائل عن علي عليه السلام عن الدابّة و الدجال ـ يا صعصعة ما عنى أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا؟ فقال صعصعة: يا ابن سبرة أنّ الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السلام و هو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن و المقام فيطهّر الأرض، و يضع ميزان العدل فلا يظلم أحدٌ أحداً...»، (كمال الدين، ص ٥٢٧).

فاستناداً إلى ما ورد من أنّ مع الدابّة عصا موسى عليه السلام و خاتم سليمان عليه السلام المنطبق على ما ورد من أنّ عصا و الخاتم يكونان بيد المهدي (عج) و أيضاً استناداً إلى ذيل رواية كمال الدين المذكورة، انطباق الدابّة على المهدي (عج) محتمل. كما أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم طبّق الدابّة على أميرالمؤمنين عليه السلام لأجل كونه عليه السلام حجّة و إماماً من عند اللّه تعالى.

ب: في روايات الشيعة

و جاء ذكر العصا و التابوت و حجر موسى في روايات الشيعة، مثل:

١ ـ رواية عبداللّه بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كانت عصا موسى قضيب آس من غرس الجنّة، أتاه بها جبرئيل عليه السلام لمّا توجّه تلقاء مِدين، و هي و تابوت آدم في بحيرة طبرية، و لن يبليا و لن يتغيّرا حتّى يخرجهما القائم إذا قام عليه السلام»[١].

في سندها أربعة أحدهم محمّد بن المفضّل و هو موثّق، و لكن جاء في هامش «البحار»: «في المصدر، أي «غيبة النعماني»، بدل محمّد بن المفضّل، محمّد بن الفضل»[٢]، و هو مردّد بين ثلاثة بعضهم لم يوثّق[٣].

و الآخر «سعد بن إسحاق» لم يوثّق أيضاً، و الثالث «أحمد بن الحسين» و هو مشترك بين موثّق و غير موثّق، و الرابع «محمّد القطواني» لم يُذكر اسمه في الرجال.

و النتيجة: إنّه لا يمكن الاعتماد على هذه الرواية.

٢ ـ رواية أبي الجارود عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام:

«إذا ظهر القائم عليه السلام ظهر براية رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، و خاتم سليمان و حجر موسى و عصاه. ثمّ يأمر مناديه فينادي ألا

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥١، ح ١٠٤. ٢ـ المصدر السابق في الهامش.
٣ـ منتهى المقال، ج ٦، ص ١٥٥.

لا يحمل رجلٌ منكم طعاماً و لا شراباً و لا علفاً. فيقول أصحابه: إنّه يريد أن يقتلنا و يقتل دوابنا من الجوع و العطش، فيسير و يسيرون معه، فأوّل منزل ينزله يضرب الحجر فينبع منه طعام و شراب و علف فيأكلون و يشربون و دوابهم حتّى ينزلوا النجف بظهر الكوفة»[١].

و هذه الرواية أيضاً غير معتبرة من جهة السند؛ لوجود «أبي الجارود».

و توجد كذلك ثلاث روايات قريبة من هذا المضمون بأسانيد مختلفة، يتّصل سند اثنان منها «بأبي الجارود»، و الثالث «بأبي سعيد الخراساني»، و هو مشترك بين مجهول و غير موثّق؛[٢] كما أنّ في سند الرواية الثالثة «موسى بن سعدان» الذي قال عنه صاحب «جامع الرواة» نقلاً من علماء الرجال: «ضعيف، في مذهبه غلوّ»[٣].

٣ ـ رواية محمّد بن فيض عن الإمام الجواد عليه السلام:

«كان عصا موسى عليه السلام لآدم فصارت إلى شعيب، ثمّ صارت إلى موسى بن عمران عليه السلام و أنّها لعندنا و أنّ عهدي بها آنفاً، و هي خضراء كهيئتها حين انتُزعت من شجرها، و أنّها لتنطق إذا استُنطقت، أُعدّت لقائمنا ليصنع كما كان موسى يصنع بها، و أنّها لتروّع و تلقف ما يأفكون...»[٤].

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥١، ح ١٠٥.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٢٤، ح ٣٧ و الراويتين المذكورتين بعده المشابهتين له.
٣ـ جامع الرواة، ج ٢، ص ٢٧٧. ٤ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣١٨، ح ١٩.

في سندها سلمة بن الخطّاب الذي ضعّفه صاحب «جامع الرواة» نقلاً عن العلّامة و النجاشي و ابن الغضائري[١]. و أيضاً «محمّد بن فيض» و هو لم يوثّق صريحاً.

بالإضافة إلى ماجاء في ذيل هذه الرواية:

تفتح لها شفتان أحدهما في الأرض و الأخرى في السقف و بينهما أربعون ذراعاً، و تلقف ما يأفكون بلسانها.

و لو كان سند هذا الحديث صحيحاً لكان من الممكن توجيه ما جاء فيها على أنّه إشارة إلى ما سيتمتّع به المهدي من قدرة معنوية تمكّنه من القضاء على أعداء الحقّ، كما فعلت عصا موسى حينما ابتلعت سحر سحرة فرعون.

٤ـ رواية أبي سعيد الخراساني عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام القائم بمكّة و أراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادى مناديه ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً و لا شراباً، و يحمل حجر موسى الذي انبجست منه اثنتي عشرة عيناً... فإذا نزلوا ظاهرها انبعث منه الماء و اللبن دائماً، فمن كان جائعاً شبع، و من كان عطشاناً روي»[٢].

بالإضافة إلى أنّها نُقلت في كتاب «الخرائج» على شكل مرسلة و مقطوعة السند، فإنّ راويها عن الإمام الصادق أبا سعيد الخراساني مشترك بين مجهول و غير موثّق و عليه فسندها ضعيف لايُعتدّ به.

٥ـ رواية الريّان بن الصلت عن الإمام الرضا عليه السلام:

١ـ جامع الرواة، ج ١، ص ٣٧٢.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٥، ح ٦٧.

«... و إنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سنّ الشيوخ و منظر الشباب... ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى و خاتم سليمان...»[١].

سند هذه الرواية حسن يُعتمد عليه.

فأمّا عصا موسى عليه السلام و خاتم سليمان عليه السلام فربما هما كناية عن قدرة و سعة حكومة المهدي (عج).

و قريب منها رواية أبي هريرة عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم ضمن حديث طويل ذُكر فيه أسماء الأئمّة إماماً بعد إمام و قال:

«... و يخرج من صلب الحسن قائمنا أهل البيت يملأها قسطاً و عدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً، له هيبة موسى، و حكم داود، و بهاء عيسى...»[٢].

ملاحظة حول روايات الشيعة و السنّة

جاء في روايات كثيرة من طرق الشيعة منقولة سابقاً:

أنّ في المهدي خصال و صفات الأنبياء، كيوسف عليه السلام و إبراهيم عليه السلام و موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و نبيّنا الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

١ـ المصدر السابق، ص ٣٢٢، ح ٣٠.
٢ـ كفاية الأثر، ص ٨٤؛ بحارالأنوار، ج ٣٦، ص ٣١٣.
٣ـ كمال الدين، ص ٣٢٩؛ إثبات الهداة، ج ٣، ص ٤٦٦، ح ١٢٤؛ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢١٦، ٢١٨ و ٢٢٤، ح ١ و ٦ـ٨ و ١٢.

و ذكرت بعض الروايات السنّية وقائع نبيّ اللّه نوح عليه السلام و طول عمر العبد الصالح أي الخضر عليه السلام[١].

ينقل «ينابيع المودّة»[٢] عن «درّة المعارف»:

«أنّ المهدي يستخرج كتباً من غار بمدينة أنطاكية، و يستخرج الزبور من بحيرة طبريا[٣] فيها ممّا ترك آل موسى و هارون، تحمله الملائكة، و فيها الألواح و عصا موسى...»[٤].

ينقل المرحوم آيةاللّه السيّد صدرالدين الصدر المطلب الآنف الذكر بهذا الشكل من كتاب «عقدالدرر»:

نقل نعيم بن حمّاد في كتاب «الفتن» عن سليمان بن عيسى قال: جاء إلينا أنّ المهدي يستخرج تابوت السكينة من بحيرة طبرية، فتحمل و توضع بين يديه ببيت المقدس، فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت[٥].

و يضيف السيّد الصدر قائلاً:

و جاء في الباب الثالث من نفس الكتاب[٦]: ورد في بعض الروايات: إنّما سُمّي المهدي لأنّه يهدي إلى أسفار من أسفار التوراة يستخرجها من جبال الشام، يدعو إليها اليهود، فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة».

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣١١.
٢ـ المصدر السابق، ص ٢٠٠.
٣ـ إحدى مدن سوريا الحدودية (حالياً).
٤ـ المهدي، للسيّد صدرالدّين الصدر، ص ٩٢.
٥ـ المصدر السابق، ص ٢٣٣.
٦ـ عقدالدرر، ص ١٠٧ و ١٠٨، ح ٧٠ـ ٧٣.

و قريب منه في «عقدالدرر» عن سنن أبو عمرو الداني عن عبداللّه بن شوذب[١]. و يضيف:

و في أسعاف الراغبين[٢] بتفاوت يسير: أنّ المهدي يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية، و أسفار التوراة من جبل بالشام، فيحاجّ بها اليهود، فيسلم كثير منهم[٣].

و جاء أيضا عن «عقدالدرر» عن كعب الأحبار:

«إنّي أجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء، ما في عمله ظلم و لا عيب»[٤].

و إذا ما وجدت في مصادر اليهود الحديثة تعابير مشابهة لهذه التعابير فأغلب الظنّ أنّها مأخوذة من نبوءات كتب اليهود الأصلية و الزبور، حول نبيّ الإسلام محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و خلفائه الاثنى عشر و آخرهم المهدي عليه السلام.

و عليه، فإذا ما كانت عصا موسى أو تابوت السكينة ـ و هما من خصائص نبيّ اللّه موسى عليه السلام ـ مع المهدي الموعود، فلا يكون هذا دليلاً للكاتب على أنّ المهدي الموعود هو نفسه مسيح اليهود المزعوم.

ثالثاً: هل يحكم إمام الزمان(عج) بحكم داود عليه السلام؟

و أمّا قوله إنّ إمام الزمان (عج) يحكم بحكم داود عليه السلام لا بحكم القرآن، فقد فصّلنا الإجابة عنه في الفصل الخامس، و قلنا ـ كما جاء في الروايات

١ـ المصدر السابق.
٢ـ إسعاف الراغبين، ص ١٣٦.
٣ـ المهدي، للسيّد صدرالدين الصدر، ص ٢٣٣.
٤ـ عقدالدرر، ص ١٠٨، ح ٧٣.

المتواترة الشيعية و السنّية ـ إنّ مِن أهمّ ما يقوم به المهدي حينما يظهر هو إحياء أحكام الإسلام و القرآن المنسية.

رابعاً: أوجه الشبه الحرفية في المعتقدات و الأفعال

يدّعي الكاتب قائلاً:

أليس كلّ هذا التشابه دليل على وحدة المنشأ الاعتقادي للشيعة و اليهود؟

و إذ يصرّ الكاتب على البحث عن جذور المعتقد الشيعي بالإمام المهدي (عج) في التعاليم اليهودية، فإنّ البحث يتشعّب إلى عدّة شعب:

بشارات ونبوءات التوراة مستند الكاتب في مدّعاه

و هذه نماذج لبعض ما جاء في كتاب التوراة و اعتمد عليها الكاتب لإثبات مدّعاه:

١ ـ «ابتهجي جدّاً يا بنت صهيون، و اهتفي يا بنت أورشليم؛ هوذا ملكك آتياً إليك بارّاً مخلصاً... و يكلّم الأُمم بالسلام، و يكون سلطانه من البحر إلى البحر، و من النهر إلى أقاصي الأرض»[١].

٢ ـ «روح السيّد الربّ على؛ لإنّ الربّ مسحني و أرسلني لأبشّر الفقراء، واجبرُ منكسري القلوب، و أنادي بإفراجٍ عن المسبّيين، و بتخليةٍ للمأسورين»[٢].

١ـ التوارة، كتاب زكريا النبي، الباب ٩، الفقرة ٩ ـ ١١.

٢ـ التوراة، صحيفة اشعياء النبي، الباب ٦١، الفقرة ١ ـ ٢.

٣ ـ «يا ابن الإنسان، قل للروح: هكذا قال السيّد الربّ: هلمّ أيّها الروح من الرياح الأربع، وهب في هؤلاء المقتولين فيحيوا... فعاشوا و قاموا على أقدامهم جيشاً عظيماً جدّاً جدّاً... و قل لهم: هكذا قال السيّد الربّ: ها أنذا أفتح قبوركم و أصعّدكم من قبوركم يا شعبي و آتى بكم إلى أرض إسرائيل»[١].

٤ ـ «و يكون في كلّ أرض، يقول الربّ إنّ ثلثين منها ينقرضان و يهلكان، و الثلث يُبقى عليه منها»[٢].

و الكاتب بالاستناد إلى هذه الفقرات و أشباهها في التلمود يكتب:

ينتظر اليهود رجلاً من آل‌داود ليحكم الدنيا، و يعيد عظمة و عزّ اليهود السابقة إليهم... و بناءً على ادّعاء هؤلاء فإنّ هذا المسيح الموعود الذي يدّعيه التلمود سوف يُخضع العالم كلّه تحت سلطة مصالح و منافع اليهود، و ستكون جميع البلدان و الشعوب مطيعة لهم... و لازالوا على هذا الوهم بأنّ المسيح المزعوم بعد ظهوره سيجمع اليهود في بيت المقدس و يشكّل منهم دولة عظيمة تقضي على بقية الدول و تخلّي العالم من غير اليهود، و أنّهم ستطول أعمارهم و لن يصيبهم الموت لفترة طويلة... و لن يقتصر هذا الاجتماع على الأحياء فقط، بل سيضمّ جمع كثير من الأموات بعد أن يحييهم اللّه و

١ـ التوراة، صحيفة حزقيال النبي، الباب ٣٧، الفقرة ٩، ١٠ و ١٢.

٢ـ التوراة، كتاب زكريا، الباب ١٣، الفقرة ٨.

يُخرجهم من قبورهم فينضمّوا إلى جيش اليهود المزعوم بقيادة المسيح الموهوم.

و سيتخلّص الكاتب من خلال جمع أوجه الشبه بين تلك الفقرات التي ذكرناها من كتاب التوراة و بين ماجاء في بعض روايات «بحارالأنوار» ـ التي ناقشنا سندها و متنها و أوضحنا عدم اعتبارها ـ إلى أنّ فكرة الاعتقاد بإمام الزمان و المهدي الموعود عليه السلام لها أصول و جذور يهودية تلمودية.

الجواب

كما هو معروف فإنّ التوراة و الإنجيل بشّرا بدين خاتم الأنبياء و الرسل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم، كما أشارت إلى ذلك الآيات القرآنية:

١ ـ ﴿وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـا بَنِى إِسْرائِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَيةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾[1].

٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَيةِ وَٱلْإِنجِيلِ...﴾[2].

٣ ـ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَ ٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ... ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَيةِ وَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ...﴾[3].

بعد هذا، هل يستطيع الكاتب الذي هو ـ طبعاً ـ مسلم و يؤمن بالقرآن أن

١ـ الصف (٦١): ٦. ٢ـ الأعراف (٧): ١٥٧.
٣ـ الفتح (٤٨): ٢٩.

يدّعي أنّ أوصاف الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه المؤمنين مذكورة في التوراة و الإنجيل إذن فجذور الاعتقاد بالإسلام و النبي صلى الله عليه و آله و سلم هي مستفادة من التعاليم اليهودية و المسيحية، و حينئذٍ فهي من مجعولاتهم و وضعهم؟!

نقول له إنّ ذكر اسم النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو أئمّة الشيعة الاثنى عشر في الكتب السماوية القديمة، ليس فقط لن يوهن الاعتقاد بالإسلام و التشيّع، بل باعث على استحكام و قوّة قواعد هذا الاعتقاد، و كاشف عن وجود عناية إلهية خاصّة به.

ثمّ إنّ هناك روايات منقولة في كتب السنّة أيضاً تصرّح بوجود اسم النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام في كتب اليهود، نشير إلى اثنين منها كمثال:

١ ـ جابر بن عبداللّه الأنصاري قال:

دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فقال ... ثمّ يقصّ على رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله و سلم رؤياه، و كيف طاف عليه نبيّ اللّه موسى عليه السلام يأمره بالإسلام على يد خاتم الأنبياء والتمسّك بالأوصياء من بعده. ثمّ قال: أخبرني يا رسول‌اللّه عن اوصيائك من بعدك لأتمسّك بهم. قال: «**أوصيائي الاثنى عشر**». قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة...»[1].

٢ ـ رواية ابن عبّاس في قضية اليهودي نعثل:

الذي قدم على رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله و سلم في مسائل كثيرة ترتبط باللّه و صفاته و التوحيد و أقسامه، و الرسول٦ يجيبه. ثمّ قال:

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥.

فاخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبيّ إلّا و له وصيّ، و أنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون. فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«نعم، إنّ وصيّي و الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب، و بعد سبطاي الحسن و الحسين، تتلوه تسعة من صلب الحسين، أئمّة أبرار».

فقال: يامحمّد، سمّهم لي. فقال: «إذا مضى الحسين... فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي فهؤلاء اثنى عشر».

فقال اليهودي: لقد وجدت هذا في كتب الأنبياء المتقدّمة و فيما عهد إلينا موسى عليه السلام...»[1].

و لابأس من الإشارة إلى بعض هذه البشارات المذكورة في الكتب المقدّسة: **بشارة و نبوءة العهدين حول نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، والأربعة عشر معصوم عليهم السلام، و إمام الزمان عليه السلام.**

الأُولى: نبوءة الإنجيل بالأربعة عشر معصوم عليهم السلام

ينقل المرحوم فخر الإسلام ـ و كان قسّيساً له اطّلاع باللغات العبرية و العربية و الفارسية، أسلم في زمان ناصرالدين شاه و تشيّع، ألّف كتاباً أسماه **أنيس الاعلام** ـ في كتابه نبوءة يوحنّا في الإنجيل حول الأربعة عشر معصوم عليهم السلام باللغة العبرية، ثمّ ترجمها إلى الفارسية، و هذا نصّها:

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٣، ح ٤٣١؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٢.

و ظهر آية عظيمة في السماء: امرأة متسربلة بالشمس، و القمر تحت رجليها، و على رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً ❊ و هي حبلى تصرخ متمخّضة و متوجّعة لتلد ❊ و ظهرت آية أُخرى في السماء: هوذا تنّين عظيم أحمر له سبعة رؤوس و عشر قرون و على رؤوسه سبعة تيجان ❊ و ذنبه يجرّ ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. و التنّين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتّى يبتلع ولدها متى ولدت ❊ فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأُمم بعصاً من حديد. و اختُطِفَ ولدها إلى اللّه و إلى عرشه ❊ و المرأة هربت إلى البرية حيث لها موضع مُعدّ من اللّه لكي يعولوها هناك ألفاً و مئتين و ستّين يوماً...[1].

و يقوم المرحوم فخرالإسلام بالتفصيل ـ بالاستناد إلى الشواهد و القرائن المذكورة في الفقرات السابقة ـ بتطبيقها على الأربعة عشر عليهم السلام، حيث يكتب:

المراد بالمرأة التي تظهر في السماء الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، و المراد من الشمس المشرقة هي شمس النبوّة و الوجود النبوي المقدّس، و القمر أميرالمؤمنين عليه السلام، و التاج الذي على الرأس تاج الكرامة، و المراد بالاثنى عشر كوكباً حيث التاج منهم الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام، وبسبب العلاقة

١ـ مكاشفات يوحنا، الباب ١٢، الفقرة ١ ـ ٦.

الحاصلة بين الصدّيقة الطاهرة و الأئمّة الاثنى عشر سلام اللّه عليها و عليهم تزداد الكرامة و الشرف فيها، شرافة على شرافة و كرامة على كرامة»[١].

الثانية: نبوءة العهد العتيق حول نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله و المهدي عليه السلام

جاء في الزبور من دعاء حضرة داود عليه السلام:

١ـ اللهمّ اعط أحكامك العادلة للملك، و لابنه برّك.

٢ـ فيقضي لشعبك بالعدل، و مساكينك بالإنصاف.

٣ـ لتحمل الجبال للشعب سلاماً و التلال برّاً.

٤ـ ليحكم الملك بالحقّ للمساكين، و ينقذ بني البائسين، و يحطّم الظالم ... .

٧ـ ليزدهر في أيّامه الصدِّيق، و يتوافر السلام مادام القمر يضيء ... .

٨ـ و لتمتدّ مملكته من البحر إلى البحر، و من النهر إلى أقاصي الأرض ... .

٩ـ تبارك اسمه المجيد إلى الأبد، و لتمتلئ الأرض كلّها من مجده. آمين، آمين[٢].

في الفقرة الأُولى من هذا المزمور في ترجمة العهد العتيق الحالية، والمطبوعة حديثاً بجهود مؤسّسة نشر الكتب المقدّسة، بدل «أحكامك»

١ـ أنيس الأعلام، ج ٢، ص ٥٢٣.
٢ـ زبور داود عليه السلام، المزمور ٧٢.

«إنصافك»، فيما ذكر «أنيس الأعلام» نصّ العبارة العبرية ناقلاً إيّاها من الترجمة الفارسية المطبوعة في لندن عام ١٨٩٥ م عبارة «أحكامك»[١].

و ذكر كتاب «أنيس الأعلام» ـ بعد نقله دعاء نبيّ اللّه داود عليه السلام من المزمور ٧٢ باللغة العبرية و الذي هو تسع عشرة فقرة ـ الترجمة الفارسيه، و قال:

جهد اليهود على تطبيق الفقرة الأُولى و الثانية على حضرة داود عليه السلام و ولده سليمان عليه السلام ...و هذا الكلام باطل من عدّة وجوه:

أوّلاً: لم يكن داود عليه السلام صاحب شريعة و أحكام[...].

ثانياً: ليس هناك من جاهلٍ يدّعي لنفسه الملوكية و السلطنة مقابل اللّه تعالى فيما يناجيه، فكيف بشخصٍ مثل داود عليه السلام الذي هو من الأنبياء و في مقام الخضوع و التذلّل في الدعاء، من المستبعد جدّاً أن ينسب لنفسه الملوكية أمام ملك الملوك و خالق العوالم كلّها...[٢].

ثمّ يذكر شواهد أُخرى للردّ على تفسير اليهود هذا، و يقول:

و سعى أهل النصرانية إلى تطبيق فقرتين من تلك الفقرات على نبيّ اللّه عيسى عليه السلام، و هذا أيضاً باطل من عدّة وجوه:

١ـ إنّ عيسى عليه السلام لم يحكم و لا يوماً واحداً، فالحكم كان بيد اليهود الذين آذوه و اضطهدوه ... .

٢ـ ليس لعيسى عليه السلام ولد حتّى يُقال «و لابنه برّك...».

١ـ أنيس الأعلام، ج ٢، ص ٥١٩.
٢ـ المصدر السابق (نقلاً بالمعنى).

ثمّ يضيف:

و لن تصدق هذهِ الأوصاف التي جاءت في دعاء نبيّ اللّه داود عليه السلام إلّا على نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم و ولده المهدي عليه السلام، على أتمّ و أكمل وجه[١].

ثمّ يقوم بشرح تلك الفقرات التسعة عشر، و كيف أنّها تنطبق على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و ولده المهدي عليه السلام.

الثالثة: بشارة و نبوءة التوراة حول الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام

جاء في التوراة، في سفر التكوين عند ذكر دعاء نبيّ اللّه إبراهيم عليه السلام و إجابة اللّه تعالى دعاءه هكذا:

«و أمّا إسماعيل فقد سمعت قولك فيه، و ها أنذا أُباركه و أُنمّيه و أُكثّره جدّاً جدّاً. و يلد اثني عشر رئيساً، و أجعله أُمّةً عظيمةً»[٢].

يقول صاحب كتاب «أنيس الأعلام»:

جملة «و يلد اثني عشر رئيساً» في العبرية هي «شِنمعاسار نسيئم يولِد»، و «شنمعسار» تعني اثنى عشر، و «نسيئم» الإمام، و «يولِد» أي من صلب إسماعيل.

و علماء اليهود يقولون صراحةً إنّ أولاد إسماعيل ـ بلا واسطة ـ لم تكن لهم لا رئاسة دينية و لا دنيوية، و عليه

١ـ المصدر السابق، ص ٥٢٠ (نقلاً بالمعنى). ٢ـ التوراة، سفر التكوين، الباب ١٧، الفقرة ٢٠.

فإنّ عبارة «و يلد اثني عشر رئيساً» لن تُطبّق إلّا على الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام[١].

و للعلم فإنّ الروايتين المنقولتين سابقاً من كتب أهل السنّة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، أي رواية جابر بن عبداللّه الأنصاري[٢]، و رواية ابن عبّاس[٣] حول اعتراف اليهوديين جندل و نعثل بأنّهما رأيا أسماء الخلفاء الاثنى عشر مكتوبة في كتب اليهود، هاتان الروايتان تؤيّدان تفسير المرحوم فخر الإسلام حول تلك الفقرة.

إشارات الأناجيل الأربعة بظهور المهدي عليه السلام

في أماكن كثيرة من الأناجيل الأربعة توجد إشارات و تعابير مرموزة إلى موضوع منجي البشرية في آخر الزمان، نشير إلى بعضها:

١ ـ «لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدّين؛ لأنّه في ساعةٍ لا تظنّون يأتي ابن الإنسان»[٤].

و تدلّ هذه الفقرة على مجيء المنجي في الزمن الغير المعلوم.

٢ ـ و حول دور الدعاء و الاستعداد لمجيء المنجي جاء في إنجيل لوقا:

«... فيصادفكم ذلك اليوم بغتةً؛ لأنّه كالفخّ يأتي على جميع الجالسين على وجه كلّ الأرض، إسهروا إذاً، و تضرّعوا كلّ

١ـ أنيس الأعلام، ج ٢، ص ٥١٨. ٢ـ راجع: ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥.
٣ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٣، ح ٤٣١؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨١.
٤ـ إنجيل متى، الباب ٢٤، الفقرة ٤٥.

من خوفٍ و انتظار ما يأتي على المسكونة؛ لأنّ قوات السماء تتزعزع، و حينئذٍ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوّةٍ و مجدٍ كثير»[١].

واضحة جدّاً علامات الشبه في ما جاء في بداية هذه الفقرة مع ما في مضمون الروايات الإسلامية بمايرتبط بالحوادث الطبيعية و الاجتماعية التي تسبق الظهور.

و أيضاً ما جاء في ذيل الفقرة و ما ورد في بعض الروايات الإسلاميه التي ذكرت موضوع غيبة موسى عليه السلام و بهاء عيسى عليه السلام[٢] و اتّصاف المهدي (عج) بهاتين الصفتين.

«ركوبه السحاب» كناية عن تسخير العوامل الطبيعية المادّية (الأرض و السماء) له عليه السلام.

٥ـ و حول خروج الدجال، جاء في رسالة يوحنّا:

«أيّها الأولاد، هي الساعة الأخيرة. و كما سمعتم أنّ ضدّ المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنّها الساعة الأخيرة... من هو الكذّاب إلّا الذي ينكر أنّ يسوع هو المسيح؟ هذا هو ضدّ المسيح الذي ينكر الأب و الابن»[٣].

١ـ إنجيل لوقا، الباب ٢١، الفقرة ٢٥ـ٢٨.
٢ـ كفاية الأثر، ص ٨٥، و في الهامش «هيبة موسى».
٣ـ الإنجيل المقدّس، رسالة الأول من يوحنّا، الباب ٢، الفقرة ١٨ و ٢٢ و ٢٣.

حين لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المُزمِع أن يكون و تقفوا قدّام ابن الإنسان»[١].

و ترى الشبه واضح بين مضمون هذه الفقرة و الروايات التي جاء فيها ذكر انتظار الفرج و الدعاء إلى اللّه تعالى ليظهر المهدي الموعود.

٣ـ و عن علامات الظهور و كيف تكون عليه الأحوال الطبيعية والاجتماعية، جاء في إنجيل مرقس:

«... و تكون زلازل في أماكن، و تكون مجاعات و اضطرابات، هذا مبتدأ أوجاع زه»[٢].

«زه» و تعني الولادة، حين ستكون البشرية آخر الزمان مستعدّة لولادة عهد جديد.

و هذا المضمون شبيه بما جاء في روايات علائم الظهور الدالّة على انتشار الفساد و حصول الآفات الطبيعية و الاجتماعية قبل الظهور، وللاطّلاع تُراجع الكتب التالية: «الغيبة» للشيخ الطوسي[٣]، «بحارالأنوار» للمرحوم المجلسي[٤]، و «الغيبة» للنعماني[٥].

٤ـ و فيما يختصّ بعلائم ما قبل الظهور جاء في إنجيل لوقا:

«و تكون علامة في الشمس و القمر و النجوم، و على الأرض كرب أُممٍ بحيرةٍ، البحر و الأمواج تضجّ، و الناس يُغشى عليهم

١ـ إنجيل لوقا، الباب ٢١، الفقرة ٣٥ـ٣٨. ٢ـ إنجيل مرقس، الباب ١٣، الفقرة ٨.
٣ـ الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٣٠٢ و ٣٩٥. ٤ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ١١٢، و ما بعده.
٥ـ الغيبة، للنعماني، ص ٢٠٥ و ما بعد.

و جاء في عقيدة و مذهب اليهود حول ذكر الفتن الباطلة التي تسبق ظهور المنجيّ، ظهور «راگوگ و ماگوگ» و هما بناءً على ما يشير إليه التلمود «يأجوج و مأجوج»[١]. و هذا هو المذكور أيضاً في الروايات الإسلامية، و معبّر عنه بخروج الدجّال و خروج السفياني.

الشبه واضح بين ما جاء في مضمون هذه الفقرة و متون الروايات الإسلامية الدالّة على خروج الدجّال و السفياني.

«المسيح» كما ذُكر في التلمود هو نفسه «الماشيح» و معناه في العبرية «التدهين» بالدهن، و صناعة العالم، و المنجيّ الأخير.

و في الروايات الإسلامية تصريح بدور المسيح عيسى عليه السلام في نصرة المهدي عليه السلام و قتل الدجّال و إنقاذ البشرية.

و إطلاق كلمة المسيح و يُراد به «المنجي الأخير» على كليهما صحيح، جاء في إنجيل يوحنّا:

«... لأنّنا نحن قد سمعنا و نعلم أنّ هذا هو بالحقيقة المسيح مُخلّص العالم»[٢].

٦ـ و جاء في رؤيا يوحنّا وصف لما سيكون عليه العالم في زمن الظهور، من وفور النعم المادّية و المعنوية:

«و أراني نهراً صافياً من ماء حياة، لامعاً كبلّور، خارجاً من

١ـ راجع: نجات بخشى در اديان، ص ١٣٥ و ٢٥٠، المنقول عن «گنجينه اى از تلمود»، ص ٣٥١.

٢ـ العهد الجديد إنجيل يوحنّا، الباب ٤، الفقرة ٤٢.

عرش اللّه، والخروف. في وسط سوقها و على النهر من هنا و هناك شجرة حياة تضع اثنتي عشرة ثمرة، و تعطي كلّ شهر ثمرها، و ورق الشجرة لشفاء الأُمم، و لا تكون لعنةٌ في معبد. و عرش اللّه و الخروف يكون فيها...»[١].

وفور النعم المادّية و المعنوية في زمن الظهور ذكرتها الروايات السنّية و الشيعية، و قد نقلنا بعضها في هذا الكتاب.

إشارات في متون زرتشت حول المنجي

فكرة النجاة و الإشارة إلى الموعود الذي سيجيء آخر الزمان، موجودة أيضاً في تعاليم الديانة الزرتشتية، شبيهة كثيراً بما جاء في الإسلام.

و سنذكر أوجه الشبة هذه إقتباساً من كتاب: «نجات بخشى در اديان».

الأوّل: مجيء المنجي

للمثال نلفت إلى الإشارات التالية:

١ـ «مزدا! متى تظهر أبقار السماء لنشر العدالة في هذا العالم؟ أهداف السوشيانس متّفقة و تعاليمك...»[٢].

«أبقار السماء» في الثّقافة الزرتشتية كناية عن قدرات هرمز التي لا تفنى، و التي يعبّر عنها في الثقافة الإسلامية بالملائكة.

١ـ الإنجيل رؤيا يوحنّا، الباب ٢٢، الفقرة ١ـ٦.

٢ـ يسن ٤٦، ب ٣.

و «سوشيانسها» هم أنفسهم المنجون.

٢ـ «الأحياء و الذين كانوا و الذين سيأتون، يأملون النجاة بمجيئه، و يبشّر المتّقين بأنّ أرواحهم ستكون خالدة»[١].

٣ـ «... و في تلك الأثناء حيث ينهض الأموات و يخلد الأحياء سوف يأتي [سوشيانس] و يجدّد العالم بإرادته»[٢].

٤ـ «سوف يطرد الكذب إلى ذلك المكان الذي جاء منه لقتل أتباع الحقّ و العنصر و الوجود»[٣].

٥ـ «ثمّ لنكن من أولئك؛ لننوّر العالم، يا مزدا! و أنتم يا «آهوراها»، سوف نجلب الحماية و الصدق حينما تتّحد التعاليم هناك[٤]»[٥].

و هذه المضامين تشبه كثيراً ما جاء في الروايات الإسلامية، أعمّ من كونها شيعية أو سنّية حول مجيء و ظهور منجي آخر الزمان؛ ليملأ الأرض قسطاً و عدلاً.

الثاني: صفات المنجي

١ـ المنجي من بيت النبوّة

في دين زرتشت: آخر المنجين «سوشيانس» من نسل زرتشت، و أُمّه

١ـ المصدر السابق، ب ٧.
٢ـ اردیشت، ب ١١.
٣ـ قسم من ب ١٢، زاميادیشت.
٤ـ يسن ٣، ب ٩.
٥ـ نجات بخشی در ادیان، ص ١٣.

جارية من نسل اثنين طاهرَين و متّقيين من أبناء زرتشت باسم «ايست» و «استر»[١]:

> و حينئذٍ لن تمضي ثلاثين شتاءً من هذه القرون العشرة، حتّى ترد جارية الماء و اسمها «گواگ پد»... و يكون ظهورها علامة لزوال امرأة اهريمن الفاسدة. و هي من نسل ايست و استر... ثمّ تدخل الماء[٢] جارية عمرها ١٥ سنة... و هذه الجارية لم تنم مع الرجال لا قبل هذا و لا بعده. و حينها ستحمل حتّى تلد «سوشيانس»[٣].

في المتون الزرتشتية المنجون ثلاثة: الأوّل «هوشيدر»، و الثاني «هوشيدر ماه»، و الثالث «سوشيانس» و هو المنجي الأصلي و آخر المنجين، و كلّ واحد يظهر بعد مضي بضعة آلاف من السنين، و قد يطلق على الجميع «سوشيانس» كما جاء في بعض المتون الزرتشتية[٤].

٢ـ يتّصف المنجون بالخصال الحميدة و التقوى، و هم منزّهون عن السوء و الرذيلة، المزيلة لها. و مهمّتهم هي تبليغ و إيصال ما بدأه زرتشت.

و هناك إشارات جديرة بالاهتمام:

«هؤلاء [السوشيانيس] معتقدوا الطهارة، و باذروا بذور الحقّ»[٥].

١ـ المصدر السابق، ص ٩٦.
٢ـ حفظ نطفة زرتشت في مياه البحيرة و حمل الجارية بعد ألف سنة من هذه النطفة، و هذا مذكور في الكلام الأوّل من القسم الثالث كتاب نجات بخشی در ادیان، ص ١٤.
٣ـ دينكر سنجانا، ج ٧، ف ٩، ب ١٥ ـ ١٩. ٤ـ نجات بخشی در ادیان، مقالة أوّل.
٥ـ يسن ١٢، ب ٧.

«يهبون بصدق...»[١]... «يطردون الكذب...»[٢]... «يجتهدون في نفع الناس و نصرهم[٣]»[٤].

«نطلق على كبار العارفين في دين مزديستي: «آذربان»، و معلّموهم «رد» أي الرئيس، و هؤلاء «أمشاسپندان» أي الخالدون المقدّسون. والسوشيانيس هم الأعلم و الأصدق و الأحكم[٥]»[٦].

«... و نقبل... السوشيانسية هم الأعلم و الأصدق و الأنجد والأكبر[٧]»[٨].

«... بعد خمسة و سبعين سنة يولد سوشيانس على فراش رجل، لأجل تكميل رسالة زرتشت[٩]»[١٠].

و هذه شبيهة بما جاء في المتون الإسلامية حول المهدي (عج)، و أنّه من نسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يحيي الدين بالكامل، و هو رمز المقدّسات الدينية والإنسانية.

الثالث: خصائص زمان الظهور

نلفت إلى بعض الأمثلة من المتون الزرتشتية:

١ ـ هذه الخصائص المعبّر عنها في «اليسن ٣٤ ب ٦» بانتصار الحقّ على الكذب و في «اليسن ٤٨ ب ١» بانتصار الصادق على الكاذب.

١ـ يسن ٢٠، ب ٣.
٢ـ يسن ٦١، ب ٥.
٣ـ يسن ٧٠، ب ٤.
٤ـ نجات بخشی در ادیان، ص ٧٨.
٥ـ يسن ١٣، ب ٣.
٦ـ نجات بخشی در ادیان، ص ٨.
٧ـ ويسپرد ٣، ب ٥.
٨ـ نجات بخشی در ادیان، ص ١١.
٩ـ گزيده‌های زادسپرم، ف ٣٤، ب ٤٦.
١٠ـ نجات بخشی در ادیان، ص ٤٢.

٢ ـ «و [هوشيدر] الذي هو أوّل المنجين و المهّد للمنجي الأصلي سوشيانس يقضي على التنانين»[١]. «و سيعمل بالحقّ و يأخذ من الحقّ»[٢]. «كلّ المذاهب باطلة إلّا مذهب مزديست، و يعتقد الناس به و يؤمنون».

«و ستبطل بقيّة المذاهب، و سيقلّ الغضب و الحقد و الحرص و الرغبة والشهوة، و الناس في راحة و يسر»[٣].

«... و ستقلّ الرغبة و الحاجة و الحقد و الغضب و الشهوة و الحسد و الكفر والذنوب، و يذهب ذئب الزمان و تحل الأبقار... و أهريمن الخبيث والشياطين سيّئوا المنبت سيصيرون ضاوين مدهوشين...»[٤].

٣ ـ ألف: «و يكثر حليب الماشية حتّى يقال: إنّ حليب بقرة ذات ثلاث سنين يكفي لألف رجل»[٥].

ب: «[في دهر هوشيدر] لن يصيب الزرع القحل رغم كلّ شيء لثلاث سنين»[٦].

ج: «و يتلون الزرع لستّة سنوات بلون الذهب»[٧].

د: «لن يصيب الزرع القحل لستّ سنوات»[٨].

هـ: «و سيظلّ الشجر و أمثالها على نظارته في العالم إلى يوم القيامة[٩]»[١٠].

١ـ بند هش ٨، ص ١١٨.
٢ـ روايت ف ٤٨، ب ٢٥.
٣ـ صد در بند هش «در» ٣٥ ب ٣٨.
٤ـ زند بهمن، يسن، الفصل الثامن.
٥ـ دينكرد سنجانا، ج ٧٠، ف ٩، ب ١.
٦ـ روايت پهلوي، ف ٤٨، ب ٣.
٧ـ صد در بند هش «در»، ٣٥.
٨ـ روايت ف ٤٨، ب ٢٤.
٩ـ ب ٨، در ٣٥.
١٠ـ راجع: نجات بخشی در ادیان، المقالة الأُولى.

و يشبه هذا ما ورد أيضاً في الروايات الإسلامية بتعابير مختلفة حول زمان ما بعد الظهور حيث تكثر النعم و الخيرات و تتنزّل بركات السماء على أهل الأرض، و تكثر رحمة اللّه في ذلك الزمان.

الرابع: زمان ما قبل الظهور

يعتبر «الضحّاك» في متون زرتشت رمز الفساد و الظلم و الفساد، وبالنتيجة و بتحريض من «سوشيانس» الذي هو من نسل زرتشت يقوم شخص اسمه «گرشاسب» بقتله.

«يبتلع الضحّاك ثلث ممّا خلقه «هرمزد» من غنم الناس و أبقارهم»[١].

«يصيب الضحّاك فرصة من الزمن ليأكل ربع أغنام الناس من ايرانشهر[٢]»[٣].

«في ذلك اليوم يوقظ «سوشيانس» «زرتشت»... في البدء يوفد من عالم الأموات «گرشاسب سامان» و يقتل الضحّاك بقضيب من حديد و يمحوه من الوجود ثمّ يبتداء ألفيّة سوشيانس (المنجي الأصلي)[٤]»[٥].

في المتون الإسلامية كما رأينا يعتبر «الدجّال» رمز الظلم و الشرك

١ـ زند بهمن، يسن، ف ٩، ب ١٦.
٢ـ روايت، ف ٤٨، ب ٣٦.
٣ـ نجات بخشى در اديان، ص ٣٩.
٤ـ بند هش، ص ١٨٨.
٥ـ نجات بخشى در اديان، ص ١٠٣.

والكفر، و تكون عاقبته الموت بعد ظهور المهدي (عج)، و تسود العدالة ربوع العالم.

الجدير بالذكر أنّه نُقل في آخر كتاب «زرتشت پيامبرى كه از نو بايد شناخت» أقسام من المتون الزرتشتية حول الظهور و علائمه باللغة الپهلوية، ترجمها إلى الفارسية صادق هدايت. ذكر هذه الاقسام تحت عناوين الذّيل: «نبوءات زراتشت حول الظهور و علائم الظهور»، و «حوار زراتشت مع أورمزد حول الظهور و علائم الظهور»، و أيضاً «نبوءات زراتشت حول الظهور و علائم الظهور نقلاً عن كتاب زراتشت، تأليف بهرام بن پژدو».

و في متون تلك العناوين توجد عبارات كثيرة تنطبق على منجي البشرية الموعود آخر الزمان من أراد فليراجع[١].

بشارات البوذية

توجد في الديانة البوذية أيضاً بشارات حول منجي البشرية آخر الزمان؛ من جملتها:

١ ـ ينقل البوذيون في كتاب «دادنك» عن بوذا قوله:

بعد أن يتفشّى الظلم بين المسلمين، و يكثر الفسق و الفاسقين، و يتعدّى الحكّام، و يرائي الزاهدون، و يتخلّى الأُمناء عن ديانتهم و ينتشر الحسد و العالمون لا يعملون بعلمهم، فلا يبقى من الدّين إلّا اسمه، و يتحوّل السلاطين والرؤساء و

١ـ راجع: زرتشت پيامبرى كه از نو بايد شناخت، ص ٢٣٩ فما فوق.

الزعماء إلى ظلمة عديمي الرحم، و الرعية إلى عدم الطاعة و النفرة و عدم الإنصاف، و يجتهد الجميع إلى خراب نظام الدنيا و نشر الكفر و الجحود في تمام العالم، حينها ستظهر يد الحقّ، و يظهر خليفة «ممطا» [أي محمّد نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم] فيسيطر على مشرق الدنيا و مغربها، و يقود الناس إلى طريق الخير، و هو لا يقبل إلّا بالحقّ و العدل فقط[١].

٢ـ تطرح الديانة البوذية أكثر من بوذا، آخرهم سيكون منجي البشرية. ينتظر بعض البوذيين نزول بوذا من مقامه في سماء «توشيتا» إلى الأرض. و بوذا الخامس هذا ـ أو باعتقاد البعض بوذا الخامس و العشرين ـ سوف يحيي تعاليم «دارماي» و «گواتما بودا»[٢].

نشرت «مجلّة البلاغ» مقالة تحت عنوان «الشخص القادم» تذكر أنّ اسم ذلك الشخص الذي ينتظره البوذيون هو «ماتيا اوتارا» و «مهاتا بودا»[٣].

و في بعض الكتب البوذية مذكور أنّ اسم المنجي الموعود الذي هو بودا الخامس «ميتريه» أي الرحيم[٤].

بشارات الهندوس

و توجد في الديانة الهندوئية أيضاً بشارات للمنجي الأخير، من جملتها:

١ـ مصلح آخر الزمان، ص ١٤٩.
٢ـ اديان بزرگ بشريت مدرن، بوداييت، ص ٩٣.
٣ـ نشرية البلاغ، ج ٢٣، رقم ١.
٤ـ آيين بودا، ص ١٢١.

١ـ نقرأ في كتاب «شاكموني» الذي هو في معتقد الهندوس نبيّ و صاحب كتاب سماوي ما يلي:

تنتهي الدنيا بسلطة و دولة الولد الرشيد سيّد خلائق العالمين «كشن»[١] الجليل، و هو الشخص الذي يحكم قمم مشرق الدنيا و مغربها و يقودها و يركب السحاب، و تكون الملائكة من عمّاله، و يخدمه الجنّ و الإنس، و يملك من بلاد السودان الواقعة تحت خطّ الاستواء، إلى أرض (العريض) التسعين الواقعة تحت القطب الشمالي و ما وراء البحر، و يوحّد دين اللّه تعالى بعد أن يحييه، و اسمه «القائم» و «العارف باللّه»[٢].

٢ـ و نقرأ في كتاب «ديد» و هو كتاب سماوي في العقيدة الهندوسية:

بعد خراب العالم يظهر سلطان في آخر الزمان يكون زعيم الخلائق و اسمه «المنصور»[٣] يقبض على العالم، فيعتنق الناس دينه، يعرف المؤمن من الكافر، يعطيه اللّه كلّ ما يريد[٤].

٣ـ و نقرأ في كتاب «پاتيكال» الذي هو أحد قادة الهندوس ما يلي:

حيث تقارب الأيّام على الانتهاء، تتجدّد الدنيا و تحيا، و يظهر

١ـ كشن في اللغة الهندية هو اسم نبيّ الإسلام، و اسم ابنه اليافع كما في البشارة الهندية الآنفة «ايستاده» و «العارف باللّه» كما يسمّيه الشيعة بالقائم، (مصلح آخر الزمان، ص ١٣٢).
٢ـ المصدر السابق.
٣ـ في بعض الروايات «منصور» أحد أسماء المهدي عليه السلام، (المصدر السابق، ص ١٣٤).
٤ـ المصدر السابق.

صاحب الملك الجديد، و هو من أولاد سيّدي العالم، أحدهما ناموس آخر الزمان[١]، والآخر وصيّه الأكبر و اسمه «يشن»[٢] أمّا اسم الملك الجديد فهو «راهنما»[٣]، و يكون خليفة «رام»[٤] حقّاً و تظهر منه المعاجز، و كلّ من يلتجيء إليه و يختار دين آبائه يكون أحمر الوجه عند «رام» و ستطول دولته و يكون عمره أطول من عمر أبناء الناموس الأكبر، و به تنتهي الدنيا، و تُسخّر الأرض له من ساحل بحر المحيط و جزائر السراندیب و قبر آدم، و من جبال القمر إلى شمال هيكل الزهرة، إلى سيف البحر و المحيط، و يهدم معبد الأوثان «سومنات» و ينطق «جگرنات»[٥] بأمره، ثمّ يسقط إلى الأرض، و بعد أن يُكسر يُرمى في البحر الأعظم، و تتحطّم الأصنام في كلّ مكان[٦].

و في الوقت الحاضر يؤمن بعض الهندوس أنّ تاسع «الأوتار» هو بودا. فهم يعتقدون بمجيء «عشرة أوتار» من قبل اللّه تعالى، ثامنهم «گريشنا» و

١ـ المقصود من ناموس آخر الزمان الناموس الإلهي الأعظم خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، (المصدر السابق، ص ١٣٤).

٢ـ «يشن» اسم علي بن أبي طالب باللغة الهندية (المصدر السابق).

٣ـ «راهنما» أحد أسماء المهدي عليه السلام (المصدر السابق).

٤ـ «رام» اسم إله الهندوس (المصدر السابق).

٥ـ «جگرنات» باللغة السانسكريتية اسم صنم، و في عقيدة الهندوس هو مظهر اللّه في الأرض (المصدر السابق).

٦ـ المصدر السابق.

تاسعهم «بودا» و عاشرهم سيجيء آخر الزمان[١].

و مذكور في بعض الكتب أنّ اسم مصلح آخر الزمان في الديانة الهندوسية «كالانكي أوتار»[٢].

و بناءً على بعض كتابات الهندوس الأُخرى فإنّ العالم يتشكّل من أربعة عصور، كلّها سيصيبها الفساد و الانحطاط، و يكون العصر الرابع[٣] مليئاً بالظلم و الفساد بحيث يتسلّط الأفراد غير الصالحين على مقدّرات الناس، و تعمّ الرشاوى و الكذب و السرقة.

و في هذا العصر ـ بناءً على معتقد الهندوس و هو الزمان الذي نعيش فيه ـ لا يُعمل إلّا بربع «الدرمة» و هو الدين العالمي، و يُترك العمل بالأرباع الثلاثة الأُخرى[٤].

و في نهاية هذا العصر المظلم يظهر عاشر و آخر «الأوتار» و «يشنو»، واسمه «كلكي» أو «كلكين» راكباً على فرس أبيض و بيده سيف مسلول يقضي على الظلم و الفساد و يحلّ العدل و الحقّ مكانهم [الفرس الأبيض رمز القدرة و التوسّع] و يقضي على الـ«يمه» أو الموت، و يغلب على كلّ مخالفيه. «كلكي» له صفة إلهية فهو رجل إلهي يتّحد بشكل و مقام اللّه بلا حدود.

النتيجة

١ـ مقتطفات من مقالات «پنجمين گفتمان مهدويت»، مؤسّسة انتظار النور.

٢ـ نشرية البلاغ، ج ٢٣، العدد ١.

٣ـ و هو عصر «كلّي».

٤ـ أساطير الهند، ص ٤١، ٤٢، ١٢٥ و ١٢٦.

كلّما كانت الأحكام و المعارف في جميع الكتب السماوية و المتون الدينية التي تجيء بتعابير مختلفة، مناسبة مع لغتهم و ثقافتهم الخاصّة يحصل الاطمئنان للإنسان بالإجمال أنّ لهذه جذور إلهية، مهما أصابها من تحريف أو انحراف في فهمها أو تفسيرها نتيجة لعوامل مختلفة على مرّ التاريخ.

و موضوع المنجي آخر الزمان و أنّ البشرية في نهاية التاريخ ستصل إلى ذروة السعادة و العدالة، من جملة الموضوعات المشتركة و المطروحة في جميع الكتب السماوية و المتون الدينية[1].

و موضوع المهدي عليه السلام لم يُطرح صريحاً في القرآن الكريم، و لكنّا تطرّقنا بداية هذا التحقيق إلى ذكر الآيات التي أجمع المفسّرون الشيعة و السنّة و بالاستناد إلى بعض الروايات، على تطبيقها على المهدي عليه السلام.

المنجي من وجهة نظر العقل

كما أنّ الدليل العقلي أيضاً هو الآخر يبشّر بضرورة المنجي و وصول الإنسان إلى العدالة و السعادة و الكمال المطلوب في آخر الزمان.

و نلفت بهذا الشأن إلى شرح المرحوم العلّامة الطباطبائي، حيث يقول:

> أيّ نوع من أنواع الخلقة المختلفة منذ اليوم الأوّل لظهورها، تحمل بذاتها مسيرتها الكمالية و أهدافها النوعية في الحياة، وبالطاقة المودّعة تكون مشغولة للوصول إلى هذا الهدف

١ـ لمزيد من الاطّلاع راجع: نجات بخشى در اديان.

بلا تعب أو كسل.

فهذه حبّة الحنطة المتفتّحة تحمل ذاتية التحوّل إلى سنبلة كاملة، و كذا حبّة الشجرة التي تنمو لأجل التحوّل إلى شجرة كاملة تعطي ثمارها، و نطفة الحيوان التي تريد التحوّل إلى جنين تحمل في طياتها إرادة التحوّل هذه. و قس على ذلك بقيّة الموارد.

تصادم الأسباب و العلل المخالفة و الموافقة، مهما كانت مانعة لمسيرة كثير من الموجودات المتحرّكة بمجاميع متّصلة نحو أهدافها و كمالاتها، و من ثمّ يصيب الكثير منها المحو أو الاضمحلال قبل وصولها إلى غاياتها. و لكن مع كلّ ذلك لا يتوقّف نظام الخلقة من السير نحو كمالاته و تعبئة كلّ الطاقات لتحقيقها، و من ثمّ تصل جمع من المجاميع إلى أهدافها. و لا يستثنى النوع الإنساني من هذا الحكم العام و النظم الجمعي. بلا شكّ الإنسان نوع من أنواع الموجودات التي لا يمكنها أن تعيش منفردة و منعزلة، و لأجل الوصول إلى أهدافه التكوينية فإنّه مضطرّ لنيله إلى تحقيق هدفه الوجودي، أن يتّحد مع غيره.

و نظرة إلى أحوال المجتمعات البشرية يتأيّد هذا المعنى؛ إذ كلّ مجتمع ـ صغيراً كان أم كبيراً ـ ليس أمامه لنيل الهدوء و السرور و الارتقاء عن موانع الحياة إلّا ذلك.

و واضح أيضاً أنّ المجتمع البشري لم يستطع إلى الآن أن يحقّق هذا الهدف. و من جانب آخر فإنّ جهاز الخلقة لن يغيّر قوانينه في الحياة و لن يكون عاجزاً عن تحقّق أهدافه في آنٍ واحد. و وجهة النظر العقلية هذه تحمّل لنا البشرى و الأمل بأنّ عالم البشرية سيصل يوماً إلى تحقّق مثله الأعلى في السعادة، و إلى تحقّق كلّ الآمال و الطموحات الفطرية في ذات الإنسان.

و أيضاً نعلم أنّ الإنسانية لن تصل إلى هكذا محيط طاهر و نوراني من غير الاعتقاد بالواقع و التسليم المطلق للحقّ، و أثر ذلك فإنّ الإحساس بالأنانية و التفكير النفعي و الرذائل الأُخرى الموجبة للإخلال بحياة الفرد، سوف تُطرد من ذات الإنسان. و بالنتيجة سيصل الإنسان في مسيرته الاجتماعية إلى السعادة الكاملة، و سيعيش الناس في ظلّ الاعتقاد بالواقعية و الحقّ فى السعادة الحقيقية و الرفاهية و يتمتّع المجتمع بالأمن و الأمان المطلق من كلّ مزاحم و ما يوجب تألّمه الروحي.

و يؤيّد القرآن الكريم هذه النظرة و يبشّر أهل الحقّ نيله إلى ذلك اليوم[1].

١ـ ظهور الشيعة، ص ٦٣.

الفصل السابع:

شبهات

حول ولادة و غيبة المهدي (عج)

شبهات حول ولادة و غيبة المهدي عليه السلام

و في قسم آخر يطرح كاتب الكرّاسة ثلاث شبهات حول ولادة المهدي:

الشبهة الأُولى: عدم اعتقاد بعض علماء الشيعة بولادة المهدي الموعود(عج)

حيث ينسب إلى أصحاب كتب «الكافي» و «الإرشاد» و «جلاء العيون» و كتب أُخرى اعتقادهم بزيف فكرة ولادة المهدي عليه السلام.

الجواب

الفهم الخاطئ لكلام هؤلاء العظماء

حيث ينقل الكاتب من «الكافي» و «جلاء العيون» و «الإرشاد»[1] خبر تقسيم إرث الإمام الحسن العسكري عليه السلام بين أُمّه و أخيه عن أحمد بن عبيداللّه بن خاقان، و كان متصدّياً من قبل الخليفة على خراج قمّ، و كان مشهوراً بعدائه لأهل البيت عليهم السلام.

١ـ الكافي، ج ١، ص ٥٠٥؛ جلاء العيون، ج ٢، ص ٧٦٣؛ الإرشاد، ج ٢، ص ٣٢١ ـ ٣٢٥. هذا و إنّ كتاب الإرشاد لم يذكر أحداث تقسيم الإرث، و اكتفى بالقول: لازال السلطان يقتفي أثر ولد الحسن بن علي فلا يعثر عليه.

و عبيداللّه بن خاقان كان أحد وزراء المعتمد العبّاسي، و بعد انتشار خبر مرض الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان مأموراً من قبل الخليفة المعتمد بمراقبة ما يجري داخل بيت الإمام عليه السلام. و بعد شهادته، كانت عمليات تفتيش البيت للعثور على ولده، أو التحقّق من حمل و ولادة النسوة داخل البيت عبر القوابل المدسوسات، و كذلك عملية تغسيل الإمام و الصلاة عليه و دفنه، كلّ هذه كانت تجري تحت مراقبة هذا الشخص و أمره.

و الكاتب بصرفه النظر عن نقل هذه الحوادث المذكورة في الخبر و اكتفائه بنقل خبر تقسيم الإرث بين أُمّ الإمام عليه السلام و أخيه جعفر انتهى إلى هذه النتيجة ـ كما في فتاوى علماء السنّة ـ إلى أنّ أصحاب تلك الكتب أنكروا ولادة المهدي!

متغافلاً عن حقيقة أنّ تلك الكتب نفسها قد ذكرت تلك الوقائع، و هي وقائع إخفاء ولادة المهدي عليه السلام، و تعامل حكومة المعتمد بهذا الشأن، و أيضاً وقائع وفات الإمام الحسن العسكري عليه السلام، و سعي الحكومة العبّاسية لأجل العثور على ابنه و قتله.

و عملية الإخفاء تمّت بهذه الصورة: و هي جعل المراقبين يظنّون أنّ المهدي لم يولد أصلاً، و أنّ الورثة محصورة بين أُمّ الإمام و أخيه؛ من أجل حفظ حياة الإمام المهدي (عج) من الخطر المحدّق به. نعم، أُشيع بين خواصّ الشيعة الذين كانوا مورد اعتماد الأئمّة خبر إخفاء ولادة المهدي عليه السلام، وحسب القاعدة فإنّ الحكومة العبّاسية و نتيجة لعدم تحفّظ بعض عوام الشيعة عن إخفاء هذا الخبر تسرّبت إليها معلومات ناقصة تفيد

بولادته عليه السلام و إخفاء أمر الولادة من قبل أبيه، و أثر ذلك قامت بمراقبة بيت الإمام و بشدّة.

إذن نقل الخبر الآنف الذكر عن تلك الكتب لا يعدّ دليلاً على عدم إيمان و اعتقاد أصحابها بولادة الإمام المهدي عليه السلام.

بعض المسائل

و لأجل إبطال وهم ادّعاء الكاتب هذا نشير إلى بعض المسائل التي لها علاقة بدعواه:

المسألة الأُولى: التصريح بولادة المهدي عليه السلام في تلك الكتب المُشار إليها

ذكرت تلك الكتب أحداث ولادة المهدي عليه السلام و في أكثر من موضع، مثلاً جاء في كتاب «الكافي»:

«ولد المهدي سنة ستّة و خمسين و مائتين»[1].

و أيضاً عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله حين قُتل الزبيري:

«هذا جزاء من اجترأ على اللّه في أوليائه، يزعم أنّه يقتلني و ليس لي عقب، فكيف رأى قدرة اللّه فيه»[2].

ثمّ يضيف راوي الحديث و هو «أحمد بن محمّد»: «و ولد له ولد سمّاه «م ح م د»...»[3].

١ـ الكافي، ج ١، ص ٣٢٨، ح ٥ و ٥١٤، ح ٢.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٢٩، ح ٥.
٣ـ المصدر السابق.

يقول المرحوم المجلسي في كتابه «جلاء العيون»:

أجمع المحدّثون على أنّ ولادة المهدي «في سرّ من رأى»، واسمه و كنيته من اسم و كنية الرسول، و الرأي المشهور هو أنّ ولادته عليه السلام في النصف من شعبان سنة ٢٥٥، و قال البعض: سنة ٢٥٦ و البعض الآخر: سنة ٢٥٨[١].

و يقوم بتفصيل موضوع الولادة و خصوصياتها في «بحارالأنوار»[٢].

و يصرّح الشيخ المفيد في «الإرشاد»[٣] أيضاً أنّ ولادته عليه السلام كانت في النصف من شعبان سنة ٢٥٥، و كان عمره الشريف حين وفاة أبيه العسكري عليه السلام خمس سنوات.

عدم معرفة الكاتب بكتب الشيعة

إضافة إلى ما نسبه إلى أصحاب تلك الكتب: «الكافي» و «الإرشاد» و «جلاءالعيون» فإنّه في آخر كراسته و بالاستناد إلى كتاب «فرق الشيعة» ينسب بعض الكلمات غير الموثوقة إلى صاحب الكتاب النوبختي، ممّا يحكي عن عمق جهله بهذا الكتاب.

هكذا يكتب في الكرّاسة:

و لذا فإنّ النوبختي و إن كان شيعيّاً متعصّباً و معروفاً من كبار علماء الطائفة و فلاسفتها و متكلّميها، و لكنّه يقول بصريح

١ـ جلاء العيون، ج ٢، ص ٧٦٦.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٥١، ص ٢ فما فوق.
٣ـ الإرشاد، ج ٢، ص ٣٣٩.

العبارة و بلا إبهام أنّ الشيعة بعد موت الحسن العسكري انقسموا إلى طوائف مختلفة متحيّرة.

من أجل رفع الإبهام الذي أثاره نشير إلى عدّة أُمور:

١ـ كما هو واضح من اسم الكتاب «فرق الشيعة» فإنّ المؤلّف قام بعرض سريع للفِرَق و الطوائف الشيعية من زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى زمن الحسن العسكري عليه السلام، و لم يدخل في مبحث ردّ أو تأييد هذه الفرق، بل كلّ جهوده كانت صرف توضيح منشأ هذه الفرق، و ليس بصحيح ما نسبه إليه قوله أنّ الشيعة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام أصابتهم الحيرة و الارتباك في أُمور دينهم و دنياهم، بل أنّ النوبختي يكتب: «بعد رحيل الإمام العسكري عليه السلام فإنّ الشيعة انقسموا إلى فرق متعدّدة». و لم يدّع أيّ من هذه الفرق كانت أحقّ و أتبع لسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ جاء في «فهرست النجاشي» أنّ صاحب كتاب «فرق الشيعة» له كتاب باسم «الردّ على فرق الشيعة ما خلا الإمامية» لإثبات أحقّية الفرقة الاثنى عشرية و ردّ سائر الفرق، و لكن للأسف الشديد أنّ هذا الكتاب من بين الكثير من الكتب المفقودة التي لم تصل إلينا.

٣ـ ينقل الكاتب عن المرحوم النوبختي فيما يرتبط بالشيعة هكذا:

نعتقد نحن الإمامية بوفاة الإمام الحسن العسكري، و نعترف أنّ له ولداً من صلبه و هو مخفيّ و لكن لا يحقّ للناس أن يتوجّهوا إلى شخص مخفيّ و لا يجوز ذكر اسمه أو السؤال عن مكانه، و البحث عنه غير جائز و حرام.

فقوله «و لا يحقّ للناس أن يتوجّهوا إلى شخص مخفيّ...» تحريف مفضوح ربما سببه عدم معرفة الكاتب بهذا الكتاب، فالنوبختي في «فرق الشيعة» يقول:

ليس للعباد أن يبحثوا عن أُمور اللّه و يقضوا بلا علم لهم و يطلبوا آثار ما ستر عليهم و...[1].

فهل يستفاد من هذه العبارات التي نقلها النوبختي أنّ ولادة المهدي عليه السلام فكرة مجعولة و مفتعلة؟

يريد أن يقول: إنّه ليس على العباد أن يبحثوا في أُمور أخفاها اللّه و سترها و القضاء بلا علم فيها، و لم يقل إنّه لا يحقّ للناس أبداً التوجّه إلى آثار شخص و اتّباعه لأنّه مخفيّ، و شتّان ما بين هذين التعبيرين.

المسألة الثانية: ولادة و غيبة المهدي في روايات أهل السنّة

روايات كثيرة منقولة من طرق السنّة تدلّ على أنّ خلفاء النبي صلى الله عليه و آله و سلم اثنى عشر خليفة، تسعة منهم من ولد الإمام الحسين عليه السلام آخرهم القائم، و قد أشرنا إليها في الفصل الخامس. و تنقسم إلى طائفتين:

الطائفة الأُولى: المصرّحة بأنّ الخلفاء اثنى عشر خليفة و أنّ القائم (عج) هو الولد التاسع من صلب الحسين عليه السلام:

١ـ قال سلمان الفارسي: دخلت على النبي صلى الله عليه و آله و سلم فإذا الحسين عليه السلام على فخذيه و هو يقبّل عينيه و يلثم فاه و يقول:

١ـ فرق الشيعة، ص ١٠٩ و ١١٠.

«إنّك سيّد ابن سيّد أبو سادة، إنّك إمام بن إمام أبو أئمّة، إنّك حجّة بن حجّة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم»[1].

٢ـ قال سلمان: رأيت الحسين بن علي في حجر النبي و هو يقبّل عينيه و يلثم فاه و هو يقول:

«أنت سيّد بن سيّد، أخو سيّد، أنت إمام بن إمام، أخو إمام، أنت حجّة بن حجّة، أخو حجّة و أنت أبو حجج تسع، تاسعهم قائمهم»[2].

و ليس ببعيد أنّهما حديث واحد، و لكن نُقلا بطريقين.

و هذه الطائفة من الروايات تدلّ دلالة واضحة على أنّ المهدي عليه السلام مولود، و إلّا القول أنّهم تسعة من ولد الحسين كان لغواً!

الطائفة الثانية: الدالّة فقط على أنّ الأئمّة هم تسعة من ولد الحسين عليه السلام؛ للمثال:

١ـ رواية عبداللّه بن عبّاس عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم:

«أنا و علي و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون»[3].

٢ـ رواية سليم بن قيس، يقول: رأيت عليّاً في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم في خلافة عثمان و جماعة يتحدّثون، فأقبل القوم عليه فقالوا: يا أبا الحسن

١ـ مقتل الحسين، للخوارزمي، ج ١، ص ١٤٦؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٩١، ح ٨ مع تفاوت يسير. ٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩٤.

٣ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٢، ح ٤٣٠؛ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٣١٦.

ما يمنعك أن تتكلّم؟ فقال بعد الاحتجاج بالآيات و بحديث الغدير و بآية تكميل الدين[1]...:

«فقام أبوبكر و عمر فقالا: يا رسول‌اللّه هؤلاء الآيات خاصّة في علي؟ قال: بل فيه و في أوصيائي إلى يوم القيامة، قالا: يا رسول‌اللّه بيّنهم لنا قال: علي أخي و وزيري و وصيّي و خليفتي و وليّ كلّ مؤمن بعدي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم و هم مع القرآن، لا يفارقونه و لا يفارقهم حتّى يردوا علي الحوض... فقال: أنشدكم اللّه أتعلمون أنّ رسول‌اللّه قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك فقال: يا أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي، فتمسّكوا بهما لن تضلّوا، فإنّ اللطيف الخبير أخبرني و عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض، فقام عمر بن الخطّاب شبه المغضب فقال: يا رسول‌اللّه أكلّ أهل بيتك؟ قال: لا، و لكن أوصيائي منهم، أوّلهم أخي و وزيري و وارثي و خليفتي... هو أوّلهم، ثمّ ابني الحسن ثمّ ابني الحسين، ثمّ تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، حتّى يردوا علي الحوض...»[2].

١ـ الآية الشريفة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾، المائدة (٥): ٣.

٢ـ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٢، ح ٢٥٠.

٣ـ رواية طويلة عن ابن عبّاس عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في قصّة اليهودي...:

«... إنّ وصيّي و الخليفة من بعدي علي بن أبي‌طالب و بعده سبطاي الحسن ثمّ الحسين يتلو تسعة من صلب الحسين أئمّة أبرار». قال: يا محمّد فسمّهم لي. قال: «نعم، إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمّد... فإذا مضى علي فابنه محمّد، ثمّ ابنه علي ثمّ ابنه الحسن ثمّ الحجّة بن الحسن، فهذه اثنى عشر أئمّة عدد نقباء بني‌إسرائيل»[1].

لو قيل: لا تنافي بين مفاد بعض هذه الروايات الدالّة على أنّ الأئمّة التسعة من صلب الحسين، مع القول بأنّ المهدي الذي هو آخر خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم و من نسل الحسين عليه السلام، و لكنّه لم يولد بعد!

نقول: و إن كان مفاد بعض هذه الروايات يدلّ فقط على أنّ التسعة من الأئمّة عليهم السلام و منهم المهدي (عج) هم من صلب الإمام الحسين عليه السلام، و ليس فيها أيّ دلالة على ولادة أو حياة المهدي عليه السلام، و لكن بضميمة الروايات التالية التي تشير إلى ولادة المهدي (عج) و حياته تُحمل الروايات الآنفة قطعاً على ولادة الإمام التاسع من صلب الحسين عليه السلام، و أنّه حيّ غائب:

١ـ الروايات التي تذكر أسماء الأئمّة عليهم السلام واحد بعد آخر و أنّ المهدي هو آخرهم و ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام. و كلّها تحكي أنّ المهدي عليه السلام هو الولد التاسع من صلب الإمام الحسين و ابن الإمام العسكري و مولود في هذه الدنيا، و من باب المثال يمكن الإشارة إلى روايات عديدة، كرواية جندل عن

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٤، ح ٤٣١.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١]، و رواية ابن عبّاس حول سؤال نعثل من رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، و رواية جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣]، و رواية أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام[٤]، و رواية أحمد بن إسحاق عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام[٥]... و كلّها تمّت الإشارة إليها سابقاً.

٢ـ الروايات المنقولة من طرق الشيعة و السنّة و التي نقلناها سابقاً الدالّة على أنّ آخر خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المهدي) غائب و سوف يظهر، إذ المقصود من «الغيبة» و «الظهور» هو ظهوره في حال كونه حيّاً لا ميّتاً.

٣ـ الروايات الدالّة على أنّ الخلفاء هم اثنى عشر و أنّه لا يخلو زمان من واحد منهم، و قد نقلنا بعضها من كتب الشيعة و السنّة.

٤ـ الرواية المتواترة: «**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية**»[٦] الظاهرة على أنّه لا يخلو زمان من إمام مفترض الطاعة.

٥ـ الحديث المتواتر بين السنّة و الشيعة، و هو حديث الثقلين المعروف، و قد نوّهنا الإشارة إلية و شرحه، و فيه تصريح أنّ القرآن و العترة لا يفترقان عن بعض إلى أن تقوم الساعة، و لازم ذلك أنّه ما دام القرآن بين يدي الناس فالعترة كذلك، و هذه الحقيقة لا يمكن دركها من دون القول بولادة المهدي عليه السلام و حياته.

١ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٣.
٢ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٣، ح ٤٣١.
٣ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٣.
٤ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٦، ح ٤٣٢.
٥ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣١٧.
٦ـ و هي منقولة بحدّ التواتر في كتب السنّة من قبيل: المعجم الكبير، ج ١٩، ص ٣٨٨؛ حلية الأولياء، ج ٣، ص ٢٢٤؛ مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٢٢٥؛ كنز العمّال، ج ١، ص ١٠٣؛ مسند أحمد حنبل، ج ٤، ص ٩٦؛ رياض الصالحين، ص ٢٣٦.

و قريب من هذا المضمون أيضاً الرواية الثانية من الروايات السابقة ـ أي رواية سليم بن قيس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة من طرق الشيعة و السنّة ـ و فيه التصريح بالملازمة بين القرآن و العترة:

«... **ثمّ ابني الحسن ثمّ الحسين ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم و هم مع القرآن لا يفارقونه و لا يفارقهم حتّى يردوا علي الحوض...**»[١].

المسألة الثالثة: دلالة القرآن على حجّية العترة

كما بيّنا سابقاً ـ في الفصل الأوّل ـ حجّية العترة من القرآن، و ذلك لوجود آيات عديدة في القرآن تدلّ على حجّية السنّة النبوية، و من جانب آخر بيّنا أيضاً في مباحث سابقة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيّن العترة و أنّهم من يجب الرجوع إليهم مع القرآن الكريم، كما هو واضح جدّاً في حديث الثقلين و روايات أُخرى. و عليه فلو فرضنا ـ كما هو عليه معتقد السنّة ـ أنّ الأئمّة الاثنى عشر ليسوا خلفاء النبي، و لكنّ قولهم و فعلهم و تقريرهم حجّة قطعاً، بصريح ما دلّ من هذه الروايات.

إذن فقول الإمام علي عليه السلام و سائر الأئمّة عليهم السلام حول المهدي (عج) ـ كما جاء في الروايات المتواترة أو المستفيضة ـ و التي فيها دلالة واضحة على أنّ

١ـ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٥، ح ٢٥٠؛ الاحتجاج، ج ١، ص ٢١٤؛ الغدير، ج ١، ص ١٦٥.

المهدي (عج) هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام و هو مولود و غائب إلى زمان يقرّره تعالى له، هذا القول حجّة و معتبر.

المسألة الرابعة: تصريح كبار رجال السنّة بولادة المهدي عليه السلام

و قد ذكرنا سابقاً أكثر من ستّين اسم من كبار علماء و مؤرّخي و عرفاء المذهب السنّي الذين اعتقدوا بولادة المهدي (عج) و أنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام و أنّه مولود و حيّ و غائب.

الشبهة الثانية: إخفاء ولادة المهدي (عج) عن عيون بني هاشم

و يقول الكاتب في مقام نقله لرواية أحد المخالفين:

«كيف يمكن إخفاء مثل هذه الولادة عن عيون بني هاشم و عيون الأُسر العلوية و بالخصوص نقيبها أحمد بن عبدالصمد المشهور بابن الطومار و عنده سجل يقيّد فيه مواليد أبناء علي و تواريخها».

الجواب

فيما يرتبط عن السبب و العلّة في إخفاء خبر ولادته عليه السلام، هناك بعض الأُمور حريّ الالتفات إليها:

الف: شدّة حساسية الحكومة العبّاسية من مسألة الولادة و إخفاء خبرها

مع القطع بوجود العناية الإلهية الخاصّة في مسألة إخفاء حمل و ولادة الإمام عليه السلام، و لكن في الجانب الآخر و نتيجة لشدّة حساسية أجهزة الخلافة

العبّاسية بالنسبة لموضوع مولود الإمام العسكري عليه السلام كان من الطبيعي أن يقوم الإمام العسكري عليه السلام بإخفاء سرّ الولادة حتّى عن أقرب الناس إليه و هم بيوتات العلويّين و الهاشميّين؛ خوفاً من أن يشيع الخبر بين العوام و يصل إلى مسامع الحكومة المتربّصة «فكلّ سرّ جاوز الاثنين شاع».

ب: خصوصيات المهدي في أخبار الشيعة و السنّة

و يُستفاد من الروايات المنقولة من طرق الشيعة و السنّة أنّ موضوع المهدي (عج) في آخر الزمان هو موضوع على خلاف الشرائط الطبيعية أو ما يرتبط بالسنن الكونية المعمولة، و لذا جاء في بعض الروايات، و منها الروايات السنّية أنّه يختصّ بخصائص و خوارق عادات بعض الأنبياء، كخفاء ولادة نبيّ اللّه إبراهيم عليه السلام و اعتزاله الناس[1]، خوف و غيبة نبيّ اللّه موسى عليه السلام، اختلاف الناس في قضيّة عيسى عليه السلام، و فرج كرب أيّوب بعد شدّته، حكومة رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و اقتدارها، طول عمر الخضر عليه السلام و ذي القرنين عليه السلام[2] و...

لاحظ كتابي الصدوق: «كمال الدين»[3] و «الإمامة و التبصرة»[4].

و قد فُهم ذلك من مثل هذه الرواية: «**مثل المهدي كمثل الخضر**»، و موضوع طول عمره الشريف، إتيانه بأفعال غير طبيعية، كأفعال الخضر في

١ـ راجع: الميزان، ج ٧، ص ٢١٥.
٢ـ منتخب الأثر، ج ١، ص ٢٧٧، ح ٢٨٦ و ج ٢، ص ١٩٩، ح ٥٦٤.
٣ـ كمال الدين، ص ٣٥٠.
٤ـ الإمامة و التبصرة، ص ٩٤.

قصّته مع موسى عليه السلام التي نقلها القرآن الكريم. يعني يقوم المهدي في زمان غيبته بما يشبه تلك الأفعال التي قام بها الأنبياء الخارقة للعادة و السنن الطبيعية، و يمكن استفادة هذا المعنى من الخطبة رقم ١٥٠ في «نهج‌البلاغة».

ج: حوادث زمن الظهور غير الطبيعية في أخبار السنّة

و يستفاد أيضاً من الروايات السنّية حصول حوادث غير طبيعية و خارقة للعادة، سواء قبل زمان الظهور أو بعده، و مع هذا لا ينبغي الاستبعاد في ولادته و غيبته و طول عمره الغير الطبيعية، من باب المثال:

١ـ نُقل في «عقدالدرر» عن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله و سلم نزول عيسى عليه السلام من السماء في زمن الظهور و حصول أمور أُخرى[١].

٢ـ و في نفس الكتاب نقلاً عن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، قال:

«يكون في رمضان صوت»[٢]. و في صفحة ١٦٨ حديث رقم ١٦٢: «سيكون في رمضان صوت».

٣ـ و عنه صلى الله عليه و آله و سلم:

«و جبريل على مقدّمته و ميكائيل على ساقته، يفرح به أهل السماء و أهل الأرض و الطير و الوحش و الحيتان في البحر...»[٣].

١ـ عقدالدرر، ص ٧٣، ح ١١ و ص ٣٠٦، ح ٣٧٨.
٢ـ المصدر السابق، ص ١٦٥، ح ١٥٩.
٣ـ المصدر السابق، ص ٢٠٦، ح ٢١٥، و جاء بنفس المضمون في، ص ١٥٢.

٤ـ و عنه صلى الله عليه و آله و سلم أيضاً:

«يخرج المهدي على رأسه غمامة فيها ملك ينادي: هذا المهدي خليفة اللّه فاتّبعوه»[١].

٥ـ و عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام:

«ينادي منادٍ من السماء باسم المهدي فيسمع من بالمشرق و من بالمغرب...»[٢].

٦ـ ينقل المرحوم آية‌اللّه الصدر في كتاب المهدي عن إسعاف الراغبين: إنّ اللّه تعالى يمدّ المهدي بثلاثة آلاف من الملائكة، و أنّ أهل الكهف من أعوانه[٣].

يقول أبو إسحاق الثعلبي في «عقدالدرر»:

«إنّ المهدي يسلّم عليهم ـ أصحاب الكهف ـ فيحييهم اللّه عزّوجلّ له، ثمّ يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة»[٤].

و ينقل «الدرّ المنثور»[٥] و كتب أُخرى هذا الحديث بهذا الشكل: قال رسول‌اللّه:

«أصحاب الكهف أعوان المهدي».

١ـ المصدر السابق، ص ٢٠٥، ح ٢١٢؛ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢١٧.
٢ـ عقدالدرر، ص ٢٠٧، ح ٢١٧.
٣ـ المهدي، للسيد صدرالدين الصدر، ص ١١٣؛ إسعاف الراغبين، ص ١٣٦؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٤٤.
٤ـ عقدالدرر، ص ٢١٣، ح ٢٢٤، و ينسب الحديث في الهامش إلى الرسول‌الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم.
٥ـ الدرّ المنثور، ج ٤، ص ٢١٥.

٧ـ رواية حذيفة اليمان عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«... يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه و يظهر الإسلام، و اللّه لا يخلف وعده و هو سريع الحساب»[١].

نفس هذا المضمون مع اختلاف قليل نقل عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في «عقدالدرر»[٢].

٨ـ رواية أحمد بن إسحاق الأشعري عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد سؤاله عن حجّة اللّه من بعده فأجاب:

«إنّ اللّه لم يخل الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة من حجّة على خلقه...».

و بعد أن يقوم بتعريف خليفته و سؤال أحمد بن إسحاق عن علائم و أوصاف هذا الخليفة، جاء:

«... فنطق الغلام عليه السلام بلسانٍ عربيّ فصيح فقال: أنا بقية اللّه في أرضه و المنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين...»[٣].

و على هذا الأساس يجب أن لانستبعد ولادة المهدي عليه السلام لكونها جرت في ظروف غير عادية أو مألوفة.

١ـ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢٢١؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣٩١.

٢ـ عقدالدرر، ص ٧٩، ٩١، ٩٤، ح ٢٢، ٢٣، ٤٠، ٤٥ و ٥٠.

٣ـ منتخب‌الأثر، ج ٢، ص ١٩٩ نقلاً عن كتب الشيعة، و بنفس المضمون في ينابيع‌المودّة، ج ٣، ص ٣١٨.

د: تكرار سنن الأُمم السالفة

هذا و قد جاءت في بعض الروايات الشيعية و السنّية وجود شبه بين سنن الأُمم السابقة و هذه الأُمّة، من باب المثال:

روايات السنّة

١ـ يروي الحاكم في «مستدركه»:

«... لتتبعنّ سنن من قبلكم باعاً فباعاً و ذراعاً فذراعاً و شبراً فشبراً...»[١].

أي تحدث في هذه الأُمّة الحوادث التي حصلت على تلك الأُمم.

و جاء هذا الحديث بتفاوت يسير في **«صحيح البخاري»**[٢] و **«شرح نهج‌البلاغة»** لابن أبي الحديد[٣].

٢ـ رواية ابن عبّاس عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في قضية نعثل اليهودي و سؤاله رسول‌اللّه عن اللّه تعالى و صفاته و معنى التوحيد و أقسامه و عن وصيّه، فأجابه الرسول فيما أجابه:

«وصيّي و الخليفة من بعدي علي بن أبي‌طالب...».

ثمّ سأل الرسول نعثلَ عن أوصياء موسى أيعرفهم؟ فقال نعثل: نعم، هم اثنى عشر، أوّلهم لاوي بن برخيا غاب عن بني‌إسرائيل مدّة مديدة ثمّ أظهره

١ـ المستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ٣٧.

٢ـ صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٤.

٣ـ شرح نهج‌البلاغة، ج ٩، ص ٢٨٦.

اللّه و جدّد على يديه شرع موسى، و حارب قرشطيا سلطان زمانه و قتله، عندها قال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأُمّة مثله، حذو النعل بالنعل و القذّة بالقذّة...»، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «و آخرهم يغيب فلا يُرى»[1].

روايات الشيعة

ينقل الصدوق في «كمال الدين» عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«كلّ ما كان في الأُمم السالفة يكون في هذه الأُمّة مثله، حذو النعل بالنعل و القذّة بالقذّة»[2].

و في رواية أُخرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«والذي بعثني بالحقّ نبيّاً و بشيراً، لتركبنّ أُمّتي سنن من كان قبلها حذو النعل بالنعل...»[3].

و على هذا الأساس و بالنظر إلى تشابه حمل و ولادة المهدي (عج) غير الطبيعية مع حمل و ولادة عيسى عليه السلام و إبراهيم عليه السلام، و أيضاً تشابه غيبته عليه السلام مع غيبة الخضر عليه السلام و موسى عليه السلام و غيبة وصيّه الطويلة، و سائر الجهات المرتبطة بالمهدي (عج) الموجودة في الأُمم السالفة، فإنّه لا يجب على الكاتب المذكور و أمثاله أن يتعجّبوا من خفاء ولادة المهدي عليه السلام.

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٣، ح ٤٣١. ٢ـ كمال الدين، ص ٥٣٠.
٣ـ المصدر السابق.

الشبهة الثالثة: الاختلاف في ولادة المهدي عليه السلام

يقول الكاتب:

اختلاف أدعياء التشيّع في قضية الولادة دليل على عدم الولادة، و لهذا فإنّ أكثرهم بعد اليأس من ولد الإمام العسكري عليه السلام انقسموا إلى طوائف كلّ واحدة اتّخذت لنفسها إماماً معيّناً و....

الجواب

للإجابة على هذه الشبهة يجب القول: الاختلاف في خصوصيات ولادة المهدي (عج) و طريقتها ليس دليلاً على عدم حصول الولادة؛ و ذلك:

أوّلاً: كان من الطبيعي وجود اختلاف في مسألة مجيء ولد الإمام العسكري عليه السلام في ظلّ تلك الشروط الصعبة و الخوف و التقيّة؛ إذ لم يطّلع على ولادة المهدي إلّا الخواصّ من أصحاب العسكري عليه السلام.

ثانياً: من الممكن أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام و خواصّ الشيعة آثروا السكوت مقابل هذا الاختلاف لحفظ حياة هذا المولود.

ثالثاً: بعد إقامة الدليل العقلي و النقلي على شيء فإنّ الاختلاف بين الناس لا يكون دليلاً على نفيه. و قبل هذا قد ثبت قاطعاً أنّ المهدي هو ابن الحسن العسكري، و أنّه مولود و غائب.

رابعاً: قد وقع الخلاف أيضاً في تاريخ تولّد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فالمشهور

بين الشيعة هو السابع عشر من الربيع الأوّل في حين أنّ أهل السنّة يقولون: هو الثاني عشر من الربيع الأوّل، فهل ينبغي إنكار أصل تولّده؟ و أيضاً مثل هذا الاختلاف يشاهد في تولّد أكثر المشاهير من الشيعة و السنّة و لم يسمع من أحدٍ إنكار أصل التولّد.

الفصل الثامن:

غيبة المهدي (عج)

والخوف على النفس

غيبة المهدي عليه السلام و الخوف على النفس

و فيما يختصّ بموضوع علّة الغيبة يقول الكاتب:

يزعم الصدوق في رواية زرارة عن الإمام الصادق: «**و تكون للقائم غيبة قبل ظهوره**»، سألته: لماذا؟ فقال: «**يخاف من الذبح**». و الطوسي شيخ الطائفة يقول في تعليل ذلك: «لا يمنع ظهوره إلّا الخوف من القتل... و الخوف على النفس من القتل موضوع من الوهن حتّى يرفضه واضعي الفكرة أنفسهم، لأنّه كما جاء في كتبهم: أنّ هذا المزعوم سوف يكون مؤيّداً و منصوراً من قبل اللّه تعالى و أنّه سيملأ الأرض قسطاً و عدلاً... فهل يعقل ذلك من شخص خائف و مختفي ؟... و حينها سيتسائل أيّ عاقل: لماذا هذا الخوف من القتل والاختفاء في سرداب طالما أنّ الملائكة ستنصره... و أنتم قلتم في روايات عديدة: أنّ من شروط الإمامة الشجاعة و أن يكون أشجع الناس، و كيف يكون شجاعاً من يخاف من الموت! أليس هذا الجبن بعينه؟

و على هذا الأساس فلا ينبغي لهذا المزعوم أن يظهر حتّى تنمحي دول الظلم و الجور في هذا العالم و يزول خطر القتل

من الوجود، و حينها لا تكون حاجة إلى ظهوره... فمن لا يمكنه أن يدافع عن نفسه و يخاف من القتل كيف يمكنه أن يدافع عن الآخرين، و كيف سينتقم من أعدائكم؟!

و يُناقش هذا الموضوع عبر محورين:

المحور الأوّل: القرآن و الخوف على النفس

كما بيّنا في روايات سابقة أنّ هناك خصائص مشتركة بين المهدي و بعض الأنبياء. ففي قضية ولادة موسى عليه السلام و خفاءه، و أيضاً غيبته الموقتة بسبب خوفه من فرعون، و في النهاية غلبته عليه، كلّها من علائم هذا النبي، و قد أشار القرآن إلى هذه بقوله: ﴿**فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ...**﴾، ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾[1].

﴿**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا...**﴾[2].

مع أنّ موسى نبيّ معصوم و من أولي العزم، و لكن يصفه اللّه تعالى في كتابه بالخائف، و هذا لا ينافي أبداً نبوّته و ما له من مقام معنوي و قرب من اللّه تعالى؛ و ذلك لأنّ حفظ النفس من خطر العدوّ و التحضير للانتصار عليه هو من حكم العقل و غير قابل للتخصيص.

و قد كان هذا المعنى مشهوداً في سيرة أغلب الأنبياء بما فيهم نبيّنا الأكرم

١ـ القصص (٢٨): ١٨ و ٢١.
٢ـ الشعراء (٢٦): ٢١.

محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. أليس اختفاؤه في الغار كما أشار القرآن[1] إلى ذلك و خروجه متخفّياً في الليل من البيت و مبيت علي عليه السلام فراشه، و حصاره في شعب أبي طالب لثلاث سنوات، و أمثال ذلك إلّا الخوف على النفس و وجوب حفظها من أجل التحضير للانتصار النهائي الكبير بعد تهيئة أرضية و مستلزمات النصر الإلهي على العدو.

فهل يحقّ لنا أن نقول: أنّ هذا الخوف المعقول لموسى و لنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم دليل على عدم كفائتهما في أداء رسالتهما؟ أم أنّ إيمانهما بالنصر الإلهي كان ضعيفاً!

أُصولاً الشجاعة غير التهوّر، و أيضاً الخوف على النفس من القتل و الخطر غير الخوف المذموم؛ إذ مراقبة الخطر و التدبير لدفعه هو نوع من الشجاعة لا الجبن.

المحور الثاني: أرضية النصر الإلهي

يمكن أن يقال: لماذا تأخّر النصر الإلهي لموسى عليه السلام كلّ هذه السنين حتّى غرق فرعون و هلاكه، و كذلك لنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتّى حصلت كلّ تلك الحروب و المعانات؟ أما كان يجب أن يكون من أوّل دعوتهما؟

نفس هذا السؤال مطروح في قضية المهدي عليه السلام، يعني لماذا لا يكون هذا الدعم الإلهي و ظهور معاجز الأنبياء على يديه[2] و نزول الملائكة و إمداده

١ـ التوبة (٩): ٤.
٢ـ منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٤١.

بالمدد الغيبي و نداءات السماء ـ التي ذكرت في روايات عديدة ـ[1] سريعاً و ممكناً، إلّا بعد مضيّ كلّ هذه القرون من الغيبة و انتظار الفرج و تحمّل الصعاب و الامتحانات المختلفة بالنسبة للناس؟

أليس اللّه بقادر أن يبقيه ظاهراً و يحميه بقدرته من كلّ الأخطار المحدقّة و بالإمدادات الغيبية و الملائكة كما يفعل الآن في غيبته؟

نقول: يُستفاد من القرآن و الروايات العديدة أنّ النصر الإلهي أو الإتيان بالمعجزة بواسطة الأنبياء و القيام بأفعال خارقة للعادة و العلل الظاهرية و الخارجة عمّا هو متعارف، عن طريق الأولياء، له شرائط و مقدّمات من جملتها: إتمام الحجّة الإلهية على المعاندين و المنكرين، ابتلاء المؤمنين و امتحانهم من أجل تقوية إيمانهم و اكتشاف استعداداتهم و قدراتهم على تحمّل أمانتهم و ظهور و بروز كامل خبائث الكفّار و المشركين الباطنة. فأيّ نصر إلهي أو معجزة لا تكون مقرونة بهذه المقدّمات و الشروط لا يكون لها التأثير المطلوب، و ستكون في الحقيقة عبث و لغوٌ.

و على هذا الأساس فلو أن اللّه تعالى أنزل نصره بالمعجزة على موسى عليه السلام و على نبيّنا الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في بداية الأمر فلم يكن هناك لا امتحان و اختبار للمؤمنين و لا يفرق أو يميّز المؤمن عن الكافر، و لا تكون

١ـ إضافة إلى الروايات الشيعية فهناك روايات سنّية ذكرت ذلك، منها: عقدالدرر، الصفحات: ١٠١، ١٢٢، ١٦٥، ١٧٠، ٢٠٦ و ٢٢٩؛ الحاوي للفتاوى، ج ٢، ص ٢١٦ و ٢١٧؛ فرائدالسمطين، ج ٢، ص ٣١٦، الأحاديث ٥٦٦ و ٥٦٩؛ المصنّف، ج ١١، ص ٣٧٤؛ الدرّ المنثور، ج ٦، ص ٥٨ و ٥٩ وكتب عديدة أخرى. راجع: منتخب الأثر، ج ٣، ص ٦٦.

أرضية ظهور الاستعدادات الذاتية هناك للناس، و قهراً لا تتمّ الحجّة على الناس و لا يتقوّى إيمان المؤمنين كما ينبغي.

إضافة إلى هذا فإنّ الإنسان خُلق مختاراً حرّاً و باختياره انتخب الإيمان أو الكفر، و حصول ملكة الكفر و الإيمان أمر تدريجي لا يتمّ في ليلةٍ أو ضحاها، بل يكون حصولها و تقويتها و تحكيمها في مهبّ صعاب الابتلاءات والحوادث المتنوّعة، و الآية الشريفة: ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَ يَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[1] تشير إلى هذا المعنى.

دور الابتلائات في انقطاع البشر عن غير اللّه

من جانب آخر لو نزل الإمداد الإلهي الخاصّ على البشر من دون ابتلاء و امتحان من الممكن أنّ الناس العاديين البسطاء الذين علّقوا آمالهم على الأسباب و العلل المادّية ينسبوا تلك الأفعال إلى قدراتهم الذاتية، و يبقى إيمانهم ناقصاً بالقدرة الإلهية الخارقة للعادة و عدم استقلال أسبابها و عللها.

و لهذا السبب جرت السنّة الإلهية على وضع أولياء اللّه و أتباعهم موضع ابتلاءات صعبة حتّى يصل الأمر ببعضهم إلى أن يبلغوا إلى حدّ اليأس و القنوط من العلل و الأسباب الظاهرية، و من عدم تأثير دعوتهم، و الخوف من الانكسار و الهزيمة، و هذا ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن**

١ـ الأنفال (٨): ٤٢.

نَّشَآءُ...﴾[١]، و أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَ ٱلضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٢].

و نفس السنّة الإلهية هذه تجري في مسألة المهدي عليه السلام فليس هناك إمداد غيبي و انتصار عظيم على أعداء اللّه و العدالة إلّا بمقدّمات و ابتلاءات و امتحانات[٣].

من أجل توضيح هذا المطلب نشير إلى عدّة أمور:

١ـ يأس البشرية أرضية للظهور

الانتصار النهائي المطلق للحقّ على الباطل سوف يكون ميسّراً و عمليّاً و ذلك حينما تطوي البشرية جميع المراحل اللازمة، و تكون قد بذلت كلّ ما في وسعها. و مع ذلك فإنّها لن تصل إلى الهدف النهائي لها و هو الارتقاء إلى أعلى الكمالات المعنوية و الإنسانية و تحقيق الأخلاق المعنوية و الحسن الإلهي، و من ثمّ تحقيق و بسط العدالة في العالم. في تلك الحال تكون البشرية عطشى إلى سلوك طريق جديد و الاكتساء بزينة المعرفة الحقّة و تحقيق أسس المدينة الفاضلة الإنسانية، و مع بداية دعوة المهدي عليه السلام فإنّ

١ـ يوسف (١٢): ١١٠. ٢ـ البقرة (٢): ٢١٤.

٣ـ و فيما يرتبط بأنّ ظهور المهدي يكون بعد الامتحان الشديد للناس و وضع المؤمنين في ضيق و صعاب و تحمل لبلاءات كبيرة. راجع: روايات الفصل ٤٨، من كتاب منتخب الأثر، ج ٢، ص ٣٤٨.

جميع عطاشى العدالة و الحقيقة من كلّ مكان و من كلّ اتّجاه و تجربة بشرية الذين أصابهم اليأس و الحيرة، سيجتمعون حوله و يفدونه بأنفسهم.

و لن تكون تضحيتهم له بقتل المخالفين و المعاندين له كما يحبّ أن يصوّر ذلك البعض من منحرفي الذهن و يؤكّدونه في أذهان الناس، و إنّما بتحقيق الأهداف و القيم الإلهية في القول و العمل.

و على هذا الأساس فحينما سيرى الناس كيف أنّ المهدي عليه السلام بالقلّة القليلة من خلّص أصحابه سيقوم بتجسيم الأهداف الحقيقية للأنبياء و لرسالة الإسلام التي جاء بها نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله، و ما دعى إليه خلفاؤه العدول، و يرسم للعدالة صورتها الحقيقية بالعمل لا بالشعار و التبليغ و النفاق كما اعتاد عليه أدعياء الخلاص و النجاة على مرّ التاريخ، فإنّهم سوف يؤمنون به و ينصرونه و يتطلّعون إلى ذلك اليوم الذي ستبسط فيه حكومته المنشودة أعمدتها على هذه المعمورة، و تتمّ الحجّة بعد اليأس من تحقّق العدالة في هذا العالم.

و سيضمّ جيشه كلّ أولئك الذين أصابهم اليأس و القنوط ممّا نادى به أدعياء الخلاص و النجاة، و ستصل دعوات الحقّ على أيديهم في كلّ مكان، و تضيق الدنيا على أعداءهم من أعداء الحقّ و العدالة.

و بهذا الشأن حريّ الالتفات إلى رواية علي بن عقبة عن الصادق عليه السلام:

«... إنّ دولتنا آخر الدول، و لم يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا؛ لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء...»[١].

١ـ الإرشاد، ج ٢، ص ٣٨٥.

٢ـ الانقطاع عن الأسباب المادّية و نزول النصر الإلهي

و مع اتّساع رقعة الظلم و الجور على الأرض و إطالة أمد غيبة الإمام المهدي عليه السلام، تظهر على الناس حالة اليأس و القنوط كما حصل للأُمم السابقة، و لا يُستثنى منهم الأولياء أيضاً، و تصل الحال بالبعض إلى إنكار المهدي و وجوده، كما توضّح هذا الأمر روايات عديدة[1].

و عندما تيأس البشرية من كلّ العلل و الأسباب المادّية و التجارب الوضعية و تتوجّه إلى النصر الغيبي المتجسّد بظهور المهدي عليه السلام، عندها سيحصل التحوّل العظيم في هذا العالم.

و من كلّ ما ذُكر يتوضّح أنّ المهدي عليه السلام سوف لن ينتصر على أعداءه و يقيم حكومته وحده و بالإمداد الغيبي فقط ـ كما يحبّ أن يوهم الكاتب ذلك ـ و إنمّا بإضافة نصرة البشرية المتعطّشة لعدالته و حكومته المنشودة، حينها سينتصر على أعدائه و يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد أن تكون قد مُلئت ظلماً و جوراً.

و إذن، لا مجال لتوهّم الكاتب بأنّه طالما يوجد ظالم فسيبقى المهدي خائفاً من الظهور، و إذا ما انعدم الظلم و انمحت دول الظلمة فما الحاجة بعد إلى ظهوره؟

١ـ و قد جمعت أكثر الروايات المرتبطة بإنكار حضرة المهدي (عج) و الشكّ في وجوده بسبب طول غيبته في كتاب منتخب الأثر، ج ٢، ص ٢٤٢ و مابعدها، و من أراد فليراجع.

٣ـ تحقيق أفعال البشر بأيديهم

ليس من سنّة اللّه أن تتكفّل الملائكة بأفعال الناس، بل إنّ أعمال العالم التي من جملتها المادّية و الطبيعية و التي يجب على البشر الوصول فيها إلى درجة الكمال المطلوب يجرى عن طريق الأسباب و العلل الطبيعية ـ و من جملتها الناس أنفسهم ـ: «**أبى اللّه أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب**»[1].

كلّ ما هنالك أنّ هذا العالم في الحقيقة انعكاس أو ظلّ لعالم آخر خالٍ من المادّة و المادّيات، و هو واقع تحت تأثير هذا العالم ضمن شروط و أحوال معيّنة. و أصولاً لا يوجد نقص في مجمل نشاط العالم الغيبيّ، و كلّ ما هو موجود فإنّما هو في نطاق استعداد العالم المادّي، و هذا الاستعداد سوف يتحقّق على أرض الواقع في الإنسان مع سعيه العلمي و العملي. و أمّا إذا بقي أسير الدنيا و مادّياتها و لا يعمل بما تملي عليه التقوى و لا يجد الارتباط و التشابه بعالم ما وراء المادّة، فإنّه لن يكون أهلاً لنزول النصر الإلهي من خلال القوى الغير المحسوسة و التي يُعبّر عنها بالملائكة.

إذن فبمقتضى هذه الآية: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَ ٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ**﴾[2] يُفهم أنّ الناس بالإيمان و التقوى و تحمّل الابتلاءات سوف يستحقّون النصر الحقيقي الكامل على الباطل و الفساد المستحكم في هذا الأرض.

و ما جاء في بعض الروايات السابقة أنّ قدرة الرجل في زمان المهدي

١ـ بحارالأنوار، ج ٢، ص ٩٠، ح ١٤. ٢ـ الأعراف (٧): ٩٦.

ستعادل أربعين رجلاً، هو كناية على هذا المعنى و عن هذه القدرة الإيمانية و المعنوية و التحمّل الغير الطبيعي للصعاب و الامتحانات و صنوف الابـتلاء للمؤمنين الحقيقيّين و مشتاقي العدالة الحقّة.

٤ـ انتصار المهدي عليه السلام بنصرة أصحابه له

لم يأت في أيّ رواية أنّ المهدي عليه السلام سوف ينتصر لوحده على الأعداء، و لا يوجد عالم شيعي واحد يدّعي ذلك حتّى يسمح الكاتب لنفسه أن يقول ساخراً: «الذي لا يمكنه أن يدافع عن نفسه و يخاف القتل كـيف يـمكنه أن يدافع عن الآخرين و...»؟

بل، و كما جاء في الروايات العديدة المنقولة من طرق الشيعة و السنّة أنّه حين يظهر المهدي عليه السلام ستكون الأجواء كلّها مهيّئة لأن ينصره أهل الأرض و السماء و يبايعونه. أمّا بيعة أهل السماء فهو كناية عن تعاون القوّة الغـيبية و الملائكة مع أهل الأرض. و أمّا بيعة أهل الأرض فهو عبارة عن نـصرتهم و استقبالهم له، و جاء في بعض الروايات التي ذُكرت بهذا المضمون أنّه حتّى أهل الكتب و الأديان السماوية حينما سيرون إحاطته عليه السلام بكتبهم السماوية و حقائقها سيسلمون على يديه و يبايعونه على نصرته.

ليس من السنّة الإلهية في الماضي أن ينتصر الأنبياء أو خلفاؤهم وحدهم على أعدائهم لتحقيق الأهداف الإلهية المقدّسة على أرض الواقع.

الفصل التاسع:

الانتفاع بالمهدي (عج) في زمان غيبته

الانتفاع بالمهدي عليه السلام في زمان غيبته

و في هذا القسم ينكر الكاتب أيّ فائدة تُرجى من وجـود إمـامٍ غـائبٍ، و يقول:

بفرض قبولنا بولادة هذا المزعوم، فأيّ معنى في هذا الاختفاء في السرداب أو البئر؟... إذ ليست هناك أيّ مصلحة دينية أو دنـيوية تُـرتجى مـنه، و لن يـنتفع بـه لاالمـعتقدين بـه و لا منكريه... و هو ليس إلّا وسيلة بيد واضعيه من بائعي الدين الذين عطّلوا أهمّ أحكام الدين باسمه...

و حتّى [الإمام] الخميني يعترف أنّه ربما سيطول غـيابه و... فهل ستتعطّل أحكام الإسلام و قوانـين الشـريعة إلى حـين ظهوره؟... و معنى هذا الكلام أنّه ستبقى الشريعة الإسلامية معطّلة لفترة زمنية محدودة أي قرنين، و هذه أفـضح أنـواع النسخ في الشريعة....

يتلخّص الجواب على هذه الشبهة بمحورين:

المحور الأوّل: الاتّهام الباطل للشيعة

كما بيّنا سابقاً أنّ الشيعة لا يقولون بالتجاء إمام الزمان إلى سرداب، و قد

نقلنا سبب قداسة الشيعة للسرداب من قلم المرحوم آيةاللّه الصدر[1].

المحور الثاني: فوائد المهدي عليه السلام في غيبته

فوائد المهدي في حال غيبته قسمان: فوائد ظاهرية، و فوائد باطنية.

الفوائد الظاهرية

أمّا الفوائد الظاهرية: مثل ترويج الدين، حفظه من التحريف و الفهم الخاطئ، اجتهاد الناس و سعيهم لإجراء الأحكام و الحدود الإلهية، بيعتهم له، فهذه و إن كانت منتفية بنحوٍ مستقيم في زمان الغيبة، و لكنّ الفوائد الظاهرية غير منحصرة بهذه التي ذكرناها، بل و من خلال الروايات المتطرّقة لهذا الموضوع يُفهم أنّ للمهدي عليه السلام فوائد ستصل إلى الناس مع أنّ أغلبهم قد لا يفهمونها، و نذكر من باب المثال:

١ ـ الرواية الطويلة المنقولة من طرق السنّة عن جابر، قال:

بعد نزول هذه الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] سألت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: من هم أولي الأمر؟ فقال: «**هم خلفائي و أئمّة المسلمين**»، ثمّ ذكر أسماءهم واحداً بعد آخر حتّى وصل إلى المهدي عليه السلام: «**ولد الحسن بن علي الذي يفتح اللّه على**

١ـ في الفصل الخامس في الجواب على الاختلاف الثالث.

٢ـ النساء (٤): ٥٩.

يديه المشرق و المغرب، يغيب عن أصحابه و شيعته غيبة، و لا يثبت على القول بغيبته و إمامته إلّا من امتحن اللّه قلبه على الإيمان».

ثمّ سأله جابر: هل يصل إلى الناس نفع من غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**و الذي بعثني بالحقّ بشيراً هم يستنيرون بنوره في غيبته و ينتفعون بها كما ينتفع الناس من الشمس خلف السحاب**»[1].

٢ ـ جاء في توقيعه:

«**... و أمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، و إنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ**

١ـ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٤، ح ٢٥٠.

هذا و قد جاء في غاية المرام في انطباق الآية على أميرالمؤمنين عليه السلام: «ينقل إبراهيم بن محمّد الحموئي (صاحب كتاب فرائد السمطين) بسنده عن سليم بن قيس الهلالي، قال: رأيت عليّاً عليه السلام في مسجد رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في خلافة عثمان في جماعة من المهاجرين و الأنصار، فذكروا قريشاً و فضلها و سوابقها و هجرتها، و علي بن أبي‌طالب ساكت لا ينطق و لا أحد من أهل بيته، فأقبل القوم عليه و قالوا: يا أباالحسن، ما يمنعك أن تتكلّم؟ عندها بدأ الإمام عليه السلام يعدّ فضائله و الآيات النازلة بحقّه و منها هذه الآيات الآنفة الذكر».

و جاء أيضاً في هذا الكتاب أنّ ابن شهرآشوب نقل عن تفسير مجاهد ـ و هو من تفاسير السنّة ـ أنّ هذه الآية نزلت بحقّ علي عليه السلام، و شأن نزولها في سفر رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً من المدينة مخلّفاً عليّاً عليه السلام مكانه.

و قال ابن شهرآشوب: إنّ الحسن بن صالح بن حيّ ـ و كان زيدياً ـ سأل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية، فقال عليه السلام: المقصود بأولي الأمر أهل بيت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم. (غاية المرام، ص ٢٦٣، الباب ٥٨، من المقصد الأوّل).

النجوم أمان لأهل السماء...»[١].

٣ـ و جاء في جواب الإمام الصادق لسليمان الأعمش بعد سؤاله: كيف ينتفع الناس من شخص غائب؟ فقال عليه السلام:

«... كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[٢].

و طبعاً من الممكن أنّ هاتين الروايتين و نظائرهما ناظرات إلى الفوائد الباطنية المعنوية للإمام المهدي عليه السلام في حال غيبته، و لأجل تفهيم السائل شُبّهت هذه الفوائد بالفوائد المادّية الظاهرية كالشمس و هي خلف السحاب. و لكن بالنظر إلى كون الفوائد الباطنية للإمام مخصوصة لكلّ عوالم الخلقة و لكلّ الموجودات ـ أعمّ من الإنسان و غير الإنسان ـ من الممكن أن يكون مقصود هاتين الروايتين الفوائد الظاهرية و الاجتماعية التي تصل إلى الناس و إن لم يكونوا يحسّون بها و لم يروا شخصه عليه السلام أو يعرفوه أصلاً، كما سيجيء في الحديث التالي المنقول عن «نهج‌البلاغة».

٤ـ يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصفه للملاحم و الفتن و حوادث آخر الزمان:

«ألا و إنّ من أدركها منّا يسري فيها بسراجٍ منيرٍ و يحذوا فيها على مثال الصالحين ليحلّ فيها ربقاً و يعتق فيها رقّاً و يصدع شعباً و يشعب صدعاً، في سترة عن الناس لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره»[٣].

١ـ بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٩٢، ح ٧. ٢ـ المصدر السابق، ح ٦.
٣ـ نهج‌البلاغة، الخطبة ١٥٠.

يُستفاد من هذه الخطبة بوضوح أنّ الناس سينتفعون من المهدي عليه السلام في حال غيبته فوائد ظاهرية، حيث يحلّ ما اجتمع عليه الناس، و يجمع ما تفرّقوا عنه، و يحلّ العقد الصعاب، و يسهّل المشاكل و إن لم يحسّوا به أو يشاهدوه و يعرفوه، تماماً كالشمس خلف السحاب، فهي و إن كانت محجوبة و لكن تصلهم فائدتها و ينتفعون بها. و وصول منفعة من شخص إلى شخص لا يستلزم بالضرورة علم المنتفع أو مشاهدته له. من باب المثال في حالة النوم مع وصول فوائد كثيرة من علّة العلل أي اللّه عبر أسباب الحياة، و لكن الإنسان لا يحسّ بها. أو المعاندين و منكري وجود اللّه تعالى فهم مع عدم معرفتهم و قبولهم له أو كانوا من أعدائه، و لكن تشملهم فيوضات رحمته و بركاته.

الفوائد الباطنية

١ـ العلّة الغائية للعالم

العلّة الغائية للإمام بالنسبة إلى خلق العالم بهذا المعنى: أنّه و إن كان اللّه تعالى هو المبدأ الأوّل للعالم و أنّه الهدف النهائي و العلّة الغائية له، و لكن أعلى هدف في مجموع هذا العالم للموجودات هو أكمل موجود و محصول تمّ تربيته في أحضان الكون، أي الإنسان الكامل.

و بعبارة أُخرى: الإمام يعني الإنسان الكامل ـ أعمّ من النبي أو وصيّ النبي ـ هو العلّة الغائية لفعل اللّه تعالى، و قد أشار إلى ذلك الحديث القدسي:

«لولاك ما خلقت الأفلاك»[١].

١ـ بحارالأنوار، ج ١٥، ص ٢٨، ح ٤٨.

و يُستفاد من هذا الحديث أنّه لن تخلُ الأرض أبداً من إمام حـقّ يـعتبر أكمل الناس، و عدم معرفته يوجب الميتة الجاهلية.

٢ـ الإمام واسطة الفيض

لأجل توضيح هذا المعنى لابدّ من الالتفات إلى حقيقة الإمامة من وجهة نظر قرآنية.

للمرحوم العلّامة الطباطبائي كلام بهذا الشأن في ذيل تفسيره لهذه الآية: ﴿**وَ إِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَـٰتٍ**﴾[1]، نقتطف منه هذه المقاطع:

«الإمامة موهبة إلهية غير موهبة النبوّة، و الرسالة و رئاسة الدين و الدنيا و الخلافة و الحكومة و المطاعية، و من هنا فإنّ اللّه تعالى بعد أن أعطى إبراهيم مقام النبوّة و الرسالة و امتحنه بعدّة امتحانات و اختبره بعدّة ابـتلاءات فـي أواخـر العـمر، اصـطفاه لمـقام الإمـامة و قـال: ﴿**...إِنِّـى جَـاعِلُكَ لِـلنَّاسِ إِمَامًا...**﴾[2].

و الذي نجده في كلامه تعالى: أنّه كلّما تعرّض لمعنى الإمامة تعرّض معها للهداية تعرّض التفسير، قال تعالى في قصص إبراهـيم عليه السلام: ﴿**وَ وَهَـبْنَا لَـهُ إِسْحَـٰقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلاًّ جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ * وَ جَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[3].

و في سورة السجدة: ﴿**وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَ**

١ـ البقرة (٢): ١٢٤.
٢ـ البقرة (٢): ١٢٤.
٣ـ الأنبياء (٢١): ٧٢ و ٧٣.

و الهدف من الإنسان الكامل تجلّي أسماء و صفات اللّه تعالى، التي تظهر في مرآة النبوة و الإمامة و بتعبير آخر: الهدف الأسمى من إيجاد نوع الإنسان هو الإنسان الأكمل، و تحقيق هذا النوع تمّ بإيجاد الإنسان الأوّل و هو آدم أبوالبشر، و كان هو أوّل إنسانٍ كامل، و لطالما كان هذا النوع الإنساني متحقّقاً بالخارج سيكون هناك إنسان كامل متجسّماً في أفـراد مـتنوّعين (الأنـبياء و الأئمّة)، و في غير هذه الصورة سيحصل تعطيل للمبدأ و العلّة الغائية لهذا العالم، فكما أنّ تخلّف المعلول عن علّته الفاعلة محال فكذا تخلّفها عن علّتها الغائية.

و في الحقيقة أنّ تهيئة و إعداد الإنسان الكامل مثل تهيئة و إعداد الفاكهة الجيّدة، فلكي يحصل عليها الإنسان فإنّه يقوم بزراعة البساتين و رعايتها و تحمّل صعوبات العمل لحفظها و... و بـدون تـحقيق هـذا الهـدف و الغـاية المذكورة ستكون خلقة العالم ضرب من اللهو و العبث، فلابدّ من وجود هذه الغاية في أيّ زمان؛ و إلّا فسيفقد العالم المادّي فلسفته و وجوده و يفنى.

هناك روايات كثيرة ناظرة إلى هذا الموضوع جاءت في تعابير مختلفة تقول:

«لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[1].

و جاء في رواية متواترة بين السنّة و الشيعة:

«من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية»[2].

١ـ الكافي، ج ١، ص ١٧٩، ح ١٠ و جاءت بنفس المضمون في الأحاديث ١١ و ١٢ و ١٣.
٢ـ و بنفس المضمون منقول من طرق السـنّة بـما يـبلغ التـواتـر، مـن جـملة الكـتب النـاقلة: المعجم الكبير، ج ١٩، ص ٣٨٨؛ حلية الأوليـاء، ج ٣، ص ٢٢٤؛ مـجمع الزوائـد، ج ٥، ص ٢٢٥؛ كنز العمّال، ج ١، ص ١٠٣؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٩٦؛ شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٣٩.

﴿كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١]، فبيّن في الآيتين أنّ الإمامة التي أعطاها لبعض الأنبياء ليست مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بأمر اللّه، و هذا الأمر هو الذي بيّن حقيقته بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ...﴾[٢].

إنّ الأمر في هذه الآية هو الذي تسمّيه الآية المذكورة بالملكوت، والملكوت وجه آخر للخلق يواجهون به اللّه سبحانه و يصدر عنه، و هذا الوجه ليس إلّا واحداً: ﴿وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٣]، طاهر مطهّر من قيود الزمان و المكان، خالٍ من التغيّر و التبدّل.

و بالجملة فالإمام هادٍ يهدي بأمرٍ ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، و هدايتها إيصالها إيّاهم إلى المطلوب بأمر اللّه دون مجرّد إرائة الطريق الذي هو شأن النبي و الرسول و كلّ مؤمنٍ يهدي إلى اللّه سبحانه بالنصح و الموعظة الحسنة.

إذن يستفاد من الآيات المذكورة هكذا: أنّ الإمام بسبب كونه إنساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت، فله نوع من الولاية التكوينية على باطن العالم، ممّا يدلّ على أنّ كلّ ما يتعلّق به أمر الهداية فللإمام باطنه و حقيقته، يعني إيصالها ـ عملياً ـ إلى الهدف النهائي و المطلوب، و في الحقيقة واسطة للفيض و التي هي الهداية و الإيصال إلى الكمال المطلق.

١ـ السجدة (٣٢): ٢٤.
٢ـ يس (٣٦): ٨٢ و ٨٣.
٣ـ القمر (٥٤): ٥٠.

و هذا النوع من الهداية دون مجرّد إرائة الطريق نحو الكمال و الحقّ، والدليل و الإرشاد لهما و إنّما مرحلة أعلى من ذلك، إرائة الطريق شأن كلّ نبي و رسول بل و كلّ مؤمن، و لا ينحصر بالإمام، الذي ينحصر بالإمام و حقيقة الإمامة (الهداية بأمر) و إيصال أفراد خاصّين نحو الكمال، أفراد يمكن أن تشملهم الهداية بحيث تجعلهم مطيعين و منقادين للإمام في كلّ شؤونهم و دوافعهم، و يجعلونه مقتداهم في جميع أبعاد حياتهم»[١].

الجدير بالذكر أنّ عبارة: «ينتفعون بولايته في غيبته...»[٢] المذكورة في رواية جابر المنقولة من طرق السنّة في نفس سياق الموضوع المستفاد من القرآن حول حقيقة الإمامة، فإن كان المقصود من كلمة «ولايته» الاتّباع الكامل لأهدافه عليه السلام فستكون الولاية منحصرة بالأولياء من الشيعة، و على هذا فلا تنحصر فائدة الإمام بالمنافع الظاهرية فقط.

والمقصود من اللطف الذي يقوله المرحوم الخواجة الطوسي في كتاب «تجريد الاعتقاد»[٣] فيما يرتبط بوجود الإمام المعصوم:

«و وجوده لطف إلهي، و تصرّفه لطف آخر، و عدمه منّا»، هي الفوائد الظاهرة و الباطنة.

١ـ الميزان، ج ١، ص ٢٧٠.
٢ـ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٤، ح ٢٥٠.
٣ـ كشف المراد، ص ٥٠٧ ـ ٥١٠، المقصد الخامس، المسألة الأولى.

عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله و الإمام عليه السلام

الروايات الدالّة على أنّ أعمال العباد تُعرض على النبي صلى الله عليه وآله و الأئمّة عليهم السلام تشير إلى حضور باطن الأعمال عند الإمام و أنّه ناظر على أعمال الناس نحو نظارةٍ، و أنّه يعلم ما يسرّون.

و من باب المثال في «الكافي» باب يحمل هذا العنوان[١]، و كذلك الروايات التي تصف النبي صلى الله عليه وآله و الأئمّة عليهم السلام بأنّهم شهداء و حضور على الناس[٢]. جاء في الرواية الرابعة من ذلك الباب عن عبداللّه بن أبان الزيّات ـ و كان مكيناً عند الرضا عليه السلام ـ قال: قلت للرضا عليه السلام أُدع اللّه لي و لأهل بيتي، فقال عليه السلام:

«أو لست أفعل؟ و اللّه إنّ أعمالكم لتعرض علي في كلّ يوم و ليلة». قال: فاستعظمت ذلك فقال لي: «أما تقرأ كتاب اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَ قُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّـهُ عَـمَلَكُمْ وَ رَسُـولُهُ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، قال هو و اللّه علي بن أبي طالب عليه السلام»[٤].

و سبب ذكر اسم علي عليه السلام مع أنّه لا يوجد اختلاف بينه و بين سائر الأئمّة المعصومين؛ أنّه في زمان نزول الآية لم يكن إلّا علي عليه السلام مصداق هذا الأمر؛

١ـ الكافي، ج ١، ص ٢١٩.
٢ـ بحارالأنوار، ج ٧، باب «السؤال عن الرسل و الأُمم».
٣ـ التوبة (٩): ١٠٥.
٤ـ الكافي، ج ١، ص ٢١٩، ح ٤.

و إلّا فكلمة المؤمنين تُطلق على الجمع، و تشمل كلّ الأفراد الذين يستحقّون هذا المقام.

إشكال و جواب

و قد يُتوهّم: أنّ لازم ذلك أن يكون مقام الأئمّة عليهم السلام أعلى من مقام النبوّة، و الحال أنّه ليس كذلك.

و لأجل توضيح هذا المطلب يجب أن نعرف أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إضافة إلى تمتّعه بمقام النبوّة و الرسالة، فقد حباه اللّه تعالى بمقام الإمامة أيضاً، و بكونه خاتم الأنبياء فقهراً يجب أن يكون أعلى منهم من حيث الكمال و المقام المعنوي و إحاطته بملكوت العالم و أسراره. فما قضية المعراج التي أشار إليها القرآن في سورة الإسراء و النجم إلّا حكاية عن انكشاف و ظهور ملكوت العالم له و يقينه بالغيب، و هذا الموضوع خارج عن بحثنا.

سؤال يُطرح على كاتب الكرّاسة

مع كلّ هذا الروايات المتواترة بين الشيعة و السنّة حول حياة المهدي عليه السلام و غيبته، و الآيات الدالّة على حجّية سنّة النبي صلى الله عليه وآله، و بالتبع عترته الطاهرة، بالإضافة إلى الاستدلال القرآني الذي نقلناه مؤخّراً من تفسير «الميزان»، كيف يقطع كاتب الكرّاسة مدّعياً أنّ غيبة المهدي (عج) لا فائدة تُرتجى منها؟ كيف اطمأنّ إلى عدم وجود المصلحة الدينية و الدنيوية لهذه الغيبة؟ أم عنده

علم الغيب ـ بعد أن أنكره عنهم ـ بحيث يقف على جميع مجريات الأُمور؟

أقصى ما يحقّ له أن يقول إنّه لا يملك العلم و الاطّلاع عن فوائد هذه الغيبة، لا أن ينكرها.

في ذات الإنسان و الطبيعة توجد أشياء كثيرة لا يعلم عنها الناس شيئاً، فهل هذا دليل على عدم وجودها؟ و قد أشار القرآن الكريم إلى محدودية علم الإنسان بقوله: ﴿وَ مَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[1].

المحور الثالث: تعطيل أغلب أحكام الدين في زمان الغيبة

تعطيل أغلب أحكام الدين في زمان الغيبة ـ كما يعدّها الكاتب من لوازم الاعتقاد الشيعي بغيبة المهدي (عج) ـ ليس له أساس من الصحّة، و اتّهام باطل؛ إذ لا يوجد عالم شيعي واحد يعتقد بتعطيل الأحكام في زمان الغيبة، بل ما هو موجود في أكثر كتابات علماءالشيعة هو: أنّ بعض أحكام الدين كالحدود و نحوها و تهيئة أرضية إجراء الأحكام على أيدي الناس، في عصر غيبته بحاجة إلى القدرة و الحكومة، و هذا ما يفتقده الشيعة في زمان الغيبة، ممّا يعني تعطّل بعض الأحكام، و عقيدة أغلب علماء الشيعة هو أنّه لو تمهّدت الأرضية في زمان الغيبة لإجراء حدود الأحكام الشرعية فيجب إجراؤها.

و اختلاف الرأي إنّما هو في كيفية تحصيل القدرة و الحكومة لإجرائها،

١ـ الإسراء (١٧): ٨٥.

و هل ذلك واجبٌ شرعاً أم لا؟ و مقصود الإمام الخميني في كتاب الحكومة الإسلامية، هو هذا المعنى، و أنّه لولا الإقدام بتأسيس الحكومة الإسلامية في زمان الغيبة لتعطّلت الحدود الإلهية.

و طبعاً اختلاف النظر هذا بين علماء الشيعة لا ربط له في المدّعى.

و لاننفي إمكان حصول الفهم المغلوط لفلسفة غيبة الإمام عليه السلام أو سوء الاستفادة من البعض لها، إذ من الممكن أنّ البعض يتصوّر أنّه في زمان الغيبة تتعطّل موقّتاً بعض الأحكام القطعية في الإسلام مثل: مسائل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، مجاهدة الطواغيت و الظلمة، السعي لتحقيق القيم الإسلامية و العدالة و ... و يوكل العمل بها إلى شخص الإمام عليه السلام بعد ظهوره. أو على فرض أنّ البعض يسيء إلى اسم الإمام أو نيابته لأجل أغراض غير سليمة، و لكن هذا الأمر لا ينفع دليلاً لإنكار أصل ولادة و غيبة إمام الزمان عليه السلام.

على مرّ التاريخ قام الكثيرون عن جهلٍ أو عمدٍ بسوء الاستفادة من كلّ أمرٍ مقدّس، كادّعاء الفراعنة الربوبية، و ادّعاء مسيلمة الكذّاب النبوّة، و ادّعاء الإمامة و خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قبل بعض الأفراد و لحقبات طويلة جدّاً، أمثال خلفاء بني أُمية و بني العبّاس و غيرهم، ادّعاء المهدوية و أيضاً النيابة عن إمام الزمان من قبل بعض الفرق الضالّة و عوامل خارجية، و... كلّ هذا لا يستدعي إنكار أصل وجود اللّه تعالى، أو نبوّة الأنبياء عليهم السلام، أو إمامة الأئمّة المعصومين عليهم السلام، و ولادة و غيبة الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

إضافة إلى هذا فإنّ ادّعاء الكاتب ما نسبه إلى الشيعة من قولهم بـتعطيل الأحكام يصدق على السنّة أيضاً؛ إذ عملياً و طوال تاريخ ما بعد النبي و إلى يومنا هذا قد تعطّلت الكثير من أحكام الإسلام في أكثر المجتمعات السنّية.

فهل يجوّز الكاتب أن يهمل أهل السـنّة دينـهم و يـتركوه أو يـزعمونه موهوناً؟

الفصل العاشر:

علم الأئمّة(ع)

بالحوادث و الكتب السماوية

علم الأئمّة عليهم السلام بالحوادث و الكتب السماوية

حول علم الأئمّة عليهم السلام غير الطبيعي يطرح الكاتب أربعة مواضيع:

الموضوع الأوّل:

علم الأئمّة عليهم السلام بما كان في الماضي و ما سيكون في المستقبل

يستهزىء الكاتب بمضمون الروايات الحاكية عن علم الأئـمّة بـالكتب السماوية السابقة و لغاتها[1]، و «الصحيفة المختومة» الواصلة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأئمّة عليهم السلام يداً بيد[2]، و «الجفر» و «الجامعة»، و «مصحف فـاطمة»[3]، و أنّ الأئمّة عندهم «علم ما كان و ما يكون و أنّه لا يخفى عليهم الشيء»[4]، وأيضاً الروايات الدالّة على عدم اشتراط السنّ للإمام كالأنبياء:[5]، حيث يكتب:

> ... و لأنّهم يدّعون... أنّ الإمام عـالم و مـطّلع بـما كـان فـي الماضي و ما سيكون في المستقبل، و لا يخفى عـليه شـيء، وعنده جميع الكتب النازلة من قبل اللّه تعالى على أنـبيائه، وهو عالم بها و بلغاتها....

و لتوضيح هذا الموضوع نقوم بتحليله، فنقول:

١ـ الكافي، ج ١، ص ٢٢٧.
٢ـ المصدر السابق، ص ٢٣٥، ح ٧.
٣ـ المصدر السابق، ص ٢٣٨.
٤ـ المصدر السابق، ص ٢٦٠.
٥ـ المصدر السابق، ص ٣٨٢.

إمكان معرفة الإنسان بالغيب

رأي أبي علي سينا

هذا أبو علي سينا مع كونه من كبار الحكماء العقليّين و يبتعد عن أصحاب الحكمة الإشراقية و أهل العرفان فيما يذهبون إليه، و لكنّه يقول في كتاب «الإشارات» حول فرضية إمكان معرفة الإنسان بالغيب ما نصّه:

> و إذا بلغك أنّ عارفاً حدّث عن غيبٍ، فأصاب متقدّماً ببشرى أو نذيرٍ فصدِّق و لا يتعسّرنّ عليك الإيمان به؛ فإنّ لذلك في مذاهب الطبيعة أسباباً معلومة[١].

و يستدلّ لهذا الإمكان قائلاً:

> التجربة و القياس [البرهان] متطابقان على أنّ للنفس الإنسانية أن تنال من الغيب نيلاً ما في حالة المنام، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل في حال اليقظة، إلّا ما كان إلى زواله سبيل و لارتفاعه إمكان.
>
> أمّا التجربة فالتسامع و التعارف يشهدان به، و ليس أحدٌ من الناس إلّا و قد جرّب ذلك في نفسه تجارب ألهمته التصديق، اللهمّ إلّا أن يكون أحدهم فاسد المزاج نائمٌ قويّ التخيّل و التذكّر. و أمّا القياس فاستبصر فيه من تنبيهات[٢].

١ـ الإشارات و التنبيهات، الجزء الرابع، النمط العاشر، الفصل السابع، ص ١١٩.
٢ـ المصدر السابق، الفصل ٨.

و يستدلّ لكلامه هذا في عدّة فصول، حتّى ينتهي إلى الفصل العاشر، يقول:

> و لنفسك أن تنتقش بنقش ذلك العالم بحسب الاستعداد، و زوال الحائل، و قد علمت ذلك فلا تستنكرنّ أن يكون بعض الغيب ينتقش فيها من عالمه...[١].

و في فصل آخر حول إنكار بعض الحقائق بسبب الجهل و عدم المعرفة يقول:

> إيّاك أن يكون تكيّسك و تبرّؤك عن العامّة هو أن تتبرّي منكراً لكلّ شيء؛ فذلك طيش و عجز، و ليس الخرق في تكذيبك من لم يستبن لك بعد جلّيته دون الخرق في تصديقك ما لم تقم بين يديك بيّنتة، بل عليك الاعتصام بحبل التوقّف...[٢].

هذا و قد تطرّق في رسالة مستقلّة إلى موضوع كيفية ارتباط النفوس الإنسانية المستعدّة بالعالم اللّامادي و اطّلاعها على الغيب بالتفصيل، من المهمّ الرجوع إليها[٣].

رأي الفخر الرازي

كان الفخر الرازي من متكلّمي الأشاعرة من أهل السنّة و كان يشكّك في كثير من الأشياء، فعُرف بإمام المشكّكين، يقول في ذيل عبارة أبي علي سينا

١ـ المصدر السابق، الفصل ١٠، ص ١٢٤. ٢ـ المصدر السابق، الفصل ٣١، ص ١٥٩.
٣ـ رسائل أبو علي سينا، ص ٢٢٤.

التي يقول فيها: «و إذا بلغك أنّ عارفاً حدّث عن غيب... فصدّق و لا يتعسّرنّ عليك الإيمان به»:

هذا الفصل لا يحتاج إلى تفسير.

بعد أن حازت مطالب ذلك المورد على رضاه.

و في شرحه لكلام أبي علي حول إمكان معرفة الإنسان بالغيب، في الفصول التي بعد الفصل السابع يقوم بالاستدلال له.

أيضاً و يقول في كتاب «المباحث المشرقية» في فصل بعنوان «كيفية الإخبار عن الغيب»:

النفس الناطقة متى كانت كاملة القوّة وافية بالجوانب المتجاذبة بحيث يكون اشتغالها بتدبير البدن لا يمنعها عن الاتّصال بالمبادئ المفارقة، والمتخيّلة أيضاً، تكون قويّة بحيث تقدر على استخلاص الحسّ المشترك عن الحواس الظاهرة، فلا يبعد أن يقع لمثل هذه النفس في حالة اليقظة مثل ما يقع للنائمين من الاتّصال بالمبادئ المفارقة و يرتسم منها فيها إدراك لبعض ما كان أو سيكون من المغيّبات[1].

تصريحات السهروردي

و هو شيخ الإشراق، و من كبار الحكماء الإسلامي و مطابقاً للمشهور كان من أهل السنّة، يقول في كتابه «شرح حكمة الإشراق» في أحد فصول المقالة الخامسة:

١ـ المباحث المشرقية، الباب السادس، الفصل السابع.

الإنسان إذا قلّت شواغل حواسّه الظاهرة...، فيستعدّ القوّة الناطقة لتلقّي الأمر الغيبي... فيطّلع على أُمور مغيّبة، أي خفيّة...، و يشهد بذلك... المنامات الصادقة....

فإذا ارتفع حجاب الشواغل...، فلا يتصوّر أن يكون بينه و بين الأنوار المدبّرة الفلكية حجاب سوى شواغل البرازخ .... فإذا تخلّص أي النور... لقوّته أو لضعف العائق عن الحواسّ الظاهرة و ضعف الحسّ الباطن، تخلّصت النفس أي الإنسانية إلى الأنوار... للبرازخ العلوية؛... فإنّ هذه الأنوار المدبّرة الفلكية عالمة بجزئياتها، أي بجزئيات الكائنات ...[1].

و قال في رسالة هياكل النور:

و النفوس الفاضلة لمّا خلصن من غيهب الجسم و الهيكل و جالوا في جوّ الجبروت و ضيائها و أشرق لهم في شرفات الملكوت نور الحقّ، يشاهدون أشياءً لانسبة لها مع مشاهدة البصر، اذ يغضّون البصر من الظلمة و يتنوّرون بنور الشمس...[2].

و قال في هيكل آخر من رسالته:

و اعلم أنّ النفس الناطقة من جوهر الملكوت و قد منعتها قواها الجسمية و مشاغلها عن الرجوع إلى عالمها. و كلّما قوّيت بالفضائل الروحية و ضعف سلطان القوى البدنية بسبب

١ـ شرح حكمة الإشراق، ص ٥٢٣.

٢ـ مجموعة الآثار الفارسية، رسالة هياكل النور، الهيكل السادس، ص ١٠٦، و ما بعده.

قلّة الطعام و قلّة النوم فيمكن أن تخلّص النفس و تصعد إلى عالم القدس و تلحق بـه و تكـتسب عـلوماً و مـعارف مـن الأرواح المقدّسة... و يمكن لها أن تشـاهد الأمـر العـقلي و تحاكيه المتخيّلة و ينعكس إلى عالم الحسّ كما ينعكس من عالم الحسّ إلى الخيال. و باعتبار هذا المحاكاة تشاهد النفس صورة عجيبة تتكلّم معها أو سمعت كلمات منظومة و لا ترى شخصاً. أو يمكن أن تشاهد صورة غيبية ترقى و تنزل ... والرؤيا الصادقه ـ لا أضغاث الأحلام ـ هي أيضاً محاكاة خياليّه للنفس من تلك المشاهدة تحصل بمعاونة المتخيّلة...»[١]

و قال في رسالته، پرتو نامه:

... فإذا قلّت هذه الشواغل (الحواسّ الظاهرة و الباطنة) كـما لبعض في النوم... أو كانت النفس قويّة و لا تنفعل بشواغـل الحـواسّ كـالأنبياء و بـعض الأولياء الذيـن يـتوسّلون بالرياضات و تهذيب الأخلاق و غيرها، فتلائم أنفسهم كـلّ الملائمة مع نفوس الأفلاك... و إذا ارتفع الحجاب تصوّر لهم ما شائت...[٢].

ثمّ قال في عقيب ذلك:

فإذا تصوّر المعنى الغيبي فـي النـفس فـيمكن أن يـنطوى و

١ـ نفس المصدر، الهيكل السابع، ص ١٠٧ و ما بعده.

٢ـ نفس المصدر، رسالة پرتو نامه، الفصل العاشر، ص ٧٨.

لا يبقي أثره و يمكن أن يشـرق عـلى المـتخيّلة و مـنها إلى الحسّ المشترك، فجائت الصورة الغيبية مشاهدة، و يمكن أن تسمع نداءً أو ترى مكتوباً، كلّ ذلك في الحسّ المشترك...[١].

و قال أيضاً:

... و من تفكّر دائماً في عالم الملكوت و تجنّب عن اللّـذات الحسّية و المطاعم إلّا بقدر الحاجة و صلّى في الليل و يداوم إحيائه و يقرء الوحي الإلهي كثيراً (القـرآن) و يـلطّف السـرّ بالأفكار اللطيفة و يطرب النفس أحياناً و يناجى مـع المـلإ الأعلى و تملّق (ربّه) يلقون عليه أنواراً كالبرق الخـاطف ... فيمكن له مشاهدة صورٍ حسنةٍ و يمكن أن تقع للنفس خطفة عظيمة بعالم الغيب...[٢].

تصريحات أرسطو أو فلوطين

جاء في كتاب «أثولوجيا» المـنسوب لأرسـطو، و فـي بـعض الأقـوال والشواهد لفلوطين من الحكماء الأفلاطونية الحديثة القول:

متى نستطيع الوصول إلى العالم العقلي (عالم المـجرّدات) و تتلقّى نفوسنا أشياء من هذا العالم إذاً تتسامى عن عالم المادّة هذا و تترك الشهوات، و لا نشتغل بأيّ شيء، في هذه الحالة يمكننا درك و إحساس أُمور تنزّل علينا من عالم المجرّدات.

١ـ المصدر السابق، ص ٨٠. ٢ـ المصدر السابق.

و يضيف:

متى استطاعت النفس الإنسانية ترك الأُمور المحسوسة الفانية و لم تتعلّق بها فإنّها ستتدبّر أمر هذا البدن بسهولة، و تشبّه بالنفس الكلّية (الروح المحقّة بعالم المادّة) و ستكون طريقة النفس الإنسانية في تسيير البدن و عالم المادّة كالنفس الكلّية بلا تفاوت و اختلاف[١].

القرآن و علم الغيب

لا يشكّ أحدٌ في أنّ الغيب من مختصّات ذات الإله تعالى، و هناك آيات كثيرة في القرآن تدلّ على هذا المعنى، نشير إلى بعضها:

١ـ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢].

٢ـ ﴿وَ لِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣].

٣ـ ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[٤].

٤ـ ﴿لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٥].

و لكن من وجهة نظر عقلية لا مانع أنّه تعالى يهب المقرّبين له بعضاً من علم الغيب، و لا يوجد أيّ محذور عقلي في ذلك. توجد آيات قرآنية كثيرة تؤكدّ هذا الكلام، و تدلّ على أنّ اللّه تعالى وهب أنبياءه أجزاء من العلم بالغيب، من جملتها:

١ـ اثولوجيا، ص ٩٠ فمابعد.
٢ـ النمل (٢٧): ٦٥.
٣ـ النحل (١٦): ٧٧.
٤ـ يونس (١٠): ٢٠.
٥ـ الكهف (١٨): ٢٦.

١ـ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[١]، إشارة إلى قصّة نوح عليه السلام التي ذكرت في الآيات السابقة.

٢ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[٢]، إشارة إلى قصّة يوسف عليه السلام حيث ذكرت الإشارة إليها في الآيات السابقة.

٣ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٣].

٤ـ و حول عيسى عليه السلام نقرأ: ﴿وَ أُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾[٤].

٥ـ و حول يوسف عليه السلام نقرأ: ﴿وَ كَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[٥].

٦ـ و حول الأنبياء نقرأ: ﴿وَ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَ لَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ﴾[٦].

و نفهم جيّداً من هذه الآيات أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله و الأنبياء الآخرين اطّلعوا على بعض علوم الغيب.

و من جانب آخر، فإنّه طبق روايات منقولة من طرق الشيعة و السنّة أنّ علي عليه السلام هو «باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله» و «عيبة علمه»، سنشير إليها في هذا الفصل.

١ـ هود (١١): ٤٩.
٢ـ يوسف (١٢): ١٠٢.
٣ـ الجنّ (٧٢): ٢٦ و ٢٧.
٤ـ آل‌عمران (٣): ٤٩.
٥ـ يوسف (١٢): ٦.
٦ـ آل‌عمران (٣): ١٧٩.

و بديهي أنّ علوم سائر الأئمّة تنتهي بالتبع إلى النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم و وصيّه علي عليه السلام، و لا يمكن لكاتب الكرّاسة أن يدّعي أنّ عليّاً عليه السلام باب مدينة علم النبي و خزانة علمه أمّا سائر الأئمّة عليهم السلام ليسوا كذلك؛ إذ طبق الروايات المتواترة السنّية ـ نقلناها في الموضوع الثالث من الفصل الأوّل من هذا الكتاب ـ أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم ضمن تعريفه و تعيينه للأوصياء و الخلفاء الاثنى عشر من بعده لم يتطرّق إلى موضوع التفاضل بالعلم ـ و سائر الفضائل ـ بين الأئمّة.

إضافة إلى هذا فإنّا في الفصل الأوّل من الكتاب و بالاستناد إلى الروايات المتواترة المنقولة من طرق السنّة و الناصّة على أنّ الأئمّة اثنى عشر إماماً و أنّهم منصوبون من قبل الرسول كخلفاء و أوصياء و أُمراء على الناس، أثبتنا أنّ سنّة قولهم و فعلهم و تقريرهم كسنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم حجّة على الجميع. و عليه فكلام أمير المؤمنين فيما يخصّ نفسه و سائر الأئمّة عليهم السلام حجّة على الجميع، و هذه نماذج حريّ الالتفات إليها:

١ ـ في خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام يتنبّأ لأحوال البصرة و ما سيجري عليها، و لمّا واجه تعجّب بعض الحضّار قال:

«... ليس هو بعلم غيبٍ و إنّما هو تعلّم من ذي علم، و إنّما علم الغيب علم الساعة و ما عدّده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِى نَفْسُۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...﴾، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحدٌ إلّا الله و

ما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه و دعا لي بأن يعيه صدري...»[١].

٢ ـ و في خطبة أُخرى يقول:

«تالله، لقد عُلِّمت تبليغ الرسالات و إتمام العدات و تمام الكلمات...»[٢].

من البديهي أنّ كلمات الله غير منحصرة بالأحكام الشرعية.

٣ ـ و جاء أيضاً في «نهج‌البلاغة» ما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام:

«هم موضع سرّه و لجأ أمره و عيبة علمه...»[٣].

علم الأئمّة عليهم السلام كعلم الناس؟

حول علم الأئمّة بالكتب السماوية السابقة و لغاتها، و وجود الصحيفة المختومة من النبي صلى الله عليه و آله و سلم، علمهم بالماضي و الحاضر و المستقبل، نلفت نظر الكاتب إلى هذين الحديثين عن رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم:

الحديث الأوّل:

«أنا مدينة العلم و علي بابها».

هذا الحديث إضافة إلى كتب الشيعة فقد نقلته كتب السنّة المعتبرة عن رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم، مثل «المستدرك»[٤]، «مجمع الزوائد»[٥]،

---

١ ـ نهج‌البلاغة، الخطبة ١٢٨.
٢ ـ المصدر السابق، الخطبة ١٢٠.
٣ ـ المصدر السابق، الخطبة ٢.
٤ ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٦.
٥ ـ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٤.

«الجامع الصغير»[١]، «تاريخ بغداد»[٢]، «المناقب»[٣]، «تهذيب الآثار»[٤]، «تاريخ ابن كثير»[٥]، «الصواعق»[٦]، «الاستيعاب»[٧]، «أُسد الغابة»[٨]، «غاية المرام»[٩]، و كتب أُخرى[١٠].

طبقاً لهذا الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله الذي قال اللّه تعالى فيه: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَىٰ * وَ مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ**﴾[١١]، قد قال: «**أنا مدينة العلم و علي بابها**».

و من هذا الحديث يُفهم أيضاً سعة علم النبي صلى الله عليه وآله و علم وصيّه علي عليه السلام، و طبعاً علوم سائر الأئمّة عليهم السلام بواسطة علم علي عليه السلام متّصلة بعلم النبي صلى الله عليه وآله.

و في رواية هشام بن سالم و حمّاد بن عثمان و غيره قالوا: سمعنا أبا عبداللّه عليه السلام يقول:

١ـ الجامع الصغير، ج ١، ص ٤١٥.
٢ـ تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٨١.
٣ـ المناقب للخوارزمي، ص ٤٠.
٤ـ تهذيب الآثار، ج ١، ص ٩٠.
٥ـ البداية و النهاية (تاريخ ابن كثير)، ج ٧، ص ٣٤٠.
٦ـ الصواعق المحرقة، ص ١٢٢ نقلاً عن البزّاز، الطبراني، الحاكم، العقيلي، الترمذي، و ابن عدي.
٧ـ الاستيعاب، للقرطبي، ص ٥٢٨.
٨ـ أُسد الغابة، ج ٤، ص ٢٢.
٩ـ الحديث منقول في كتاب غاية المرام، ص ٥٢٠، الباب ٢٩، عن مناقب ابن المغازلي الشافعي بأسانيد سبعة مختلفة، و أيضاً عن ابن أبي الحديد في شرح نهج‌البلاغة في موارد كثيرة، و عن صاحب كتاب المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة، و بعض المحدّثين من السنّة.
١٠ـ لمزيد من الاطّلاع راجع: الغدير، ج ٦، ص ٦١.
كما و ذكر صاحب كتاب من هو المهدي، ص ٩، عن العلّامة بهجت أفندي ـ من علماء السنّة ـ في كتاب تاريخ آل‌محمّد، ص ١٩٨: أنّ هذه الرواية قد أجمع عليها علماء المسلمين.
١١ـ النجم (٥٣): ٢ و ٣.

«حديثي حديث أبي، و حديث أبي‌حديث جدّي، و حديث جدّي حديث الحسين، و حديث الحسين حديث الحسن، و حديث الحسن حديث أميرالمؤمنين، و حديث أميرالمؤمنين حديث رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله، و حديث رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله قول اللّه عزّ وجلّ»[١].

نعم، كيفية و نحو هذا الاتّصال و الارتباط دقيقاً غير واضح عندنا، و التعابير في الرواية مثل «مصحف فاطمة» و «الصحيفة المختومة» و «الجفر» و نظائرها ربما تشير إلى هذا الارتباط.

في ما يتّصل بنبوءة النبي صلى الله عليه وآله حول المهدي عليه السلام و بعض الموضوعات الأُخرى يمكن الرجوع إليها كمثال في كتاب «**كنز العمّال**» ـ من كتب السنّة ـ حيث ينقل في المجلّد الثاني عشر موارد كثيرة من هذه النبوءات، من جملتها: ما يختصّ بشهادة الصدّيقة الزهراء عليها السلام[٢]، و شهادة الإمام الحسين عليه السلام[٣]، و نفي أباذر[٤]، موقع قزوين[٥]، موقع البصرة[٦]، عدن[٧]، الشام[٨]، أهل فارس[٩]، أويس القرني[١٠]، و رجل من قريش يُحتمل أنّه عبداللّه بن الزبير[١١].

١ـ الكافي، ج ١، ص ٥٣، ح ١٤.
٢ـ كنز العمال، ج ١٢، ص ١٠٧ و ١٠٨.
٣ـ المصدر السابق، ص ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧ و ١٢٨.
٤ـ المصدر السابق، ج ٥، ص ٧٨٢.
٥ـ المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٩٢ و ٢٩٧.
٦ـ المصدر السابق، ص ٣٠٧.
٧ـ المصدر السابق، ص ٣٠٨.
٨ـ المصدر السابق، ص ٢٨٠.
٩ـ المصدر السابق، ص ٩٠.
١٠ـ المصدر السابق، ص ٧٥.
١١ـ المصدر السابق، ص ٢٠٨ و ٢٠٩.

الحديث الثاني:

قول رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام لمّا زوّجها لعليّ عليه السلام:

«أما ترضين إنّي زوجتك أقدم أُمّتي سلماً و أكثرهم علماً و أعظمهم حلماً؟».

يصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرواية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأكثر أصحابه علماً. و هذه الرواية إضافة إلى كتب الشيعة فقد نقلتها كتب السنّة أيضاً، نظير «مسند أحمد»[١]، و «معجم الطبراني»[٢]، و «مجمع الزوائد»[٣]، و «كنزالعمّال»[٤].

و بخصوص علم علي عليه السلام هناك روايات كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منقولة من طرق السنّة، نذكر بعضها:

١ ـ «أعلم أُمّتي من بعدي علي»[٥].

٢ ـ «عليٌّ باب علمي»[٦].

٣ ـ «عليٌّ عيبة علمي»[٧].

١ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٢٦. ٢ـ المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ٢٣٠.
٣ـ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٤. ٤ـ كنز العمّال، ج ١١، ص ٦٠٥.
٥ـ كنز العمال، ج ١١، ص ٦١٤؛ الاستيعاب، ج ٣، ص ٤٠؛ الرياض النضرة، ج ٢، ص ٢٥٥ و كتب أُخرى من السنّة.
٦ـ الفردوس، ج ٣، ص ٩١؛ الفصول المهمّة، ص ١١١؛ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٢، و كتب أُخرى من السنّة.
٧ـ الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٧٧؛ السراج المنير، ج ٢، ص ٤٥٨؛ الفتح الكبير، ج ٢، ص ٢٤٢، و كتب أُخرى من السنّة.

رجوع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام في مشكلات الأُمور

من جانب آخر لم يذكر التاريخ أنّ عليّاً قد رجع في مسألة إلى أحدٍ من الصحابة لكسب العلم و لكن يحدّث التاريخ أنّ الكثير من أصحاب رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ـ و من جملتهم الخليفة الثاني ـ رجعوا إلى علي عليه السلام في كثير من الأُمور التي كانت خافية عنهم، و عُرف عن الخليفة الثاني الإكثار من قوله: «اللّهم لا تبقني لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن»[١]. و أيضاً قوله: «لا يفتينّ أحدٌ في المسجد و عليٌّ حاضر»[٢].

أو تكراره لهذا القول في موارد و مواضع كثيرة: «لولا علي لهلك عمر»[٣].

نُقل عن ابن عبّاس أنّه قال:

العلم ستّة أسداس، لعليّ بن أبي طالب خمسة أسداس، وللناس سدس، و لقد شاركنا في السدس حتّى لهو أعلم به منّا[٤].

و جاء في كتب السنّة ـ إضافة إلى كتب الشيعة ـ أنّ عليّاً قال:

«سلوني قبل أن تفقدوني، و اللّه لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى يوم القيامة إلّا أخبرتكم به، و سلوني عن كتاب اللّه

١ـ نظم درر السمطين، ص ١٣٢.
٢ـ شرح نهج‌البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨.
٣ـ المصدر السابق؛ المناقب للخوارزمي، ص ٨١.
٤ـ المناقب، للخوارزمي، ص ٩٢ و ٩٣.

فواللّه ما من آيةٍ إلّا و أنا أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهارٍ، في سهلٍ أم في جبل»[1].

و الآن يحقّ لنا أن نسأل الكاتب: لماذا تعجب من شخص يصرّح عنه رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه باب علم النبوّة و أعلم الأُمّة، لأنّه يعلم بما جاء في الكتب السماوية و ما كان و ما سيكون، كما علّمه رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و ربّاه في حجره؟

تصريحات ابن أبي‌الحديد

نشير إلى تصريحات هذا العالم السنّي الكبير حول علم و فضائل علي عليه السلام:

١ـ فيما يختصّ بعلم علي بالمغيّبات و نبوءاته، في شرح الخطبة ٩٢ من خطب «نهج‌البلاغة» التي يقول فيها عليه السلام:

«أيّها الناس فإنّي فقأت عين الفتنة... فاسألوني قبل أن تفقدوني...» يقول: ... و هذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبية و لا ادّعاء النبوّة، و لكنّه كان يقول: إنّ رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك، و لقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوة المذكورة ...[2].

١ـ الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٨؛ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ١٨٥؛ فتح الباري، ج ٨، ص ٤٥٩؛ تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٩٧. و قريب منه بسندين منفصلين في كتاب مناقب الخوارزمي، ص ٩١، و في نفس الصفحة عن سعيد بن المسيب أنّه قال: لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول سلوني إلّا علي بن أبي‌طالب عليه السلام.

٢ـ شرح نهج‌البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤٧ و ٤٨.

ثمّ عدّ ما يزيد عن عشرين مورداً من نبوءات علي عليه السلام و خصوصياتها، و من جملتها إخباره بشهادته على يد ابن ملجم، و شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

٢ـ و في شرحه للخطبة ٥٨ من خطب «نهج‌البلاغة» التي يقول فيها أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه حول الخوارج:

«مصارعهم دون النطفة، و اللّه لا يفلت منهم عشرة و لا يهلك منكم عشرة»، قال: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة ...، و هو من معجزاته و أخباره المفصّلة عن الغيوب...، و ذلك أمر إلهيّ، عرفه من جهة رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و عرفه رسول‌اللّه من جهة اللّه سبحانه و القوّة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، و لقد كان له عليه السلام من هذا الباب ما لم يكن لغيره[1].

٣ـ و في شرحه لقسم من الخطبة ١٠٩ من خطب «نهج‌البلاغة» بعد أن يقوم بمدح و تمجيد لأُسلوبها، يقول:

لو تُليت ـ هذه الخطبة ـ على زنديق ملحد مصمّم على اعتقاد نفي البعث و النشور، لهدّت قواه و أرعبت قلبه و أضعفت على نفسه و زلزلت اعتقاده[2].

ثمّ يذكر فضائل و كمالات علي عليه السلام:

إن قيل جهاد و حرب فهو سيّد المجاهدين و المحاربين، و إن

١ـ المصدر السابق، ج ٥، ص ٣ و ٤.

٢ـ المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٠٢.

قيل وعظ و تذكير فهو أبلغ الواعظين و المذّكرين، و إن قيل فقه و تفسير فهو رئيس الفقهاء و المفسّرين، و إن قيل عدل و توحيد فهو إمام أهل العدل والموحّدين[١].

و يستشهد له بقول الشاعر:

«ليس على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد»

و في شرح قسم آخر من الخطبة حيث يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«نحن... معادن العلم و ينابيع الحكم...»، يقول ابن أبي الحديد: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **«أنا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»**. و قال أيضاً: **«أقضاكم علي»**، و القضاء امر يستلزم علوماً كثيرةً[٢].

و بعد إشارته إلى بعض الآيات النازلة بشأن علي عليه السلام، و أيضاً الإشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام:

«زوّجتك أقدمهم سلماً... و أعلمهم علماً...»، يقول ابن أبي الحديد: روى المحدّثون أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: **«من أراد أن ينظر إلى نوحٍ في عزمه و موسى في علمه و عيسى في ورعه فلينظر إلى علي بن أبي‌طالب»**.

و يضيف في شرحه:

و بالجملة، فحاله في العلم حال رفيعة جدّاً لم يلحقه أحد فيها و لا قاربه، و حقّ له أن يصف نفسه بأنّه معادن العلم و ينابيع

١ـ المصدر السابق، ص ٢٠٣.
٢ـ المصدر السابق، ص ٢١٩.

الحكم، فلا أحد أحقّ بها منه بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم[١].

٤ـ و حول مسألة الغلات التي برزت أوّل ما برزت في زمان علي عليه السلام على يد عبداللّه بن سبأ ـ طبق نقل بعض المؤرّخين ـ يكتب ابن أبي الحديد:

... و هي ما ظهر و شاع بين الناس من إخباره بالمغيّبات حالاً بعد حال، فقالوا إنّ ذلك لا يمكن أن يكون إلّا من اللّه تعالى أو من حلّت ذات الإله في جسده.

و يضيف:

و لعمري، إنّه لا يقدر على ذلك إلّا بإقدار اللّه تعالى إيّاه عليه، و لكن لا يلزم من إقداره إيّاه عليه أن يكون هو الإله أو تكون ذات الإله حالّة فيه...[٢].

٥ـ و ينقل عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قوله يصف علي عليه السلام:

«خازن علمي» و **«عيبة علمي»**[٣].

فليس جزافاً أن يقوم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و في أكثر من موضع و مقام بإرجاع أُمّته إلى عترته و على رأسهم علي عليه السلام، أو من باب العلاقة الشخصية، و إنّما لخصائصٍ يتمتّعون بها، من جملتها: العلم، العصمة، الشجاعة، الصبر، والإيمان الراسخ باللّه تعالى و ... و لِما لهم من مقامٍ معنوي و قرب إلهي يمكّنهم من إدامة مسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من بعده، و لذا كان يدعوا الناس إلى تحصيل الهداية و السعادات الدنيوية و الأُخروية بالالتفات حولهم.

١ـ المصدر السابق، ص ٢٢٠.
٢ـ المصدر السابق، ج ٥، ص ٧.
٣ـ المصدر السابق، ج ٩، ص ١٦٥؛ شرح جمع الجوامع، ج ٦، ص ١٥٣؛ مصباح الظلام، ج ٢، ص ٥٦.

٦ـ و أيضاً بعد شرحه للخطبة ١٥٤ من خطب «نهج‌البلاغة» ما يرتبط بإشارات أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة إلى فضائل أهل البيت عليهم السلام و مقامهم المعنوي و قوله:

«**نحن الشعار و الأصحاب، و الخزنة و الأبواب**»، يكتب:

«واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه و بالغ في تعديد مناقبه و فضائله بفصاحته التي آتاه اللّه تعالى إيّاها و اختصّه بها و ساعده على ذلك فصحاء العرب كافّة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلى الله عليه و آله و سلم في أمره.

و يضيف:

و لست أعني بذلك الأخبار العامّة الشائعة التي يحتجّ بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير و المنزلة و قصّة براءة و خبر المناجاة و... بل الأخبار الخاصّة التي رواها فيه أئمّة الحديث التي لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره، و أنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً ممّا رواه علماء الحديث الذين لا يُتّهمون فيه، ... فروايتهم فضائله توجب سكون النفس ما لا يوجبه رواية غيرهم.

ثمّ يقوم بنقل أربعة و عشرون حديثاً عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من طرق السنّة فقط[1].

كان الأجدر بالكاتب مطالعة هذه الروايات المنقولة من طرق أهل السنّة،

١ـ شرح نهج‌البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٦٦.

فلا يزاحم نفسه بإلقاء هذه التهم الواهية ـ و إن كان عن جهل ـ على أتباع بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

تصريحات ابن خلدون

يقول ابن خلدون في تاريخه في فصل النبوءات:

... و وقع لجعفر و أمثاله من أهل‌البيت كثير من ذلك مستندهم فيه و اللّه أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية، و إذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم و أعقابهم و قد قال صلى الله عليه و آله و سلم: «**إنّ فيكم محدّثين**»، فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة و الكرامات الموهوبة...[1].

ثمّ ينقل ابن خلدون قصّة كتاب الجفر و نسبته إلى الإمام الصادق عليه السلام، عن هارون بن سعيد العجلي (من كبار الزيدية)، و يقول:

... ولو صحّ السند ـ أي سند كتاب الجفر ـ إلى جعفر الصادق عليه السلام لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، و قد صحّ عنه أنّه كان يحذّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصبح كما يقول، و قد حذّر يحيى ابن عمّه زيد من مصرعه، و عصاه فخرج و قُتل بالجوزجان كما هو معروف. و إذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنّك بهم علماً و ديناً و آثاراً من النبوءة و عناية من اللّه بالأصل الكريم

١ـ مقدّمة ابن خلدون، ج ١، ص ٦٤٧.

تشهد لفروعه الطيّبة، و قد ينقل بين أهل‌البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب لأحد...[١].

كلام الملّا علي القوشچي

الملّا علي القوشچي من متكلّمي علماء السنّة الكبار و المدقّقين، يقول في شرحه لعبارات الخواجة نصير الدين الطوسي ـ حيث ذكر في المقصد الخامس من «تجريد الاعتقاد» حول أخبار علي عليه السلام عن الغيب «و لإخباره بالغيب» ـ:

و ذلك كإخباره بقتل ذي الثدية . و لمّا لم يجده أصحابه بين القتلى قال: «**واللّه ما كُذِّبتُ**».

فاعتبر القتلى حتّى وجده و شقّ قميصه و وجد على كتفه سلعة كثدي المرأة عليها شعر ينجذب كتفه مع جذبها و يرجع مع تركها.

و قال أصحابه: إنّ أهل النهروان قد عبروا، فقال عليه السلام «**لم يعبروا**» فأخبروه مرّة ثانية، فقال: «**لم يعبروا**»، فقال جندب بن عبداللّه الأزدي في نفسه: إنْ وجدت القوم قد عبروا كنت أوّل من يقاتله، قال: فلمّا وصلنا النهر لم نجدهم عبروا فقال عليه السلام: «**يا أخا الأزدى، أتبيّن لك الأمر ؟**» و ذلك يدلّ على اطّلاعه على ما في ضميره.

و أخبر عليه السلام بقتل نفسه في شهر رمضان. و قيل له: قد مات

١ـ المصدر السابق، ج ١، ص ٦٥٣.

خالد بن عويطة بوادي القرى، فقال: «**لم يمت و لا يموت حتّى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه رايته حبيب بن عمّار**».

فقام رجل من تحت المنبر و قال: و اللّه إنّي لك لمحبّ، و أنا حبيب، فقال عليه السلام: «**إيّاك أن تحملها و لتحملنّها فتدخل بها من هذا الباب**»، و أومأ إلى باب الفيل. فلمّا بَعث ابن زياد عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام جعل على مقدّمته خالداً، و حبيب صاحب رايته، فسار بها حتّى دخل المسجد من باب الفيل[١].

الإمامة و أرضيتها كما يراها العلّامة الطباطبائي

للمرحوم العلّامة الطباطبائي توضيحات حول علّة إعطاء مقام الإمامة في إشارته إلى قوله تعالى: ﴿**وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[٢]، ما ملخّصه:

«إنّ الملاك في ذلك صبرهم في جنب اللّه ـ و قد أُطلق الصبر ـ فهو في كلّ ما يُبتلى و يُمتحن به عبد في عبوديته و كونهم قبل ذلك موقنين. و المقصود من الوصول إلى اليقين اليقين بعالم الغيب و مشاهدة الملكوت، و قد ذكر في جملة قصص إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَ كَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ**﴾[٣]»[٤].

١ـ شرح القوشچي على تجريد الاعتقاد، ص ٣٧٨.

٢ـ السجدة (٣٢): ٢٤. ٣ـ الأنعام (٦): ٧٥.

٤ـ الميزان، ج ١، ص ٢٧٣، في ذيل الآية ١٢٤ من البقرة.

مشاهدة الملكوت و حقيقة جميع الأشياء أمر رغّب اللّه تعالى فيه جميع الناس، كما قال في محكم كتابه: ﴿أَوَ لَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[1]. و الإمام يجب أن يكون مكشوفاً له عالم الملكوت، و هو الوجه الباطن من وجهي هذا العالم، و مؤيّداً بتأييد اللّه تعالى.

ثمّ يضيف حول لزوم العصمة لأشخاص لهم مقام الإمامة:

«و يستنتج أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال و المعصية؛ لأنّه جاء في ذيل قوله تعالى: ﴿وَ إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ...﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ وَ مِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2]. و عبّر عن الإمامة في هذه الآية بأنّها عهدٌ من اللّه تعالى، و غير المعصوم محتاج إلى هداية الغير له؛ إذ قد تتلبّس ذاته بالظلم و الشقاء.

و من تقابل صدر هذه الآية: ﴿أَفَمَن يَهْدِى إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[3] و ذيلها، يُفهم أنّه يجب أن يكون الهادي إلى الحقّ مهتدياً بنفسه؛ لأنّ المهتدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحقّ.

و يستنتج هنا أمران: أحدهما أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال و المعصية؛ و إلّا كان غير مهتدٍ بنفسه. و الثاني عكس الأوّل و هو أنّ من ليس بمعصوم لا يكون إماماً هادياً إلى الحقّ»[4].

١ـ الأعراف (٧): ١٨٥.
٢ـ البقرة (٢): ١٢٤.
٣ـ يونس (١٠): ٣٥.
٤ـ الميزان، ج ١، ص ٢٧٤.

و لذا يجب أن لا ينكر كاتب الكرّاسة علم الأئمّة عليهم السلام و سائر فضائلهم هكذا و بلا دليل؛ إذ هذه الفضائل و الخصائص التي تمتّعوا بها كانت موجبة لتعيينهم لمقام الإمامة و العصمة من قبل اللّه تعالى، و عرّفهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله للناس كما أراد تعالى و أمره.

الموضوع الثاني: علم الأئمّة عليهم السلام بقتلهم و تسميمهم

يقول كاتب الكرّاسة:

لو كانوا يعلمون الغيب لما قُتلوا أو سُمّوا كما تدّعي رواياتهم أنّه ما من إمام إلّا و هو مقتول أو مسموم.

و جواباً عن ذلك نقول:

أوّلاً: إنّ ابن أبي الحديد أيضاً أيّد القول بعلم علي بمقتله، و هذا ليس من مختصّات الشيعة فقط[1].

ثانياً: مادام الأنبياء و الأوصياء يعيشون بين الناس فهم مكلّفون بالعمل الظاهر إلّا في موارد خاصّة و استثنائية تتطلّب الإتيان بأفعال غير عادية أو بالمعجزة. و لا يلجأ الأنبياء إلى المعاجز إلّا عند الضرورة. و لأنّ وظيفتهم الأصلية هي الهداية، و الهداية مختصّة بالناس، فلذا لو مورست خلاف العلل و الأسباب الظاهرية سوف يختلّ النظم البشري، و هذا ليس من سنّة اللّه.

إذاً فعلوم النبي صلى الله عليه وآله و الأئمّة عليهم السلام بالنسبة للموضوعات المستجدّة في الأُمور الغير الطبيعية، لن يغيّر من تكليفهم الظاهري.

١ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤٧ و ٤٨.

إشكالية الجبر و الجواب عنها

يشير المرحوم العلّامة الطباطبائي إلى إشكالية الجبر و الجواب عنها في رسالة كتبها حول علم الإمام، يقول:

من الممكن أن يتصوّر البعض أنّ العلم اليقيني بالحوادث اليقينية غير القابلة للتغيير يستلزم الجبر، مثلاً لو فرضنا أنّ الإمام كان يعلم أنّ الشخص الفلاني سوف يُقتله في الوقت والمكان الفلانيين وفق شروط معيّنة، و أنّ هذه الحادثة غير قابلة للتغيير أبداً، و لازم هذه الفرضية أنّ القاتل لا يمكنه الاجتناب عن عملية القتل هذه، و ليس بمقدوره ذلك، أي هو مضطرّ إلى القتل، و على فرض اضطرار شخص على فعل شيء فلا تكليف عليه.

و هذا التصوّر غير صحيح و ذلك:

أوّلاً: أنّ هذا الإشكال في الحقيقة هو إشكال على عموم تعلّق القضاء الإلهي على أفعال الإنسان الاختيارية لا بعلم الإمام.

و وفق هذا الإشكال يقول المعتزلة من السنّة: التقدير الإلهي لا يتعلق بأفعال الإنسان الاختيارية، و الإنسان مستقلّ بخلق أفعاله، و بالنتيجة أنّ الإنسان خالق أفعاله و اللّه خالق بقية الأشياء! و الحال بنصّ صريح القرآن الكريم و الأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله و أئمّة الهدى عليهم السلام أنّ كلّ

الموجودات و حوادث العالم متعلّقة بقضاء اللّه و قدره بلااستثناء. و هذا الموضوع واضح بطرق البحث العقلي، و إن كنّا بسبب سعة أُفقه لا يمكننا أن نلمّ بهذا في هذه المقالة المختصرة.

الذي يمكن قوله بالإجمال إنّه لا يكون هناك شيء في عالم الوجود المخلوق للّه تعالى إلّا بإذنه و مشيئته. و مشيئة اللّه تعالى متعلّقة بأفعال الإنسان الاختيارية من طريق إرادته و اختياره. مثلاً أراد اللّه تعالى أن يقوم الإنسان بالإتيان بالفعل الكذائي الاختياري بكامل إرادته و اختياره. و بديهي أنّ هكذا فعل و بهذا الوصف سوف يكون لازم التحقّق بهذا الاختيار؛ إذ لو لم‌يكن اختيار فسوف تتخلّف إرادته تعالى عن تحقيق مشيئته ﴿وَ مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

و ثانياً: بغضّ النظر عن تعلّق القضاء و القدر بفعل الإنسان الاختيارية فإنّ اللّه تعالى بنصّ صريح القرآن و السنّة المتواترة قد ثبّت و أدرج جميع الحوادث السابقة و القادمة في اللوح المحفوظ و لا يمكن تغييرها، و هو تعالى عالم بها كلّها. أليس من المضحك أن نقول إنّ ثبت الحوادث غير القابلة للتغيير في اللوح المحفوظ و علم اللّه تعالى السابق بها لا يكون أو يُعدّ جبراً لأفعال العباد، و لكن علم الإمام ببعضها

١ـ التكوير (٨١): ٢٩.

أو كلّها يعدّ جبراً لأفعال الإنسان الاختيارية و من جملتها فعل القتل ؟[١].

الموضوع الثالث: علم الأئمّة عليهم السلام و اختلاف أجوبتهم

و يقول الكاتب محاولاً إنكار علم الأئمّة عليهم السلام من منظار آخر:

لو كان علمهم بما كان و ما يكون صحيحاً لما اختلفت أجوبتهم لخلّص شيعتهم.

و نقول جواباً عن هذه الشبهة:

أوّلاً: اختلاف أجوبة الأئمّة عليهم السلام إنّما بسبب اختلاف السائلين من حيث الفهم و الدرك. و نفس الشيء كان يفعل رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان يخاطب الناس حسب إدراكهم و فهمهم، و بهذا الشأن يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم»[٢].

ثانياً: لم يكن أئمّة الشيعة يلقون كلامهم في ظروف و شروط عادية، و لذا كانوا يلجأون إلى التقيّة و التورية في أغلب خطاباتهم.

ثالثاً: ثمّ إنّه من الممكن أنّ اختلاف الأجوبة ناشٍ من عدم الدرك الصحيح و الكامل للرواة بالنسبة لجواب الإمام عليه السلام، و ليس جوابه مختلف.

رابعاً: و أيضاً من الممكن أنّ الاختلاف الموجود في بعض الموارد هو بسبب الروايات المختلقة التي أوردها المخالفون في الروايات و نسبوها إليهم.

١ـ رسالة علم الإمام عليه السلام، لمحمّد حسين الطباطبائي.

٢ـ المحاسن، ج ١، ص ١٩٥.

الموضوع الرابع: تشكيك بعض الأصحاب بعلم الأئمّة عليهم السلام

و يستند الكاتب إلى بعض ما نسب إلى زرارة و أبي بصير في كتب الرجال حول تشكيكهم بعلم الأئمّة عليهم السلام جاعلاً إيّاه دليلاً لإنكار معرفتهم، يقول:

و حتّى أكابر الشيعة كانوا متردّدين في علم جعفر بن الباقر... يقول زرارة حول جعفر و أبيه: رحم اللّه أبو جعفر، في قلبي عليه شيء... ليس لديه بصيرة في كلام الرجال... و قال أبو بصير: أظنّ أنّ صاحبنا ـ إشارة إلى موسى الكاظم ـ غير كامل حكمه و علمه.

و يبدوا أنّ مستند الكاتب الروايات التالية:

١ ـ جاء في «رجال الكشّي»:

«عن ابن مسكان: سمعت زرارة يقول: رحم اللّه أبا جعفر، و أمّا جعفر فإنّ في قلبي عليه شيء...»[١].

٢ ـ و في نفسى الكتاب نُقل عن زياد بن أبي الحلال قال: مخاطباً الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً: و قبلناه منه و صدّقناه... فقال الإمام عليه السلام:

«... **كذب علي و اللّه... لعن اللّه زرارة**» ثلاث مرّات... فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبداللّه عليه السلام و سكتّ عن لعنه، فقال: أمّا أنّه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، و صاحبكم هذا ليس له بصر بكلام الرجال»[٢].

١ـ رجال الكشّي، ج ١، ص ٣٥٦، ح ٢٢٨. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣٦٠ و ٣٦١، ح ٢٣٤.

٣ـ و نُقل في هذا الكتاب أيضاً مسألة بسندين منفصلين، عن شعيب العقرقوفي عن أبي بصير، أحدهما ينقل عن الإمام الصادق و الآخر عن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام، و في هاتين الروايتين تشكيك أبي بصير بعلم موسى الكاظم عليه السلام. حيث قال في الرواية الأولى ـ و هو يمسح على صدره ـ:

«ما أظنّ صاحبنا تناهى حكمه بعد»[1].

و في الرواية الثانية ـ بنفس تلك الحال ـ قال:

«أظنّ صاحبنا ما تكامل علمه»[2].

الجواب عن هذه الشبهة

أولاً: ما يرتبط بالرواية الأخيرة قال المرحوم المامقاني في شرحه لحال أبي بصير ما معناه:

ما ظنّه الكشّي من أنّ أبا بصير في هذه الرواية هو أبو بصير البختري ليس بصحيح؛ لأنّ أبا بصير الذي يروي عنه العقرقوفي هو أبو بصير المكفوف و هو ضعيف.

ثانياً: على فرض أنّه أبو بصير البختري، فيجدر الالتفات إلى مسألتين:

١ـ التقيّة بين الأئمّة عليهم السلام و خلّص أصحابهم

مع أنّ الدولة الأموية كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة في زمان الإمام الصادق عليه السلام، و لكن كان الشيعة و أئمّتهم تحت المراقبة الشديدة، سواء من

١ـ المصدر السابق، ص ٤٠١، ح ٢٩٢. ٢ـ المصدر السابق، ص ٤٠٢، ح ٢٩٣.

جانب الحكومة أو من الفئات و المذاهب المخالفة لهم. و على هذا الأساس كانت التقيّة أمراً ضرورياً و مهمّاً، فكانت سياسة الإمام الصادق عليه السلام و خواصّ أصحابه ـ أمثال زرارة و أبي بصير ـ هو إخفاء هذه الرابطة و المُعتَقَد عن أعين مخالفيهم. من هذه الجهة كان الإمام الصادق عليه السلام يتلفّظ بكلمات تنال من خلّص أصحابه أمثال زرارة، و يلعنه بالعلن و يصفه بالكذّاب، و ذكرنا نموذجاً لذلك[1].

و بهذا الخصوص يجدر الالتفات إلى هذه الروايات:

١ـ ينقل الكشّي أنّ عبدالله بن زرارة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام:

«اقرأ منّي على والدك السلام و قل له إنّي إنّما أعيبك دفاعاً منّي عنك... و يكون بذلك منّا دفع شرّهم عنك...»[2].

٢ـ و عن الحسين بن زرارة، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ أبي يقرأ عليك السلام و يقول لك: جعلني اللّه فداك أنّه لا يزال الرجل و الرجلان يقدمان فيذكران أنّك ذكرتني و قلت فيّ (يعني عبتني)، فقال عليه السلام:

«إقرأ أباك السلام، و قل له أنا و اللّه أُحبّ لك الخير في الدنيا و أُحبّ لك الخير في الآخرة، و أنا واللّه عنك راضٍ، فما تبالي ما قال الناس بعد هذا»[3].

٣ـ في حديثٍ عن الإمام الصادق عليه السلام يمدح فيه زرارة و بريد و معاوية و محمّد بن مسلم الأحول (أبو جعفر محمّد بن علي بن نعمان مؤمن الطاق) و يقول:

١ـ المصدر السابق. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣٤٩، ح ٢٢١.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٥٢، ح ٢٢٢.

«زرارة و بريد بن معاوية و محمّد بن مسلم و الأحول أحبّ إليّ أحياءً و أمواتاً».

و يضيف:

«و لكنّهم يجيئوني فيقولون لي فلا أجد بدّاً من أن أقول»[1].

من ذيل هذه الروايات يُفهم أنّ بعض أعداء زرارة و أمثالهم يجيئون الإمام عليه السلام و يعيبونه، و الإمام عليه السلام لأجل عدم كشف علاقته به يتكلّم ببعض الكلمات عنه.

٤ـ يقول أبو خالد الكابلي:

رأيت أباجعفر صاحب الطاق و هو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة أزراره و هو دائب يجيبهم و يسألونه، فدنوت منه فقلت: إنّ أبا عبداللّه نهانا عن الكلام. فقال: أمرَك أن تقول لي؟ فقلت: لا، و لكنّه أمرني أن لاأُكلّم أحداً. قال: فاذهب فأطعه فيما أمرك، فدخلت على أبي عبداللّه عليه السلام فأخبرته بقصّة صاحب الطاق و ما قلت له و قوله لي اذهب و أطعه فيما أمرك. فتبسّم أبو عبداللّه عليه السلام و قال: **«يا أبا خالد، إنّ صاحب الطاق يكلّم الناس فيطير و ينقض، و أنت إن قصّوك لن تطير»**[2].

و يُفهم من هذه الرواية إجمالاً أنّ شرائط الارتباط بين الإمام عليه السلام و

١ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٣، ح ٣٢٥.
٢ـ المصدر السابق، ص ٤٢٤، ح ٣٢٧.

خواصّ أصحابه كزرارة و أبي بصير و أشباههما مختلفة، فالظروف الطبيعية و الخوف من العدو و التقيّة، كلّها تؤخذ بعين الاعتبار.

٢ـ مدح الإمام الصادق عليه السلام لخواصّ أصحابه

روايات كثيرة تذكر أنّ الإمام عليه السلام مدح فيها أصحابه، كزرارة و أبي بصير و من على شاكلتهم بتعابير مختلفة، من باب المثال:

١ـ نُقل عن الصادق عليه السلام بسندين منفصلين أنّه قال:

«أحبّ الناس إليّ أحياءً و أمواتاً أربعة: بريد بن معاوية العجلي، و زرارة و محمّد بن مسلم، و الأحول ...»[1].

٢ـ و في رواية أُخرى عن الصادق عليه السلام:

«رحم اللّه زرارة بن أعين، لولا زرارة بن أعين لولا زرارة و نظراؤه لاندرست أحاديث أبي عليه السلام»[2].

٣ـ و في رواية أُخرى عنه عليه السلام:

«زرارة و أبو بصير و محمّد بن مسلم و بريد من الذين قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[3]**»**[4].

٤ـ و في نقل آخر عنه عليه السلام:

١ـ المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧، ح ٢١٥ و ج ٢، ص ٤٢٢، ح ٣٢٥ و ٣٢٦.
٢ـ المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧، ح ٢١٧.
٣ـ الواقعة (٥٦): ١٠ و ١١.
٤ـ رجال الكشّي، ج ١، ص ٣٤٨، ح ٢١٨.

«ما أجد أحداً أحيا ذكرنا و أحاديث أبي عليه السلام إلّا زرارة و أبوبصير ليث المرادي و محمّد بن مسلم و بريد بن معاوية العجلي، و لولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين و أمناء أبي عليه السلام على حلال اللّه و حرامه و هم السابقون إلينا في الدنيا و السابقون إلينا في الآخرة»[1].

و أخيراً و بعد كلّ هذه الروايات المعتبرة كيف يتصوّر قول زرارة و أبي بصير المنسوبين بحقّ الإمام الصادق و موسى بن جعفر عليهما السلام و كيف يتصوّر شكّهما في إمامتهما عليهما السلام ؟

كيف يُعقل أنّ الإمام الصادق عليه السلام يمدح من لم يقبل إمامته بعد بهذا المدح و يصفه بأنّه أحد أركان حفظ آثار المذهب و الحديث، و كيف يُعقل أنّ شخصاً يشكّ بالإمام الصادق عليه السلام و بنفس الوقت يقول فيه: «جعلني اللّه فداك»[2] ؟

فتوهّم الكاتب ليس له أيّ مستند تاريخي و أنّه ليس إلّا رجماً بالغيب.

١ـ المصدر السابق، ح ٢١٩.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٥٢، ح ٢٢٢.

الفصل الحادي عشر:

شجاعة الائمّة(ع)

و علاقتهم بحكام الجور و الثوار

شجاعة الأئمّة عليهم السلام و علاقتهم بحكام الجور و الثوار

ينتقد الكاتب في كرّاسته ما قيل عن شجاعة الأئمّة عليهم السلام حينما يقول:

بعد الحسين بن علي ـ حسب روايات الشيعة ـ لم يشتهر أيّ واحدٍ من هؤلاء بهذه الصفة... لم يقم أيّ واحد منهم على الحكّام و السلاطين، بل إنّ بعضهم مدح أو اعترف ببعض الحكّام، و البعض الآخر لم ينصر أو يدعم أبناء عمومته ممّن ثاروا على الأُمراء و الحكام، و آثروا السلامة على ذلك... و قد اشتُهر عن الحسن إنّه: مذل المؤمنين....

و هذه الشبهات قابلة للردّ من عدّة وجوه:

الأوّل: وظيفة الأئمّة عليهم السلام الأساسية

يجب الالتفات إلى هذه المسألة المهمّة و هي أنّ الوظيفة الأصلية للأئمّة عليهم السلام في مقام التشريع حفظ و إحياء معارف القرآن و نشرها، و الوقوف أمام التحريف و التفسير المغلوط لها.

فليس من وظيفة الأئمّة فقط محاربة حكام الجور بالسيف حتّى يشكل على بعضهم لماذا لم يقوموا على حكّام زمانهم.

عاش المجتمع الإسلامي في الفترة التي أعقبت رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى

عهد الإمام الباقر و الإمام الصادق عليهما السلام حالة من الابتعاد أو الانسلاخ عن الثقافة الإسلامية و الأصيلة، و أصابت أغلب أحكام و علوم القرآن الإسلامي الإهمال و النسيان و حلول محلّها رسوم و آداب العصر الجاهلي، ولذا فقد شمّر أئمّتنا عليهم السلام و بالخصوص الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام عن ساعديهما لنشر الثقافة و العلوم الإسلامية الأصيلة و إرجاع ثقة المسلمين بدينهم و ثقافتهم الإسلامية. فانصبّ جهدهم و تركيزهم على تربية نخبة من طلبة العلوم و إعدادهم و بثّهم في صفوف المجتمع .

و ما نشاهده اليوم من اتّساع الإسلام مديون لتلك الفترة من التاريخ.

من هنا نقول: إنّ شجاعة الأئمّة عليهم السلام غير منحصرة في ميادين الحرب والقتال بالسيف، وإنّما إحياء علوم الدين و سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وظيفة أصلية للإمام عليه السلام في المجتمع.

الثاني: الشجاعة الحدّ الفاصل بين التهوّر و الجبن

يجب أن نعلم أنّه ليس من الشجاعة النهضة و المواجهة مع الحاكم المستبدّ من دون تخطيط دقيق و تخمين للعواقب. مواجهة السلطة القوية الظالمة دون تخطيط للمواجهة مسبقاً يعدّ تهوّراً لا شجاعة. الشجاعة هي الحدّ الفاصل بين التهوّر و الجبن. بشهادة التاريخ كان أئمّتنا عليهم السلام بعد واقعة كربلاء ـ سواء في زمان بني أُمية أو زمان بني العبّاس ـ تحت مراقبة شديدة، ولم يكن بوسعهم القيام بأيّ عمل غير ثقافي، و هو بدوره لم يكن ميسّراً إلّا باستخدام التقيّة و العمل بالسرّ؛ إذ كانت تنظر إليه تلك الحكومات بشكّ و

ارتياب و تعده غطاءً لعمل سياسي خطير.

و ما يختصّ بمسألة المهدي عليه السلام و انتشار أحاديث رسول‌الله بهذا الشأن المنقولة عن الأئمّة عليهم السلام سبّب إثارة حساسية تلك الحكومات أكثر، و بالخصوص الحكومات العبّاسية.

ممّا حدى بها إلى تضييق الخناق على الأئمّة عليهم السلام و تشديد الحصار عليهم، ولو تطلّب الأمر عزلهم و سجنهم في مراكز نظامية لكي يكونوا تحت مراقبتهم الشديدة، كما فعلوا بالإمامين الهادي و العسكري عليهما السلام.

قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه و عن الأئمّة من بعده: «**... ما منّا إلّا مسموم أو مقتول**»[1] كما نقلتها الروايات الشيعية، مصداق لهذه الحسّاسية و الخوف

١ـ و هذه الرواية منقولة بسندين في بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٢١٧ و ج ٤٣، ص ٣٦٤ بواسطة الإمام الحسن عليه السلام عن رسول‌الله بعد شهادة الإمام علي عليه السلام. و نقل عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «والله ما منّا إلّا مقتول شهيد...» عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٥٦، ح ٩.
و قال الشيخ المفيد في كتابه «تصحيح الاعتقاد» بعد نقل ما قاله الصدوق: «من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمّة عليهم السلام ماتوا بالسمّ و القتل» ـ ما حاصله ـ: هذا الأمر ثابت بالنسبة إلى بعضهم دون بعضهم الآخر، فالثابت هو بالنسبة إلى علي و الحسن و الحسين و موسى بن جعفر عليهم السلام و أيضاً الرضا عليه السلام باحتمال قويّ و إن كان فيه شكّ، فإنّهم ماتوا بالسمّ أو القتل و لا يصحّ هذا الحكم في سائر الأئمّة عليهم السلام. تصحيح الاعتقاد، ص ٦٣ ـ ٦٤.
و قال المجلسي ما حاصله: أنّه مع وجود روايات عامّة و أيضاً الروايات الخاصّة بكلّ واحد منهم عليهم السلام التي نقلت في الأبواب المختلفة من التاريخ التي تدلّ على شهادتهم لم يكن سبيل لإنكار شهادتهم و نفي الصحّة عن هذا الروايات. نعم لا توجد في غير علي و فاطمة و الحسن و الحسين و موسى بن جعفر و الرضا عليهم السلام روايات متواترة تدلّ على شهادتهم، بل توجد روايات تفيد الظنّ و لا دليل على نفي الشهادة، لا سيّما بالنسبة إلى الأئمّة الذين ماتوا في ☜

الشديد الذي كانت تعيشه الحكومات المتعاقبة تجاه الأئمّة عليهم السلام. و هذا خير دليل على أنّ الأئمّة عليهم السلام لم يتوانو في بذل أقصى ما لديهم من طاقات و جهود للدفاع عن كيان الدين و نشر الحقائق و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الحكومات كانت تعلم أنّ أيّ تهاون معهم أو إفساح للظروف و تهيئة الشروط المساعدة لتحرّكهم، فإنّ ذلك معناه زوال ملكهم أو تعرّضهم لأخطار جدّية.

و على فرض صحّة ما قيل إنّ بعض الأئمّة قد دانوا لبعض الخلفاء أو اعترفوا بأمرتهم و نادوهم بأمرة المؤمنين، فإنمّا هو لدفع خطرهم أو للتقليل من حسّاسيتهم تجاه الأئمّة عليهم السلام و شيعتهم.

ففي ظلّ تلك الظروف و الشروط الصعبة التي كان يعيشها الشيعة و أئمّتهم عليهم السلام، كان العقل و الشرع يحتمان استخدام التقيّة، و الترميز بهكذا تعابير من قبل الإمام بخلفاء زمانهم المستبدّين. كان واضحاً لدى شيعتهم، و لا يوجب تأييد مقامهم أو الاعتراف بخلافتهم.

أمّا عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام و إعلانه الحرب على الحكومة الظالمة فإنّ واحدة من تلك العلل الظاهرية التي حدت بخروجه ـ بناءً على شهادة التاريخ ـ هو الاستقبال العظيم الذي لاقاه الإمام من أهل الكوفة و إعلانهم وقوفهم و نصرتهم له مهما كلّف الأمر، و إرسالهم الرسائل و الوفود يدعونه

☜ الحبس و تحت سلطة الأعداء. و لعلّ مقصود الشيخ المفيد هو أيضاً ما قلناه. بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٢١٦.

و الذي كان بحسب التاريخ قطعياً ـ مع الغمض عن الروايات الدالّة على شهادة الأئمّة عليهم السلام ـ أنّ جميع الأئمّة عليهم السلام كانوا أيّام حياتهم الشريفة في ظروف غير عاديّة و تحت مراقبة شديدة من ناحية الأعداء.

للقدوم إلى درجة أحسّ الإمام بالتكليف و الواجب الشرعيّ الملقى على عاتقه، و حسب تلك الظروف الظاهرية و الأجواء المهيّئة فليس عليه إلّا التوجّه إلى العراق... أضف إلى ذلك فإنّ تصرّفات يزيد و استهتاره بالدين و بالمقدّسات، و تظاهره بالجور و الفجور كان مختلفاً عن سائر ما قام به حكّام بني أُمية و بني العبّاس، و بيعة الحسين عليه السلام له يعني هدماً للإسلام و لكلّ ما بناه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فلسفة السكوت

و في ما يخصّ القول بأنّ الأئمّة عليهم السلام لو كانوا يملكون القدرة و القوّة التي تمكّنهم من الوقوف و التحدّي العلني لحكومات زمانهم لما سكتوا، نذكر هاتين الروايتين:

١ ـ يقول أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» حول غصب الخلافة و الحوادث الواقعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«... فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت...»[١].

يذكر ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الخطبة:

فقول مازال علىّ عليه السلام يقوله، و لقد قاله عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«لو وجدت أربعين ذوي عزم!»**[٢].

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٢٦.

٢ ـ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٢.

أي لو كان عندي أربعين رجلاً من ذوي العزم و الإرادة لما بقيت ساكتاً.

٢ـ عن سدير الصيرفي يقول:

دخلت على أبي عبداللّه عليه السلام فقلت له: و اللّه ما يسعك القعود، فقال: «**و لم ياسدير؟**» قلت: لكثرة مواليك و شيعتك و أنصارك، و اللّه لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام ما لك من الشيعة والأنصار و الموالي ما طمع فيه تيم و لا عديّ. فقال عليه السلام: «**يا سدير، و كم عسى أن يكونوا؟**» قلت: مئة ألف، قال: «**مئة ألف؟**» قلت: نعم، و مئتي ألف. قال: «**مئتي ألف؟**» قلت: نعم، و نصف الدنيا. قال: فسكت عنّي ثمّ قال: «**يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع؟**»... فمضينا فحانت الصلاة فقال: «**يا سدير، انزل بنا نصلّي**»، ثمّ قال: «**هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها**»، فسرنا حتّى صرنا إلى أرض حمراء، و نظر إلى غلام يرعى جداء فقال: «**واللّه يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود**»، و نزلنا و صلّينا، فلمّا فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر[1].

الثالث: علاقة الأئمّة عليهم السلام بالثوار

أمّا في ما يخصّ امتناع الأئمّة عليهم السلام عن نصرة أبناء عمومتهم ممّن قاموا على الخلفاء ـ كما ادّعى الكاتب ـ فلا بدّ إنّه كان يقصد من قيامهم كقيام زيد

١ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٤٢، ح ٤.

بن علي بن الحسين عليه السلام بوجه هشام بن عبدالملك، فنقول: إنّ زيد عمّ الإمام الصادق كان قيامه بتأييد و مباركة الإمام عليه السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام واصفاً عمّه زيد:

«**... إنّ عمّي كان رجلاً لدنيانا و آخرتنا، مضى و اللّه عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله و علي والحسن و الحسين عليهم السلام**»[1].

كلّ ما هنالك أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يعلم عن أبيه عن جدّه عن... بشهادة عمّه زيد بن علي في الكناسة. و طبق ما هو منقول في رواية عن الإمام الرضا في جوابه للمأمون حينما قام بنقد ثورة زيد فقال له الإمام عليه السلام:

«**... حدّثني أبي موسى بن جعفر عليهما السلام أنّه سمع أباه... و لقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك. فلمّا ولّى قال جعفر بن محمّد: «ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه...**»[2].

و في رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً الفضيل الذي شارك في ثورة زيد و قتل جماعة من أهل الشام من أتباع و أنصار حكومة هشام بن عبدالملك:

«**أشركني اللّه في تلك الدماء، ما مضى و اللّه زيد عمّي و أصحابه إلّا شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب عليه السلام و أصحابه**»[3].

١ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٢٨. ٢ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٥.
٣ـ المصدر السابق، ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

و جاء في رواية ابن سبابة قال: دفع إليّ أبو عبداللّه الصادق عليه السلام ألف دينار و أمرني أن أقسّمها في عيال من أُصيب مع زيد بن علي عليه السلام[١].

إذن، فثورة زيد حظيت بحماية و تأييد الإمام الصادق عليه السلام المادّية والمعنوية، و لكن و لأنّه عليه السلام لم ير الظروف مواتية أو مساعدة للقيام و الثورة ـ كما يُفهم ذلك من رواية سدير الصيرفي[٢] ـ فإنّه لم يشترك بصورة مباشرة فيها. و السبب في أنّ زيد رحمه الله لم يصرّح مباشرة بارتباطه بالإمام الصادق عليه السلام أمران:

١ـ كان زيد يسعى إلى إشراك جميع المذاهب و التيارات المخالفة للحكومة الأموية في ثورته تلك، و لم يكن يحبّذ أن تصبغ باللون الشيعي الصرف، لأجل الوصول إلى أهدافه بسرعة.

٢ـ دفع الخطر عن الإمام عليه السلام الذي كان حِفظه من حِفظ المذهب و الكيان الإسلامي.

و لمزيد من الاطلاع يُراجع كتاب **دراسات في ولاية الفقيه**[٣].

الرابع: بحث في مسألة صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

و أمّا ما ذكره الكاتب حول صلح الإمام الحسن عليه السلام و تلقيبه بمذلّ المؤمنين من قبل الناس آنذاك، فهذا الكلام مرفوض، ترفضه الشواهد التاريخية:

١ـ بحارالأنوار، ج ٤٦، ص ١٧٠. ٢ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٤٢، ح ٤.
٣ـ دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الإسلامية، ج ١، ص ٢٠٧.

١ـ يذكر التاريخ أنّ الإمام الحسن عليه السلام بعد يأسه من تعقّل معاوية و رجوعه عن فكرة غزو العراق و الحرب مع الشيعة، و إرجاعه لممثلي الإمام و هم جندب بن عبداللّه و الحارث اللذين قال لهما معاوية: «ارجعا، فليس بيني و بينكم إلّا السيف»[١].

عندها تحضّر للحرب و حضّر شيعته لها. و أرسل رسالة شديدة إلى معاوية يقول له فيها:

«... و إن أنت أبيت إلّا التمادي في غيّك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتّى يحكم اللّه بيننا و هو خير الحاكمين...»[٢].

٢ـ جاء في جواب معاوية له: «و ايئس من أن تجد فينا غميزة...»[٣].

٣ـ يكتب ابن أبي الحديد:

زاد الحسن بن علي عليه السلام المقاتلة مئة في مئة درهم...[٤].

و طبيعي زيادة عطاءات المقاتلة لأجل التهيؤ لهذه الحرب.

٤ـ يكتب ابن أبي الحديد:

و خرج الناس فعسكروا و نشطوا للخروج و خرج الحسن عليه السلام إلى العسكر و استخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل... حتّى نزل دير عبدالرحمن فأقام بها ثلاثاً حتّى اجتمع الناس. ثمّ

١ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٦.
٢ـ المصدر السابق، ج ١٦، ص ٣٤. ٣ـ المصدر السابق، ص ٣٧.
٤ـ المصدر السابق، ص ٣٣.

دعا عبيداللّه بن العبّاس بن عبدالمطّلب فقال له:

«يا ابن عمّ، إنّي باعث إليك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب و قرّاء المصر...»[1].

و يضيف ابن أبي الحديد:

كان الحسن بن علي يحثّ الناس إلى الجهاد و يلومهم على التكاسل... و قد خرج هو بنفسه قبلهم حتّى عسكر بالنخيلة، و هم يقدمون عليه... و كان سبب تكاسلهم و تثاقلهم عن نصرته طلبهم العافية أو ما كان يشيعه معاوية بينهم من أنّ الحسن يراسله على الصلح، فكان لها التأثير الكبير على أهل الكوفة[2].

٥ـ و في مسجد الكوفة يخطب الإمام الحسن عليه السلام بالناس يحثّهم على الخروج للحرب و جهاد عدوّهم مذكّراً إيّاهم بآيات الجهاد قائلاً:

«... فلستم أيّها الناس نائلين ما تحبّون إلّا بالصبر على ما تكرهون. أنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنّا كنّا أزمعنا على المسير إليه فتحرّك، لذلك اخرجوا رحمكم اللّه إلى معسكركم في النخيلة حتّى ننظر و تنظرون، و نرى و ترون...»[3].

إذا ادّعاء الكاتب أنّ الإمام الحسن عليه السلام مساوم و مذلّ المؤمنين غير صحيح، و لا تنطبق عليه وقائع التاريخ التي ذكرنا الجزء اليسير منها.

١ـ المصدر السابق، ص ٣٦. ٢ـ المصدر السابق.
٣ـ صلح الحسن، ص ١٠٠.

أسباب فرض الصلح المشروط على الإمام الحسن عليه السلام

أمّا الأسباب التي أدّت إلى ترك الإمام الحسن عليه السلام الحرب مع معاوية و قبوله بالصلح المشروط فهي عبارة عن:

١ـ لم يكن جيش الإمام الحسن عليه السلام يتمتّع بوحدة الهدف و الفكر. يعتقد الشيخ المفيد أنّ التحاق الخوارج بجيش الإمام الحسن عليه السلام لأنّهم كانوا يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة[1] (ولو بانكسار الإمام الحسن عليه السلام).

و بهذا الخصوص يكتب المرحوم الشيخ راضي آل ياسين:

و لكن لا نؤمن بهذا التعليل على إجماله، و لا ننكره على بعض وجوهه...، و قد يكون هدفهم شيئاً آخر غير هذا... و ليس فيما نعهده من علاقات الخوارج مع الحسن و أبي الحسن عليهما السلام ما يشجّعنا على الظنّ الحسن بهم... و إذا صحّ أنّهم إنّما أرادوا قتال معاوية حيث تبعوا الحسن عليه السلام، و أنّهم كانوا لا يقصدون بالحسن سوءاً، فأين كانوا عن معاوية قبل ذلك؟ و لِمَ لمْ يتألّبوا عليه كما كانوا يتألّبون على علي عليه السلام في انتفاضتهم التي حفظها التاريخ؟...[2].

٢ـ تأثير شائعات معاوية على جيش الإمام الحسن عليه السلام.

بهذا الخصوص يقول ابن أبي الحديد:

١ـ الإرشاد، ج ٢، ص ١٠. ٢ـ صلح الحسن، ص ١٣٠.

أرسل معاوية إلى عبيداللّه بن عبّاس الذي كان قائد جيش الحسن عليه السلام، يقول له فيها: إنّ الحسن قد راسلني في الصلح و هو مسلّم الأمر إليَّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت و أنت تابع...[١].

٣ـ حول تأثير و عود معاوية المادّية جاء في «تاريخ اليعقوبي»:

أنّه (معاوية) أرسل إلى عبيداللّه بن عبّاس و جعل له ألف ألف درهم[٢].

و بديهي كانت هذه الوعود لكثير من الأفراد المؤثّرين في جيش الإمام عليه السلام، و ربما كانت هذه الوعود هي السبب في التحاق عبيداللّه بمعاوية. هكذا فعل أصحاب الإمام عليه السلام الذين وجّههم مع عبيداللّه، يتسلّلون إلى معاوية، الوجوه و أهل البيوتات و أتباعهم[٣].

و صعد عدد الفارّين من الزحف عن طريق الخيانة للّه و لرسوله صلى الله عليه وآله و لابن رسوله، إلى ثمانية آلاف!...[٤]. نعم، ثمانية آلاف من اثني عشر ألفاً! يعني ثلثي جيشه.

إنّها الثغرة المخيفة في جدار المعسكر الواقف في جهة القتال أمام ستّين ألفاً من الأعداء الأشدّاء[٥].

١ـ شرح نهج‌البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٤٢.
٢ـ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٤؛ شرح نهج‌البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٤٢.
٣ـ شرح نهج‌البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٢.
٤ـ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢١٤؛ روضة الشهداء، ص ١١٥.
٥ـ صلح الحسن، ص ١٤٧ و ١٤٨.

بعد كلّ هذا يحقّ لنا أن نقول: إنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام كان لصالح الشيعة و البلاد الإسلامية، و للحيلولة دون مقتل الآلاف من المسلمين بدون تحقيق النصر، جاء في التاريخ:

يقول الإمام الحسن عليه السلام في جواب رجل اعترض على قرار الصلح قائلاً له: لقد كنت على النصف فما فعلت؟ فقال له الحسن عليه السلام: «**أجل و لكنّي خشيت أن يأتي يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً تشخب أوداجهم دماً كلهم يستعدي اللّه فيم هريق دمه...**»[١].

و أمّا نسبة القول بأنّ الإمام الحسن عليه السلام كان مذلّ المؤمنين إلى عموم الناس، فهي نسبة غير صحيحة كما يدّعي كاتب الكرّاسة، و إنّما هذا القول منسوب إلى أشخاص مثل سليمان بن صرد الخزاعي الذي كان من أشراف العراق و لم يكن حاضراً في وقائع الصلح في الكوفة[٢].

و طبعاً كانت سياسة معاوية هي تشويه سمعة الإمام الحسن عليه السلام بين الناس، و إلقاء شائعة مصالحة الحسن عليه السلام لمعاوية من قبل الخوارج كانت مطابقة تماماً لأقوال سليمان. و على فرض عدم وجود دور لمعاوية في هذه

١ـ شرح نهج‌البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٧؛ البداية و النهاية (تاريخ ابن كثير)، ج ٨، ص ٤٦.
٢ـ الإمامة و السياسة، ج ١، ص ١٨٥. و طبعاً جاء في المنقولات التاريخية أنّ حجر بن عدي من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام اعترض أيضاً على صلح الإمام عليه السلام مع معاوية، و نسبوا هذا الكلام إليه، فأقنعه الإمام عليه السلام بالمنطق و الاستدلال، فخرج من خيمة الإمام الحسن عليه السلام و هو مخجل من كلامه في حقّه عليه السلام.

التهمة المنسوبة إلى الإمام، و لكن لا يُنكر الدور الكبير الذي لعبه أنصاره و مؤيّدوه في إشاعتها بين الناس.

و من المناسب في هذا الشأن ـ كما ذكر المرحوم الشيخ راضي آل ياسين ممّا نقلناه قبل قليل ـ الالتفات إلى دور الخوارج في وقوفهم مع الإمام علي عليه السلام في حرب صفّين، و ما لعبوه من دور بعد ذلك لتضعيف جبهته و تشويه صورته، و أنّ هؤلاء الخوارج كانوا في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام، و بعد خدعة معاوية التي أشار بها إليه عمرو بن العاص و هي رفع المصاحف على رؤوس الرماح كان للخوارج الأثر الكبير و الدور الفعّال للظغط على الإمام علي عليه السلام لإيقاف الحرب و القبول بالصلح مع معاوية، إلى حدّ اتّهامه بالكفر و تهديده بإعلان الحرب عليه. أضافة إلى ذلك لابدّ أن يعلم أنّ مخاطبة الإمام الحسن عليه السلام بـ«مذلّ المؤمنين» أو «مسوّد وجوه المؤمنين» كان أيضاً من ناحية بعض الخوارج الذي كانوا في جيش الإمام عليه السلام فقد نقل في كتاب «تذكرة الخواص» أنّ صاحب كتاب «الاستيعاب» روى من ابن عبدالبرّ المالكي: أنّ سفيان بن ياليل أو ابن ليلى عاتب الإمام عليه السلام و ناداه بـ«مذلّ المؤمنين» و طبقاً لرواية هشام عاتبه بـ«مسوّد وجوه المؤمنين» و أجاب الإمام بقوله:

«ويحك أيّها الخارجي لا تعنفي فإنّ الذي أحوجني إلى ما فعلت: قتلكم أبي و طعنكم إيّاي و انتهابكم متاعي و إنّكم لما سرتم إلى صفّين كان دينكم أمام دنياكم وقد أصبحتم اليوم و دنياكم أمام دينكم. ويحك أيّها الخارجي إنّي رأيت أهل

الكوفة قوماً لا يوثق بهم و ما اغترّ بهم إلّا من ذلّ، ليس رأي أحد منهم يوافق رأي الآخر، و لقد لقى أبي منهم أُموراً صعبة و شدائد مرّة...»[1].

و ملخص ما جاء في هذا الفصل: أنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يؤدّون وظائفهم المشروعة و الملقاة على عواتقهم في كلّ ظرف زمان أو مكان بما يتناسب و شروط العصر، بالدفاع عن الدين الإسلامي و علوم القرآن و سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحسن شكل و أتمّ وجه. و لم يؤيّدوا ـ تحت أي شرط ـ أيّة حكومة من تلك الحكومات المعاصرة لهم، بل إنّ نتائج كلّ تحرّكاتهم السياسية و الثقافية كانت تثير حساسية السلطات الحاكمة أكثر من غيرهم، ممّا حدت بها إلى ممارسة الظغط عليهم بالحبس و الحجز، و من ثمّ بعد عدم تحمّلهم لوجودهم يقومون بسمّهم و قتلهم.

فتحليل الحياة السياسية لرجال الدين و قياس تصرّفاتهم الاجتماعية بعضهم ببعض دون الأخذ بعين الاعتبار الشروط الزمانية و المكانيه لكلّ عصر، بعيد عن روح التحقيق، و على فرض أنّها جاءت من حسن نيّة فإنّها ناشئة من عدم درك و فهم لتاريخ أهل البيت عليهم السلام.

١ـ بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٢٣، الهامش.

الفصل الثاني عشر:

بعض الشبهات حول الأئمّة(ع)

شبهات حول الأئمّة عليهم السلام

ضمن تطرّق كاتب الكرّاسة لأُمور ذكرت في بعض الكتب الروائية الشيعية حول شرائط و أوصاف و أحوال الإمام المهدي عليه السلام يختتم كراسته ناقلاً لها باستهزاء و سخرية بدون إيراد أيّ دليل على بطلانها أو عدم صحّتها، فمن تلك قوله:

١ـ تعيين الوصيّ من قبل الإمام

حيث يكتب:

> يدّعي هؤلاء ـ الشيعة ـ أنّه لن يموت الإمام حتّى يوصي، و يجب على الإمام أن يعرف خليفته، و بعد الحسنين لا يمكن أن يكونوا إلّا في أعقاب.

إضافة إلى الروايات الشيعية المتواترة[1] فقد استُفيد هذا المضمون من الروايات السنّية أيضاً، و المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدالّة على أنّ خلفاءه اثنى عشر خليفة، و في بعضها كلمة «أمير» و في أُخرى «ملك»، قمنا بنقلها سابقاً من كتب السنّة و قد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام بأسمائهم و صفاتهم، و على هذا فمن البديهي أنّ كلّ إمام يوصي بمن يأتي بعده ممّن ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١ـ الكافي، ج ١، ص ٢٧٦.

٢ـ حصر الإمامة في الولد الأكبر

يكتب:

يدّعي هؤلاء ـ الشيعة ـ أنّ الإمامة لن تكون إلّا للولد الأكبر.

و هنا يدّعي الكاتب لماذا لم يعمل الشيعة بهذه القاعدة في ما يخصّ عبداللّه الأفطح الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام، و الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالنسبة لأخيه جعفر، و اعتقدوا بإمامة موسى بن جعفر، و الحسن العسكري عليهما السلام و هما أصغر من إخوتهما؟

و يُقال في جوابه:

أوّلاً: الإمام الحسن عليه السلام الابن الأكبر للإمام الهادي عليه السلام، و جعفر هو ولده الرابع.

ثانياً: هكذا موضوع لا يشكّل قاعدة كلّية لمسألة الإمامة، كلّ ما جاء في روايات الشيعة و السنّة عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم عنوان الاثنى عشر خليفة أو الاثنى عشر أمير أو ملك، و ما أشبه ممّا ذكرته الروايات المنقولة من طرق السنّة، و في أغلب هذه الروايات ذِكر لأسماء هؤلاء الأئمّة.

و الرواية التي ذكرت المضمون الآنف الذكر هي رواية «الكافي» عن الإمام الرضا عليه السلام:

«للإمام علامات منها أن يكون أكبر ولد أبيه...»[1].

و هذا المضمون لا يشكّل المقصود بالنحو الكلّي، و ذلك ـ بالإضافة إلى حديث الإمام الصادق المنقول في الرواية السادسة من هذا الباب حيث قال:

١ـ المصدر السابق، ص ٢٨٤، ح ١.

«إنّ الأمر في الكبير ما لم تكن فيه عاهة»[1]، و قهراً ستتقيّد الرواية المنقولة عن الرضا عليه السلام بهذه ـ لأنّ هذا المضمون معارض مع الروايات المنقولة عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و التي ذكرت أسماء الأئمّة. و ربما الرواية المنقولة عن الإمام الرضا عليه السلام ناظرة إلى أغلب الموارد، أو إلى الأئمّة من بعده.

٣ـ غسل الإمام لن يكون إلّا بيد إمام

حيث يكتب:

هؤلاء ـ الشيعة ـ يدّعون أنّه لن يغسّل جسد الإمام إلّا إمام.

و هذا المضمون منقول في «الكافي» ضمن عدّة أحاديث عن الإمام الرضا عليه السلام، جاء في أحدها سألت الرضا عليه السلام عن إلامام يغسّله الامام ؟:

قال: «سنّة موسى بن عمران عليه السلام»[2].

يعني لن يغسّل النبي و الإمام إلّا وصيّه.

يعتقد الكاتب أنّ هذا خلاف الواقع في موارد:

الأوّل: أنّ موسى بن جعفر عليه السلام حينما مات لم يكن ولده الرضا عليه السلام حاضراً عنده، بل كان في المدينة.

الثاني: و أيضاً الإمام الرضا عليه السلام حين وفاته كان عمر ولده الجواد عليه السلام ثمان سنوات.

الثالث: و أيضاً الإمام الحسين عليه السلام حين استشهد في كربلاء كان ولده علي بن الحسين عليه السلام أسيراً في جيش يزيد.

١ـ المصدر السابق، ص ٢٨٥، ح ٦.

٢ـ المصدر السابق، ص ٣٨٥، ح ٢.

و يُقال في جوابه:

أوّلاً: في الموارد المذكورة لا يُنكر الإمكان الذاتي لأنْ يغسل الإمام ولده من بعده، المستبعد هنا، إمكان وقوعه. و هذا الاستبعاد لا معنى له عند من يؤمن بوقوع الأُمور الخارقة للعادة، أي المعاجز. و حدوث المعاجز ـ بنصّ القرآن لأغلب الأنبياء عليهم السلام ـ من قبيل تكلّم عيسى في المهد[1]، أمر لا يقبل الشكّ و الإنكار لمن يؤمن بالقرآن.

ثانياً: طبق الرواية المنقولة من طرق السنّة و التي ذكرناها سابقاً[2] أنّ هناك أُمور و سنن حصلت في الأُمم السابقة و هي حاصلة في هذه الأُمّة حذو النعل بالنعل، و واحدة من هذه كما جاء في رواية «الكافي» سنّة موسى عليه السلام في حضور وصيّه حين وفاته في التيه لتغسيله.

ثالثاً: طبق الرواية المنقولة من كتاب «ينابيع المودّة» أنّ المهدي عليه السلام لم يكن يبلغ من العمر أكثر من أربعة أو خمسة سنين حينما طلب منه أبيه التكلّم باللغة العربية الفصحى لسائل أيّ أحمد بن إسحاق الأشعري[3]، «و حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد».

و على هذا يجب عدم استبعاد أو إنكار أن يقوم إمام عمره ثمان سنوات بتغسيل والده أو أن يحضر من مكان بعيد لأجل ذلك، مع الاعتراف بحصول المعجزة و الأُمور الخارقة للعادة.

١ـ مريم (١٩): ٣٠.
٢ـ أواخر الفصل السابع من هذا الكتاب.
٣ـ كمال الدين، ص ٣٨٥؛ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٣١٧.

٤ـ علامة الإمامة سلاح النبي صلى الله عليه وآله و درعه

حيث يكتب:

يدّعي هؤلاء ـ الشيعة ـ أنّ الإمام من ساوى درع رسول الله صلى الله عليه وآله، و عنده سلاح النبي صلى الله عليه وآله يدور عليهم.

ذكر موضوع سلاح النبي صلى الله عليه وآله في موردين في «الكافي»[1]، و موضوع درع النبي صلى الله عليه وآله و أنّها مساوية مع قامة الإمام أيضاً ورد في «الكافي» في موردين[2].

و حول سلاح النبي صلى الله عليه وآله منقول في «الكافي» عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«للإمام علامات منها...، و السلاح فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيثما كان»[3].

و يوجد في «الكافي» باب بهذا العنوان[4].

تابوت السكينة لموسى عليه السلام

و هو تابوت بني إسرائيل، إشارة إلى ما ذكرته هذه الآية: **﴿وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَ ءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[5].

١ـ الكافي، ج ١، ص ٢٨٤، ح ١ و ص ٣٧٩، ح ٢.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٠٨ و ص ٣٨٩.
٣ـ المصدر السابق، ص ٢٨٤.
٤ـ المصدر السابق، ص ٢٣٨.
٥ـ البقرة (٢): ٢٤٨.

والمراد من التابوت في هذه الآية بناءً على نقل «الميزان» عن «تفسير القمّي» عن الإمام الباقر عليه السلام: الصندوق الذي وضعت فيه أُمّ موسى ولدها موسى عليه السلام و ألقته في النيل.

يقول العلّامة الطباطبائي بهذا الشأن:

> و كان التابوت الذي أنزل اللّه على موسى فوضعته فيه أمّه و ألقته في اليمّ فكان في بني‌إسرائيل يتبرّكون به، فلمّا حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح و درعه و ما كان عنده من آيات النبوّة، و أودعه عند يوشع وصيّه، و لم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به، و كان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزٍّ و شرف ما دام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصي و استخفّوا بالتابوت رفعه اللّه عنهم، فلمّا سألوا النبي بعث اللّه عليهم طالوت ملكاً فقاتل معهم، فردّ اللّه عليهم التابوت كما قال: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1].

تشبيه سلاح النبي صلى الله عليه و آله و درعه بتابوت السكينة

من هنا فإنّ تشبيه سلاح النبي صلى الله عليه و آله بصندوق موسى عليه السلام في رواية الإمام الرضا عليه السلام تشبيه لطيف و مناسب، و مصداق آخر للروايات المنقولة من طرق السنّة و الشيعة الدالّة على أنّ حوادث الأُمم السابقة ستجري في هذه الأُمّة.

١ـ الميزان، ج ٢، ص ٢٩٧.

و في الحقيقة كما أنّ نبيّ اللّه موسى عليه السلام لم يسلّم الصندوق الحامل للألواح و آثار النبوّة و درعه و مواريث سائر الأنبياء إلّا لوصيّه يوشع عليه السلام، كذلك نبيّنا الأكرم محمّد صلى الله عليه و آله لن يسلّم و دائعه النفيسة، و التي من جملتها سلاحه و درعه إلّا لأوصيائه، و قد عدّت الرواية المذكورة في «الكافي»[1] موضوع «الفضل» و «الوصيّة» من علائم الإمامة.

والمقصود من أنّ درع النبي صلى الله عليه و آله مساوٍ لقامة الإمام عليه السلام، على فرض أنّ المقصود الظاهر فهو أنّ الإمام عليه السلام لو أراد أن يحارب كما حارب رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله و يلبس الدرع فسيكون بمقاسه، و لا يلزم من هذا الكلام أنّه حتّى في صغره سيكون الدرع بمقاسه.

و لكن من الممكن أن لا يكون المقصود هو ظاهر الرواية، و إنّما ذلك كناية عن مسؤولية حفظ الدين و معارف القرآن الملقاة على عاتق أهل البيت عليهم السلام الذين هم أحد الثقلين كما جاء في حديث الثقلين تركهم الرسول لأُمّته. و نظير هذا التعبير شائع في لغات أُخرى غير العربية كالفارسية حينما يقول أهلها: إنّ هذا القميص أو هذه العبا لا يليق إلّا بقامة فلان، يعني لا يستطيع الآخرين خلافة ذلك الشخص أو نيابته.

في «الكافي» باب تحت هذا العنوان يُستفاد منه أنّ إحدى علامات و دلائل صدق مدّعى الإمامة في ذلك المقطع الزمني هو وجود ذلك الميراث من أدوات حرب النبي و ألواح موسى و أمثالها عنده، و جاء بهذا الخصوص في رواية سعيد السمّان قال:

١ـ الكافي، ج ١، ص ٢٨٤.

كنت عند أبي عبداللّه عليه السلام إذ دخل عليه رجلان من الزيدية فقالا له: أفيكم إمام مفترض الطاعة؟ قال: فقال عليه السلام (من باب التقية أو التورية): «لا». قال: فقالا له: قد أخبرنا عنك الثقات أنّك تفتي و تقرّ و تقول به، ...فغضب أبو عبداللّه عليه السلام فقال: **«ما أمرتهم بهذا»**. فلمّا رأيا الغضب في وجهه خرجا. فقال لي: **«أتعرف هذين؟»** قلت: نعم، هما من أهل سوقنا و هما من الزيدية، و هما يزعمان أنّ سيف رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عند عبداللّه بن الحسن. فقال عليه السلام: **«كذبا لعنهما اللّه، و اللّه ما رآه عبداللّه بن الحسن بعينيه و لا بواحدة من عينيه، و لا رآه أبوه، اللهمّ إلّا أن يكون رآه عند علي بن الحسين، فإن كانا صادقين فما علامة في مقبضه؟ و ما أثر في موضع مضربه؟**

و إنّ عندي لسيف رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و إنّ عندي لراية رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و درعه و لامته (و هي ضرب من الدّرع) و مغفره (و هو نسيج الدّرع يلبس تحت القلنسوة) فإن كانا صادقين فما علامة في درع رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و إنّ عندي لراية رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم المغلبة، و إنّ عندي ألواح موسى و عصاه، و إنّ عندي لخاتم سليمان بن داود، و إنّ عندي الطست الذي كان موسى يقرّب به القربان، و إنّ عندي الاسم الذي كان رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إذا وضعه بين المسلمين و المشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشّابة، و إنّ

عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة. و مثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني‌إسرائيل، في أي أهل بيت وجِدَ التابوت على أبوابهم أوتوا النبوّة...»[1].

٥ـ الرواية الدالّة على وجود عشر علامات للإمامة

و من جملة ما طرحه الكاتب في شبهته مضمون رواية مذكورة في «الكافي» عن الإمام الباقر عليه السلام:

«للإمام عشر علامات: يولد مطهّراً، مختوناً، و إذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين، و لا يجنب، و تنام عينيه و لا ينام قلبه، و لا يتثائب و لا يتمطّى، و يرى من خلفه كما يرى من أمامه، و نجوه كرائحة المسك، والأرض موكّلة بستره و ابتلاعه، و إذا لبس درع رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كانت عليه وفقاً، و إذا لبسها غيره من الناس طويلهم و قصيرهم زادت عليه شبراً، و هو محدّث إلى أن تنقضي أيّامه»[2].

ينقل «الكافي» هذه الرواية عن علي بن محمّد، و الظاهر هو علي بن محمّد بن إبراهيم و قد وثّقه الكشّي، و ذكر العلّامة في «الخلاصة» أنّه وكيل المهدي عليه السلام[3]. و لكنّه نقل الرواية الآنفة عن بعض الأصحاب، و لا يُعلم من

١ـ المصدر السابق، ص ٢٣٢ و ٢٣٣، ح ١. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣٨٨، ح ٨.
٣ـ بهجة الآمال، ج ٥، ص ٥١٢.

هو. إضافة إلى ذلك فإنّ علي بن محمّد الراوي الأوّل للحديث مشترك بين علي بن محمّد بن إبراهيم و علي بن محمّد بن جعفر، و الأوّل موثّق و الثاني بناءً على ما نقله «بهجة الآمال» عن النجاشي و العلّامة، ضعيف مضطرب الرواية[1].

و بعض مضامين هذا الحديث مخالفة لمسلّمات دينية و تاريخية من عدّة وجوه:

ألف: اختلاف الطبيعة البشرية بين الإمام عليه السلام و الناس

أوّلاً: بعض الأُمور المذكورة ليست محالة و لا مستنكرة، من جملتها ولادته مختوناً، و هذا يحدث في زماننا بكثرة.

و ثانياً: لو كان بعض من مضامين هذا الحديث صحيحة بالنسبة إلى الأئمّة عليهم السلام يجب قطعاً أن تكون صحيحة بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والحال أنّ التواريخ ـ التي نقلت جزئيات و خصوصيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم تذكر هكذا مطلب.

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بناءً على نصّ القرآن الكريم جنبة ظاهرية بشرية مثل سائر الناس، إلّا أنّه يوحى إليه، لاحظ الآيات التالية:

١ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

و لازم كونه بشراً أن يشبه بدنه الظاهري أبدان جميع الناس.

١ ـ المصدر السابق، ص ٥١٢ و ٥١٣.

٢ ـ الكهف (١٨): ١١٠؛ فصّلت (٤١): ٦.

٢ ـ ﴿وَ قَالُواْ مَا لِهَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَ يَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[1].

و هذه الآية في مقام ردّ تعجب المنكرين لرسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث كانوا يعتقدون أنّ الرسالة منافية للصفات البشرية، كأكل الطعام و المشي في الأسواق، فالآية صريحة بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه بشراً فهو يتّصل بالغيب والوحي.

٣ ـ و جاء بشأن نوح: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ...﴾[2].

٤ ـ و أيضاً بشأن النبي بعد نوح، قولهم: ﴿وَ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[3].

و الآيتان في مقام ردّ و توبيخ المنكرين لرسالة نوح عليه السلام و النبي من بعده؛ لأنّهم يعتقدون أنّ الرسالة منافية لبشرية المرسل من أكله للطعام و مشيه في الأسواق.

و على هذا ففي نظر القرآن أنّ الإنسان الكامل مهما وصل إلى أعلى الدرجات ـ حتّى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو من جهة الظاهر بشر مثل سائر الناس، له ما لهم من صفات و لا يستثنى الأئمّة عليهم السلام من هذه القاعدة.

هذا من جانب، و من جانب آخر فبملاحظة أنّ هذا المذكور في الرواية

١ ـ الفرقان (٢٥): ٧.

٢ ـ المؤمنون (٢٣): ٢٤.

٣ ـ المؤمنون (٢٣): ٣٣.

لم ينقل أبداً بشأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فمن باب الحدس القويّ القول إنّه ربما كان ذلك من وضع الغلاة أو المخالفين للأئمّة المعصومين عليهم السلام من أجل الخدشة بسائر المطالب.

و في نفس الوقت يجب الالتفات إلى هذه الحقيقة و هي أنّ الأنبياء مع كونهم بشراً كسائر البشر، و لكن في بعض الحالات التي يتطلّب فيها أمر الهداية و تبليغ الرسالة الإتيان بأمر غير عادي، يأتون بأفعال خارقة للعادة أو المعجزة من أجل لفت انتباه الإنسان إلى الغيب و عالم ماوراء هذه المادّة وانقطاعهم عن العلل و الأسباب الظاهرية و من ثمّ هدايتهم، نظير طوفان نوح عليه السلام و انقلاب عصا موسى عليه السلام إلى ثعبان، و غرق فرعون و أتباعه و ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، و تكلّمه و هو في المهد، و نبوّت يحيى عليه السلام في صباه، و...

فمثل هذه الأُمور الخارقة للعادة إضافة إلى تحقيق الأهداف الآنفة الذكر، تسعى إلى محو و إزالة فكرة (استبعاد موضوع الوحي و ارتباط البشر بعالم الغيب) من أذهان و أفكار عوام الناس المعاصرين للأنبياء.

ب: الإمام لايجنب

و هذا الموضوع لو كان واقعي، قطعاً فإنّه شامل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، و بالتبع فليس عليه غسل الجنابة، و الحال بصريح التاريخ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يغتسل من الجنابة، و هو مذكور في شرح أحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم و حياته مع أزواجه، و قطعاً لا يمكن القول إنّ الأئمّة عليهم السلام في هذا الجانب أعلى أو أكمل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و ليس ببعيد كما قال المرحوم محمّد تقي المجلسي في

«روضة المتّقين»[1] مشيراً إلى أنّ المقصود من نفي الجنابة عن الإمام هو نفي الاحتلام حال النوم، فعصمة و عظمة روح الإمام مانعة من اقتراب الشيطان و تأثيره على روحه. و الرواية التي نقلها عن «الكافي» عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام تؤيّد هذا الاحتمال.

و نفس الشبهة أيضاً تصدق في مورد «ختن الإمام و ولادته مطهّراً». يعني لازم كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشراً بنصّ القرآن كون أوصيائه بشراً مثله.

و لتأييد هذا المطلب المذكور ـ و هي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم له جنبة بشرية ظاهرية مثل الآخرين، و هذه الجهات عارضة عليهم أيضاً ـ يمكن الرجوع إلى الروايات المنقولة من طرق الشيعة، منها:

١ ـ رواية زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«اغتسل رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم هو و زوجته من خمسة أمداد من إناء واحد، فقال له زرارة: كيف صنع؟ فقال: بدأ هو فضرب بيده الماء قبلها فأنقى فرجه، ثمّ ضربت هي فأنقت فرجها، ثمّ أفاض هو و أفاضت هي على نفسها حتّى فرغا...»[2].

٢ ـ و جاء في رواية محمّد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام أو الباقر عليه السلام، عن مقدار الماء اللازم لغسل الجنابة فأجاب:

«كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يغتسل بخمسة أمداد بينه و بين صاحبته...»[3].

١ـ روضة المتّقين، ج ١٣، ص ٢٣٧.

٢ـ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٢٤٣، الباب ٣٢ من أبواب الجنابة، ح ٤.

٣ـ المصدر السابق، ح ١.

٣ـ عن معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كان رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يغتسل بصاع، و إذا كان معه بعض نساءه يغتسل بصاع و مدّ»[١].

و ظهور هذه الرواية في غسل الجنابة واضح جدّاً. والرواية الأُخرى أيضاً ذكرت غسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم و زوجته بخمسة أمداد من الماء[٢].

٤ـ ينقل ابن عبّاس عن ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أجنبت أنا و رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فاغتسلت من حفنة و فضلت فيها فضلة، فجاء رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فاغتسل منها...»[٣].

٥ـ و ينقل عبداللّه بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام:

«اغتسل أبي من الجنابة فقيل له: قد أبقيت لمعة في ظهرك لم يصبها الماء، فقال له: ما كان عليك لو سكت، ثمّ مسح تلك اللمعة بيده»[٤].

٦ـ و جاء في «وسائل الشيعة» بسندين منفصلين عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إنّ اللّه كرّه لي ستّ خصال و كرهتهنّ للأوصياء من ولدي و أتباعهم من بعدي، وعدّ منها إتيان المساجد جنباً»[٥].

١ـ المصدر السابق، ح ٣.
٢ـ المصدر السابق، ح ٥.
٣ـ المصدر السابق، ح ٦.
٤ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٩، الباب ٤١، ح ١.
٥ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٧، الباب ١٥ من أبواب الجنابة، ح ٩ و ١٥.

الروايات المخالفة للقرآن و السنّة القطعية

أيّ موضوع في أيّ رواية إن كان مخالفاً مع محكمات القرآن و الروايات المتواترة و السنّة القطعية فهو دليل على أنّ الرواية موضوعة أو بعضها.

و على فرض صحّة سند هكذا رواية فلا يكون دليلاً على صحّة ما موجود في متنها.

فالذي يسعى إلى تحريف أو تشويه الدين و المذهب و الأولياء العظام، قهراً فإنّه سوف يتستّر تحت أسماء معروفة و معتمدة لدى العامّة و للبعض ممّن لا اطّلاع لديهم أو علم بهذا الخصوص.

تزييف و تحريف الروايات على مرّ التاريخ

و من المناسب بهذا الخصوص الرجوع إلى الكتب التي أُلّفت حول تحريف الروايات و وضعها ـ بواسطة بعض المعاندين أمثال معاوية و أبي هريرة و خلفاء بني أُمية و بني العبّاس في طول تاريخ الإسلام ـ من جملة تلك الكتب: كتاب «عبداللّه بن سبأ» و «خمسون صحابي مختلق» تأليف العلاّمة مرتضى العسكري، و الكتاب الأخير يقوم بذكر و بيان أكثر من مئة و خمسون صحابي اختلق أسماءهم سيف بن عمر و نسب إليهم روايات أو حوادث مختلقة.

جاء في مقدّمة الكتاب حول ابن أبي العوجاء:

«سجنه والي الكوفة على الزندقة و التبليغ لها في زمان خلافة المنصور،

فكثر شفعاؤه عند الخليفة المنصور، فأصدر الأمر بالإفراج عنه، و قبل أن يصل أمر الخليفة قُتل في السجن».

ثمّ نقل عن الطبري و ابن أثير و ابن كثير و الذهبي عن ابن أبي العوجاء قوله حين أيقن القتل:

أما و اللّه لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث، أُحرّم فيه الحلال و أحلّ فيه الحرام، و اللّه لقد فطّرتكم يوم صومكم، و صوّمتكم في يوم فطركم.

و يتساءل كاتب الكتاب قائلاً:

ليت شعري! ما هي الأحاديث التي وضعها هذا الزنديق؟ و في أيّ المصادر دوّنت؟ و إلى أين ذهبت؟ و إذا كان هذا الزنديق الواحد اعترف ساعة يأسه من الحياة أنّه قد وضع أربعة آلاف حديث يحلّل فيه الحرام و يحرّم فيه الحلال فكم عدد ما وضعه غيره ممّن لم يشهر أمره؟[1].

و لعلّ المقصود من تحريم الحلال و تحليل الحرام، التغيير الكلّي و التحريف العامّ لأحكام الدين لا الحلال و الحرام المصطلحين في الفقه.

سؤال

و في الختام نذكّر: أنّه من الممكن الافتراض أنّه و نتيجة لوجود بعض الروايات الضعيفة و غير القابلة للاعتماد في كتب مثل «بحارالأنوار» و

١ـ خمسون و مأة صحابي مختلق، ج ١، ص ٣١.

«الكافي» و نظائرهما فإنّ روايات هذه الكتب سوف تكون مخدوشة و غير قابلة للاستناد و العمل بها.

الجواب

أوّلاً: وجود بعض الروايات الضعيفة في أيّ كتاب لا يمكن أن يكون دليلاً على سقوط اعتباره، و إنّما تُشخّص رواياته الضعيفة و تُميّز عن غير الضعيفة، و ذلك طبق الموازين و المعايير المعروفة، و من تلك المعايير عرض هذه الروايات على القرآن و التأكّد من عدم تعارضها مع الكتاب الحكيم و السنّة النبوية المقطوعة.

ثانياً: هكذا روايات ضعيفة السند أو المتن موجودة و بوفرة في كتب السنّة الروائية، و لا تخلو منها حتّى الصحاح الستّة: «صحيح البخاري»، «صحيح مسلم»، «سنن الترمذي»، «سنن النسائي»، «سنن أبي‌داود» و «سنن أبن ماجة».

و نرجع بهذا الخصوص إلى تحقيق العالم و المحقّق الفقيد المرحوم المظفّر في كتابه «دلائل الصدق» حيث يقول:

إنّ أخبارهم غير صالحة للاستدلال بها على شيء من مطالبهم؛ لأنّ منتقى أخبارهم ما جمعته الصحاح الستّة و هي مشتملة على أنواع من الخلل ساقطة عن الاعتبار البتّة لأُمور[1].

و يرى أنّ أوّل هذا الخلل هو كيفية جمع هذه الصحاح و أحوال الجامعين لها و يذكر أنّ ابن حجر في كتاب «تهذيب التهذيب» و الذهبي في كتاب

١ـ دلائل الصدق، ج ١، ص ٤٧.

«الميزان» و هما من علماء السنّة قاما بنقد مسلم في موارد متعدّدة من جملتها كيفية جمعه للروايات و عدم اعتبار أغلب ما جاء فيه من حيث المتن و السند[١].

و فيما يخصّ «سنن ابن ماجة» يكتب المرحوم المظفّر:

ذكر ابن حجر بترجمة ابن ماجة محمّد بن يزيد بن ماجة: أنّ في كتابه السنن أحاديث ضعيفة جدّاً، حتّى بلغني أنّ «السري» كان يقول: مهما انفرد بخبر فهو ضعيف غالباً، و «أبو الحجّاج المزي» يقول: كلّ ما انفرد به ابن ماجة ضعيف[٢].

و ينقل عن ابن حجر و الذهبي قولهما حول «صحيح البخاري»:

البخاري احتجّ بجماعة في صحيحه ضعّفهم بنفسه، كما يعلم من تراجمهم في الكتابين ـ ثمّ ذكر أسماءهم ـ[٣].

ثمّ يعد المرحوم المظفّر موارد من الطعن من أبي داود و النسائي و الترمذي لبعض الرواة، و بنفس الوقت فهم يروون عنهم[٤]. و يضيف حول البخاري و مسلم:

و ذكروا بحقّ البخاري و مسلم اللذين هما أجلّ أرباب الصحاح عندهم و أصحّهم خبراً ما يخالف الإجماع، و هو احتجاجهما بجماعة لا تحصى مجهولة الحال، لرواية جماعة عنهم، بل لرواية الواحد عنهم، مع أنّ هذا الواحد لم ينصّ على قدح أو مدح في المروي عنه...[٥].

١ـ المصدر السابق. ٢ـ المصدر السابق، ص ٤٨.
٣ـ المصدر السابق. ٤ـ المصدر السابق، ص ٤٩.
٥ـ المصدر السابق، ص ٤٩ و ٥٠.

ثمّ يوضّح المرحوم المظفّر الخلل الثاني الوارد على الصحاح الستّة هكذا:

إنّ جملة من أخبار صحاحهم مشتملة على الكفر كتجسّم اللّه سبحانه و إثبات المكان و الانتقال و التغيير له، و كعروض العوارض عليه من الضحك و نحوه، إلى غير ذلك ممّا يوجب الإمكان، حتّى رووا أنّ اللّه سبحانه يدخل رجله في نار جهنّم فيزوي بعضها لبعض و تقول: قط قط!

و مشتملة على وهن رسل اللّه و رسالاتهم حتّى أنّهم صيّروا سيّد النبيّين جاهلاً في أوّل البعثة بأنّه رسولٌ مبعوث، فعلّمه النصراني و زوجته خديجة أنّه رسول اللّه، و مشتملة على ما يوجب كذب آي من القرآن، و على المناكير و الخرافات...[١].

و يرى المرحوم المظفّر أنّ الخلل الثالث هو التدليس في نقل الروايات من جملتها:

١ـ الرواية عن شخص مقبول بواسطة شخص غير مرضيّ، فيتركون الواسطة و يروونها عن المقبول ابتداءً.

٢ـ أو يروونها عن ضعيف و يأتون باللفظ المشترك بين الضعيف و الثقة؛ ليوهم الراوي على القارىء أنّ المراد الثقة؛ لأنّه يظهر أنّه لا يروي إلّا عن ثقة... ثمّ ينقل موارد أُخرى من التدليس في الرواية عن صحيح البخاري نقلاً

١ـ المصدر السابق، ص ٥١.

عن ابن حجر و الذهبي[١].

و يذكر الخلل الرابع الواقع على الصحاح الستّة قائلاً:

«إن أكثر رجال السند في أخبار الصحاح الستّة مطعون فيهم عندهم بغير التدليس أيضاً من الكذب و نحوه، حتّى قال يحيى بن سعيد القطّان و هو أكبر علمائهم و أعلمهم بأحوال رجالهم:

لو لم أرو إلّا عمّن أرضى، ما رويت إلّا عن خمسة ...[٢].

يضيف المظفّر:

و اشترطت على نفسي أن أذكر من رواة الصحاح من طعن به عالمان أو أكثر و أن يكون الطعن شديداً كقولهم: «كذّاب» أو «متّهم بالكذب» أو «متروك» أو «هالك» أو «لا يكتب حديثه» أو «لا شيء» أو «ضعيف جدّاً» أو «مجمع على ضعفه» أو نحو ذلك[٣].

ثمّ ذكر أسماء الكثير من تلك الرواة بالتفصيل.

و بهذا الخصوص جاء في كتاب «المبادئ العامّة للفقه الجعفري» نقلاً عن كتاب «الأضواء على السنّة المحمّدية» عن الأستاذ محمّد أبو ريّة ـ من علماء السنّة ـ: صرّح أغلب المحدّثين بضعف و جرح رجال و أسناد «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم» و ذكروا ألذع الكلام في ذلك[٤].

١ـ المصدر السابق، ص ٥١ ـ ٥٣.
٢ـ المصدر السابق، ص ٥٣.
٣ـ المصدر السابق، ص ٥٣ ـ ١٣٣.
٤ـ المبادئ العامّة للفقه الجعفري، ص ٩٣.

الملحق الأوّل:

متن أسألة الدكتور (مسعود أميد) حول إمام الزمان(عج)

و أجوبة سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري

متن أسألة الدكتور أميد حول إمام الزمان(عج)

سماحة المرجع الكبير آيةاللّه المنتظري:

بعد التحيّة و السلام، إنّي في الوقت الحاضر مشغول بالتحقيق ببعض الأُمور و المسائل الدينية، و لدي بعض الأسألة بهذا الخصوص.

و نظراً لكون جنابكم العالم الديني والمرجع الذي قلّ له نظير في سعة صدره و اتّساع علمه، و إنّك ممّن آثر البحث العلمي في أقدس الأُمور على الطاعة العمياء لها. و لذا وطّدت العزم على الاستفادة من علوم سماحتكم ما أمكن حول الفرضيات التالية:

فرضية إمام الزمان عليه السلام

١ ـ هل يمكن الاعتماد على أقوال أربعة رجال (النوّاب الأربعة) غير معصومين و القبول بما يدّعونه من وجود إمام الزمان؟ كان جعفر أخ الإمام الحسن العسكري يعتقد أنّ أخاه ليس له ذرّية، و لأجل الوقوف أمام إفشاء هذا السرّ أُلصقت به علامة «الكذّاب».

أفلا يحتمل أنّ هؤلاء النوّاب لأجل مصلحة الشيعة قاموا بتزييف خبر وجود المهدي عليه السلام الغائب؟

ثمّ ألا تقوّي مسألة الغيبة الكبرى التي طُرحت بعد وفاة هؤلاء النوّاب

الأربعة هذه الفرضية، و أنّ المهدي هو من صنع هؤلاء و وضعهم؟

مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الحسن بن منصور الحلّاج كان يعتقد بوفاة الإمام المهدي عليه السلام، و كذا أبو سهل النوبختي ـ من كبار علماء الشيعة ـ كان يعتقد أنّ المهدي قد مات في زمان اختفائه.

٢ـ نظراً لعدم وجود الإجماع حول صحّة وجود إمام الزمان، و أقلّ ادّعاء حول زيف فكرة المهدي أو أيّ تحقيق انتقادي في هذا المجال سيواجه بالتكفير أو الاغتيال (اغتيال كسروي)، فهل يمكن الاعتماد على فرضية قائمة على الاغتيال و التضييق؟

فإذا لم تكن فرضية المهدي كذبة، و كان الفقهاء قادرين على الدفاع عنها، فلماذا هذا التكفير لكلّ المنتقدين لفكرة إمام الزمان بحجّة إهانة المقدّسات الإسلامية؟ و هل سماحتكم يقبل بهذا التكفير؟

٣ـ هل على الإمام أن يكون حاضراً في الأخطار مثل الإمام الحسين عليه السلام أم يخفي نفسه و يترك أُمّته تواجه تلك الأخطار؟ و ما مدى تطابق فرضية غيبة إمام لأجل حفظ حياته مع إمامة متصدّية كإمامة الحسين عليه السلام.

٤ـ أصولاً الإمام بمعنى الزعيم القائد الحيّ في هداية الأُمّة، و إمام غائب لا يكون له دور فعّال في حلّ مشكلات الناس هل يمكن أن نطلق عليه اسم إمام؟

و هل الإمامة سلطة و مقام وراثي أم صلاحية و جدارة مكتسبة؟

جواب سماحة آية‌اللّه العظمى المنتظري

حضرة الدكتور السيّد مسعود أُميد دام توفيقه:

بعد التحيّة و السلام و الاعتذار إلى جنابكم عن التأخير في الجواب بسبب ما ألمّ بنا من توعّك شديد، نذكر لكم باختصار: ....

فيما يرتبط بإمام الزمان عليه السلام

ج ١ـ لا يوجد أيّ ترديد في أصل وجود إمام الزمان عليه السلام حتّى نطلب إتيانه من النوّاب الأربعة. إضافة إلى أنّ الموضوع يثبت بالبراهين الدالّة على لزوم الإمامة العامّة في جميع الأعصار و الأزمنة، و يثبت أيضاً بالأخبار المتواترة و المنقولة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمّة المعصومين عليهم السلام و يوجد في متناول اليد أكثر من ثلاثة آلاف حديث من طرق الشيعة و السنّة حول المهدي عليه السلام و تصل إجمالاً إلى حدّ التواتر ممّا توجب القطع و اليقين بصحّة الموضوع.

و يمكن لكم الرجوع في هذا المجال إلى «صحيح مسلم»، «مسند أحمد بن حنبل»، «جامع الأُصول»، «كنز العمّال»، «سنن ابن ماجة» من كتب أهل السنّة؛ و «الغيبة» للنعماني، و «الغيبة» للشيخ الطوسي، «كمال الدين» للصدوق و «بحارالأنوار» للمجلسي من كتب الشيعة.

فموضوع المهدي عليه السلام و أنّه التاسع من ولد الحسين عليه السلام و أنّه سيُعمّر و يغيب غيبة طويلة، و حين يظهر سيملأ الأرض قسطاً و عدلاً، إضافة إلى علامات ما قبل الظهور، كلّها ذكرت بنحو التفصيل من زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن وصلت بأيدينا.

و أمّا أنّ «جعفر» قد لُقّب «بالكذّاب» لأجل تكذيبه المهدي عليه السلام و حسب فهو غير ثابت عندنا، و مخالفة البعض لعقيدة وجود المهدي عليه السلام لا يضرّ بهذه العقيدة، فلطالما كَذّب الكثير من الناس و على مرّ التاريخ بديهيات الأُمور لأغراض ربما تكون سياسية أو اقتصادية.

ج ٢ـ مع ما ذكرنا فإنّ وجود و بقاء المهدي عليه السلام يثبت بالبرهان العقلي والنقلي، و في مثل هكذا أُمور حيث الأخبار المتواترة و المنقولة من زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الواردة بهذا الشأن، فإنّ الإجماع المتحقّق إجماع مدركيّ والمهمّ مدركه و معياره، و بالنظر إلى البراهين العقلية و الأخبار الكثيرة المتواترة يتحصّل لنا ما هو أعلى مرتبة من العلم و اليقين الحاصل عن طريق الإجماع.

على هذا الأساس فوجود إمام الزمان (عج) ليست فرضية مرتبطة بالتضييق و الاغتيال و أمثال ذلك و إنّما مرتبطة و مرهونة بالعقل السليم والنقل القطعي.

و من رأيي لا يمكن إهانة شخص لمجرّد أنّه يقوم بنقد علمي لموضوعات مختلفة و إبداء وجهات نظره بدون طعن أو إهانة، ناهيك عن التكفير

والاغتيال. و الذين يلجأون إلى هذه الأساليب إضافه إلى أنّهم يعبّرون عن ضعفهم العلمي، فإنّهم يوجّهون لطمة إلى عالم العلم و المعرفة و روح التفكير.

نعم، مسألة الإهانة و الشتم و إنكار ما هو ضروري من باب العناد، هذا أمرٌ آخر.

ج ٣ و ٤ـ الإمامة ليست مثل السلطنة مقام اعتباري موروث، و ليست صلاحية مكتسبة، بل هي مقام معنوي إلهي و الحدّ الأعلى من القرب من الباري عزّ وجلّ بحيث ترجع جذورها إلى ما قبل الولادة، من هذه الجهة فإنّ للأصلاب الشامخة و الأرحام المطهّرة دور في تكوينها، و لها استعداد إلهي خاصّ أودعه تعالى بحكمته البالغة في أفراد خاصّين لأجل الواسطة في الفيض الإلهي و إرشاد الناس بعنوان أعلى حاصل عالم الخلقة، و إرشاد هؤلاء غير محدود بالطرق المعهودة و المتعارفة، فمن الممكن أنّهم في حال الغيبة و الخفاء يقومون بإرشاد الناس بالطرق الغير المتعارفة و المحسوسة، وإرشاد الناس و حلّ بعض المشكلات كما كان الخضر عليه السلام حين اختفائه معلّماً لموسى عليه السلام و هو النبي المنصوب من السماء: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾[1].

و جاء في أغلب الروايات أنّ «**مثل المهدي عليه السلام في غيبته مثل الشمس خلف السحاب، فإنّها و إن خفت عن الأنظار و لكن يصل نورها إلى الأرض**».

و نقرأ في الخطبة رقم ١٥٠ من خطب «نهج‌البلاغة» فيما يرتبط بالمهدي عليه السلام قول أمير المؤمنين عليه السلام:

١ـ الكهف (١٨): ٦٦.

«ألا و إنّ من أدركها منّا يسري فيها بسراجٍ منير، و يحذو فيها على مثال الصالحين، ليحلّ فيها ربقاً و يُعتِق رقّاً، و يصدع شعباً و يشعب صدعاً في سُترةٍ عن الناس، لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره»[1].

إضافة إلى أنّ الإمام بما له من قرب معنوي واسطة الفيوض الإلهية بالرغم من عدم إمساكه التكويني و التشريعي، و كما يقول نصير الدين الطوسي في كتاب «التجريد» حول الإمام المعصوم الغائب:

«وجوده لطف و تصرّفه لطف آخر».

و حسب بعض الأخبار:

«لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت» أو **«لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»**[2].

و نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة:

«بكم فتح اللّه، و بكم يختم، و بكم ينزّل الغيث، و بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، و بكم ينفّس الهمّ و يكشف الضرّ»[3].

و عدم العلم بفائدة وجود الإمام في زمان الغيبة ليس دليلاً على عدم فائدته في الغيبة.

١ـ نهج البلاغة، ص ٢٠٨، الخطبة ١٥٠. ٢ـ الكافي، ج ١، ص ١٧٩.
٣ـ من لايحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٥.

و أيضاً القول بأنّ الإمام يجب أن يكون ظاهراً في جميع الأزمنة و يعمل كالإمام الحسين عليه السلام، ليس له دليل محكم.

بل بحسب حكم العقل و التجربة إنّ على الإمام العمل بوظيفته الإلهية حسب الشرائط و الإمكانات و الظروف.

و لا يمكن تفصيل كلّ هذه المسائل في رسالة، فالذي يطلب المعرفة في هذا الجانب ما عليه إلّا الرجوع إلى الكتب التي أُلّفت بهذا الشأن[1].

١ـ التذكير: كانت هناك مواضيع أُخرى مطروحة ضمن أسألة الدكتور أُميد أجاب عنها سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري، و بسبب عدم ارتباطها بموضوع إمام الزمان (عج) أُعرض عن نقلها.
المتن الكامل لهذه الأسألة و الجواب عليها قد أُدرجت في كتاب «ديدگاهها» و رسالة الاستفتاءات، ج ٢، السؤال ١٠٠٣، و من أراد فليراجع.

الملحق الثاني:

ردّ الشبهات على كتاب

موعود الأديان

بسم اللّه الرحمن الرحيم

في إعقاب صدور كتاب «موعود الأديان» ظهرت على إحدى صفحات مواقع شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) انتقادات و مؤاخذات على الآراء التي وردت فيه، فتولّى «قسم الأسئلة الدينية و ردّ الشبهات» في مكتب سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري، و بتوجيه منه و تحت إشرافه، مهمّة الردّ على تلك الانتقادات.

تجدر الإشارة إلى أنّ كاتب تلك الانتقادات قد أثار ضمن مؤاخذاته مواضيع أُخرى ـإضافة إلى قضية الإمام الثاني عشر و هو الإمام المهدي عجل‌اللّه فرجه ـ منها موضوع ولاية الفقيه. و هذه الرسالة التي بين أيديكم ينحصر غرضها فقط في تفنيد الانتقادات و الشبهات التي أُثيرت حول الموضوع المطروح في الكتاب المذكور. و أمّا الردّ و البحث في المواضيع الأُخرى فنحيله إلى مظانّه.

لابدّ ابتداءً من الإشارة إلى أنّ كاتب الانتقادات قد طرح كلاماً عامّاً و كلّياً في نقد الآراء الواردة في الكتاب، و لم يقدّم دليلاً يبرهن فيه على بطلانها. و من البديهي أنّ الكلام العامّ حول المواضيع التفصيلية و الخاصّة التي جاء شرحها في الكتاب، بعيد عن المنهج المنطقي، إضافة إلى أنّه يقطع الطريق

أمام أي ردّ أو جواب. و لهذا سنشير في هذه الرسالة إلى الموارد التي أُثيرت حولها الردود و الانتقادات لعلّ الكاتب المذكور يبادر إلى بيان النقاط التي كانت مثار شكّ و شبهة لديه، واحدة فواحدة، من أجل تمهيد السبيل لإثباتها، أو لقبول نفيها إن كان إلى ذلك من سبيل.

البحث الأساسي و الجادّ في رأي الكاتب

ابتداءً كتب صاحب هذه الانتقادات، ما يلي:

> و رغم أنّه (آيةاللّه المنتظري) يعتبر موضوع المهدي من أُصول المذهب الشيعي، غير أنّ كتابه الذي يربو على أربعمئة صفحة يخلو من أيّ بحث جادٍّ حول موضوع المهدي.

ليس من الواضح لدينا ما هو البحث الجادّ في نظر هذا الكاتب، و الذي قال: إنّ كتاب «موعود الأديان» خالٍ منه. و لابدّ من التنبيه ابتداءً إلى أنّ كتاب «موعود الأديان» قد جاء ردّاً على كرّاسة أنكرت وجود المهدي (عج)، و من الطبيعي أنّه قد كُتب على نحو يتناسب مع سياق الإشكالات التي أُثيرت فيها؛ و هو ما يعني أنّه ركّز بشكل أساسي على إثبات وجود الإمام الثاني عشر من الأئمّة المعصومين، و أنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، و التاسع من ذرّية الإمام الحسين عليه السلام، و أنّه قد غاب بعد مدّة وجيزة من وفاة أبيه، و سيظهر يوماً بإذن اللّه و يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما مُلئت ظلماً و جوراً.

و قد استند كتاب «موعود الأديان» لإثبات القضايا التي طرحها آنفاً، أكثر ما استند إلى الأحاديث المنقولة عن طريق أهل السنّة، و إن كان الشيعة في غنىً عن الأحاديث التي ينقلها أهل السنّة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإثبات صحّة

و ذلك لأنّ في هذا دعوة للأُمّة لاتّباع من لايُستبعد منهم الخطأ.

و على هذا الأساس فالعترة في الحديث المذكور لا تشمل غير المعصومين من ذرّية النبي صلى الله عليه وآله وسلم. خاصّة في ضوء ما تُفيد به جملة «**ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً**» التي ورد التصريح بها في ذلك الحديث؛ و ذلك لأنَّ نفي الضلال من خلال اتّباع القرآن و العترة لا يمكن قبوله إلّا بعصمتهما و كونهما محفوظين من الخطأ و الزلل.

معنى العترة في كتب أهل السنّة

نُقل المعنى المذكور آنفاً و لكن بتعبيرات مختلفة، عن عدد من علماء أهل السنّة، منهم:

١ ـ نقل محمّد بن عبدالباقي الزرقاني في شرح كتاب «المواهب اللدنية» عن الحكيم الترمذي أنّه قال في شرح حديث الثقلين ما يلي:

> لفظ العترة كلام عامّ أُريد به خاصّ و هم العلماء العاملون منهم؛ فخرج الجاهل و الفاسق[1].

٢ ـ كتب السمهودي في كتاب «جواهر العقدين» ضمن عدّة أُمور حول حديث الثقلين، ما يلي:

> ثانيها: الذين وقع الحثّ على التمسّك بهم من أهل‌البيت النبوي و العترة الطاهرة هم العلماء بكتاب اللّه عزّ وجلّ، إذ لا يحثّ صلى الله عليه وآله وسلم على التمسّك بغيرهم و هم الذين لا يقع بينهم و

١ ـ جامع أحاديث الشيعة، ج ١، المقدّمة، ص ٨٩.

طروحاتهم في ما يتعلّق بقضية المهدوية أو أيّ موضوع ديني آخر؛ و ذلك لأنّ لدى الشيعة الحجّة التامّة، بناءً على حديث الثقلين المتواتر ـ و غيره من الأدلّة الأُخرى ـ في الرجوع إلى أحاديث أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و العمل بها؛ و أنّهم قد استقوا الحديث النبوي بشكل أساسي من أهل بيته عليهم السلام.

و بدلاً من الكلام العامّ كان من الأفضل لو أنَّ الكاتب طرح ما لديه مِن أدلّة تفيد عدم جواز الأخذ بالأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعيين الإمام علي عليه السلام و أولاده أئمّة و خلفاء من بعده، كحديث الغدير، و حديث الثقلين، و غيرهما من الأحاديث التي وردت عن طرق مختلفة لدى كلّ من الشيعة و أهل السنّة، و لكنّها و للأسف بقيت مهملة. إذ يتّضح من خلال التأمّل بدقّة في نصوص هذه الأحاديث أنّ المراد من الإمامة و الخلافة التي ذكرتها تلك الأحاديث تصريحاً أو تلميحاً هي الإمامة و الخلافة بكلّ جوانبها. و إذا كان الجانب الحكومي من الخلافة قد مُنع عنهم و غُصِب منهم بسبب الظروف السياسية، فلا ينبغي إهمال جوانبها الأُخرى التي أكّد النبي صلى الله عليه وآله وسلم انحصارها فيهم و خاصّة جانب تبيين الدين و تفسيره.

ألا يُعتبر الكلام حول حديث الثقلين الذي جعل العترة و أهل‌البيت عدلاً للقرآن، بحثاً جادّاً؟! و من هم أهل‌البيت الذين هم صنوا القرآن و ما هي الخصائص التي ينبغي أن يتّصفون بها، لكي يكونوا عدلاً للقرآن و قريناً له في هداية قافلة البشرية؟ إنّ أهمّ خاصية للقرآن هي الهداية، و الصيانة من أيّ خطأ أو سهو؛ و لهذا ينبغي أن يتّصف بهذه الخاصّية أيضاً أهل‌البيت الذين هم عدل للقرآن، و إلّا فما كان خليقاً أن يذكرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جانب القرآن؛

بين الكتاب افتراق حتّى يردا الحوض. و لهذا قال: «**لا تقدّموهما فتهلكوا و لا تقصروا عنهما فتهلكوا**». و قال في الطريق الأُخرى في عترته: «**لا تسبقوهم فتهلكوا و لا تعلّموهم فهم أعلم منكم**». و لحديث أحمد ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضاءً قضى به علي عليه السلام فأعجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قال: «**الحمد للّه الذي جعل الحكمة فينا أهل‌البيت**»[1].

٣ـ قال ابن حجر في كتابه «الصواعق المحرقة» بعد ذكر حديث الثقلين، ما يلي:

الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنّما هم العارفون بكتاب اللّه و سنّة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، و يؤيّده الخبر السابق: «**و لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. و تميّزوا بذلك عن بقيّة العلماء لانّ اللّه أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً**».

ثمّ نقل عن أبي‌بكر أنّه قال:

«**علي عترة رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أي الذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما قلناه و لذلك خصّه صلى الله عليه وآله وسلم بما مرّ يوم غدير خم**[2]».

٤ و ٥ـ قال أحمد بن عبدالقادر العجيلي في كتابه «ذخيرة المآل» و ولي اللّه الكهنوئي في كتاب «مرآة المؤمنين»، ما يلي:

والذين وقع الحثّ عليهم إنّما هم العارفون منهم بالكتاب و

١ـ المصدر السابق، ص ٩٠. ٢ـ المصدر السابق.

السنّة إذ هم لا يفارقون الكتاب إلى وروده الحوض، و يؤيّده حديث: «**تعلّموا منهم و لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم و تميّزوا بذلك عن بقيّة العلماء لأنّ اللّه أذهب عنّهم الرجس و طهّرهم تطهيراً و شرّفهم بالكرامات الباهرة و المزايا المتكاثرة**[1]».

٦ـ و قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأُصول»:

فقول رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «**لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض**»، و قوله: «**ما إن أخذتم به لن تضلّوا**» واقع على الأئمّة منهم السادة لا على غيرهم[2].

٧ـ و قال عبدالرؤوف المناوي في كتابه «فيض القدير» في شرح حديث الثقلين:

«**و عترتي أهل بيتي**» تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً و هم أصحاب الكساء الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً[3].

٨ـ و قال علي بن سلطان محمّد الهروي المعروف بالقاري في كتاب «المرقاة في شرح المشكاة» في شرح حديث الثقلين، ما يلي:

الأظهر أنّ أهل‌البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت و أحواله فالمراد بهم أهل العلم منهم المطّلعون على سيرته

١ـ المصدر السابق، ص ٩١. ٢ـ المصدر السابق.
٣ـ المصدر السابق.

الواقفون على طريقته العارفون بحكمه و حكمته و بهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب اللّه سبحانه كما قال: ﴿وَ يُعَلِّمُهُمُ **الكتابَ وَ الحِكْمَةَ**﴾. و يؤيّده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميد بن عبداللّه بن زيد أنّ النبيﷺ ذكر عنده قضاء قضى به علي بن أبي طالب فأعجبه و قال: «**الحمد للّه الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت**»[1].

٩ـ و قال بدر الدين محمود الرومي في كتاب «تاج الدرّة» في شرح هذا البيت:

دعا إلى اللّه فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

المعنى يقول ذلك الحبيب: هو الذي دعا أهل التكليف قاطبة من جنّ و إنس و عرب و عجم في زمانه و بعده إلى يوم القيامة إلى دين اللّه و ما فيه رضاه، إذ ترجى شفاعته داعياً إلى اللّه بإذنه فالمعتصمون بدينه و المجيبون لدعوته اعتصام حقّ و إجابة صدق معتصمون بسبب من اللّه تعالى متّصل إلى رضوانه الأكبر من غير أن يطرأ عليه انفصام أصلاً و ذلك السبب ليس إلّا كتاب اللّه تعالى و عترة نبيّه من أهل العصمة و الطهارة الواجب على غيرهم مودّتهم بعد معرفتهم إيماناً بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ**﴾ و تصديقاً لقوله ﷺ: «**تركت فيكم الثقلين كتاب اللّه و**

١ـ المصدر السابق.

عترتي»، و في رواية: «**تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي كتاب اللّه و عترتي لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض**». و هذا نصّ في المقصود فمن تمسّك بكتاب اللّه تمسّك بهم و من عدل عنهم عدل عن كتاب اللّه من حيث لا يدري[1].

١٠ـ و قال الجهرمي في «البراهين القاطعة»:

إنّ من وقع الحثّ و الترغيب على الاقتداء و التمسّك بهم من أهل البيت في كلام النبيﷺ ليس إلّا من كان منهم عالماً عارفاً بكتاب اللّه و سنّة النبيﷺ و هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى ورود الحوض، و يؤيّد هذا قوله ﷺ: «**لا تعلّموهم فأنّهم أعلم منكم**»[2].

١١ـ و قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» في شرح الخطبة ٨٧ التي يقول فيها عليه السلام: «... **و بينكم عترة نبيّكم و هم أَزِمَّة الحقّ**...» ما يلي:

و قد بيَّن رسول اللّهﷺ عترته من هي لما قال في حديث الثقلين:

«... **عترتي أهل بيتي**». و بيّن في مقام آخر من هم أهل بيته حيث طرح عليهم الكساء. و قال حين نزلت: ﴿**إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس**».

١ـ المصدر السابق، ص ٩٢. ٢ـ المصدر السابق.

ثمّ قال ابن أبي الحديد:

العترة التي عناها أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا الكلام نفسه و وَلَداه، لأنّ ولديه تابعان له، و نسبتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة.

ثمّ قال أيضاً في شرح مقاطع أُخرى من هذه الخطبة، أي قوله عليه السلام: «**و هم أَزمّة الحقّ و أَعلام الدّين و أَلسنة الصدق فأَنزلوهم بأَحسن منازل القرآن...**»:

«**و هم أَزمّة الحقّ**»، جمع زمام؛ كأنّه جعل الحقّ دائراً معهم حيثما داروا، و ذاهباً معهم حيثما ذهبوا، كما أنّ الناقة طوع زمامها، و قد نبّه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم على صدق هذه القضية بقوله: «**و أدر الحقّ معه حيث دار**».

و قوله: «**و ألسنة الصدق**» من الألفاظ الشريفة القرآنية، قال اللّه تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾[1]، لما كان لا يصدر عنهم حكم و لا قول إلا و هو موافق للحقّ و الصواب جعلهم كأنّهم ألسنةُ صدقٍ لا يصدر عنها قول كاذب أصلاً؛ بل هي كالمطبوعة على الصدق.

و قوله: «**فأَنزلوهم بأَحسن منازل القرآن**» تحته سرّ عظيم؛ و ذلك أنّه أمر المكلّفين بأن يجروا العترة في إجلالها و

١ـ الشعراء (٢٦): ٨٤.

إعظامها و الانقياد لها و الطاعة لأوامرها مجرى القرآن.

فإن قلت: فهذا القول منه يُشعر بأنّ العترة معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك؟ (يعني المعتزلة الذين لا يعتقدون لزوم عصمة الإمام و العترة).

قلت: نصّ أبو محمّد بن متويه رحمه اللّه تعالى في كتاب «الكفاية» على أنّ علياً عليه السلام معصوم، و إن لم يكن واجب العصمة، و لا العصمة شرط في الإمامة؛ لكن أدلّة النصوص قد دلّت على عصمته[1].

و على هذا الأساس فإنّ سُنّة عترة النبي صلى الله عليه و آله و سلم حجّة و يمكن التعويل عليها كالقرآن و سنّة النبي صلى الله عليه و آله و سلم. و علماء أهل السنّة الذين نقلت الغالبية العظمى منهم حديث الثقلين في مجامعهم الحديثية عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم بأسانيد و طرق مختلفة، مع اختلاف ضئيل في بعض الكلمات (ممّا لا يوجب تغييراً في المعنى)، ملزمون منطقياً بقبول سُنّة و إمامة العترة؛ و هم المعصومون من أهل البيت النبوي صلى الله عليه و آله و سلم. و إن كانوا قد رفضوا الجانب السياسي من إمامتهم لسبب أو آخر، و انحرفوا عنهم، فلماذا لم يقبلوا إمامتهم في جانب المعارف و الهداية نحو الهدف النبوي؟ و هل يمكن القول: أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد جعل ما هو ليس حجّة في الهداية، و لا هو واجب الطاعة، في عرض كتاب الهداية و هو القرآن، و دعا إلى التمسّك به؟!

١ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٣٧٥.

المراد من أهل‌البيت في آية التطهير

تجدر الإشارة إلى أنّ أكثر الأقوال التي ذُكرت، فسّرت العترة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين نزلت فيهم آية التطهير. و هذا ما يستدعي النظر في ما ذهب إليه أهل السنّة بالمراد من أهل‌البيت الذين ورد ذكرهم في الآية الشريفة، و هل يشمل هذا المفهوم نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سواهنّ من غير أصحاب الكساء (و هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الإمام علي و فاطمة الزهراء و الحسنين عليهم السلام) أم لا؟

أحاديث الشيعة

تذهب أحاديث الشيعة؛ و هي بطبيعة الحال منقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الأئمّة، إلى أنّ المراد بأهل البيت في الآية الشريفة هم تلك الأنوار الخمسة المقدّسة؛ أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الإمام علي و السيّدة الزهراء و الحسنين عليهم السلام. فقد جاء في تفسير «الميزان» ضمن في سياق الكلام بأنّ المقصود من الإرادة في الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ** ...﴾ هو الإرادة التكوينية لا التشريعية؛ لأنّ الإرادة التشريعية تعني مفاد الخطابات و التكاليف الدينية لحصول التقوى و طهارة الإنسان من الرجس، و هي شاملة لعامّة المسلمين المكلّفين بأحكام الدين. و خلص من ذلك إلى أنّ الإرادة التكوينية في طهارة أهل‌البيت من كلّ رجس في العلم و العمل يستلزم عصمتهم؛ و ذلك لأنّ الجهل و الخطأ و الذنب من المصاديق البارزة للرجس. و بناءً على ما تقدّم تصير عبارة أهل‌البيت اسماً

خاصّاً ـ في عرف القرآن ـ بهؤلاء الخمسة، و لا تُطلق على غيرهم، ولو كان من أقربائه الأقربين[1].

ثمّ قال صاحب «الميزان»:

> و بهذا الذي تقدّم يتأيّد ما ورد في أسباب النزول أنّ الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم و علي و فاطمة و الحسنين خاصّة، لايشاركهم فيها غيرهم، و هي أحاديث جمّة تزيد على سبعين حديثاً، يربو ما ورد منها من طرق أهل السنّة على ما ورد منها من طرق الشيعة. فقد رواها أهل السنّة بما يقرب من أربعين طريقاً عن أُم سلمة، و عائشة، و أبي سعيد الخدري، و سعد، و وائلة بن الأسقع، و أبي الحمراء، و أبن عباس، و ثوبان مولى النبي، و عبداللّه بن جعفر، و علي و الحسن بن علي عليهم السلام. و رواها الشيعة في بضع و ثلاثين طريقاً[2].

أحاديث أهل السُنّة

نقل كتاب «غاية المرام»، في المقصد الثاني، الباب الأوّل، واحداً و أربعين حديثاً بطرق ذكرها من كتب أهل السُنّة: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصر معنى أهل‌البيت في الآية الشريفة في علي و فاطمة و الحسنين عليهم السلام.

نورد في ما يلي على سبيل المثال لا الحصر مجموعة من هذه الأحاديث نقلاً عن الكتب المعتبرة لأهل السنّة:

١ـ الميزان، ج ١٦، ص ٣٠٩، فما بعدها. ٢ـ المصدر السابق، ص ٣١١.

١ـ نقل مسلم في صحيحة عن عائشة.

قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة و عليه مرط من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ثمّ جاء علي فأدخله ثمّ قال: **﴿إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[١].

و هذا الحديث نقله أيضاً ابن أبي شيبة في كتابه «المصنّف»[٢]، و الحاكم النيسابوري في «المستدرك على الصحيحين»[٣].[٤]

٢ـ نقل الترمذي في «السنن» عن أُم سلمة أنّها قالت:

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم: جلّل على الحسن و الحسين و علي و فاطمة كساءً ثمّ قال: «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي و حامّتي اذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً**». فقالت أُم سلمة: و أنا معهم يا رسول‌اللّه؟ قال: «**إنّك على خير**».

ثمّ قال الترمذي:

و هذا حديث حسن صحيح و هو أحسن شيء روي في هذا الباب[٥].

١ـ صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٣٠، باب فضائل أهل‌البيت.
٢ـ المصنّف، ج ٧، ص ٥٠١. ٣ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٤٧.
٤ـ أئمّة أهل‌البيت، ص ٢٧.
٥ـ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٦١، ما جاء في فضل فاطمة رضي‌اللّه عنها.

و هذا الحديث نقله كلّ من أحمد في «مسنده»[١]، و أبو يعلى الموصلي في «مسنده»[٢]، و الذهبي في «سير أعلام النبلاء»[٣].

٣ـ قال الترمذي في «السنن» نقلاً عن عمر بن أبي سلمة (ربيب رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم):

نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** في بيت أُم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة و حسناً و حسيناً فجلّلهم بكساء، و علي خلف ظهره فجلّله بكساء، ثمّ قال: «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً**». قالت أُم سلمة: و أنا معهم يا رسول‌اللّه؟ قال: «**أنت على مكانك و أنت على خير**[٤]».

٤ـ و نقل ابن عساكر الشافعي في كتاب «الأربعين في مناقب أُمّهات المؤمنين» هذا الحديث عن أُم سلمة بسند آخر مع اختلاف ضئيل، و جاء في آخره:

قالت أُم سلمة للنبي: يا رسول‌اللّه: هل أنا من أهل‌البيت؟ قال: «**إنّك على خير، إنّك من أزواج النبي**». ثمّ أنّ أُم سلمة قالت: أهل‌البيت رسول‌اللّه و علي و فاطمة و الحسن و الحسين رضي اللّه عنهم[٥].

١ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ١٨، ص ٢٧٢، الحديث ٢٦٤٧٦.
٢ـ المسند، أبو يعلى، ج ١٢، ص ٤٥١. ٣ـ سِيَر أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٨٣.
٤ـ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٨، كتاب تفسير القرآن.
٥ـ الأربعين في مناقب أُمّهات المؤمنين، ص ١٠٦.

٥ـ و نقل أحمد في المسند عن أنس بن مالك أنّ رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم (بعد نزول آية التطهير) كان يمرّ بباب فاطمة إذا خرج إلى الصلاة قريباً من ستّة أشهر يقول: «الصلاة أهل البيت» ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١].

و نقل في الصفحة ٣٣٦ هذا الحديث بسند ينتهي إلى علي بن زيد. و نقل الترمذي أيضاً هذا الحديث في «السنن»[٢]، و قال «هذا حديث حسن». و نقله الحاكم النيسابوري في «المستدرك»[٣]، و قال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم». و أيّده الذهبي أيضاً في «التلخيص»[٤].

و الحديث السابق الذي يدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقي يأتي ستّة أشهر دار فاطمة عند بزوغ الفجر من كلّ يوم و يكرّر الجملة المذكورة، جاء ـ إضافة إلى ما سبق ذكره من مصادر أهل السنة ـ في كتب أُخرى من كتبهم، منها مثلاً:

١ـ «شواهد التنزيل» الحسكاني[٥].

٢ـ «الدرّ المنثور» السيوطي[٦].

٣ـ «تفسير الطبري»[٧].

٤ـ «مجمع الزوائد» الهيثمي[٨].

١ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ١١، ص ٢٥٧، الحديث ١٣٦٦٣.

٢ـ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣١، كتاب تفسير القرآن.

٣ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٥٨ في ذكر مناقب فاطمة.

٤ـ أئمّة أهل‌البيت، ص ٢٩.

٥ـ شواهد التنزيل، ج ٢، الحديث ٦٣٧ ـ ٦٤٠ و أحاديث أُخرى.

٦ـ الدرّ المنثور، ج ٥، ص ١٩٩.

٧ـ تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ٦.

٨ـ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٨.

٥ـ «أُسد الغابة» ابن الأثير[١].

٦ـ «أنساب الأشراف» البلاذري[٢].

٧ـ «الفصول المهمّة» ابن صبّاغ المالكي[٣].

٨ـ «تفسير ابن كثير»[٤].

٩ـ «ينابيع المودّة» القندوزي[٥].

١٠ـ «منتخب كنز العمّال» في حاشية «مسند أحمد»[٦].

١١ـ «فتح البيان» صديق حسن خان[٧].

١٢ـ «مطالب السؤول» ابن طلحة[٨].

و كتب أُخرى من أهل السنّة.

و ليعلم أنّه لم يذكر في واحد من الروايات المنقولة في الكتب المذكورة أنّ علياً و فاطمة عليهما السلام كانا حين طلوع الفجر نائمين و أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تيقّظهما لأداء صلاة الصبح، حتّى يتوهّم أنّهما كانا خفّفا أمر الصلاة، بل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أصرّ على إعلامهما وقت الصلاة بقرائة آية التطهير لهما حتّى يفهم للناس مقامهما المعنوي عنداللّه تبارك و تعالى.

و هنا نودّ تسليط الضوء على مجموعة من الملاحظات:

١ـ أسد الغابة، ج ٥، ص ٥٢١.

٢ـ أنساب الأشراف، ج ٢، ص ١٠٤، ح ٣٨.

٣ـ الفصول المهمة، ص ٨.

٤ـ تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٤٨٣ و ٤٨٤.

٥ـ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٥٩ و ٣٢٣ و ج ٣، ص ٣٦٤ و ٣٦٨.

٦ـ مسند أحمد حنبل، ج ٥، ص ٩٦.

٧ـ فتح البيان، ج ٧، ص ٣٦٥ طبعة القاهرة.

٨ـ مطالب السؤول، ج ١، ص ١٩، نقلاً عن كتاب المراجعات، ص ١٢٤.

الملاحظة الأُولى: شأن نزول آية التطهير في كتب أهل السُنّة

استناداً إلى ما جاء في كتاب «غاية المرام»، يُلاحظ في الكثير من الأحاديث التي جاءت في كتب أهل السُنّة و أُشير فيها إلى شأن نزول الآية الشريفة ﴿**أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ ...**﴾، وجود جملة «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي**» في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و منها كتاب «الجمع بين الصحاح الستّة» و كتاب «فرائد السمطين» للحموينى، و «أسباب النزول» للمالكي، و كذلك في كتاب «مسند أحمد». و في هذا الكتاب وردت في آخر ذلك جملة: «**و أهل بيتي أحق**».

و في «تفسير الثعلبي» و كذا في رواية عبداللّه بن أحمد بن حنبل عن أُم سلمة، جاءت بعد جملة «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي**»، عبارة «**و خاصّتي**». و في رواية وائلة بن الأسقع جاءت جملة «**هؤلاء أحق**» بعد جملة «**هؤلاء أهل بيتي**». و في خبر آخر نقل الثعلبي عن عبداللّه بن جعفر عن أبيه عن النبي جملة «**إنّ لكلّ نبي أهلاً**» قبل جملة «**هؤلاء أهل بيتي**».

و جاء في كتاب **فضائل أميرالمؤمنين** للموفّق بن أحمد المعروف بصدر الأئمّة عليهم السلام بعد نزول آية التطهير: كان النبي يمرّ بباب فاطمة إذا خرج إلى الصلاة قريباً من أربعين يوماً و في خبر آخر قريباً من تسعة أشهر، يقول: «**السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته، الصلاة يرحمكم اللّه**» ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾. و في خبر آخر أنّه كان يقول: «**هؤلاء أهلي**»[1].

١ـ غاية المرام، المقصد الثاني، الباب الأوّل.

تجدر الإشارة إلى أنّ كتباً أُخرى لأهل السُنّة، عدا ما سبق ذكره، ذهبت إلى أنّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً**» ينطبق فقط على عليٍّ و فاطمة و الحسنين عليهم السلام، و هذه الكتب هي:

١ـ «شواهد التنزيل» الحسكاني[1].
٢ـ «مناقب علي بن أبي طالب» ابن المغازلي[2].
٣ـ «خصائص أميرالمؤمنين»[3].
٤ـ «تفسير الطبري»[4].
٥ـ «السيرة النبوية»[5].
٦ـ «ذخائر العقبى» الطبري[6].
٧ـ «تفسير ابن كثير»[7].
٨ـ «مجمع الزوائد»[8].
٩ـ «مشكاة المصابيح»[9].
١٠ـ «أُسد الغابة» ابن كثير[10].

١ـ شواهد التنزيل، ج ١، ح ١٧٢ و ج ٢، ح ٦٤٧ و عدة أحاديث أُخرى.
٢ـ مناقب علي بن أبي طالب، الحديث ٣٤٦ و عدة أحاديث أُخرى.
٣ـ خصائص أميرالمؤمنين، ص ٨ و ١٥.
٤ـ تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ٦ـ٨.
٥ـ السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٣٠.
٦ـ ذخائر العقبى، ص ٢٣ و ٢٤.
٧ـ تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٤٨٣ و ٤٨٤.
٨ـ مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٩١ و ج ٩، ص ١٦٧ و ١٦٩.
٩ـ مشكاة المصابيح، ج ٣، ص ٢٥٤.
١٠ـ أسد الغابة، ج ٢، ص ١٢؛ ج ٣، ص ٤١٣؛ ج ٤، ص ٢٦ و ٢٩؛ ج ٥، ص ٦٦ و ....

١١ـ «منتخب كنز العمّال»[١].

١٢ـ «التاريخ الكبير» البخاري[٢].

١٣ـ «نظم درر السمطين» الزرندي[٣].

١٤ـ «معالم التنزيل» البغوي[٤].

١٥ـ «الصواعق المحرقة» ابن حجر[٥].

١٦ـ «تفسير الخازن»[٦].

١٧ـ «مرآة الجنان» اليافعي[٧].

١٨ـ «الإصابة» ابن حجر العسقلاني[٨].

١٩ـ «الاتّحاف» الشبراوي[٩].

٢٠ـ «الاستيعاب» ابن عبدالبرّ[١٠].

٢١ـ «كفاية الطالب» الكنجي الشافعي[١١].

٢٢ـ «الفصول المهمّة» ابن صباغ المالكي[١٢].

٢٣ـ «تذكرة الخواصّ» سبط ابن الجوزية[١٣].

١ـ منتخب كنز العمّال، ج ٥، ص ٥٣.

٢ـ التاريخ الكبير، ج ١، ق ٢، الحديث ١٧١٩ و ٢١٧٤.

٣ـ نظم درر السمطين، ص ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩.

٤ـ معالم التنزيل، ج ٥، ص ٢١٣.

٥ـ الصواعق المحرقة، ص ٧٢ و ٨٥، مصر.

٦ـ تفسير الخازن، ج ٥، ص ٢١٣.

٧ـ مرآة الجنان، ج ١، ص ١٠٩.

٨ـ الإصابة، ج ٢، ص ٥٠٣؛ و ج ٤، ص ٣٦٧.

٩ـ الاتحاف، ص ٥.

١٠ـ الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٧.

١١ـ كفاية الطالب، ص ٥٤ و ١٤٢.

١٢ـ الفصول المهمة، ص ٨.

١٣ـ تذكرة الخواصّ، ص ٢٣٣.

٢٤ـ «مصابيح السنّة» البغوي الشافعي[١].

٢٥ـ «المعجم الصغير» الطبراني[٢].

٢٦ـ «تفسير الفخر الرازي»[٣].

٢٧ـ «إسعاف الراغبين» في حاشية «نور الأبصار»[٤].

٢٨ـ «تاريخ دمشق» ابن عساكر[٥].

٢٩ـ «ينابيع المودّة» القندوزي[٦].

٣٠ـ «تاريخ الخلفاء» السيوطي[٧].

٣١ـ «الدّر المنثور» السيوطي[٨].

٣٢ـ «فتح القدير» الشوكاني[٩].

٣٣ـ «فتح البيان» صديق حسن خان[١٠].

٣٤ـ «مناقب الخوارزمي»[١١].

٣٥ـ «مقتل الحسين» الخوارزمي[١٢].

٣٦ـ «مطالب السؤول» ابن طلحة الشافعي[١٣].

٣٧ـ «سيرة الحلبي» برهان الدين الحلبي[١٤].

١ـ مصابيح السنّة، ج ٢، ص ٢٧٨.

٢ـ المعجم الصغير، ج ١، ص ٦٥.

٣ـ التفسير الكبير، ج ٢، ص ٧٠٠.

٤ـ إسعاف الراغبين، ص ٩٧.

٥ـ تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢١، الحديث ٣٠ و ص ١٨٤، الحديث ٢٩٤ و ٢٧١ ـ ٢٧٤.

٦ـ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ١٢٠ و ٢٢٤ ـ ٢٢٨.

٧ـ تاريخ الخلفاء، ص ١٦٩.

٨ـ الدرّ المنثور، ج ٥، ص ١٩٨ و ١٩٩.

٩ـ فتح القدير، ج ٤، ص ٢٧٩.

١٠ـ فتح البيان، ج ٧، ص ٣٦٤ و ٣٦٥.

١١ـ مناقب الخوارزمي، ص ٦٠.

١٢ـ مقتل الحسين، ج ١، ص ٧٥.

١٣ـ مطالب السؤول، ج ١، ص ١٩ و ٢٠.

١٤ـ سيرة الحلبي، ج ٣، ص ٢٤٠.

٣٨ـ «الرياض النضرة» الطبري الشافعي[١].

و من المستبعد طبعاً أن يدّعي أحد أنّ جميع هذه الكتب السنّية قد نقلت حديثاً ضعيفاً و نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلّا أن يستلزم هذا أن يكون مؤلّفوها من غير المطّلعين أو من المعاندين و أنّهم قد نسبوا إلى رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم عمداً كلاماً لا أساس له.

و على هذا الفرض لا يمكن التمسّك بالمعنى اللغوي لعبارة «أهل البيت» التي تشمل كلّ من في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم. و كذا لا يمكن القول أنّها تماثل في معناها الآية الشريفة: ﴿**قٰالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَ بَرَكٰاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾[٢] حيث شملت عبارة ﴿**أهل البيت**﴾ زوجة النبي إبراهيم عليه السلام؛ و ذلك لأنّه على فرض قبول شمول ظاهر اللفظ لجميع من في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ الأحاديث الواردة عن النبي في هذا المجال تُعتبر قرينة قطعية تفيد أنّ المعنى اللغوي الظاهر من كلمة ﴿**أهل البيت**﴾ في آية التطهير ليس هو المراد.

أهل‌البيت من وجهة نظر عائشة

روي في كتب متعدّدة من كتب أهل السنّة عن عائشة بأنّها تعتبر ﴿**أهل البيت**﴾ هم: علي و فاطمة و الحسن و الحسين، و من الكتب التي نقلت ذلك:

١ـ الرياض النضرة، ج ٢، ص ٢٤٨، نقلاً عن المراجعات، ص ١٢٠.
٢ـ هود (١١): ٧٣.

١ـ «صحيح مسلم»[١].

٢ـ «شواهد التنزيل» للحسكاني[٢]. و لابدّ من الإشارة إلى أنّ عائشة قد صرّحت في ثلاثة أحاديث مذكورة في هذا الكتاب، إضافة إلى الموضوع المذكور آنفاً، أنّ آية التطهير لا تشملها.

٣ـ «المستدرك» للحاكم[٣].

٤ـ «كفاية الطالب» للكنجي الشافعي[٤].

٥ـ «نظم درر السمطين» للزرندي الحنفي[٥].

٦ـ «الدرّ المنثور» للسيوطي[٦].

٧ـ «فتح القدير» للشوكاني[٧].

٨ـ فتح البيان لصديق حسن خان[٨].

٩ـ «ذخائر العقبى» للطبري[٩].

الملاحظة الثانية: استنباط مخالف

جاء في كتاب «غاية المرام» نقلاً من كتب أهل السنّة في كلام لزيد بن

١ـ صحيح مسلم، ج ٢، ص ٣٦٨، كتاب الفضائل، باب فضائل أهل‌البيت.
٢ـ شواهد التنزيل، ج ٢، ح ٦٨٢ ـ ٦٨٤.
٣ـ المستدرك، ج ٣، ص ١٤٧، تحقيق و تلخيص الذهبي باسم مستدرك الذهبي.
٤ـ كفاية الطالب، ص ١٣، ٢٢٩ و ٢٣٠. ٥ـ نظم درر السمطين، ص ١٣٣.
٦ـ الدرّ المنثور، ج ٥، ص ١٩٨ و ١٩٩. ٧ـ فتح القدير، ج ٤، ص ٢٧٩.
٨ـ فتح البيان، ج ٧، ص ٣٦٥.
٩ـ ذخائر العقبى، ص ٢٤، نقلاً عن المراجعات، ص ١٢٣.

و جاء في بعض الروايات أنّ أُمّ سلمة قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: اجعلني من أهلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنت من أهلي**»، ثمّ قالت: بعد أن دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمّه علي و بنته فاطمة و ولديه، دخلت تحت الكساء[1].

و في رواية أُخرى: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأُم سلمة: «**أنتِ على خير و من نساء النبي**»[2].

الملاحظة الرابعة: العلاقة بين حديث الثقلين و حديث «خلفائي اثنا عشر»

إنّ ما نقله أهل السنّة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أنّه قال: خلفائي اثنا عشر، يُعتبر في الواقع تفسيراً لحديث الثقلين، خاصّة و أنّ بعض مصادر أهل السنّة جاءت فيها كلمة «**خليفتين**» بدلاً من كلمة «**ثقلين**» مثل: «المعجم الكبير»[3] للطبري، و «مجمع الزوائد»[4] للهيثمي و «مسند أحمد»[5] و «صحيح الجامع الصغير»[6] للشيخ الألباني.

إنَّ حديث الثقلين الذي ذكر بشكل مطلق ـ كما هو الحال بالنسبة لأكثر الأحاديث التي نُقلت عن طريق أهل السنّة ـ يمكن أن يُعتبر من جهةٍ ما شرحاً و تفسيراً لأحاديث «**الاثني عشر خليفة**»؛ لأنّ الذي يُفهم من حديث الثقلين هو أنّ عترة النبي و خلفاءه هم من يكونون في عرض القرآن و عدلاً له من حيث القدسية و المنزلة و الصون من كلّ باطل أو ما هو غير حقّ. و هذا

١ـ شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١١٢.
٢ـ المصدر السابق، ص ٨٦ـ٨٨.
٣ـ المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٥٣.
٤ـ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٢.
٥ـ مسند أحمد بن حنبل، ج ١٦، ص ٢٨.
٦ـ صحيح الجامع الصغير، ج ١، ص ٤٨٢.

أرقم: أنّ الحصين سأله: من هم أهل‌البيت في الآية الشريفة؟ قال: من تحرم عليهم الصدقة. فسأله الراوي: و من هم؟ فقال زيد: هم آل‌علي، و آل‌جعفر، و آل‌عقيل، و آل‌عباس.

و من الواضح طبعاً أنّ هذا الكلام هو استنباط زيد بن أرقم، و لا دليل على حجيّته. و هو يتعارض مع ما نصّت عليه أحاديث متعدّدة من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال: «**أنّ أهل‌البيت هم علي و فاطمة و الحسن و الحسين** عليهم السلام».

و في رواية أُخرى: إنّ زيد ابن أرقم قال في جواب الحصين: نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته. وجاء في شرحها أنّه نظر الجمهور يعنى أهل السنّة، إلّا أنّ الشافعي يقول: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين حرّم عليهم الصدقة و هم بنو هاشم و بنو المطّلب[1].

الملاحظة الثالثة: أُمُّ سلمة و أصحاب الكساء

جاء في عدّة أحاديث من الأحاديث التي ورد فيها ذكر حديث الكساء أنّ أُمّ سلمة قد استأذنت النبي للدخول تحت الكساء أو أنّها أرادت الدخول تحته فنهاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قال لها: «**أنتِ على خير**[2]». و يفهم من هذا الموقف أنّ عنوان «**أهل البيت**» لا ينطبق على غير أصحاب الكساء، بل لا ينطبق أيضاً حتّى على مؤمنة مثل أُمّ سلمة أُمّ‌المومنين التي كانت لها منزلة رفيعة عند رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١ـ التاج الجامع للأُصول، ج ٣، ص ٣٤٨.
٢ـ كما جاء في الأحاديث الثاني، و الثالث، و الرابع، التي سبق ذكرها.

الكلام يستلزم أن يكون خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هم المعصومون فقط.

بعد أن فرض القرآن على الناس طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في آيات كثيرة و قال: ﴿وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] و ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ﴾[2]، أو قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[3] و غيرها من الآيات الأُخرى التي تصرّح بهذا المعنى، فعلى كلّ من يؤمن باللّه و برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينظر و يمحّص من عدّة جوانب حديث الثقلين و الأحاديث الأُخرى المشابهة التي بيّنت للأُمّة طريق الهداية من طريق الضلال. إذ لا شك في أنّ أهمّ و أخطر قضيّة تواجه المسلمين بعد التوحيد و النبوّة، هي قضيّة الخلافة، و تعيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن يكونون خلفاء من بعده، و إرجاع الأُمّة إليهم.

حديث الثقلين الحجر الأساسي في عقائد الشيعة

إنَّ حديث الثقلين و الأحاديث المشابهة له، التي عُرضت بإيجاز في الفصل الأوّل من كتاب «موعود الأديان» يُشكّل الحجر الأساسي في اعتقاد الشيعة بالأئمّة عليهم السلام؛ إذ أنّ الأخذ بالقرآن و طاعته يستلزم الأخذ بقول النبي و سنّته. و استناداً إلى ما جاء في الأحاديث المذكورة فإنّ الأخذ بكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم و طاعته يستلزم الأخذ بأقوال الأئمّة عليهم السلام. و على علماء أهل

١ـ آل‌عمران (٣): ٣١؛ النساء (٤): ٥٩؛ المائدة (٥): ٩٢؛ الأنفال (٨): ١ و ٤٩، و عدة آيات أُخرى.
٢ـ الأنفال (٨): ٢٠ و ٤٦.
٣ـ آل‌عمران (٣): ٣١.

السنّة و الكاتب المذكور أن يبيّنوا السبب الذي حدى بهم إلى ترك ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العترة و أهل‌البيت و الأخذ بأقوال من هم ليسوا عِدلاً للقرآن و لم يصدر من الرسول أيّ كلام أو توصية فيهم. و بأيّ دليل غدا أحمد بن حنبل و سائر أئمّة أهل السنّة مرجعاً لفتاواهم. فهل يصنّف أهل السُنّة الأحاديث المذكورة في عِداد الأحاديث الضعيفة؟ و هل زعم أحد منهم مثل هذا الزعم لحدّ الآن؟ و إذا كان حديث الثقلين ضعيفاً، فهل يمكن العثور على حديث معتبر بعد؟ في حين أنّ نقل حديث الثقلين و طرقه لا نظير لها أو قلّما تجد نظيراً لها في الأحاديث الشيعية و السنيّة.

فهل يعتبرون دلالة الحديث مجملة؟ أم ليس من الواضح عندهم من هو المراد بأهل البيت؟

سند حديث الثقلين

بالإضافة إلى ما ذُكر بإيجاز في كتاب «موعود الأديان» حول تواتر حديث الثقلين، نرى من المناسب أن نعرض في ما يلي الأمرين التاليين:

١ ـ جاء في كتاب «أئمّة أهل البيت»، ما يلي:

قال الشيخ أبو منذر السلمي بن أنور المصري ـ من علماء أهل السنّة ـ في الصفحتين ٦٩ و ٧٠ من كتابه «الزهرة العطرة في حديث العترة»:

ثبت أنّ ثلاثين طريقاً من طرق حديث العترة صحيحة و لا مجال للشكّ فيها، و سبعة منهم من صحابة رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و هم: ١ـ زيد بن الأرقم ٢ـ زيد بن ثابت، ٣ـ أبو سعيد

الخدري، ٤ـ علي بن أبي طالب، ٥ـ أبوذر، ٦ـ حذيفة بن أسيد، ٧ـ جابر بن عبداللّه. و على هذا الأساس يمكن القول أنّ هذا الحديث متواتر[١].

٢ـ و جاء في هذا الكتاب أيضاً أنّ عدداً من علماء أهل السنّة صرّحوا أنّ من نقلوا حيث الثقلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يربو عددهم على العشرين صحابياً. و من هؤلاء العلماء السمهودي الذي ذكر ذلك في كتاب «جواهر العقدين»[٢]، و ابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة»[٣].[٤]

و حسب رأي صاحب كتاب «أئمّة أهل‌البيت» أنّ حديث الثقلين إذا تواتر بنقل سبعة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن الأولى أن يكون متواتراً حين ينقله عشرون من الصحابة، بناءً على ما ادّعاه السمهودي في «جواهر العقدين»، و ابن حجر في «الصواعق المحرقة»[٥].

عدد رواة حديث الثقلين

٢ـ جاء في مقدّمة كتاب «جامع أحاديث الشيعة» الذي دوّن تحت إشراف آيةاللّه العظمى البروجردي رحمه الله، استناداً إلى ما ذكره كبار علماء أهل‌السنّة، أنّ عدد الصحابية و الصحابيات الذين نقلوا حديث الثقلين أربع و ثلاثون شخصاً و ذكروا أسماءهم و خصائصهم، و ذكروا أيضاً أسماء

١ـ أئمّة أهل‌البيت، ص ٦٦.
٢ـ جواهر العقدين، ص ٢٣٤.
٣ـ الصواعق المحرقة، ص ٣٤٢.
٤ـ أئمّة أهل‌البيت، ص ٦٧.
٥ـ المصدر السابق.

رواتهم و سنة نقل الحديث، و كذلك كتب أهل السنّة التي نقلوا عنها[١]، و هم كلّ من:

علي بن أبي طالب عليه السلام، فاطمة الزهراء عليها السلام، الحسن بن علي عليه السلام، سلمان، أبو ذر، ابن عباس، أبو سعيد الخدري، جابر بن عبداللّه الأنصاري، أبو الهيثم بن التيهان، أبو رافع مولى رسول‌اللّه، حذيفة بن اليمان، حذيفة بن أسيد، خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، زيد بن ثابت، أبو هريرة، عبداللّه بن حنطب، جبير بن مطعم، براء بن عازب، أنس بن مالك، طلحة بن عبيداللّه، عبدالرحمن بن عوف، سعد بن أبي‌وقاص، عمرو بن العاص، سهل بن سعد، عدي بن حاتم، عقبة بن عامر، أبو ايّوب الأنصاري، أبو شريح الخزاعي، أبوقدامة الأنصاري، أبو ليلى الأنصاري، ضميرة الأسلمي، عامر بن ليلى بن ضمرة، أُمّ سلمة، أُمّ هاني[٢].

و قد أضاف الحافظ شمس الدين السخاوي في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول ذوي الشرف» إلى الأسماء المذكورة آنفاً اسم عبداللّه بن عمر أيضاً[٣].

ثمّ إنّ هذا الكتاب قد ذكر نقلاً عن كتاب «عبقات الأنوار» أسماء عدد من الرواة من أهل السنّة، منذ مطلع القرن الثاني إلى القرن الثالث عشر للهجرة، الذين نقلوا حديث الثقلين في كتبهم متّصلاً و من غير انقطاع تاريخي[٤].

١ـ جامع أحاديث الشيعة، المقدّمة، ص ٤٦ و ٦١ ـ ٧٢.
٢ـ المصدر السابق، ص ٦٤ و ما بعد.
٣ـ المصدر السابق، ٧١.
٤ـ المصدر السابق، ص ٧٢ ـ ٧٩.

رفض حديث الثقلين بلا دليل

لم يبيّن الكاتب المذكور مؤاخذته على حديث الثقلين، و ما الدليل على أنّ فيه إشكال. و إن كان لا يقل هذا الحديث فما الدليل على ذلك؟ و إن كان يقبله فلماذا لا يتلزم بمفاده الذي يمثّل حجّية قول و فعل و تقرير أهل البيت عليهم السلام ؟

إنّ بحثنا الجادّ و الأساسي معه و مع إخواننا أهل السنّة هي هذه القضية التي تشكّل الحجر الأساسي لكثير من المسائل الاعتقادية، و الفقهية، و التاريخية، و الاجتماعية، و هي قضيّة الإمامة و الولاية و الخلافة بعد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. ألم يترك النبي أيّة وصية لما بعده؟ و رأي الشيعة هو أنّ الخلافة الظاهرية و التصدّي لشؤون المجتمع يُعدّ واحداً من الشؤون غير المهمّة للإمام المعصوم؛ و ذلك لأنّ الرسالة المهمّة للإمام المعصوم هي بيان الدين من ناحية العلم المتّصل بكنز العلم النبوي. و رسالة الإمام هي هداية الأُمّة نحو الصراط الإلهي المستقيم هداية خالية من الخطأ و الزلل. و ليس بمستطاع أحد أداء هذه المسؤولية الخطيرة بكاملها إلّا الإمام المعصوم. و بالإضافة إلى ذلك ألا تُعتبر الكلمات التي خلفها أهل البيت عليهم السلام، مثل «نهج البلاغة» لأمير المؤمنين عليه السلام و غيره من الأحاديث و المعارف التي وصلتنا منهم، و لا يمكن العثور على مثلها و ليس لدى غيرهم لها نظير، تأييداً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا مدينة العلم و علي بابها**». و أليست هذه الأحاديث مبيّنة لمصاديق عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي عدل القرآن في بيان حقائق الدين؟

استدلال أم فرضية أم رؤيا؟

ثمّ يقول الكاتب ما يلي:

> و لو أمعنا النظر في الأدلّة النقلية و العقلية التي قدّمها الشيخ المنتظري في معرض إثبات وجود الإمام الثاني عشر «محمّد بن الحسن العسكري» لوجدناها مجرّد افتراضات و استنتاجات تقوم على رؤى و مفاهيم و تأويلات مستنبطة من بعض الأحاديث الضعيفة، التي يدّعي تواترها، مثل حديث «**الاثني عشر خليفة**» أو «**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**» و ذلك طبعاً بعد تفسيرها بالإمام المعصوم. و إلّا فهي لا تنتج بالضرورة دليلاً على ولادة ولد للإمام العسكري، و لا تقول بأنّه سوف يغيب و يكون المهدي المنتظر.

كان يفترض بالكاتب أن يأتي بأدلّة يثبت بها ما أطلقه من تعميمات و ادّعاءات عامّة، و نحن نلخّص تلك التعميمات و الادّعاءات بما يلي:

١ـ لماذا تعتبر الأدلّة العقلية و النقلية التي جاءت في كتاب «موعود الأديان» مجرّد افتراضات؟

٢ـ لماذا يعتبر الكثير من الأحاديث و منها حديث «الاثنا عشر خليفة» و حديث «**من مات و لم يعرف إمام زمانه...**» ضعيفة و ما الدليل على ضعفها؟

٣ـ ما ردّه على ما طرح من استدلالات في أنّ الإمام الذي تكون إليه

خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يكون فرداً غير معصوم؟

٤ـ ما توجيهه للأحاديث التي تنصّ على عصمة الخلفاء الاثني عشر، و تُفهم منها الخصال التي ينبغي أن تكون في الإمام؟ و كيف يفهم هذا المقطع «**ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً**» من حديث الثقلين، و كذا الآية الشريفة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١] والأحاديث الكثيرة التي وردت عن طريق أهل السنّة في تفسير و تبيين هذه الآية؟

دراسة حديث: «اثنا عشر خليفة»

نودّ الإشارة إلى عدّة ملاحظات حول حديث «الاثني عشر خليفة» الذي اعتبره الكاتبُ ضعيفاً:

الملاحظة الأولى: حديث الاثني عشر خليفة في كتب أهل السنّة

أُشير إجمالاً في الفصل الأوّل من كتاب «موعود الأديان» إلى كتب أهل السنّة التي وردت فيها الأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المجال، ولكنّنا نعيد عرضها هنا دفعاً لبعض الشبهات:

استناداً إلى ما جاء في كتاب «منتخب الأثر»، فإنّ الفاضل القندوزي قال في كتاب «ينابيع المودّة»:

١ـ الأحزاب (٣٣): ٣٣.

ذكر يحيى بن الحسن في كتاب «العمدة» من عشرين طريقاً في أنّ الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش، في «البخاري» من ثلاثة طرق، و في «مسلم» من تسعة طرق، و في «أبي داود» من ثلاثة طرق، و في الترمذي من طريق واحد، و في الحميدي من ثلاثة طرق. و جاء هذا الحديث في «صحيح مسلم»[١] بهذا النحو: «**إنّ الأئمّة اثنا عشر و كلّهم من قريش**»[٢].

قال السيوطي:

قال مسلم: ليس كلّ شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، إنّما وضعت ما أجمعوا عليه[٣].

و بناءً على ما جاء في كتاب «منتخب الأثر» فإنّ العلّامة محمّد معين السندي ـ و هو من علماء أهل السُنّة و مؤلّف كتاب «دراسات اللبيب» الذي يدور موضوعه حول حديث الثقلين ـ ألّف كتاباً مستقلّاً حول أحاديث «**خلفائي اثنا عشر**» و عنوانه **مواهب سيّد البشر في حديث الأئمّة الاثني عشر**[٤].

و قال الفاضل القندوزي أيضاً:

إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة[٥].

١ـ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٣.
٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٨٩، الباب ٧٧.
٣ـ تدريب الراوي، ج ١، ص ٩٨.
٤ـ منتخب الأثر، ج ١، ص ٢٧٦.
٥ـ ينابيع المودّة، ص ٤٤٦.

و في «مسند أحمد» بلغ عدد الأحاديث الدالّة على أنّ الخلفاء اثنا عشر، و نقلها جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعاً و ثلاثين حديثاً.

و نقل أبو عوانة هذه الأحاديث في «مسنده» أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. و إن كان يلاحظ اختلاف ضئيل في صدر تلك الأحاديث، مثل: «**إنّ هذا الأمر لا يزال ظاهراً...**»، «**لا يزال الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة**»، «**لا يزال الإسلام عزيزاً...**» «**لا يزال هذا الدين قائماً...**» و «**لا يزال هذا الدين قائماً حتّى تقوم الساعة...**»[1].

و قد جاء نصّ الأحاديث الدالّة على «اثني عشر خليفة» و كيفية الاستدلال بها، و تفنيد الشبهات القائلة بعدم انطباقها على أهل‌البيت في الفصل الأوّل من كتاب «موعود الأديان».

تواتر أحاديث «خلفائي اثنا عشر»

نظراً إلى الأهمّية التي أبدتها كتب أهل السنّة لأحاديث «**خلفائي اثنا عشر**» إلى درجة أنّ اكثر كتبهم الحديثية المهمّة كالكتب التي سبق ذكرها قد نقلت هذا الحديث و لكن باختلاف ضئيل في الصدر أو العجز، و اعتبر مسلم ـ استناداً إلى ما ذكره السيوطي في تدريب الراوي ـ من الأحاديث المتّفق عليها، هل يمكن القول الآن: أنّ الأحاديث الدالّة على أنّ الخلفاء «اثنا عشر» ضعيفة، مثلما ادّعى هذا الكاتب؟!

١ـ منتخب الأثر، ج ١، ص ٢٠ ـ ٤٢.

من المعروف منطقياً و من وجهة نظر علم الحديث و أُصول الفقة أنّ الخبر المتواتر هو الخبر الذي ينقل من طرق كثيرة بحيث يكون من المستبعد جدّاً تواطؤ الرواة على وضعه، و لا يعير العقلاء أهمّية لمثل هذا الاحتمال، و يكون في رأيهم موثّقاً. و من المحتمل طبعاً أن يكون هناك ضعفاء في سلسلة رواة بعض الأخبار المتواترة، بيد أنّ هذا الضعف ليس بالحدّ الذي يطعن بالوثوق بصدور الحديث.

تأويلات أهل السنّة و تهافتها

إنَّ أفضل دليل يثبت وثوق علماء أهل السُنّة بصدور أحاديث «**خلفائي اثنا عشر**» عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو سعي الكثير منهم إلى تأويل هذه الأحاديث بشكل يظهرها و كأنّها لا تنطبق على أئمّة الشيعة.

فلو لم تكن هذه الأحاديث قطعية الصدور، لما كانت هناك حاجة لتأويلها تأويلات بعيدة و غير منطقية، بل لكان من السهولة القول بضعفها أو إنكار صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فممّا قالوه في تأويل هذه الأحاديث نذكر مثلاً:

قال بعضهم كابن كثير الذي قال في تفسير الآية ١٢ من سورة المائدة ما يلي:

> الخلفاء الاثنا عشر هم الخلفاء الأربعة، أبو بكر، و عمر، و عثمان، و علي، و منهم عمر بن عبدالعزيز، و بعض بني العباس، و المهدي المبشّر به في الأحاديث[1].

١ـ تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٤.

و أضاف آخرون مثل ابن قيم الجوزية، إلى المذكورين آنفاً، معاوية و يزيد. بينما قال القاضي الدمشقي أنّ الخلفاء الاثني عشر هم الخلفاء الأربعة، و معاوية، و يزيد، و عبدالملك بن مروان و أبنائه الأربعة و هم الوليد، و سليمان، و يزيد، و هشام، إضافة إلى عمر بن عبدالعزيز[١].

و قال آخرون كما جاء في حواشي «صحيح الترمذي»: إنّ ما أراده النبي من الخلفاء هم الخلفاء الذين يأتون بعد الصحابة و ليس الخلفاء الذين يأتون بعده.

و قال آخرون أيضاً: إنّ المراد هو الخلفاء الذين يأتون بعد المهدي، و هم ستّة من أولاد الإمام الحسن عليه السلام، و خمسة من أولاد الحسين عليه السلام، و واحد من غيرهم[٢].

و هناك توجيهات أُخرى ذكرت بالتفصيل في كتاب «منتخب الأثر»[٣]. ولكن تهافت هذه التأويلات لا يحتاج إلى كثير من التأمّل لأنّه ليس هناك ما يرجّح أيّاً من هذه الأقوال على الآخر، و يمكن لأيّ كان أن يضع قائمة من الأسماء و يطبق عليها عنوان الخلفاء الاثني عشر. و هو ما يعني بطبيعة الحال تجريد كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أيّة قيمة و اعتبار.

التأويلات دليل على الإقرار بصحّة الصدور

القضية المهمّة ـ كما سبقت الإشارة ـ هي أنّ إقبال كلّ واحد من علماء أهل السنّة لاختلاف تأويل لكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعدّ دليلاً على إقرارهم بصحّة

١ـ المصلح العالمي من النظرية إلى التطبيق، ص ٤٢.
٢ـ منتخب الأثر، ص ٢٧٩ و ٢٨١. ٣ـ المصدر السابق، ص ٢٧٤ فمابعدها.

صدور هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و إلّا لقالوا بضعف هذه الأحاديث لكي لا يضطرّون إلى الإتيان بكلّ هذه التأويلات المتناقضة و الخالية من أيّة قرينة. و لعلّ السبب الكامن وراء تلك التأويلات هو أنّ هذا المضمون موجود في أحاديث الشيعة و كتبهم بشكل متواتر و حتّى أنّ الأسماء الاثني عشر خليفة؛ أي الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام قد ذكرت و وردت فيها بكلّ صفاتهم و خصائصهم، مثلما توجد اسماء الخلفاء الاثني عشر في كثير من كتب و أحاديث أهل السنّة التي سبق ذكرها. و هذا ما دفع المتعصّبين من أهل السنّة ـ بسبب ما يحملونه من حسّاسية إزاء ائمّة الشيعة ـ إلى تأويل الأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. في حين أنّ وجود هذا المضمون في أحاديث الشيعة ينبغي أن لا يكون مدّعاة لدفع جماعة نحو ردود أفعال و تأويلات مرفوضة، و حتّى أنّهم يدخلون أفراداً فسقة و فجرة مثل معاوية و يزيد في عداد خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و يعتبرون امتداداً لسيرته و منهجه، و لدفع جماعة آخرين مثل هذا الكاتب إلى وصف أحاديث «الاثني عشر خليفة» بأنّها أحاديث ضعيفة، بدون إبراز دليل يثبت صحّة هذا الادّعاء.

الملاحظة الثانية: تطابق حديث «الاثني عشر خليفة» مع المذهب الشيعي

هذه الأحاديث لا تنطبق إلّا على المذهب الشيعي؛ و ذلك لأنّ أهل السنّة الذين لا يعترفون بالإمامة المنصوصة و لزوم الإمام المعصوم للسلطة، لا يمكنهم التمسّك بمبدأ الاثني عشر خليفة. فهم يعتبرون أيّ حاكم إسلامي حتّى و إن لم يكن منصوصاً عليه و لا معصوماً، خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و

واجب الطاعة. و لا فرق لديهم بين هؤلاء الاثني عشر خليفة و سائر الخلفاء، في حين النبي حدَّد خلفاءه باثني عشر خليفة.

و هكذا يمكن القول أنّ الأُمّة الإسلامية تأخذ عملياً بواحد من الرأيين التاليين: و هو أمّا الأخذ بمبدأ الاثني عشر خليفة، و هؤلاء هم الشيعة الاثنا عشرية، و أمّا عدم الأخذ بهذا، و هؤلاء هم اتباع سائر الفرق الإسلامية. و أمّا الاحتمال الثالث و هو أن يكون هذا العدد معتبراً و لكنّه غير الأئمّة الاثني فهذا خلاف الإجماع و لا يقول به أحد[١].

و بالإضافة إلى ذلك ذكرت في كثير من الأحاديث المنقولة عن النبي بشأن الخلفاء الاثني عشر اسماء و أوصاف الأئمّة المعصومين، و قد أُشير إلى قسم منها في كتاب **موعود الأديان**[٢].

الملاحظة الثالثة: القرائن الموجودة في حديث «خلفائي اثنا عشر»

في أكثر الأحاديث التي تنصّ على عبارة «خلفائي اثنا عشر» توجد كلمة «لا يزال»:

«لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يقوم اثنى عشر خليفة[٣]».

«لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يمضي اثنى عشر أميراً[٤]».

«لا يزال هذا الأمر ظاهراً على من ناواه... حتّى يمضي اثنى عشر خليفة

١ـ منتخب الأثر، ج ١، ص ٢٣. ٢ـ آخر الفصل الأوّل من الكتاب.
٣ـ المعجم الكبير، ج ٢، ح ١٨٤٩ و ١٨٥٠ و ١٨٥١.
٤ـ المصدر السابق، ح ١٨٠١.

من قريش[١]».

«لا تزال هذه الأمّة مستقيماً أمرها حتّى يقوم اثنى عشر خليفة[٢]».

«لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش[٣]».

و جاءت في قسم منها عبارة «لن يزال» مثل: **«لن يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناواه... حتّى يملك اثنى عشر كلّهم من قريش»**[٤].

و جاء في **«مقتضب الأثر»**[٥] بسند أهل السنّة ما يلي: **«لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثنى عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها[٦]».**

و وردت في بعض هذه الأحاديث كلمة «متوالياً» كالحديث الذي جاء في كتاب «لوامع العقول» في شرح كتاب «راموز الأحاديث»[٧]. فقد ورد في هذا الكتاب، الذي مؤلّفه من أهل السُنّة في سياق نقل روايات **«اثني عشر خليفة»**[٨] بدلاً من جملة **«حتّى يكون اثني عشر خليفة»**، جاءت هذه الجملة: **«حتّى يكون عليهم متوالياً اثني عشر خليفة»**. ثمّ قال معلّقاً: هذا الحديث متّفق عليه.

تجدر الإشارة إلى أنّه من المستبعد أن يكون شارع «راموز الأحاديث»

١ـ المصدر السابق، ح ١٧٩٥. ٢ـ المصدر السابق، ح ١٧٩٨.
٣ـ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع قريش و الخلافة لقريش.
٤ـ المصدر السابق، ح ١٧٩٦؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٨٦.
٥ـ مقتضب الأثر، ص ٣ و ٤. ٦ـ منتخب الأثر، ج ١، ص ٤٦، في الهامش.
٧ـ لوامع العقول، ج ٥، ص ١٥٠. ٨ـ المصدر السابق، ص ١٥١.

قد أضاف هذه الكلمة سهواً و هو خلاف الظاهر، و يخالف إصالة عدم الزيادة، الذي هو أصل مقبول عند العقلاء، و احتمال أن يكون قوله «متوالياً» من الشارح خلاف الظاهر[1].

لا يخفى على أحد أن كلمة «**لا يزال**» تدلّ في الظاهر على استمرار و تيرة الخلافة في الأمّة و عدم انقطاعها، و تدل كلمة «**لن يزال**» و «**متوالياً**» على هذا المعنى صراحة.

و على صعيد آخر تدلّ بعض هذه الأحاديث على أنّ العزّة رهينة بوجود اثني عشر خليفة. و يدلّ بعضها الآخر على أنّ بقاء الأرض إلى يوم القيامة يكون بوجود هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، فيما تدلُّ مجموعة ثالثة على أنّ الإسلام يبقى عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، من قريش و إلى أن تنتهي مدّة خلافتهم. و الشيء الذي يُستفاد من هذه المضامين بداهة هو أنّ الإسلام مهما ابتلي بحكّام ظلمة و جائرين، و حصل نقصان أو زيادة أو سوء فهم في تطبيقه، إلّا أنّ أساسه سيبقى إلى يوم القيامة، و لا يزول من ميدان الحياة الاجتماعية. و لن تخلو الأُمّة و الدين يوماً من أحد هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، و طالما يكون أحدهم موجوداً سيبقى الدين قائماً. و ظاهر هذه المضامين في أنّه طالما بقيت الأُمّة الإسلامية، و طالما كان الإسلام باقياً، يكون أحد الخلفاء الاثني عشر موجوداً في الأُمّة، لا يمكن إنكاره. و هذه المضامين لا تنطبق إلّا على المذهب و الاعتقاد بإمام الزمان الغائب عليه السلام. و ليس هناك من المذاهب الإسلامية من يدّعي هذا أبداً.

١ـ منتخب الأثر، ج ١، ص ٢٣، في الهامش.

استمرار حبل الخلافة، في حديث «خلفائي اثنا عشر»

استناداً إلى هذا المبدأ و هو أنّ أحاديث «الاثني عشر خليفة» دالّة على اتّصال حبل الخلفاء و عدم انقطاعه، يمكن استخلاص نتيجتين:

إحداهما: ـ و هي ما ذُكرت في الفصل الأوّل من كتاب «موعود الأديان» ـ و قيل فيها بأنّه لا يمكن قبول زعم من يزعمون بأن مقصود النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاثني عشر خليفة؛ أبوبكر، و عمر، و عثمان، و علي عليه السلام، و الحسن بن علي عليه السلام، مع بعض الخلفاء الصالحين نسبيّاً من بني أُمية و بني العباس، كعمر بن عبدالعزيز، و المهدي العباسي و أمثالهم؛ لأنّه حتّى على فرض صلاح هذه الجماعة من خلفاء بني أُمية و بني العباس، فإنّ هذا القول يستلزم انقطاع حبل خلافة النبي من عهد الإمام الحسن عليه السلام إلى زمان عمر بن عبدالعزيز.

و النتيجة الثانية التي تُستخلص من ذلك هي: أنّ مصداق الخلفاء الاثني عشر لا يمكن أن تنطبق على كلّ من يدّعي الخلافة ـ حتّى و إن كان فاسقاً و جاهلاً ـ بل مصداقها من تكون خلافتهم ذات مشروعية و من تكون لهم في الجوانب العلمية و العملية و في الصفات و الأخلاق سنخية و تشابه تامّ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين وصفهم في حديث الثقلين بالوديعة الثمينة. و استناداً إلى مفاد «**لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»، لا تنفصل العترة عن القرآن أبداً، إذاً فهذا لا ينحصر في عهد النبي فقط، بل طالما أنَّ القرآن بين الناس، فلابدّ أن تكون العترة موجودة أيضاً. و العترة من بعده يُعيّنها هو بنفسه مباشرة، أو عن

طريق من عيّنهم هو. و قد ثبت من خلال الأخبار المتواترة التي سبق ذكرها أنّ عترته علي عليه السلام و فاطمة عليها السلام، و الحسنين عليهما السلام. و أمّا وصف سائر أئمة الشيعة بالعترة، فقد جاء من قِبل النبي نفسه، أو مِن قِبل أيّ من الأئمّة الذين ثبت وصفهم بهذه الصفة. لأنّه يجب أن يكون عترة النبي في كلّ زمان باعتباره مصداقاً حقيقياً لخلافته، حيّاً و ملازماً للقرآن. و إلّا فإنّ كلام النبي الذي وصف فيه خلفاءه الاثني عشر بكلمات «**لا يزال**» أو «**لن تزال**»، أو «**متوالياً**» نقضاً و لا معنى له.

إشكال و جوابه

لو قيل: أنّ مفاد «الاثني عشر خليفة» مقبول، و لكن لابدّ أن يكون أحد عشر منهم قد ولدوا في ما مضى و رحلوا عن هذه الدنيا، و أمّا الثاني عشر منهم فلم يولد حتّى الآن، و إنّما سيولد في آخر الزمان من ذرّية النبي صلى الله عليه و آله و سلم و يكون مصداقاً حقيقياً لخليفة النبي، و ذلك هو المهدي الموعود. و هذا الرأي يقول به جماعة من أهل السُنّة.

و نقول في جواب ذلك: أنّ جملة «**لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**» صريحة في أنّ القرآن و العترة يجب أن يكون في عمود الزمان سويّة كما ذكرنا آنفاً. و عبارات «**لا يزال**»، «**لن يزال**»، «**متوالياً**»، التي جاءت في أحاديث الاثني عشر خليفة تدلّ بوضوح على اتّصال حبل خلفاء النبي. و على الفرض المذكور ينقطع ذلك الحبل في معظم الأوقات التي يكون فيها القرآن موجوداً. و أنّهما كانا سويّة و متقارنين و لم تفترق العترة عن القرآن

فقط في المدّة التي كانت فيها هذه العترة موجودة. و في إعقاب ذلك بقي القرآن من غير عدل و عترة. و في هذه الحالة لا فرق في أن يكون الاثني عشر خليفة ائمّة معصومون أم من غيرهم من الناس.

الملاحظة الرابعة: إشكال عدم تطابق مضمون حديث «خلفائي اثنا عشر» مع الواقع الخارجي و جوابه

قد يُثار إشكال إزاء مفاد الأحاديث الدالّة على الاثني عشر خليفة، و هو أنّ مفاد هذا الخبر يعني الخلافة الواقعية لاثني عشر خليفة، و هذا لا يتطابق مع الواقع الخارجي بالنسبة إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ و ذلك لأنّه لم يتسلّم أحد منهم زمام الخلافة الظاهرية إلّا الإمام علي، و الإمام الحسن ـ لمدّة قصيرة ـ و الإمام المهدي الذي لم يظهر حتّى الآن.

يُقال في معرض الردّ على هذه الشبهة: إنّ ظاهر هذه الأحاديث جاء بصيغة الإخبار، غير أنّه في الحقيقة أمر و إنشاء بصيغة الخبر؛ أي أنّ الخلفاء الواقعيين و الحقيقيين للنبي صلى الله عليه و آله و سلم الذين نصبهم هو و عيّنهم للخلافة اثنا عشر شخصاً، و على الأُمّة الإسلامية أن تأخذ بإمامتهم و خلافتهم للنبي، لا أن تقبل خلافة الآخرين. و مادام هؤلاء الاثني عشر أئمّة للناس و خلفاء للنبي فسيبقى الإسلام عزيزاً و لن يضلّ الناس، تطبيقاً لقول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذي قال: «**الناس تبع لقريش و الخلافة في قريش**»[1].

١ـ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع قريش.

الملاحظة الخامسة:

التصريح بأسماء الخلفاء الاثني عشر من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بعد الوثوق من صدور هذه الأحاديث من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُثار هذا السؤال و هو: أنّ النبي الذي كان قلقاً على زمان ما بعده إلى هذا الحدّ، و كان يهتمّ بهذا الأمر إلى هذه الدرجة إلى حدّ أنّه قال وفقاً لما يقول الشيعة و السنّة: «**إنّي تارك فيكم الثقلين**» (و وفقاً لبعض الأحاديث خليفتين) «**كتاب اللّه و عترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً و لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض...**»، هذا من جهة، و من جهة قال: «**الخلفاء مِن بعدي اثنا عشر**». و السؤال الذي يُثار هنا هو: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا ذكر النبي عدد خلفائه و لكن لم يُعيّن أسماءهم و أوصافهم، لكي لا تقع الأُمّة من بعده في حيرة و اختلاف؟! و لكي لا يتسنى لأيٍّ كان أن يدّعي أنّه من الخلفاء الاثني عشر؟!

و لكن هل يمكن أن نصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثل هذا التساهل، و هو خاتم الأنبياء، و كان يرى لزاماً على نفسه أن يبيّن للناس ما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة؟! و هل يمكن القول أنّه لم يعيّن أسماء و خصائص خلفائه؟ ولو أنّ شخصاً عادّياً فعل ذلك؛ و قال: أنّ الأُمور بعدي تدار على يد عدّة أشخاص كأن يقول خمسة أشخاص مثلاً، ثمّ لا يذكر أسماءهم و خصائصهم، ألا يُعتبر عمله في رأي العقلاء لغواً و مجانباً للعقل؟

و بناءً على ذلك و في ضوء هذه المقدّمة العقلية يصبح من المتيقّن لدينا أنّ النبي قد عيّن خلفاءه و ذكر أسماءهم و خصائصهم طبعاً، و إلّا فإنّ مجرّد

تعيين العدد لا يحلّ المشكلة و لا يفتح مغالق السُبُل أمام الأُمّة، و يحفظها من الضلال و الحيرة، بل يمكن القول أنّه بناءً على التحذيرات التي أطلقها هو من ضلال الأُمّة من بعده، و حثّها بسبب ذلك على التمسّك بالكتاب و العترة، فإنّ تعيين العدد فقط، لا يزيد الأُمور إلّا حيرة و تعقيداً، و على صعيد آخر يفسح المجال أمام الكذّابين لادّعاء الخلافة.

و استناداً إلى هذه المقدّمة النقلية نقول: إن الأحاديث المنقولة عن طريق الشيعة و السُنّة، قد بيّن أسماء و خصائص الخلفاء الاثني عشر تكون وفقاً لما يقتضيه العقل و اعتبار العقلاء. و هذه قرينة تبعث على الاطمئنان بصدور هذه الأحاديث. و هذا النوع من الأحاديث يزيل عادة الإجمال الذي يكتنف أحاديث المجموعة الأُولى التي اكتفت بذكر عدد الخلفاء.

و لابدّ من التنبيه إلى أنّ حديث الثقلين الذي تواتر نقله لدى الفريقين؛ الشيعة و السُنّة، أفضل قرينة عقلية على وثاقة صدور الأحاديث الدالّة على أنّ الخلفاء اثنا عشر، و ذلك الأحاديث الدالّة على أسمائهم و صفاتهم، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. و ذلك إن كان هناك غموض و إجمال في المراد من «العترة» التي ذكرها النبي، في العدد و الخصائص، و لم تصدر عنه أيّة شواهد و قرائن دالّة على تعيين المراد من ذلك، فهذا الحديث لوحده لا يحلّ المشكلة و لا بمستطاعه ضمان عدم ضلال الأُمّة إلى يوم القيامة.

و قد جاء في هذا الصدد حديث في كتاب «الكافي» روي عن الإمام الصادق عليه السلام أوضح فيه أنّ تفسير و تبيين جزئيات الصلاة، و الزكاة، و الحجّ، كان من مهمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و كذلك تبيين المراد من «أهل البيت» الذي جاء

ذكرهم في آية التطهير، يقوم به النبي أيضاً، ولو أنّ رسول‌اللّه ﷺ سكت و لم يبيّن من هم أهل‌البيت في حديث الكساء، لادّعاها آل‌فلان و آل‌فلان[1].

و لعلّه يمكن القول أنَّ الأخبار التي تبدو في الظاهر مجملة، فيها شواهد و قرائن مبيّنة لمصاديق عترة النبي ﷺ، غير أنّ يد السياسة و الحكومات المعادية لأهل البيت وجدت تلك القرائن و الشواهد مغايرة لمصالحها فتلاعبت في نقلها. و هذا أمر شائع بين الحكّام الظلمة في جميع العصور.

أسماء خلفاء النبي في كتب أهل السنة

من القرائن التي يمكن أن تبيّن مقصود النبي ﷺ هي الأحاديث التي نقلها أهل السنة في ما يخصّ عدد أوصياء النبي و خصائصهم و أسمائهم. و قد أُدرج عدد من هذه الأحاديث في كتاب «موعود الأديان»[2] نقلاً عن كتب أهل السنّة مثل كتاب: «ينابيع المودّة» و «فرائد السمطين»، و «مقتل» الخوارزمي، و كذلك «مقتضب الأثر» (من تأليف الجوهري و هو شيعي) نقلاً عن طرق أهل السُنّة، و البعض الآخر في كتبهم الأُخرى، و منها:

١ـ جاء في حديث عن ابن عباس أنّه قال:

«لما خلق اللّه إبراهيم كشف عن بصره فنظر إلى جانب العرش نوراً فقال: إلهي ما هذا النور؟ قال: يا إبراهيم هذا نور محمّد... ثمّ قال: هذا نور علي... ثمّ قال: يا إبراهيم هؤلاء

١ـ الكافي، ج ١، ص ٢٨٧.
٢ـ موعود الأديان، الفصل الأوّل.

الأئمّة من ولدهم... أوّلهم... ثمّ علي بن الحسين و... و الحسن العسكري و المهدي محمّد بن الحسن...»[1].

٢ـ جاء في حديث عن ابن عباس أنّه قال:

قَدِم يهودي اسمه نعثل و عرض على رسول‌اللّه ﷺ مجموعة من الأسئلة و منها أنّه سأله عن أوصيائه فذكرهم واحداً فواحد إلى أن وصل إلى الإمام الثاني عشر فقال: **«فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي الذي يغيب ثمّ يظهر في وقت لا يبقى فيه من الإسلام إلّا اسمه و من القرآن إلّا رسمه»**[2].

و قد ورد هذا الحديث في «ينابيع المودّة» و في «فرائد السمطين» و بالإضافة إلى ذلك ورد في «تذكرة» القرطبي للعلّامة السنجري، و جاء أيضاً في كتاب «اتحاف أهل الإسلام» للعلّامة الشيخ محمّد الحنفي المصري[3].

٣ـ قال جابر بن عبداللّه الأنصاري:

قال رسول‌اللّه ﷺ: **«إنّ اللّه اختار من الأيام يوم الجمعة و من الليالي ليلة القدر و من الشهور شهر رمضان و اختارني و**

١ـ أربعين، أبي الفوارس، ص ٣٨.
٢ـ ابن عبّاس قال قدم يهودي يقال له نعثل فقال: يا محمّد اسألك عن أشياء... فقال رسول‌اللّه ﷺ ... أنّ وصيّ علي بن أبي‌طالب و بعده سبطاي، تتلوه تسعة ائمة من صلب الحسين... إذا مضى الحسين فابنه علي... فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدي فهؤلاء اثنا عشر...».
٣ـ من هو المهدي؟، ص ٢١.

عليّاً واختار من علي، الحسن و الحسين و اختار من الحسين حجّة العالمين تاسعهم، قائمهم، أعلمهم، أحكمهم»[١].

قال الجوهري صاحب كتاب «مقتضب الأثر» بعد أن نقل هذا الحديث بسند أهل السنّة: و هذا الحديث نقله أصحابنا (يعني الشيعة) بطرقهم أيضاً.

٤ـ جاء في ذلك الكتاب نفسه بسند آخر عن أهل السنّة عن سلمان أنّه قال:

كُنّا مع رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و الحسين بن علي عليهما السلام على فخذه، إذ تفرّس في وجهه و قال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **«يا أبا عبداللّه! أنت سيّد من سادات و أنت إمام و ابن إمام و أخو إمام أبو أئمّة تسعة، تاسعهم، قائمهم، إمامهم و أعلمهم...»**[٢].

٥ـ جاء في «كفاية الأثر» بسند أهل السنّة عن سلمان الفارسي أنّ رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«... الأئمّة من بعدي بعدد نقباء بني‌اسرائيل و كانوا اثني عشر، ثمّ وضع يده على صلب الحسين عليه السلام و قال: تسعة من صلبه و التاسع مهديّهم يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً، فالويل لمبغضيهم»[٣].

٦ـ و جاء في الكتاب نفسه أيضاً بسند أهل السنّة عن جابر بن عبداللّه الأنصاري أنّه قال:

١ـ مقتضب الأثر، ص ٩، ح ٨، استناداً إلى ما جاء في منتخب الأثر، ح ٢٤٠.
٢ـ المصدر السابق، ح ٧، استناداً إلى ما نقله منتخب الأثر، ح ٢٣٨.
٣ـ كفاية الأثر، الباب ٥، ح ٦، استناداً إلى ما نقله منتخب الأثر، ح ٢١٦.

كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أُمّ سلمة فأنزل اللّه هذه الآية: ﴿**إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت...**﴾ فدعا النبي بالحسن و الحسين و فاطمة... و علياً، و قال: **«اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهّرْهم تطهيراً»**. فسأله جابر عن سرّ دعائه لهم، فقال: **«يا جابر لأنّهم عترتي من لحمي؛ فأخي سيّد الأوصياء، و ابنيّ خير الأسباط، و ابنتي سيّدة النسوان و منّا المهدي»** قلت: يا رسول‌اللّه و من المهدي قال: **«تسعة من صلب الحسين أئمّة أبرار و التاسع قائمهم يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً...»**[١].

٧ـ و جاء في هذا الكتاب أيضاً بسند أهل السنة عن أبي‌الأسود الدؤلي، عن أُمّ سلمة أنّها قالت:

قال رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **«الأئمّة بعدي (اثنا عشر) عدد نقباء بني‌اسرائيل، تسعة من صلب الحسين، أعطاهم اللّه علمي و فهمي...»**[٢].

٨ـ و جاء في هذا الكتاب أيضاً بسند أهل السنّة عن عبداللّه بن مسعود قال:

سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«الأئمّة بعدي اثنا عشر؛ تسعة من صلب الحسين و التاسع مهديّهم**[٣]**»**.

١ـ المصدر السابق، الباب ٧، ح ٤، استناداً إلى ما نقله منتخب الأثر، ح ٢١٧.
٢ـ المصدر السابق، باب ٢٦، ح ٣، استناداً إلى ما نقله منتخب الأثر، ح ١٨٢.
٣ـ المصدرالسابق، باب ٢، ح ١، استناداً إلى ما نقله منتخب الأثر، ح ٢٠٦.

٩ـ و جاء في هذا الكتاب أيضاً بسند أهل السنّة عن أبي سعيد الخدري قال:

سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول للحسين عليه السلام: «**أنت الإمام ابن الإمام و أخو الإمام، تسعة من صلبك أئمّة أبرار و التاسع قائمهم**»[1].

كانت هذه نماذج عن الأحاديث التي يمكن اتّخاذها قرينة و تفسيراً و شرحاً للأحاديث التي نصّت على أنّ الخلفاء اثنا عشر. و توجد في هذا المجال أحاديث أُخرى أيضاً ذات مضامين مشتركة مع ما سبق ذكره من الأحاديث، و قد رويت في كتاب «كفاية الأثر» عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و لكنّنا أعرضنا عن نقلها بسبب طولها، و نكتفي هنا بالإشارة إلى مصدرها فقط: «كفاية الأثر»، الباب ٣، الأحاديث ٤ و ٥ و ٦ و ٨؛ الباب ٤، الحديث ٣؛ الباب ٥، الحديث ٤؛ الباب ٨، الحديث ٣؛ الباب ٩، الحديث ٧، الباب ١٢، الحديث ٥؛ الباب ١٣، الحديث ٣؛ الباب ١٥، الحديث ٤، الباب ١٦، الحديث ١؛ الباب ١٨، الأحاديث ١ و ٢؛ و أبواب أُخرى.

و من القرائن الأُخرى في هذا المجال يمكن الإشارة إلى أنّ بعض الأحاديث المنقولة عن طريق أهل السنّة مثل حديث جابر بن سمرة قال:

كنت مع أبي عند رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته يقول: «**بعدي اثنا عشر خليفة**». ثمّ أخفى صوته. فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال، فقال: قال: «**كلّهم من بني‌هاشم**». و عن سماك بن حرب مثل ذلك[2].

١ـ المصدر السابق، الباب ٣، ح ١، استناداً إلى ما نقله منتخب الأثر، ح ٢٠٧.

٢ـ ينابيع المودّة، ج ٣، ص ٢٩٠، ح ٤.

بحث الاثني عشر إماماً في القرنين الثاني و الثالث:

و كتب هذا الكاتب في مقطع آخر ما يلي:

علماً بأنّ هذه القائمة و حتّى الفكرة الاثني عشرية لم تظهر عند الشيعة الإمامية في القرنين الثاني و الثالث، و إنّما تبلورت في القرن الرابع الهجري، ثمّ أخذ أقطاب المذهب بتأليف الأحاديث حولها، وبمحاولة الاستشهاد على صحّتها بكلّ ما تيسّر لديهم.

لتفنيد هذه الشبهة نعرض في ما يلي بعض الملاحظات:

الملاحظة الأُولى: «المعيار للحقّ أو الباطل» و على فرض قبول ادّعاء الكاتب في قوله: أنّ فكرة الأئمّة الاثني عشر قد ظهرت في القرن الرابع للهجرة، فإنّ المعيار في أحقّية أو بطلان أيّة فكرة أو مذهب لا يتوقّف على تقدّمها أو تأخّرها زمنياً على بقيّة الأفكار و المذاهب، بل تتوقّف على موافقتها أو تعارضها مع المبادئ النظرية و الأُصول الأساسية المقبولة عقلاً خارج دائرة الدين، أو نقلاً داخل دائرة الدين التي تنتهي إلى الأُصول العقلية خارج دائرة الدين، و إلّا فإنّه بناءً على ما توهّمه الكاتب يفترض عدم قبول الإسلام ديناً حقّاً و سماوياً لأنّه متأخّر عن الأديان السماوية الأُخرى. و أمّا العمل الذي قام به أقطاب المذهب الشيعي فهو جمع المبادئ النظرية و الأُصول الأساسية التي تقع خارج و داخل دائرة الدين ممّا يقوم عليها هذا المذهب.

الملاحظة الثانية: أحاديث الاثني عشر خليفة أو أمير يعود إلى أوائل القرن الهجري الثاني. و استناداً إلى البحوث التي أجراها بعض الكُتّاب المعاصرين، اعتمد بنو أُمية بكثرة على أحاديث الاثني عشر خليفة خشية على حكومتهم من الضعف، إلى حدّ أنّ أتباع هشام بن عبدالملك أصابهم ذعر شديد في السنوات الممتدة بين عامّ ١٠٥ و عامّ ١٢٥ للهجرة، ممّا دفعهم إلى نقل هذا الحديث مراراً و كراراً، و حتّى أنّهم طبّقوا على ذلك الزمان جملة وردت في بعض صور نقل هذا الحديث، و هو أن سيكون هناك هرج و مرج بعد الاثني عشر خليفة. و حسب زعمهم، بعد الخلفاء الثلاثة الأوائل ـ الذين يُسمّيهم بنو أُمية بالخلفاء الراشدين ـ يكون هشام الخليفة التاسع، و يعتبرون شروع الفوضى في زمانه مصداقاً للهرج و المرج الذي أُشير إليه في بعض صور نقل الحديث المذكور.

و استناداً إلى هذه النظرية فإنّ حديث الاثني عشر خليفة كان شائعاً بين الناس و تتداوله الألسن قبل الغيبة الصغرى بسنوات طويلة[١].

و على صعيد آخر، و استناداً إلى الرأي الذي سجّله ابن شهر آشوب في كتابه «متشابه القرآن» في زمان حياة الإمام الصادق عليه السلام دوّن ليث بن سعد المحدّث المصري المتوفّى عام ١٧٥ للهجرة هذا الحديث في كتاب له عنوانه «الأمالي». و دوّنه في هذا القرن أيضاً أبو داود الطيالسي المتوفّى عام ٢٠٤ للهجرة في مسنده، و دوّنه من بعده نعيم بن حمّاد المتوفّى عام ٢٢٨ للهجرة، في «الفتن».

١ـ راجع: مكتب در فرايند تكامل، ص ١٩٠.

و على هذا الأساس فإنّ حديث الاثني عشر خليفة كان متداولاً في أواسط القرن الأوّل و أواخره و كذا في أوائل القرن الثاني للهجرة في كتاباتهم و مؤلّفاتهم أيضاً[١].

و أمّا بالنسبة إلى الشيعة ـ كما يقول بعض الباحثين المعاصرين ـ فقد اقتصر نقل و تدوين هذا الحديث على بعض الخواصّ و من كان لديهم اطّلاع على أسرار الأئمّة، إلى حدّ أنّه لايُلاحظ في ما تبقّى من كتب الشيعة التي ألّفوها في القرنين الثاني و الثالث و لم يهل فيها تلاعب، ما يشير أو يدلّ على أنّ الشيعة يرون أنّ هذا الحديث ينطبق على أئمّتهم الاثني عشر[٢].

جدير أن يعلم أنّ كتاب «بصائر الدرجات» الذي دوّن في القرن الثالث نقل رواية بهذا اللفظ: «**نحن اثنا عشر محدّثاً**» عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام. و رواية بهذا اللفظ: «**الاثنا عشر الأئمّة من آل محمّد...**» عن الإمام الباقر عليه السلام.[٣] فلو كان سند كتاب «بصائر الدرجات» إلى الصفّار القمّي قطعياً أمكن التعويل على الروايتين.

الملاحظة الثالثة: لو أقررنا أنّ حديث الاثني عشر خليفة الذي ورد في كتب الشيعة التي دُوّنت في القرنين الثاني و الثالث، لم يأخذه الشيعة على أنّه ينطبق على أئمّتهم الاثني عشر، إذا كان الأمر كذلك فهذا أفضل دليل يثبت أنّ الشيعة لم يكن لهم دور في نقله و تدوينه و نشره على نطاق واسع، بل أنّ من عمل على حفظه و نشره هم علماء أهل السُنّة و أتباع الخلفاء. إذاً توجيه

١ـ المصدر السابق. ٢ـ المصدر السابق، ص ١٩١.

٣ـ بصائر الدرجات، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠.

الاتّهام إلى علماء الشيعة بأنّهم هم الذين وضعوا هذا الحديث في القرن الرابع و هو ما يُستفاد من كتابات بعض المخالفين، بعيد عن الواقع و لانصيب له من الصحّة.

و على فرض قبول هذا الادّعاء، و هو أنّه لم يكن هناك لدى الشيعة في القرنين الثاني و الثالث اهتمام بهذا الحديث أو القول بانطباقه على الأئمّة الاثني عشر، فقد كان هناك سببان لهذه الظاهرة و هما:

١ ـ استغلال هذا الحديث ـ حسب ما أشار إلى ذلك بعض الباحثين المعاصرين[1] ـ من قبل خلفاء بني أُمية مثل هشام بن عبدالملك و أشياعهم، بما يصبُّ في مصلحتهم و قولهم أنّ حديث الخلفاء الاثني عشر ينطبق عليهم. و كان من الطبيعي أن ينظر الشيعة في مثل تلك الظروف إلى هذا الحديث على أنّه مضادّ لهم، و يعرضوا عنه. و لكن اتّضح لاحقاً أنّه ليس ضدّ الشيعة، بل بالعكس يجري في سياق المذهب الشيعي تماماً، و لكنّ الشيعة أهملوه بسبب استغلاله من قبل السلطات الحاكمة يومذاك.

٢ ـ الانفصال بين الشيعة و السُنّة، و الحسّاسية التي كان يحملها كلّ واحد منهما إزاء المعتقدات و الأفكار الدينية للآخر. و رغم أنّ هذا الانفصال قد بدأ في زمان الإمام علي عليه السلام غير أنّه أخذ بالاتّساع على مرّ الزمن، و كلّما ابتعدنا عن صدر الإسلام كان هذا الشرخ يزداد و هذه الحساسية تنمو. و في ضوء ذلك، بالإضافة إلى التوظيف السياسي لهذا الحديث لم يكن الانفصال والحسّاسية بين الشيعة و السنّة بمعزل عن عدم شيوع هذا الحديث بين عموم الشيعة.

١ـ المصدر السابق.

و من جانب آخر يمكن القول بأنّ أساليب القمع و التضييق التي كانت تُمارس في عهد خلفاء بني أُمية و بني العبّاس ضدّ الشيعة، و منع نشر معارفهم و الأحاديث التي لها صلة بهم، و خاصّة في ما يتعلّق بموضوع مهمّ و هو الإمامة و الخلافة الحقّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و كان من الطبيعي في مثل تلك الظروف أن تُحاط أمثال هذه الأحاديث بالسريّة و لاتُنشر على مستوى عموم الشيعة، و أن لا يكون هناك في متناول الأيدي سوى ما يُعرف بالأُصول الأربعمائة، و هي جزء من وثائق و مستندات كتاب «الكافي» و يعود تاريخها إلى زمان الصادقين عليهما السلام.

الملاحظة الرابعة: وجود فكرة الاثني عشر إماماً في القرنين الأوّل و الثاني.

يصرّ الكاتب على أن فكرة الاثني عشر خليفة و إماماً لم تكن مطروحة قبل القرن الرابع.

و لدحض هذا الرأي ينبغي القول: أُفرد في كتاب «الكافي» الشريف باب تحت عنوان: «ما جاء في الاثني عشر و النصّ عليهم». و قد نقل المرحوم الكليني ـ الذي عاش في أواخر القرن الثالث و أوائل القرن الرابع، و لكن مشايخه و هم ستّ و ثلاثون شيخاً و كان الكثير منهم من الأعلام، كانوا يعيشون في القرن الثالث للهجرة[1] ـ و في هذا الباب أحاديث متعددة عمّن يثق بهم و يطمئن إليهم، عن السيّدة الزهراء عليها السلام، و عن الإمام الباقر، و الإمام الصادق، و الإمام الجواد عليهما السلام، و فيها نصوص على إمامة الأئمّة الاثني عشر

١ـ الكافي، ص ١٤ فما بعدها.

الذين يعتقد بهم الشيعة الإمامية. و قد نقل المرحوم الكليني بعض هذه الأحاديث بتعبير «**عدة من أصحابنا**»، و بعضها عن محمّد بن يحيى، و بعضها الآخر عن علي بن إبراهيم، و عن أبي‌علي الأشعري، و كذلك عن الحسين بن محمّد.

في ما يخصّ عبارة «عدّة من أصحابنا» لا يمكن القول أنّ المرحوم الكليني يستعملها بشأن أفراد عادّيين و غير موثّقين، و إنّما يُستعمل هذا التعبير عادة بشأن كبار الثقاة في علم الحديث. و أمّا بالنسبة إلى محمّد بن يحيى، فقد كتب صاحب «جامع الرواة» في وصفه: «شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة، عين، كثير الحديث». و جاء أيضاً في «جامع الرواة» في وصف حال علي بن إبراهيم القمّي صاحب التفسير المعروف باسمه: «ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب و ...».

و أمّا في ما يخصُّ أبي‌علي الأشعري فهو يُعرف بشيخ القمّيين، و هذا ينم عن جلالته و وثاقته. و حسين بن محمّد موثّق في كتب الرجال.

و من المناسب هنا أن نأتي بنماذج من الأحاديث التي أوردها المرحوم الكليني في كتاب «الكافي» نقلاً عن هؤلاء الثقاة:

١ـ جاء في رواية نقلها علي ابن إبراهيم: سمعت عبداللّه بن جعفر الطيّار يقول: كُنّا عند معاوية، أنا و الحسن و الحسين و عبداللّه بن عبّاس و عمر بن أُمّ سلمة و أُسامة بن زيد، فجرى بيني و بين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ أخي علي بن أبي‌طالب**

أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ فإذا استشهد علي فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم و ستدركه يا علي، ثمّ ابنه محمّد بن علي، ثمّ تكمله اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين». قال عبداللّه بن جعفر: واستشهدت الحسن و الحسين و عبداللّه بن عبّاس و عمر بن أُمّ سلمة و أُسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية. قال سليم: و قد سمعت ذلك من سلمان و أبي‌ذر و المقداد و ذكروا أنّهم سمعوا ذلك من رسول‌اللّه[١].

٢ـ جاء في حديث نقله الكليني عن «عدّة من أصحابنا» و يصل سنده إلى الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال:

أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، و هو متكىء على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة و اللباس فسلّم على أمير المؤمنين، فردّ عليه السلام فجلس، ثمّ عرض عليه مجموعة من الأسئلة، فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن و قال له: «**أجبه**». فأجابه الإمام الحسن. فشهد الرجل بإمامته و إمامة أحد عشر من ولده، ثمّ أنّه توارى عن الأنظار، فقال أمير المؤمنين: «**هو الخضر** عليه السلام»[٢].

١ـ المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢٩، ح ٤. ٢ـ المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢٥، ح ١.

٣ـ جاء في حديث نقله محمّد بن يحيى بسنده عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال:

دخلت على فاطمة عليها السلام و كان بين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعدّدت اثني عشر آخرهم القائم (عج)، ثلاثة منهم محمّد و ثلاثة منهم علي[1].

و الظاهر أنّ مراد جابر من «ثلاثة منهم علي» هو غير الإمام علي عليه السلام.

٤ـ و جاء في حديث نقله أبوعلي الأشعري القمّي، أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال:

«الاثنا عشر الإمام من آل محمّد كلّهم محدّث، من ولد رسول اللّه صلى الله عليه وآله و ولد علي بن أبي طالب»[2].

يتّضح بكلّ جلاء من هذه الأحاديث أنّ فكرة الاثني عشر إماماً كانت مطروحة بين الشيعة منذ صدر الإسلام من قبل النبي، و فاطمة الزهراء، ثمّ الإمام الباقر، و الإمام الصادق، و كذلك الإمام الجواد. و أنّ الأمر ليس كما قال الكاتب بأنّ هذه الفكرة ظهرت في القرن الرابع.

و على جانب آخر لا يمكن توجيه تهمة الغلوّ إلى من نقل عنهم المرحوم الكليني الأحاديث المذكورة؛ و ذلك لأنّ ما يشابه هذه الأحاديث قد نُقل أيضاً في كتب و مصادر أهل السُنّة، و لكن بتعبير «اثني عشر خليفة». و هذا ما تمّ توضيحه في ما سبق من الكلام هذا أوّلاً، و أمّا ثانياً: أنّ الأفراد المذكورين ـ كما أُشير من قبل ـ موثّقون كلّهم عند علماء الرجال، و كان بعضهم من مشايخ و كبار الشيعة في زمانهم.

١ـ المصدر السابق، ص ٥٣٣، ح ١٤. ٢ـ المصدر السابق.

تجدر الإشارة إلى أنّ إحدى موجبات تضعيف رواة الحديث عند علماء الرجال، صفة الغلوّ، و الكثير من الأفراد لايُوثّقون و تُعدّ أحاديثهم ضعيفة بسبب غلوّهم. و أمّا الذين نقل عنهم الكليني الأحاديث المذكورة فليس منهم مَن يُتّهم في علم الرجال بالغلوّ، و هناك تأييد لوثاقتهم و صحّة مذهبهم.

و حتّى لو افترضنا وجود راوٍ ضعيف في سلسلة سند بعض الأحاديث المذكورة في «الكافي» في باب «ما جاء في الاثني عشر إماماً» فإنّ وثاقة الراوي الأوّل الذي نقل عنه المرحوم الكليني توجب الاطمئنان بصحّة الحديث و تجبر ذلك الضعف.

و خلاصة كلامنا هي أنّ هناك أحاديث صدرت قطعاً عن رسول اللّه ـ و لو كانت على سبيل التواتر المعنوي ـ دالّة على أنّ له اثنا عشر خليفة من عترته، و هم الإمام علي، و الإمام الحسن، و الإمام الحسين، و تسعة من ولد الحسين عليهم السلام، آخرهم المهدي (عج) الذي سيظهر يوماً و يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما مُلئت ظلماً و جوراً.

و مفاد هذه الأحاديث لا ينطبق إلّا على نظرية الشيعة الاثني عشرية التي انعقدت نطفتها في زمان النبي صلى الله عليه وآله بناءً على هذه الأحايث، غير أنّ عموميّتها امتدّت إلى زمان الغيبة الكبرى لأسباب عدّة نذكر منها:

١ـ توالي اثني عشر خليفة ممّن تولّوا زمام أُمور الأُمّة واحداً تلو الآخر، ليُعلَم أنّ تلك الأحاديث لا تنطبق على أُولئك الخلفاء.

٢ـ مجيء تسعة أئمّة من ذرّية الإمام الحسين عليه السلام لكي يتحقّق المصداق

الصحيح لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم و تتوفّر موجبات الاعتقاد بإمامة من كانوا في الظاهر لا يملكون منصبّ الخلافة السياسية في الأُمّة الإسلامية.

٣ـ و على أيّة حال فإنّ ظهور معتقد و نظرية في مجتمع فيه عشرات الملايين من الناس يتوقّف على اجتذابها للأفراد و ازدياد عدد المؤمنين بها. و من الطبيعي أنّ هذا يحتاج إلى وقت طويل. و لابدّ أن تمضي عدّة قرون لكي يصل اتّباعها إلى حدٍّ من الكثرة بحيث يتيح لهم أن يطرحوا بلا خوف معتقداتهم التي تطعن بصحّة معتقدات الأكثرية المتسلّطة.

إشكالات و ردود

أُثيرت في ما يخصّ أسماء و خصائص خلفاء النبي التي وردت في أحاديث «خلفائي اثنا عشر»، شبهات و إشكالات من قبل أفراد آخرين، و ينبغي الردّ عليها.

الإشكال الأوّل: ظهور فرق مختلفة في زمان الأئمّة عليهم السلام

لو كانت هذه الأحاديث معتبرة و واقعية، و كانت أسماء الأئمّة الطاهرين مسجّلة بهذا الوضوح و الدقّة منذ زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو وفقاً لبعض الروايات[1] أنّها موجودة منذ العصور الأولى لخلق العالم و كانت مكتوبة على العرش، فلماذا إذاً كان يقع كلّ هذا الاختلاف بين الشيعة حول قضية

١ـ راجع: منتخب الأثر، ح ١٦١، ١٧٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥ و ٢٥٨. و راجع أيضاً: الإمامة و التبصرة، ص ١٤٥.

خلافة كلّ إمام، و ظهرت كلّ هذه الفرق التي سارت كلّ واحدة منها وراء أحد مدّعي الإمامة؟ ثمّ إنّ كثير من الرواة الذين وردت أسماؤهم في أسناد تلك الأحاديث مثل أبي هريرة صاحب رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم[1] و عبدالله بن الحسن[2] و غيرهما، كانوا أتباعاً لفرق أُخرى، و لم يُنقل عنهم أيّ ميل عاطفي إلى التشيّع. فكيف لمن يسمع الحقيقة من لسان النبي أو من إمام عصره، و الأهمّ من ذلك أن ينقلها إلى الآخرين، أن لا يؤمن بها؟

الردّ: جواب القسم الأوّل من هذا الإشكال هو أنّه قد ذكر مسبقاً أنّ بني أُمية و أنصارهم قد استغلّوا أحاديث «الاثني عشر خليفة» إلى أبعد الحدود و نقلوها بالنحو الذي ينطبق على من يشاءون من الخلفاء.

و لهذا السبب كان الشيعة العاديّون يعتبرون هذه الأحاديث معادية للشيعة فكانوا يقاطعونها و يعرضون عنها. و قلنا أنّ السرّ الكامن وراء عدم نقل الشيعة لهذه الأحاديث و عدم تدوينها لها في القرون الثلاثة الأُولى هو استغلال الأُمويين لها.

و على هذا الأساس فقد كان من الأساليب السياسية التي مارسها الأمويون هو التلاعب بتلك الأحاديث و حذف أسماء و خصائص خلفاء رسول‌الله منها، لكي تكون صالحة للانطباق على غير الأئمّة الاثني عشر للشيعة. و إذا كان الأمر كذلك فلا غرابة لو التبست الأُمور على الشيعة العاديين و اشتبه عليهم أمر الخليفة التالي للإمام، بسبب تلك الأجواء الملبّدة و ضخامة الدعاية التي كانت تُمارس ضدّ الشيعة و لصالح الحكّام الأُمويين.

١ـ الانصاف، ص ٢١٢ ـ ٢١٠.
٢ـ المصدر السابق، ص ١٢٦ ـ ١٢٥.

و واضح أنّ بعد سقوط و انقراض الأُمويين لم يكن للخلفاء العباسيين أيضاً دافع لنقل و نشر هذه الأحاديث، بل لا يبعد إصرارهم على كتمانها خوفاً من ضعف و تزلزل حكوماتهم.

و بالإضافة إلى ذلك لا ينبغي أن ننسى قضية التقيّة و الخوف على حياة كلّ واحد من الأئمّة. و لهذا بعد رحيل كلّ إمام لم يكن يطّلع على خلفه سوى الخواصّ و أصحاب أسرار الإمامة، و أمّا سائر الناس العاديين فلم يكن لديهم اطّلاع دقيق على خلف إمامهم. و لا يمكن اعتبار اطّلاع بني أُمية على أسماء و خصائص الأئمّة عليهم السلام سبباً يمنع اتّباع التقيّة؛ و ذلك لأنّ الغاية الأساسية التي كان يسعى إليها الحكّام الغاصبون هي أنّ لا يقوم الشيعة بالدعوة لأئمّتهم سياسياً، مخافة النيل من السلطات الغاصبة للخلافة.

و أمّا جواب القسم الثاني من السؤال، و هو: كيف أنّ كثيراً من الرواة الذين كانوا في أسناد هذه الأحاديث، لم يتّبعوا الحقيقة، فربّما يكون ذلك من باب ﴿**و جَحَدُوا بِهَا وَ استَيقَنَتها أنفُسُهُم**﴾[1]، و مثال ذلك ـ استناداً إلى نصّ القرآن ـ أحبار اليهود و قساوسة النصارى الذين كانوا في صدر الإسلام يعلمون بأحقّية نبيّنا صلوات اللّه عليه غير أنّهم أحجموا عن الاعتراف بذلك بسبب دوافع دنيوية فاسدة. و ربّما كان هوى النفس و حبّ المال و الجاه قد ثنى رواة هذه الأحاديث أيضاً عن اتّباع الحقيقة التي نقلوها هم للآخرين.

١ـ النمل (٢٧): ١٤.

الإشكال الثاني: عدم اطّلاع زرارة على وصيّ الإمام الصادق عليه السلام

لو كانت أحاديث الاثني عشر إماماً معروفة بين الشيعة في القرنين الأوّل والثاني، فلماذا كانت شخصية كزرارة ـ الذي ولد في القرن الأوّل و توفّي في منتصف القرن الثاني؛ في عام ١٥٠ أو عام ١٤٨، وكان من كبار علماء الشيعة في القرن الثاني ـ ليس لديه اطّلاع دقيق على وصيّ الإمام الصادق عليه السلام، و لم يكن يعلم أيّ أبناء الإمام سيكون خليفته و وصيّه؟ و استناداً إلى ما جاء في الأخبار و الروايات أنّه لما وصل خبر وفاة الإمام الصادق إلى الكوفة، بعث زرارة ابنه إلى المدينة فوراً ليرى من سيكون وصيّ الإمام، و من يكون إمام ذلك الزمان. و في تلك الأثناء مرض زرارة و توفّي قبل عودة ابنه. و لكي لا ينطبق عليه حديث «**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**» رفع المصحف و قال: اللهمّ إنّ إمامي من أثبت هذا المصحف إمامته من ولد جعفر بن محمّد عليه السلام[1].

و من الواضح لو أنّ زرارة كان سمع اسم وصيّ الإمام الصادق عليه السلام ـ كما نصت على ذلك إحدى تلك الروايات[2] ـ لما كانت هناك حاجة إلى كلّ ذلك. و إذا كان أعلم أصحاب الإمام الصادق و أقربهم إليه و أخصّهم به لا يعرف وصيّه، فكيف يُحتمل أن يعرف القائمة الكاملة لأسماء الأئمّة شاعر اعتنق التشيّع حديثاً مثل السيّد الحميري، و ينظم فيهم تلك الأشعار المنسوبة إليه[3]؟

١ـ راجع: رجال الكشّي، ص ١٥٤ و ١٥٦.

٢ـ إشارة إلى حديث جاء في كتاب الغيبة، للنعماني، ص ٢٢٧.

٣ـ ديوان السيّد الحميري، ص ٣٦٩ ـ ٣٥٧.

و جواب ذلك هو: عـلى فـرض صـحّة مـا نُسب إلى زرارة ـكـما قـال البعض[1] ـ ينبغي القول بأنّه كان يعلم من هو وصيّ الإمام، و لكنّه لم يكـن واثقاً من جواز إظهار ما يعلم، أو يتظاهر بعدم العلم تقيّة[2].

إضافة إلى أنّه لم تكن قائمة أسماء الأئمّة من الأمور الشائعة و المعروفة عند الناس، بل أنّ التقيّة فرضت أن لا يطلع عليها إلّا الخواصّ. و لهذا فقد ورد في بعض هذه الأحاديث أنّ الإمام أو الراوي الأوّل للحديث، يوصي من يليه أن لا يفشيه لغير أهله، و لا يذيعه لعامّة الناس. و نضرب على هذا مثالاً برواية وردت في «الكافي» و جاء فيها:

نقل عبدالرحمن بن سالم عن أبي بصير عن أبي عبداللّه عليه السلام قال:

«قال أبي لجابر بن عبداللّه الأنـصاري: إنّ لي إليك حـاجة، فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر: في أي الأوقات شئت. فخلى به أبوجعفر عليه السلام، و قـال له يـا جابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أُمي فاطمة بنت رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله و ما أخبرتك به أنّه في ذلك اللوح مكتوباً. فقال جابر: أُشهد باللّه أنّي دخلت على أُمّك فاطمة عليها السلام فـي حياة رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله اهنئها بولادة الحسين عليه السلام فرأيت فـي يدها لوحاً أخضر، و أخذ يسرد له ما جرى و ما شاهده في ذلك اللوح من أسماء الأوصـياء، و أنّـه قـد اسـتأذنها فـي

١ـ راجع: مكتب در فرايند تكامل، ص ١٩٨.

٢ـ كمال الدين، ص ٧٥؛ الإمامة و التبصرة، ص ١٤٨.

استنساخه فأذنت له بذلك. فقال له أبي: فهل لك أن تعرضه عليَّ؟ فقال: نعم فمشى معه حتّى انتهى إلى منزل جابر، و رأى ذلك اللوح و قرأ ما فيه».

تجدر الإشارة إلى أنّه ذكرت في ذلك اللوح أسماء و خـصائص جـميع الأئمّة عليهم السلام.

و جاء في ختام هذا الحديث أنّ أبا بـصير الذي هـو الراوي الأوّل لهـذا الحديث، قال لعبدالرحمن بن سالم: لو لم تسمع في دهرك إلّا هذا الحـديث لكفاك، فصُنه إلّا عن أهله[1].

و أسطع دليل على أنّه لم يكن من الصواب إظـهار وصـيّ كـلّ إمـام إلّا للخواصّ، هو مواقف حكومات بني‌أُمية و بني‌العباس من الأئمّة عليهم السلام. فـقد كان جميع الأئمّة ـ بشهادة التاريخ ـ و حتّى الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام، تحت رقابة صارمة من الحكومات، و أنّه لم يرحل أيٌّ منهم من هذا العـالم بشكل طبيعي كما ينصّ الحديث المشهور: «**ما مِنّا إلّا مسموم أو مقتول**»[2].

الإشكال الثالث: سؤال الأصحاب من الأئمّة المتأخّرين عن أوصيائهم

إذا كانت أحاديث «الاثني عشر خليفة» رائجة بين الشيعة فـي القـرنين الأوّل و الثاني و فيها علائم الأئمّة و خصائص كلّ واحد منهم، فلماذا كـان

١ـ الكافي، ج ١، ص ٥٢٧.

٢ـ بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٢١٧؛ ج ٤٣، ص ٣٦٤، نقله الإمـام الحسـن المـجتبى عليه السلام عـن رسول‌اللّه صلى الله عليه و آله.

أصحاب الأئمّة المتأخّرين في جهل أو شكّ و اضطراب بشأن أوصيائهم و يسألون الإمام عن وصيّه؟ و هذا ما يتّضح من خلال الروايات التالية:

١ـ قال إسماعيل بن مهران، عند إحضار الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد من قبل المعتصم، سألته: «إلى من يكون هذا الأمر بعدك؟»[١].

٢ـ يفيد الخبر الذي نقله الحسين بن محمّد عن الخيراني عن أبيه الذي كان خادم الإمام الجواد، أنّ رؤساء الشيعة اجتمعوا بعد استشهاده عند محمّد بن الفرج يتفاوضون هذا الأمر؛ أي أمر وصيّ الجواد. ثمّ إنّ محمّد بن الفرج أخبر والد الخيراني ـ خادم الإمام ـ بخبر هذا الاجتماع، فحضر إلى ذلك الاجتماع، و سألوه عمّا لديه، فأخرج لهم رقعة فيها وصيّة الجواد بتعيين الهادي وصياً و خلفاً له[٢].

٣ـ قال علي بن مهزيار: قلت للإمام الهادي عليه السلام: إن كان كَون ـ و أعوذ باللّه ـ فإلى من؟ قال:

«عهدي إلى الأكبر من ولدي»[٣].

٤ـ جاء في رواية علي بن عمرو العطّار القزويني: قال: دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام و أبو جعفر ابنه كان عنده و أنا أظنّ أنّه هو، فقلت له: جُعلت فداك من أخصّ من ولدك؟ فقال:

«لا تخصّوا أحداً حتّى يخرج إليكم أمري». قال: فكتبت إليه بعد: فيمن يكون هذا الأمر؟ قال: فكتب إليَّ: «في الكبير

١ـ الكافي، ج ١، ص ٣٢٣، ح ١.
٢ـ المصدر السابق، ح ٢.
٣ـ المصدر السابق، ص ٣٢٦، ح ٦.

من ولدي». قال علي بن العطّار: و كان أبو محمّد (أي الإمام العكسري عليه السلام) أكبر من أبي جعفر (يعني السيّد محمّد)[١].

٥ـ جاء في رواية أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند الإمام الهادي عليه السلام بعد وفاة ابنه أبي جعفر (أخ الإمام العسكري عليه السلام)، و كأنّي أُفكّر في نفسي أريد أن أقول: كأنّهما أعني أبا جعفر و أبا محمّد (الإمام العسكري) في هذا الوقت كأبي الحسن موسى و إسماعيل ابني جعفر بن محمّد عليهما السلام، و أنّ قصّتهما كقصّتهما، إذ كان أبو محمّد المرجي بعد أبي جعفر عليه السلام. فأقبل عليَّ أبو الحسن قبل أن أنطق فقال:

«نعم يا أبا هاشم بدا للّه في أبي محمّد بعد أبي جعفر ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله...»[٢].

تجدر الإشارة إلى أنّ مسألة البداء بالنسبة إلى وصيّ الإمام الهادي عليه السلام أيضاً لا تنسجم مع رواج و شيوع حديث «الاثني عشر خليفة» أو «إماماً» مع كامل أسمائهم و أوصافهم بين الشيعة في القرنين الأوّل و الثاني.

٦ـ رواية شاهوية بن عبداللّه الجلّاب التي قال فيها:

«كتب إليَّ أبوالحسن في كتاب: أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر (سيّد محمّد أخو الإمام العسكري)، و قلقت، فلاتغتم فإنَّ اللّه عزّ وجلّ ﴿**لِيُضِلَّ قَوماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتّى يُبَيِّنَ لَهُمْ**

١ـ المصدر السابق، ح ٧.
٢ـ المصدر السابق، ص ٣٢٧، ح ١٠.

﴿مَا يَتَّقُون﴾[١] و صاحبك بعدي أبو محمّد ابني... ﴿مَا نَنْسَخ مِنْ آيَةٍ أو نُنْسِها نَأتِ بِخَيْرٍ مِنْها أو مِثْلِها﴾[٢]...»[٣].

للإجابة عن هذا الإشكال لابدّ من ذكر عدّة أُمور:

١ ـ أكثر الروايات التي ذكرت في هذا المجال ضعيفة من حيث السند و غير موثّقة.

ففي سند الرواية الأُولى إسماعيل بن مهران، و هو الراوي الأصلي، و هو عند الشيخ و النجاشي ثقة، و لكن ابن الغضائري قال فيه: «ليس حديثه بالنقيّ يضطرب تارة و يصلح أُخرى و روى عن الضعفاء كثيراً». و قال الكشي: «رُمي بالغلوّ»[٤].

و أمّا الرواية الثانية فقد رواها «الكافي« عن حسين بن محمّد و هو غير موثّق في كتب الرجال.

و في سند الرواية الثالثة محمّد بن أحمد القلانسي الذي يروي عن علي بن مهزيار، و هو موضع اختلاف؛ فقد وثّقه الكشي و العلّامة، بينما وصفه النجاشي و الميرزا محمّد الاسترآبادي صاحب كتاب «الرجال الوسيط»، بالمضطرب. و قال ابن الغضائري «إنّه ضعيف و يروي عن الضعفاء». و قال العلّامة في «الخلاصة»: و عندي توقّف في روايته لقول الشيخين فيه أنّه مضطرب[٥]. (مع أنّ العلّامة وثّقه واعتبر حديثه حسناً).

١ ـ التوبة (٩): ١١٥.
٢ ـ البقرة (٢): ١٠٦.
٣ ـ الكافي، ج ١، ص ٣٢٨، ح ١٢.
٤ ـ جامع الرواة، ج ١، ص ١٠٣.
٥ ـ المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٠.

و على هذا الأساس، رغم أنّ السؤال الذي وجّه إلى الإمام الهادي عليه السلام عمّن يكون وصيّه، قد نُسب إلى علي بن مهزيار، و هو من كبار رجال الشيعة و من خواصّ أصحاب الإمام الهادي عليه السلام و لكن راوي هذا الحديث، و هو محمّد بن أحمد غير موثّق.

و أمّا الرواية الرابعة، فإنّ علي بن عمرو العطّار القزويني قد أثنى عليه صاحب «جامع الرواة» إلى حدٍّ ما في سياق شرحه لشخصية علي بن عبدالغفّار[١]، و لكن ليس في كتب الرجال ذكر لأبي محمّد الأسبارقيني الذي نقل عنه هذا الحديث. و لهذا لا يمكن الاعتماد على نقله. و بالإضافة إلى ذلك و على فرض صحّة سند الحديث، فإنّ هذا لا يطعن في الموضوع. و ذلك لأنّ علي بن عمرو العطّار ـ و هو ممدوح أيضاً ـ لا يصل قطعاً إلى حدّ أمثال زرارة الذي كان من أعاظم رجال الشيعة و أقطابها، و لا يُستبعد طبعاً جهله بوصيّ الإمام الهادي و مضمون حديث الاثني عشر خليفة.

و الحديث الخامس روى محتواه أبو هاشم الجعفري، و هو من أعاظم الشيعة، و كان جليل القدر و له منزلة عظيمة عند الإمام الجواد، و الإمام الهادي، و الإمام العسكري عليهم السلام، و موضع ثقة عندهم[٢]. و لكن إسحاق بن محمّد الذي نقل عنه الحديث مشترك بين إسحاق بن محمّد بن أحمد و إسحاق بن محمّد البصري، و كلاهما ضعيفان. فأوّلهما ضعيف استناداً إلى قول ابن الغضائري: «فاسد المذهب، كذّاب في الرواية، وضّاع

١ ـ المصدر السابق، ج ١، ص ٥٨٩ ـ ٥٩٠.
٢ ـ المصدر السابق، ص ٣٠٧.

للحديث، لا يلتفت إلى ما رواه»، فيما كان الثاني متّهماً بالغلوّ عند العلّامة والكشي[1].

و أمّا الحديث السادس فقد نقل محتوى قصّته شاهويه بن عبداللّه الجلّاب، و هذا الراوي غير موثّق عند رجال الحديث. كما يوجد في سلسلة سند الحديث إسحاق بن محمّد الذي مرّ ذكره في سند الحديث الخامس أيضاً. و قيل: أنّه ضعيف.

فهذه الروايات لا يمكن أن تكون مستندة للإشكال الثالث.

٢ـ و كما ذكرنا سابقاً فإنّ جلاوزة حكومة بني‌أُمية و بني‌العبّاس قد استغلوا الأحاديث التي تقول: «أنّ الخلفاء اثنا عشر»، و حاولوا بشتّى الحيل و الأساليب تطبيقها على تلك الحكومات. و هذا ما جعل الشيعة ينظرون إليها بعين الريبة و يعتبرونها موضوعة و مدسوسة من قبل جلاوزة الحكومات. وكان من الطبيعي في مثل تلك الظروف أن يهمل الشيعة تلك الأحاديث و يزيلونها من أذهانهم، بحيث أنّها أضحت مجهولة بالنسبة إلى الناس العاديين من أصحاب الأئمّة عليهم السلام، و خاصّة الأئمّة المتأخّرين.

٣ـ في ظلّ الظروف السياسية العصيبة التي عاشها الأئمّة المتأخّرون حيث كان هناك شعور فائق بالخطر من التصريح باسم الإمام التالي و وصيّ الإمام الحالي، لايستبعد أن يرى الأئمّة المتأخّرون أنّ المصلحة تقتضي أن لايُشاع اسم و خصائص الإمام اللاحق في الأوساط العامّة و هو ما يعني أيضاً اطّلاع السلطات عليه، و يتظاهرون و كأنّ الإمام التالي مجهول حقّاً،

١ـ المصدر السابق، ص ٨٧ و ٨٨.

بحيث لا يكون على معرفة بالأمر إلّا الثقاة من الخواصّ. و لعّل «البداء» في وصاية الإمام الهادي عليه السلام يشير إلى هذه الحقيقة أيضاً. أي أنّ مصالح الشيعة كانت تقتضي أن تكون ظواهر الأمور في ما يخصّ استخلاف الإمام الهادي عليه السلام على غير ما كان في الواقع و ظهر لاحقاً.

و من الطبيعي أيضاً أنّ أصحاب الأئمّة لم يكونوا في مستوى واحد، و لم يكن كلّ خواصّ أصحابهم مطّلعين على جميع الأُمور السريّة للأئمّة عليهم السلام؛ و ذلك لاختلاف القدرة على التحمّل و الاستيعاب لدى كلّ واحد منهم؛ إذ ربّما يكون أحدهم على درجة عالية من الإمانة و الوثاقة و تحمّل الأحكام و المعارف، و لكنّه لا يكون على ذلك المستوى في تحمّل و كتمان القضايا السياسية و ذات الطابع السري. و لهذا فربّما يكون أحدهم موضع ثقة الأئمّة عليهم السلام في الجانب الأوّل، و لكن لا يمكن الاعتماد عليه في الجانب الثاني في ما يخصّ كتمان الأسرار حينما يتعرّض للاعتقال.

كتاب الإمام الجواد عليه السلام إلى علي بن مهزيار

جاء في أحد كتب الإمام الجواد عليه السلام إلى علي بن مهزيار ما يلي:

«و أسأل اللّه أن يحفظك من بين يديك و من خلفك و في كلّ حالاتك؛ فأبشر فإنّي أرجو أن يدفع اللّه عنك. و أسأل اللّه أن يجعل لك الخيرة في ما عزم لك به عليه من الشخوص في يوم الأحد، فأخّر ذلك إلى يوم الاثنين...»[1].

١ـ رجال الكشّي، ص ٥٥٠، ح ١٠٤٠.

و يُفهم من محتوى هذا الكتاب أنّ الإمام الجواد عليه السلام كان يخشى على علي بن مهزيار من الأعداء.

و على هذا الأساس، فقد كان حكم الشرع و العقل يحتّم على الأئمّة المتأخّرين في تلك الظروف الصعبة التي تستلزم التقيّة أن لا يفضوا بالقضايا المهمّة و السرية و المصيرية إلّا إلى الخواصّ من أصحابهم مع أخذ جميع الحسابات السياسية بنظر الاعتبار. و في ضوء ما سبق ذكره، فلا غرابة لو كان بعض خواصّ الأئمّة عليهم السلام غير مطّلعين على من سيخلف الإمام الحالي في الإمامة. كما لا ينبغي التشكيك في صحّة صدور أحاديث الاثني عشر خليفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و لا يدعو إلى الطعن بها.

و استناداً إلى هذا فإنّ فكرة «الاثني عشر أميراً» أو «خليفة» أو «إماماً»، قبل أن يطرحها أمثال المرحوم الكليني في أواخر القرن الثالث أو في رأس القرن الرابع، كانت قد طرحت من قبل محدّثي و دعاة بني‌أُمية في القرن الأوّل، ثمّ طرحها بعد ذلك المحدّث المصري ليث بن سعد في كتابه «الأمالي»، ثمّ طرحها أبو داود الطيالسي في «مسنده»، و نعيم بن حمّاد في «الفتن»، و من بعدهم طرحها أبو داود في «سننه» في أوائل القرن الثالث، و من قبله طرحها مسلم في «الصحيح» تحت عنوان **الأئمّة اثنا عشر**. (تجدر الإشارة إلى أنَّ أباداود توفّي في عام ٢٧٥ للهجرة، و توفّي مسلم في عام ٢٠٤ للهجرة).

و في ضوء ما سبق ذكره هل يُعقل أن تكون نظرية الخلفاء أو الأئمّة الاثني عشر و الأحاديث الدالّة عليها في القرن الأوّل مطروحة في القرن

الأوّل لدى أنصار بني‌أُمية، و في القرن الثاني و الثالث لدى علماء و محدّثي أهل السنّة كالطيالسي و نعيم بن حمّاد، و مسلم، و أبي‌داود، و لا تكون مطروحة لدى علماء و محدّثي الشيعة و خواصّ أصحاب الأئمّة، ثمّ تطرح فجأة في القرن الرابع، كما يدّعي الكاتب.

الإشكال الرابع: شدّة اختلاف الآراء حول الإمام بعد الحسن العسكري عليه السلام

قلنا: إنّ الخلفاء الاثني عشر لرسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قد عيّنوا بأسمائهم و خصائصهم، و إذا كان الأمر كذلك، فلماذا وقع بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام اختلاف شديد بين الشيعة و حتّى بين أصحاب الأئمّة، حول وصيّه و الإمام الذي يأتي بعده، إلى أن وصل الحال إلى ظهور أربع عشرة فرقة كما يحدّثنا التاريخ، و كلّ فرقة منها اتّخذت لها إماماً خاصّاً بها؟ و على صعيد آخر جاء في بعض الأحاديث المرويّة حول الإمام المهدي (عج) أنّه تكون له غيبة و حيرة[1]. فكيف تنسجم هذه الحيرة مع حديث «الاثني عشر خليفة» الذي يعين أسماء و أوصاف الخلفاء الاثني عشر للنبي؟

و الجواب عن ذلك هو: في ما يخصّ الشطر الأوّل من هذا الإشكال يقال: بأنّ مجرّد اختلاف عموم الشيعة حول مصداق الإمام الذي يلي الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي نشأ لأسباب و ظروف و دوافع شتّى، لا يدلّ منطقياً على بطلان النظرية الكلّية لخواصّهم في ما يتعلّق بولادة و وجود إمام الزمان و غيبته، و إلّا فلابدّ من القول بأنّ الاختلاف و ظهور الفرق في زمان معيّن أو في

١ـ الكافي، ج ١، ص ٣٣٨، ح ٧.

أزمنة متعدّدة حول أحقّية أو بطلان عقيدة، أو أنّ شخصاً بعينه يُعتبر أو لايُعتبر مصداقاً لعنوان معيّن، يُعدُّ دليلاً على بطلان كلّ ذلك حتّى في رأي تلك الفرق نفسها.

و على هذا الأساس فعلى من يثير مثل هذا الإشكال أن يقرّ بصحّة ما ذهب إليه حتّى في ما يخصّ نبوّة رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و من ادّعوا النبوّة من أمثال: طليحة، و سجاح، و مسيلمة و الأسود العنسي، الذي نجح كلّ واحد منهم في أقناع الناس بالاعتقاد بنبوّته، و يلتزم ببطلان أصل النبوّة و كذلك الحال بالنسبة إلى اليهود و النصارى الذين أنكروا نبوّته، و اليهود الذين آمنوا بخاتمية نبوّة موسى، و النصارى الذين آمنوا بخاتمية نبوّة عيسى، رغم أنّ القرآن قد نصّ بصريح العبارة على أنّ خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم مذكورة في **التوراة و الإنجيل**[1].

و هذا ينطبق أيضاً على الفرق و المذاهب الإسلامية، و الإشكال المذكور آنفاً يستلزم أن تكون كلّها باطلة، في حين أنّ هناك رواية نقلها الصدوق عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيها:

> **«سيأتي على أُمّتي ما أتى على بني‌إسرائيل مثل بمثل و أنّهم تفرّقوا على اثنين و سبعين ملّة، و ستفترق أُمتي على ثلاث و سبعين ملّة تزيد عليهم واحدة كلّها في النار غير واحدة»** قيل: يا رسول‌اللّه و ما تلك الواحدة؟ قال: **«هو ما نحن عليه أنا و أصحابي»**[2].

١ـ الأعراف (٧): ١٥٧.
٢ـ معاني الأخبار، ص ٤٣٧.

و عليه أيضاً أن يعتبر ظهور الفرق المتعدّدة في ما يخصّ خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم دليلاً على بطلان أصل موضوع الخلافة و جميع الفرق التي انبثقت بسببها. في حين أن الشخص الذي أثار هذا الإشكال لا يقبل بمثل هذا الالتزام و لا يقول به.

و على هذا الأساس فإنّ ظهور الفرق بعد شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام لا يعتبر دليلاً على بطلان نظرية الإمام الحيّ الغائب كلّياً، نعم يعتبر دليلاً على عدم إجماع الشيعة في ذلك الزمان على هذا المعتقد. و على هذا الأساس يُقسم الشيعة إلى فرقة إمامية و غير إمامية، و نحن طبعاً لم نتمسّك بإجماع الشيعة المعاصرين للإمام الحسن العسكري عليه السلام لإثبات ولادة و حياة و غيبة إمام الزمان (عج). و إنّما نتمسّك لإثبات رأي الشيعة ببعض الأحاديث التي أُشير إليها إجمالاً في كتاب «موعود الأديان».

و على صعيد آخر لعلّنا نستطيع القول بأنّ الاختلاف الذي احتدم حول وصيّ و خليفة الإمام الحسن العسكري يمكن أن يتّخذ كدليل على أنّ الفرق الأربعة عشر كانت كلّها متّفقة على أصل قضية إمام الزمان، و لكنّها كانت مختلفة على شخصه. و نحن إذا وافقنا على هذا الرأي و أخذنا بنظر الاعتبار الشروط و المعايير التي تُستشف من القرآن و سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ما يخصّ الخلافة يمكننا أن نشخص وصيّه الحقيقي. و هذه الشروط لا تنطبق إلّا على ما يقول به الشيعة الإمامية، و هو ما أُشير إليه في مواضع متعدّدة من كتاب «موعود الأديان».

و أمّا بالنسبة إلى الشطر الثاني من الإشكال فهو أنّ الحيرة التي ذُكرت في بعض الأحاديث لا تنسجم مع ما ذُكر من النصّ على أسماء الخلفاء الاثني عشر، فينبغي القول ـ إضافة إلى ما جاء في سياق الإجابة عن الشطر الاوّل من الإشكال ـ بأن الأحاديث الدالّة على الحيرة أكثر ما تتعلّق بطول مدّة الغيبة، التي يؤدّي طولها إلى ضلال بعض الأقوام و الفِرق. و وفقاً لما تنبّأ به المعصومون عليهم السلام في تلك الأحاديث يقول البعض: «أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام لم يولد له مثل هذا الولد أصلاً»، و يقول آخرون: «ولد له هذا الولد و لكن مات في أيام حياة الإمام الحسن»، و ما إلى ذلك من الأقوال[1].

و الحقيقة هي أنّ هذه الأحاديث تشير إلى ذلك الاختلاف و ما نجم عنه من ظهور تلك الفرق بشأنه. و هذه طبعاً من التنبّؤات العجيبة التي تحقّقت و أثبتت أحقّية المذهب الشيعي.

حديث «من مات و لم يعرف إمام زمانه...»

أحد الأحاديث التي شكّك الكاتب فيها بسبب ضعفها ـ حسب رأيه ـ و عدم دلالتها على الإمام المعصوم، هو الحديث القائل: «**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**». و نشير طبعاً إلى أنّ الكاتب لم يبيّن كعادته سبب ضعف أو عدم دلالة هذا الحديث على الأئمّة المعصومين. و في ما يخصّ الكتب التي نقلت هذا الحديث نودّ الإشارة إلى الأُمور التالية: ففضلاً

١ـ الكافي، ج ١، ص ٣٣٨ و ٣٤٠؛ الغيبة، للنعماني، ص ٨٩، ٢٠٦ و ٢٠٨؛ كمال الدين، ص ٤٠٨؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ص ٦٨.

عن الكتب التي سُردت في كتاب «موعود الأديان»[1]، نقلت هذا الحديث عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب أُخرى من كتب أهل السنّة، و هي كالآتي:

١ـ «صحيح البخاري»[2].

٢ـ «صحيح مسلم»[3].

٣ـ «مسند أبي داود» الطيالسي[4].

٤ـ «مستدرك الحاكم»[5].

٥ـ «حلية الأولياء»[6].

٦ـ «سنن البيهقي»[7].

٧ـ «شرح صحيح مسلم» للنووي[8].

٨ـ «تفسير ابن كثير»[9].

٩ـ «الجواهر المضيئة»[10].

١٠ـ «شرح المقاصد» التفتازاني[11].

و من الجدير بالذكر هنا أنّنا إذا أضفنا هذا العدد من الكتب، إلى الكتب الأُخرى لأهل السنّة التي أُدرجت في كتاب «موعود الأديان» يكون مجموع

١ـ موعود الأديان، الفصل الأوّل. ٢ـ صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٣، باب الفتن.
٣ـ صحيح مسلم، ج ٦، ص ٢٢ ـ ٢١، ح ١٨٤٩.
٤ـ مسند أبي داود، ص ٢٥٨. ٥ـ المستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ٧٧.
٦ـ حلية الأولياء، ج ٣، ص ٢٢٤. ٧ـ السنن الكبرى، البيهقي، ج ٨، ص ١٥٦.
٨ـ شرح صحيح مسلم، ج ١٣، ص ٤٤٠. ٩ـ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥١٧.
١٠ـ الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ٥٠٩.
١١ـ شرح المقاصد، ج ٢، ص ٢٧٥، استناداً إلى نقل منتخب الأثر، ج ١، ص ٢٧٦.

كتب أهل السنّة التي نقلت هذا الحديث أربعة عشر كتاباً.

و كيف يُمكن أن يوصف حديث بالضعف إذا رواه أربعة عشر من محدّثي و كبار علماء أهل السنّة، نقلاً عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم[1]؟!

تطبيق حديث «من مات و لم يعرف إمام ...» على الأئمّة المعصومين عليهم السلام

بالإضافة إلى ما ذهب إليه الكاتب من القول بضعف هذا الحديث، فقد شكّك أيضاً في انطباقه على الأئمّة الاثني عشر، و على الإمام المهدي الذي يعتبر وفقاً لهذا الحديث هو إمام الزمان في عهد الغيبة، في حين أنّ هذا الحديث لا ينطبق أبداً سوى على الأئمّة الاثني عشر، لأنّ هذا الحديث قد ذمّ ميتة الجاهلية، و فرض على الجميع معرفة إمام زمانهم تحاشياً لمثل هذه الميتة الجاهلية. و إذا كان محتماً على الجميع معرفة إمام زمانهم، فلابدّ إذاً من وجود إمام في كلّ زمان. هذا طبعاً مع العلم بأنّ الإمام الذي فرضت معرفته من أجل إزالة الجاهلية لا يمكن أن يكون إماماً جاهلاً أو فاجراً و فاسقاً؛ و ذلك لأنّ الغاية من معرفة الإمام هي أن يهتدي به الناس إلى الصراط المستقيم البعيد عن الخطأ و الجهل. و هذا الهدف لا يتحقّق أيضاً من غير اتّباع الناس للإمام.

إذاً فرضت على الناس معرفة الإمام من أجل أن يهديهم نحو الكمال و السعادة و يبعدهم عن الضلال. و إذا قلنا بأنّ المراد من الإمام هنا كلّ حاكم

١ـ المصلح العالمي من النظرية إلى التطبيق، ص ٣٩.

حتّى و إن كان جاهلاً و فاسقاً، فمن الطبيعي أنّ هذا نقض للغرض و يفضي بالناس و بالأُمّة إلى مسير الانحطاط و الضلال.

و جملة «**ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً**» الواردة في حديث الثقلين تدلّ على هذا المعنى أيضاً. و هناك أحاديث أُخرى يمكن اتّخاذها قرينة لتفسير هذا الحديث بالأئمّة الاثني عشر، و لكنّنا لاندخل في بيانها تجنّباً للإطالة.

و على صعيد آخر لا يمكن القول أنّ المراد من إمام الزمان في هذا الحديث هو الإمام العادل، و ليس الإمام المعصوم؛ و ذلك أوّلاً: لأنّ كلمة «**المعرفة**» لها صلة بالجانب الاعتقادي و المبدئي، و استعمال كلمة المعرفة لغير المعصوم غير متداول و لا هو معروف حتّى و إن كان عادلاً.

و ثانياً: أنّ ميتة الجاهلية بشكل مطلق في حالة عدم معرفة الإمام تصدق على عدم معرفة الإمام المعصوم لا الإمام العادل غير المحفوظ من الجهل والخطأ و الزلل حتّى في الصغائر. و الدليل على ذلك حديث رواه المرحوم الصدوق عن محمّد بن عثمان العمري ـ النائب الثاني للإمام المهدي (عج) ـ و جاء فيه:

> إنّ النائب الثانى للإمام المهدي (عج) قال: «سمعت أبي الحسن العسكري عليه السلام يقول ـ في جواب السؤال عن الحجّة بعده ـ: «**الحجّة بعدي ابني**»، ثمّ قال: «**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»[1].

١ـ كمال الدين، ص ٤٠٩.

و وفقاً لهذا الحديث اعتبر الإمام العسكري ميتة الجاهلية ملازمة لعدم معرفة ابنه الذي هو إمام معصوم.

حديث: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض»

من الأحاديث الشبيهة بـ«حديث الثقلين» و حديث «خلفائي اثنا عشر»، و حديث «**من مات و لم يعرف إمام زمانه...**»، و الدالّة على أنّه يجب أن يكون هناك في الأُمّة في كلّ زمان واحد من أهل‌البيت و من عترة النبي، هناك حديث منقول عن رسول‌اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه:

«النجوم أمان لأهل السماء و أهل بيتي أمان لأهل الأرض» أو **«أمان لأُمّتي من الاختلاف»**.

جاء في كتاب «ذخائر العقبى» أنّ أبا عمرو الغفاري نقل هذا الحديث على النحو التالي:

«النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهبت السماء و أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

ثمّ قال صاحب «ذخائر العقبى»: هذا الحديث أخرجه أحمد في «المناقب»[١].

و المقصود من كتاب أحمد هو كتاب «فضائل الصحابة». و نقل الحاكم النيسابوري هذا الحديث على النحو التالي:

١ـ منتخب الأثر، ج ١، ص ٢٧٥ نقلاً عن المستدرك، ج ٣، ص ١٤٩.

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف»[١].

و قال ابن حجر في كتاب «الصواعق»: اعتبر الحاكم هذا الحديث صحيحاً على أساس شروط الشيخين ـ مسلم و البخاري ـ لصحّة الحديث[٢].

و جاء في بعض كتب أهل السنّة في نهاية هذا الحديث ـ الذي نقل بالشكل الأخير ـ الجملة التالية: **«فإذا خالفها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس»**[٣].

و قد نقل الروياني هذا الحديث في مسنده بدون التتمة المذكورة آنفاً[٤].

و قد نسب السخاوي في كتابه «استجلاب ارتقاء الغرف» هذا الحديث إلى مسند ابن أبي شيبة، و أبي ليلى[٥]. و تجدر الإشارة إلى أنّه أفرد في كتابه باباً جعله تحت عنوان: «باب الأمان ببقائهم و النجاة في اقتفائهم»[٦].

و أشار المناوي في «فيض القدير» إلى كثرة طرقه[٧].

٢ـ المصدر السابق.

٣ـ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٤٩؛ الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ٢٦٦؛ فضائل الصحابة، ج ٣، ص ٦٧١، ح ١١٤٥؛ الصواعق المحرقة، ص ١١١ و ١٤٠؛ ذخائر العقبى، ص ١٧؛ كنز العمّال، الحديثين ٣٤١٨٨ و ٣٤١٨٩؛ الجامع الصغير، ج ٢، ح ٩٣١٣؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٧٤؛ فيض القدير، ج ٦، ص ٢٧٩.

٤ـ مسند الروياني، ج ٣، ص ٢٥٨.

٥ـ استجلاب ارتقاء الغرف، ج ٢، ص ٤٧٧.

٦ـ المصدر السابق.

٧ـ فيض القدير، ج ٦، ص ٣٨٦.

و سمّى السمهودي في كتابه «جواهر العقدين» باباً بهذا العنوان: «ذكر أنّهم أمان الأُمّة و أنّهم كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق»[1]. و ورد هذا الحديث بعدّة صور في كتاب «غاية المرام» نقلاً عن «فرائد السمطين» للحموييني[2].

تواتر الحديث

نظراً إلى كثرة طرق هذا الحديث و تعدّد ما نقله من كتب أهل السنّة عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم، يتبيّن أنّ صدوره قطعي في نظر أهل السنّة. و أمّا عن طرق الشيعة و في كتبهم فإنّ هذا الحديث قد نُقل بما يفوق حدّ التواتر. و بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين نقلوا عنه هذا الحديث و ذُكرت أسماؤهم في كتب الشيعة و أهل السنّة، هم: علي بن أبي طالب عليه السلام، و ابن عبّاس، و سلمة بن الأكوع و أبوه، و جابر بن عبدالله الأنصاري، و أبو سعيد الخدري.

دراسة دلالة الحديث على هذا الموضوع

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الحديث قد نُقل بصور مختلفة، و لكن يلاحظ أنّ جملة «**أهل بيتي أمان لأهل الأرض**» أو «**أهل بيتي أمان لأُمّتي**» موجودة في كلّ الصور التي نُقل بها هذا الحديث. و جاء في بعض كتب أهل السنّة و الشيعة أنّ هذا الحديث كان موجهاً من رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام علي عليه السلام، و خاطبه فيه قائلاً:

١ـ جواهر العقدين، ص ٢٥٩.
٢ـ غاية المرام، المقصد الأول، الباب ٦٢.

«يا علي... مثلكم مثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة»[1].

إذاً يمكن القول أنّه نظراً إلى تواتر المضمون العامّ للحديث، فلابدّ أن يكون أحد المضامين الثلاثة المذكورة آنفاً قد صدر قطعاً عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أي لدينا علم إجمالي بصدور أحد المضامين الثلاثة السابق ذكرها. و أيٌّ كان الذي صدر منها فهو يدلّ على أنّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابدّ أن يكونوا بين الناس في جميع الأزمنة؛ و ذلك لأنَّ مفاد جملة: «**أهل بيتي أمان لأهل الأرض**» هو طالما أنّ أهل الأرض موجودون، فأهل البيت موجودون أيضاً. و نحن نكتشف عن طريق «البرهان الإنّي» أنّه عند وجود أهل الأرض فإنّ أهل‌البيت موجودون حالياً.

و مفاد جملة «**أهل بيتي أمان لأُمّتي**» يعني أيضاً مادامت أُمّة النبي موجودة فإنّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجودون أيضاً، و نحن ندرك من وجود أُمّة النبي حالياً، وجود أهل‌البيت في هذا الزمان. و مفاد جملة «**يا على ... مثلكم مثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة**» التي جاءت في الحديث الأخير هو أنّه متى ما غاب نجم من ذرّية علي عليه السلام، طلع نجم آخر إلى يوم القيامة. و في هذا الحديث يوجّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطابه إلى علي عليه السلام قائلاً له: «**إنّ مثلكم أهل‌البيت كمثل النجوم**». إذاً فلابدّ أن يكون الغياب و الطلوع متعلّقاً و بأُناس من أهل‌البيت و الأئمّة، و تكون لهم قدرة على نجاة الناس كعلي و ليس أيّ فرد من ذريّته، لأنّه لا يمكن وضع كلّ ذرّية علي في

١ـ فرائد السمطين، ج ٢، ص ٢٤٣ و ٥١٧؛ الأمالي، الصدوق، ص ١٨؛ كمال الدين، ص ٢٤١، ح ٦٥.

عَرضه و اعتبارهم عِدلاً له، و ليس كلّ ذرّية علي مصداق لـ«**مثلكم**».

و على هذا الأساس يُفهم بوضوح من المضامين الثلاثة المذكورة، أنّه لابدّ أن يكون هناك في كلّ زمان واحد من أهل‌البيت حاضراً، أو غائباً.

و قد استفاد السمهودي في كتابه «جواهر العقدين» في سياق تفسير حديث الثقلين، هذا المعنى أيضاً من «**حديث الثقلين**»، و حديث «**أهل البيت**»، و قال ما يلي:

> و من خلال فرض النبي وجوب التمسّك بالقرآن و العترة بشكل مطلق في كلّ زمان، يُفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من أهل‌البيت و العترة الطاهرة في كلّ زمان وجدوا فيه إلى قيام الساعة، حتّى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسّك به كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، و لهذا كانوا أماناً لأهل الأرض؛ فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض[١].

إشكال و جوابه

يمكن أن يقال: قد ورد في بعض الروايات أنّ النبي ﷺ جعل أصحابه أمنة لأُمّته، كقوله ﷺ: «**و أصحابي أمنة لأُمّتي فإذا ذهب أصحابي أتى أُمّتي ما يوعدون**»[٢].

و لكن يجاب عنه بأنّ هذه الرواية مضافاً إلى تعارضها مع الروايات المنقولة عن طريق أهل السنّة ـ و قد مرّ نقلها ـ لا يصحّ مفادها بنحو عامّ و

١ـ جواهر العقدين، ص ٢٤٤ و ٢٥٩. ٢ـ التاج الجامع للأُصول، ج ٣، ص ٣٠٥.

مطلق، إذ في أصحاب النبي ﷺ من ذمّ في القرآن بالشدّة و عبّر عنه بالمنافق كقوله تعالى: ﴿**وَ مِمَّن حَولكم مِن الأعرَابِ يُنافِقونَ وَ مِن أهلِ المَدينَةِ مَرَدُوا عَلى النِفاقِ لا تَعلَمُهُم نَحن نَعلَمُهم سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتينِ...**﴾[١].

و من كان في حادثة الإفك و سعى في اتّهام عائشة بالفحشاء كما أُشير إليه في آيات ١١ إلى ١٧ من سورة النور. و من ترك النبي ﷺ حال قرائته خطبة صلاة الجمعة و أُشير إليه في سورة الجمعة الآية ١١: ﴿**وَ إذا رَأوا تِجارَةً أو لَهواً انفَضُّوا إليها وَ تَرَكوك قائماً**﴾.

و أيضاً كان في أصحاب النبي ﷺ من قصد فتك النبي ﷺ و قتله حين رجوعه من حرب تبوك عند العقبة.[٢] فعلى هذا لا يمكن العمل بظاهر الحديث المذكور و القول: بأنّ جميع أصحاب النبي ﷺ كانوا أمنة لأُمّته.

بشارة التوراة و نقد الكاتب و الردّ عليه

و كتب الكاتب في موضع آخر ما يلي:

قال الشيخ المنتظري في كتاب «موعود الأديان»[٣] ما يلي:

> إنّ التوراة تتحدّث عن الأئمّة الاثني عشر «اثنا عشر رئيساً من ولد إسماعيل»، و هو ما لا ينطبق إلّا على الأئمّة الاثني

١ـ التوبة (٩): ١٠١.

٢ـ مسند أحمد بن‌حنبل، ج ٥، ص ٣٥٣ و ٣٩٠؛ صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٢٢ ـ ١٢٣، باب صفات المنافقين؛ مجمع الزوائد، ج ١، ص ١١٠ و ج ٦، ص ١٩٥؛ الدرّ المنثور، ج ٣، ص ٢٥٨، ذيل الآية ٧٤ من سورة التوبة.

٣ـ موعود الأديان، الفصل السادس.

عشر. و بغضّ النظر عن صحّة هذا النصّ، و نسبته إلى اللّه تعالى، أو انطباقه على الأئمّة الاثني عشر المعروفين لدى الشيعة الاثني عشرية، فإنّ الشيخ المنتظري يفسّره كما يشاء بدون دليل، ليفترض من خلاله ولادة الإمام الثاني عشر، في حين كان يجب عليه أن يثبت ولادة و وجود ابن الحسن العسكري قبل أن يضع اسمه في قائمة الاثني عشر.

و هنا نودّ الإشارة إلى مجموعة من الملاحظات في ما يخصّ هذا الأمر:

١ـ لم تكن الغاية من بيان بشارات العهدين و غيرها، إثبات ولادة الإمام المهدي، و ذلك لأنّ الشيعة وفقاً لما يمليه معتقدهم لا يستندون إلى شيء آخر غير القرآن و سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته ـ المعيّنين من قِبَله ـ و العقل لإثبات أو رفض أيّ مطلب. و مع أنّ وجود مطلب في سائر الكتب السماوية يعضد رأيهم، و لكنّه لا يتّخذ بمفرده دليلاً على صحّة ذلك الرأي. و إنّما كان المراد من بيان البشارات التي وردت في الفصل السادس من الكتاب ما يلي:

أوّلاً: وجود موضوع في أحاديث الشيعة و نصوص العهدين و غيرها ينبغي أن لا يكون مدّعاة للتوهّم بأنّ رواة أحاديث الشيعة قد استقوا ذلك الموضوع من تلك الكتب، و إلّا فإنّ بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يصرّح بذلك القرآن الكريم ـ قد وردت في العهدين باسم و خصائص أُخرى.

إذاً استناداً إلى الوهم المذكور، ينبغي القول: أنّ قضية نبوّة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم من اختلاق اليهود و النصارى؛ لأنّ البشارة بمبعثه قد جاءت في كتبهم.

ثانياً: مضمون البشارة التي جاءت في التوراة بشأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

والأئمّة عليهم السلام، وردت عيناً ـ كما نقل السيّد بن طاووس في كتاب «الطرائف» ـ في تفسير السُدّي، و هو من قدماء المفسّرين عند أهل السنّة، و من ثقاتهم فقد قال السُدّي ما يلي:

لما كرهت سارا مكان هاجر أوحى اللّه تعالى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: انطلق بإسماعيل و أُمّه حتّى تنزله بيت التهامي ـ يعني مكّة ـ فإنّي ناشر ذرّيّته و جاعلهم ثقلاً على من كفر بي و جاعل منهم نبيّاً عظيماً و مظهره على الأديان و جاعل من ذرّيته اثني عشر عظيماً و جاعل ذرّيته عدد نجوم السماء.

و استناداً إلى ما نقله المحدّث النوري في «كشف الأستار» أن جماعة نقلوا هذا الكلام عن السُدّي[١].

ثالثاً: أنّ البشارة التي جاءت في التوراة أيّدها قسّ النصارى الأعظم الذي تشرّف باعتناق الدين الإسلامي و لُقّب بفخر الإسلام، في كتاب «أنيس الأعلام» ـ و هذا ما أُشير إليه في الفصل السادس: بشارات العهدين من كتاب «موعود الأديان» ـ و هي موجودة في كتب التوراة التي تُرجمت من اللغتين العبرية و السريانية و طبعت باللغتين العربية و الفارسية[٢].

١ـ منتخب الأثر، ج ١، ح ١١٤ نقلاً عن الطرائف، ص ١٧٢، ح ٢٦٩؛ كشف الأستار، ص ١٤٢ـ١٤١.

٢ـ و من جملة ذلك ما جاء في الفصل السابع عشر من سِفر التكوين من التوراة التي تُرجمت في عام ١٨١١ للميلاد، إلى اللغة العربية، و كذلك في التوراة التي ترجمها وليم كلسن من اللغة العبرية إلى اللغة الفارسية و طُبعت بالتعاون مع فاضل خان الهمداني في ادنبرح في عام ١٨٤٥ للميلاد، المصادف لعام ١٢٦١ للهجرة. المصدر السابق، ج ١، ص ٧٩.

ادّعاءات بلا دليل

ثمّ طرح الكاتب في موضع آخر ممّا كتبه ثلاثة موضوعات غير منطقية، بدون أي دليل يثبتها:

الإدّعاء الأوّل:

و قد جاء في الادّعاء الأوّل ما يلي:

فكر ولاية الفقيه، و إمكان إقامة دولة إسلامية في عصر غيبة الإمام المعصوم، الذي طُرح من قبل الخميني و المنتظري، يمثل في الواقع تراجعاً عن فكرة المهدي و ولادته و غيبته، و هذا تحرّر من شرط العصمة و النسب والنصّ في الحاكم الإسلامي.

و نودّ القول في تفنيد هذا الادّعاء: أنّ نظرية ولاية الفقيه و إقامة الدولة الإسلامية في زمن الغيبة ليست لها أية علاقة منطقية أبداً بموضوع ولادة و غيبة الإمام المهدي (عج)؛ و ذلك لأنّ مؤيّدي و معارضي ولاية الفقيه من علماء الشيعة يتّفقون على أمرين:

الأمر الأوّل: الخلفاء و الأئمّة الذين عيّنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم و أوصافهم و خصائصهم، اثنا عشر إماماً و كلّهم معصومون و من ذرّية النبي صلى الله عليه وآله وسلم و عترته، و آخرهم الإمام المهدي، و هو ابن الإمام الحسن العسكري، و قد ولد و غاب عن الأنظار.

الأمر الثاني: إقامة الحكومة الدينية و إجراء أحكام الإسلام لا ينحصر فقط بزمن حضور الإمام المعصوم؛ لأنّ الإسلام و أحكامه لكلّ الأزمان، والشريعة المقدّسة لا ترضى تعطيل أحكام الإسلام في زمن الغيبة. و لكن بما أنّ السلطة غالباً كانت في زمان الغيبة في أيدي الحكومات الظالمة و المتجبّرة، و كان علماء الدين بعيدين عن الساحة السياسية، لذلك ألقى اليأس بظلاله عليهم، حتّى فقدوا أيّ أمل بإقامة حكومة دينية؛ و إلّا فإنّ جميع فقهاء الشيعة يؤمنون من حيث الجانب الاعتقادي و الفكري أنّ الأُمور الحسبية من اختصاص الفقيه العادل. و الأُمور الحسبية هي ممّا لا ترضى الشريعة أبداً بإهمالها و عدم الاهتمام بها. و من البديهي أنّ تمهيد الأرضية لإجراء أحكام الإسلام في جميع الميادين و إحقاق حقوق المظلومين و دفع الظلم و الحيف عن عباد اللّه، تُعدُّ كلّها من المصاديق البارزة للأُمور الحسبية. و لكن بما أنّ أمثال هذه الأُمور لا تتحقّق إلّا في ظلّ وجود السلطة التي كان الفقهاء بعيدون عنها، لذلك كانوا نادراً ما يتطرّقون إليها في كلماتهم، و اقتصر الكلام فيها على متطلّبات الصغار و المجانين و الغائبين.

و لابدّ من التنبيه أيضاً إلى وجود اختلافات بين مؤيّدي ولاية الفقيه حول الأساس الفقهي الذي تقوم عليه. فالبعض منهم يقول: إنّ الفقهاء العدول نصبوا من قبل الإمام الصادق عليه السلام أو من قبل إمام الزمان في زمن الغيبة على نحو عامّ بالفعل، و على الناس اتّباعهم و اطاعتهم في أمر الحكومة، و هم ليسوا بحاجة إلى البيعة و الانتخاب، و لكنّنا نعتقد أنّ النصب العامّ للفقهاء العدول ليس له أساس معقول، كما و ليس هناك عليه دليل راسخ لا يقبل الطعن. و في زمان

الغيبة أوكلت الشريعة أمر الحكومة إلى الناس أنفسهم، و لكنّها قرّرت للحاكم الإسلامي شروطاً إذا رآها الناس متوفّرة في شخص لإقامة حكومة دينية، عليهم أن يبايعوه، كما أنّ مشروعية سلطته تتوقّف على رضا الناس و رأيهم الصحيح. و يمكنهم انتخابه للحكم لمدّة محدودة و ضمن شروط معيّنة.

كما يمكنهم أيضاً انتخابه للإشراف على القوانين فقط. و قد ورد تفصيل هذا البحث في كتاب «دراسات في ولاية الفقيه»، و في ديدگاهها (= رؤى).

و على هذا فنظرية ولاية الفقيه و إمكان تأسيس الدولة الإسلامية في زمان الغيبة لا يكون تراجعاً قطعاً عن الاعتقاد بالإمام النائب المعصوم عليه السلام. و نسبة هذا التراجع إلى القائلين بتلك النظرية ينشأ من عدم الاطّلاع على مبنى القائلين بها.

الادّعاء الثاني:

يقول الكاتب في هذا الادّعاء:

> الفكر الإمامي الاثني عشري يكبّل الشيعة، و يمنعهم من إقامة حكومة إسلامية في غيبة الإمام الثاني عشر، الذي يدّعو الشيعة إلى الصبر و انتظار الإمام الغائب، المعصوم و المنصوص عليه من اللّه.

و جواب هذا الادّعاء هو: لو كان الاعتقاد بالإمام الغائب يحول دون اندلاع الثورات و محاولات إقامة حكومة إسلامية، لما كان من الممكن أن يثور الشيعة في مناطق مختلفة و يعملون من أجل إقامة دولة تقوم على

الإسلام. و من جملة ذلك أنّ الشعب الإيراني المسلم رغم اعتقاده الراسخ بالإمام الغائب غير أنّه بادر إلى الثورة و إقامة الدولة الإسلامية. و لا أحد ينكر طبعاً أنّ هناك اخطاء حالت دون تحقيق جميع الأهداف التي كانت الثورة تسعى من أجل تحقيقها. و لكن هذا المعنى لا علاقة له بالاعتقاد بالإمام الغائب، بل يمكن القول بأنّ إحدى المعادلات التي كان لها تأثير كبير في بلورة الفكر الثوري لدى أبناء الشعب الإيراني هي الاعتقاد بالإمام الغائب و انتظاره بالمعنى الصحيح.

فالكثير من أبناء الشعب الإيراني المسلم قد انطلقوا من فكرة أنّ الانتظار؛ يعني إعداد الأفراد و المجتمع لظهور الإمام الغائب و بادروا إلى الثورة، واعتبروا ثورتهم تمهيداً لثورة الإمام المهدي (عج).

إذاً كيف يزعم الكاتب أنّ الاعتقاد بالإمام الغائب يكبّل الشيعي و يثنيه عن الثورة؟

نعم، إنّ ما جعله اللّه للإمام الغائب هو إقامة حكومة العدل الإلهي العالمي، و هو ما سيتحقّق على يده وفقاً للأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الإدّعاء الثالث:

ثمّ قال الكاتب ما يلي:

> ولو أمعن الشيخ المنتظري قليلاً بالخطوات الثورية التي أنجزتها نظرية ولاية الفقيه، بعد الانفكاك عن شروط الإمامة المثالية من العصمة و النصّ و السلالة العلوية الحسينية،

وعدم انتظار الإمام المعصوم المعيّن من قِبَل اللّه ليقود الثورة و يـقيم الدولة، لأدرك أنّ الثـورة لا تكـتمل، و أنّ الشـعب الإيراني لن يأخذ حقوقه الديمقراطية كاملة إلّا بـعد التـحرّر من الإيمان بأُسطورة الإمام الغائب التي لا يـوجد عـليها أيّ دليل شرعي، و لا أيّ دليل عقلي و تاريخي قاطع.

و لردّ هذا الادّعاء نعرض الملاحظات التالية:

١ـ مثلما قلنا في ردّ الادّعاء الأوّل: إنّ نظرية ولاية الفقيه لا علاقة لهـا أبداً بالاعتقاد بالأئمّة المعصومين عليهم السلام المعيّنين من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كخلفاء و أوصياء له. و الذين اشترطت فيهم العصمة و النـص و النسب هـم الخـلفاء الاثني عشر لرسول اللّه، الذين عُيّنوا بأسـمائهم و خـصائصهم، و آخـرهم الإمام المهدي (عج).

و على هذا سواء كُنّا نقول بولاية الفقيه أو لا نقول بها، فنحن نعتبر خلفاء الرسول الاثني عشر معصومين و منصوص عـليهم، و لكـن لا نـعتبر إقـامة حكومة العدل مشروطة أو محصورة بحضورهم. و أمّا الشيء الذي انطلق منه هذا الكاتب للإدلال بهذا الكلام فهو ظنّه بأنّ إمامة الأئمّة المعصومين، التي يدّعيها الشيعة تنحصر في الإمـامة الظـاهرية و لا تـتعدى حـدَّ الرئـاسة و الحكومة الظاهرية لبلد أو منطقة، في حين أنّ إمامتهم و خلافتهم هي شعاع الإمامة و الخلافة المعنوية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم التي تقوم على دعامة الارتباط بعالم الغيب و بمصدر العلم الإلهي، و من هنا فإنّ علمهم يتطابق مع الواقع و يكونون معصومين من الخطأ، كما أنّ هدايتهم تتّسم بالعصمة أيـضاً كـما جـاء فـي

حديث الثقلين المتواتر الذي نصّ على أنّ التمسّك بهم يـحول دون ضـلال الناس إلى الأبد.

٢ـ قلنا في معرض الردّ على الادّعاء الثاني للكاتب بأنّه لو كان الاعتقاد بالإمام الغائب يكبّل الناس عن الثورة، لكان من المفترض أنّ لا يثور الشعب الإيراني الذي يؤمن إيماناً عميقاً بالإمام الغائب.

إذاً مثلما أنّ الاعتقاد بالإمام الغائب لا يثني عن الثورة، كذلك فهو لا يثني الشعب الإيراني عن المطالبة بالديمقراطية و الحريّة؛ و ذلك لأنّ الكاتب يرى أنّ المانع دون هذين الموضوعين هو شيء واحد، و هـو الاعـتقاد بـالإمام الغائب. و مثلما أنّ الناس ثاروا و هم يحملون هذا المعتقد، فهم قادرون أيضاً على مواصلة الثورة و إكمالها. و هناك بطبيعة الحال صـعوبات و مـعوّقات، و لكن لا صلة لها باعتقاد الناس أو عدم اعتقادهم بـالإمام الغـائب، و إنّـما الاعتقاد بهذا الإمام يمكن أن يكون بمثابة حافز يـدفع النـاس إلى تـحمّل الشدائد و المصاعب من أجل الوصول إلى غايتهم المنشودة.

٣ـ يا حبّذا لو أنّ الكاتب يعقد مقارنة إجمالية بين أبناء الشعب الإيراني الذين أكثرهم من الشيعة و يعتقدون بالإمام الغائب، و بـين سـائر مسـلمي البلدان الإسلامية. الذين أكثرهم ليسوا مـن الشـيعة و لا يـعتقدون بـالإمام الغائب، ليرى أيّهما أكثر نزوعاً إلى الديمقراطية و المطالبة بالحقوق المدنية.

طرح قضية الغيبة في القرنين الأوّل و الثاني

لقد وضع هذا الكاتب قضية الغيبة أصلاً موضع شكّ و تساؤل معتبراً إياها

من المستحدثات التي ابتدعها أقطاب الشيعة في القرن الرابع، ثمّ وضعوا تدريجياً هذه القائمة من الأسماء للأئمّة الاثني عشر فهو تجاهل عن روايات كثيرة مرتبطة بغيبة الإمام القائم عليه السلام التي نقلت في القرن الأوّل و حتّى في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه و عن أئمّة الشيعة عليهم السلام. في حين أنّ أساس قضية غيبة أحد أئمّة الحقّ في المستقبل ثمّ ظهوره تحت عنوان «قائم آل‌محمّد عليهم السلام»، كانت لها سابقة عريقة في ذهنية الشيعة[1] ففي هذا المجال يقول مؤلّف كتاب «مكتب در فرايند تكامل» (= الدين في طور التكامل)، ما يلي:

> الحقيقة التي لا تنكر و هي أنّ جماعة من الناس أنكروا استشهاد مولى المتّقين، و كانوا ينظرون رجوعه، و كذلك اعتقاد الكيسانية و جماعات أخرى غيرها بحياة و انتظار رجعة أفراد آخرين من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يُعتبر أفضل دليل على أنّ هذه الفكرة لها جذور عريقة في الأذهان. و بعد وفاة الإمام الحسن العسكري طرح جماعة احتمال أن يكون قد غاب و أنّه سرعان ما سيرجع إلى الدنيا باعتباره قائم آل‌محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[2].

كما جاء في الكتاب المذكور عن أبي‌سهل النوبختي مؤلّف كتاب «التنبيه» أنّه كتب ما يلي:

١ـ راجع في هذا المجال كتاب: التنبيه، ص ٩٤.

٢ـ فرق الشيعة، ص ١٠٦ و ١٠٧؛ المقالات و الفرق، ص ١٠٦ فما بعدها؛ المجالس، الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٩٨؛ الملل و النحل، الشهرستاني، ج ١، ص ٢٠٠.

> يبدو أنّ الشيعة كانوا يعلمون قبل عام ٢٩٠[1] بمدّة أنّ ابن الإمام العسكري عليه السلام هو من سيظهر باسم القائم، و يقيم حكومة الحقّ و العدل، و إلّا فلو كان يعيش كأجداده الطاهرين في خوف و تقيّة، لما كان هناك سبب لاختفائه...»[2].

كما يُستفاد أيضاً ـ استناداً إلى ما جاء في كتاب «التنبيه» ـ كانت قضية ولادة ابن للإمام الحسن العسكري عليه السلام و غيبته، مطروحة بين الشيعة.

استبعاد الشيعة طول الغيبة

و استناداً إلى تحقيق كتابي «فِرَق الشيعة» و «المقالات و الفِرق» فإنّه حينما بلغ الشيعة خبر غيبة الإمام، لعلّه قلّما كان يوجد بينهم من كان يحتمل أن تمتدّ غيبته إلى مدّة طويلة.

> كان الشيعة يظنّون أنّه سيظهر قريباً بعد زوال المشاكل الاضطرارية و الأخطار الموجودة العاجلة، و أنّ سلسلة أئمّة الحقّ ستستمرّ في ذلك البيت الكريم إلى يوم القيامة[3].

و أمّا بالنسبة إلى اعتقاد الشيعة على قائم آل‌محمّد عليهم السلام الذي سيظهر بعد غيبة و يطبّق القسط و العدل في العالم، و هو ابن الإمام العسكري، فقد جاء في الكتاب المذكور نقلاً عن كتاب «مسألة في الإمامة» من تأليف ابن قبّة،

١ـ العامّ الذي انتهى فيه النوبختي من تأليف كتابه.

٢ـ التنبيه، ص ٩٤ فما بعدها.

٣ـ فرق الشيعة، ص ١١٦ فمابعدها؛ المقالات و الفرق، ص ١٠٢ فما بعدها.

في البند الخامس منه ما خلاصته: «إنّ اعتقاد العموم أنّ القائم عليه السلام يظهر في زمان حياة الأكابر و المعتمدين من أصحاب العسكري عليه السلام الذين رءوا بشخصه و عرفوه و شهدوا على ولادته و إمامته».

و رغم عدم حصول مثل هذه الحادثة في التاريخ و أنّه يظهر بعد مدّة قصيرة من غيبته، كما أنّ المعمّرين و كبار أصحاب الإمام العسكري الذين كانوا يعرفونه بسيماه يشهدون أنّه ابن الإمام العسكري، غير أنّ هذا الاعتقاد يثبت حقيقة و هي أنّ الاعتقاد بالغيبة كان موجوداً بين الشيعة في القرون الأُولى و كانوا كلّهم يترقّبون مثل هذا الحدث.

كان بعض الشيعة في ذلك الزمان يظنّون أنّ مدّة الغيبة ستطول ستّة أيام، و بعضهم الآخر يرى أنّها ستطول ستّة أشهر، أو أنّها ستطول ستّ سنوات على أبعد الاحتمالات[1].

و مِن الشواهد الدالّة على أنّ قضية الغيبة كانت مطروحة بين الشيعة قبل القرن الثالث للهجرة هو أنّ صاحب كتاب «إعلام الورى» نقل عن كتاب «المشيخة» للحسن بن محبوب السرّاد أحاديث تشير إلى أنّ قائم آل‌محمّد سيغيب أوّلاً عن الأنظار مدّة ثمّ يظهر و يقيم حكومة الحقّ و العدل. و من الجدير بالذكر أنّ هذا الشخص قد توفّي في عام ٢٢٤ للهجرة، أي قبل المرحوم الكليني بقرن تقريباً. و من أراد الاطّلاع على الروايات المذكورة يراجع كتاب «إعلام الورى».

١ـ راجع الكتب التالية: الإمامة و التبصرة، ص ١٤٦؛ الكافي، ج ١، ص ٣٣٨؛ كمال الدين، ص ٣٢٣.

موقف الشيعة من فرقة الواقفية

و قد يقول قائل: إذا كانت قضية الغيبة لها جذور تاريخية بين الشيعة، فلماذا إذاً بقي الشيعة لمدّة قرن تقريباً يضعّفون الأحاديث الدالّة على الغيبة و يجرحون رواتها، و يعتبرونها من وضع فرقة الواقفية؟

و للإجابة عن هذا الإشكال ينبغي القول بأنّ سبب ذلك الموقف الذي اتّخذه الشيعة الاثنا عشرية من الأحاديث الدالّة على غيبة إمام الحقّ هو أنّ فرقة الواقفية كانت لمدّة طويلة توظّف هذه الأحاديث و تستدلّ بها بما يخدم مصلحتها و تتّخذ منها دليلاً على غيبة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، و أنّه هو قائم، و حتّى أنّهم اعتبروا الغيبتين المذكورتين في الأحاديث منطبقة على المرحلتين اللتين سُجن فيهما.

و حين لاحظ الشيعة الاثنا عشرية بأنّ معظم الواقفة قد تركوا هذه العقيدة بمرور الزمان و آمنوا بإمامة الإمام الرضا عليه السلام اعتبروا ذلك مصداقاً لعلامة ذُكرت في أحاديث الغيبة، و هي أنّ الكثير من الناس ينحرفون في زمان الغيبة و يفقدون إيمانهم بالإمام الغائب، و لا يبقى على هذه العقيدة إلّا عدد قليل منهم[1].

و على هذا الأساس فالسبب في تضعيف الأحاديث الدالّة على الغيبة من قبل الشيعة في أواخر القرن الثاني، يعود إلى استغلال الواقفية لها ـ عمداً أو جهلاً ـ و اعتبارهم الإمام موسى بن جعفر مصداقاً للإمام الحيّ الغائب.

١ـ كمال الدين، ص ٣٢٣؛ الغيبة، للنعماني، ص ١٣٥.

و استناداً إلى تحقيق كتاب «مكتب در فرايند تكامل = الدين في طور التكامل»، أثبت الزمان صحّة الأحاديث الدالّة على الغيبة عند الشيعة الاثني عشرية، حيث تنبّهوا ـ بعد سنوات متمادية من إهمالهم لهذه الأحاديث و تضعيفها ـ إلى أنّ هذه الأحاديث و ما تنبّأ به الأئمّة الأطهار عليهم السلام كان صحيحاً، و كان المراد من الغيبة و طول الحيرة في ذلك الزمان هو غيبة ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

و لعلّ هذا يعود إلى إرادة اللّه لكي لا يزعم أحد في المستقبل بأنّ الشيعة الاثني عشرية وضعوا الأحاديث لإثبات صحّة ادّعائهم في غيبة الإمام الثاني عشر[1].

ردّ على الشكوك العلمية و التاريخية في ولادة الإمام المهدي

شكّك هذا الكاتب في سياق ما كتبه، في أساس ولادة الإمام المهدي (عج) من حيث الجانب التاريخي، و قال:

من المعلوم أنّ عقيدة الشيعة الاثني عشرية تقوم على افتراض وجود ولد للإمام العسكري دون أن تقدّم أدلّة تاريخية علمية على ولادته و وجوده، و لكنّها تتشبّث بنظريات واهية و افتراضات فلسفية و أحاديث ضعيفة لا تصمد أمام البحث العلمي.

١ـ مكتب در فرايند تكامل، ص ١٢٥.

و للردّ على هذه الشبهة نستعرّض الملاحظات التالية:

١ ـ اكتفى هذا الكاتب في إثارة هذه الشبهة ـ كما هو الحال في سائر ما أثاره من شبهات ـ بالقاء كلام كلّي و عامّ، و لم يعيّن ما هي الأحاديث الضعيفة التي قصدها، و ما هي النظريات الواهية، و أيّ المواضع الفلسفية التي هي مجرّد افتراض.

إنَّ ما ذكر في كتاب «موعود الأديان» حول ولادة الإمام المهدي (عج) و حياته و غيبته، إنّما هو جزء ممّا ورد عند أهل السنّة من الأحاديث[1]، وكذلك تدلّ نظريات عدد كبير من علماء و عرفاء أهل السنّة[2] على ولادته و حياته و غيبته. و كانت الغاية من نقلها في ذلك الكتاب تفنيد شبهة أثارها مؤلّف كرّاس «المهدي الموعود أو المهدي الموهوم» و قال فيه: بأنّ الاعتقاد بالمهدي الموعود الحيّ الغائب من اختلاقات الشيعة.

و قد انصبّت الجهود في ذلك الكتاب على إثبات أنّ هذا الاعتقاد لا يختص بعلماء الشيعة وحدهم، و لا ينحصر بمدلول أحاديثهم.

٢ ـ هذه الشبهة ليست جديدة بل قديمة و كانت مطروحة في القرن الثالث. فقد طرح إسماعيل بن علي النوبختي هذه الشبهة و فنّدها في الفصل الأخير من كتابه «التنبيه في الإمامة» على النحو التالي:

«و قد سألونا فقالوا: ابن الحسن لم يظهر ظهوراً تامّاً للخاصّة و العامّة

١ـ موعود الأديان، الفصل السابع.

٢ـ الفصل الخامس للكتاب.

فمن أين علمتم وجوده في العالم؟ و هل رأيتموه أو أخبرتكم جماعة قد تواترت أخبارها أنّها شاهدته و عاينته؟

فيقال لهم: إنّ أمر الدين كلّه بالاستدلال يعلم، فنحن عرفنا اللّه عزّ و جلّ بالأدلّة و لم نشاهده، و لا أُخبرنا عنه من شاهده، و عرفنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم و كونه في العالم بالأخبار، و عرفنا نبوّته و صدقه بالاستدلال، و عرفنا أنّه استخلف علي بن أبي طالب عليه السلام بالاستدلال، و عرفنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم و سائر الأئمّة عليهم السلام بعده عالمون بالكتاب و السنّة و لا يجوز عليهم في شيء من ذلك الغلط و لا النسيان و لا تعمّد الكذب بالاستدلال، و كذلك عرفنا أنّ الحسن بن علي عليهما السلام إمام مفترض الطاعة، و علمنا بالأخبار المتواترة عن الأئمّة الصادقين عليهم السلام أنّ الإمامة لا تكون بعد كونها في الحسن و الحسين عليهما السلام إلّا في ولد الإمام و لا يكون في أخ و لا قرابة، فوجب من ذلك أنّ الإمام لا يمضى إلّا أن يخلّف من ولده إماماً، فلمّا صحّت إمامة الحسن عليه السلام و صحّت وفاته ثبت أنّه قد خلّف من ولده إماماً، هذا وجه من الدلالة عليه.

و وجه آخر: و هو أنّ الحسن عليه السلام خلّف جماعة من ثقاته ممّن يروي عنه الحلال و الحرام و يؤدي كتب شيعته و أموالهم و يخرجون الجوابات و كانوا بموضع من الستر و العدالة بتعديله أيّاهم في حياته، فلمّا مضى أجمعوا جميعاً على أنّه قد خلّف ولداً هو الإمام و أمروا الناس أن لا يسألوا عن اسمه و أن يستروا ذلك من أعدائه، و طلبه السلطان أشدّ طلب و وكّل بالدّور و الحبالى من جواري الحسن عليه السلام ثمّ كانت كتب ابنه الخلف بعده نخرج إلى

الشيعة بالأمر و النهي على أيدي رجال أبيه الثقات أكثر من عشرين سنة،[1] ثمّ انقطعت المكاتبة و مضى أكثر رجال الحسن عليه السلام الذين كانوا شهدوا بأمر الإمام بعده و بقي منهم رجل واحد قد أجمعوا على عدالته و ثقته فأمر الناس بالكتمان و أن لا يذيّعوا شيئاً من أمر الإمام، و انقطعت المكاتبة فصحّ لنا ثبات عين الإمام بما ذكرت من الدليل...»[2].

الأساس الذي استند إليه النوبختي في الاستدلال و الردّ على هذه الشبهة هو سيرة العقلاء التي تعتمد في الأُمور المختلفة على أخبار الثقاة و اتّخاذها أساساً في أعمالها و حكمها على الأُمور.

و من جانب آخر أشار النوبختي إلى إمامة و وفاة الحسن العسكري عليه السلام، و استنتج أنّ إمامته لا تقبل الشك، و السبيل إلى إثبات ذلك هو إخبار الثقاة و أصحاب الإمام الهادي عليه السلام الذين شهدوا باستخلاف و إمامة العسكري عليه السلام، و وفاته ثابتة أيضاً استناداً إلى إخبار أُولئك الثقاة أيضاً. و في الحقيقة ينبغي القول أنّ حكم الأمثال في ما يجوز و في ما لا يجوز واحد؛ أي إذا وضعت شهادة و إخبار ثقاة الإمام العسكري عليه السلام في ما يخصّ استخلاف ابنه الإمام المهدي عليه السلام، موضع شكّ و طعن، فلابدّ أيضاً من الشكّ و الطعن في شهادة و أخبار الأشخاص الذين كانوا ثقاة و معتمدين لدى الإمام الهادي عليه السلام حول

١ـ التعبير بـ«أكثر من عشرين سنة» في كلام النوبختي من أجل أنّ وفاته كانت في سنة ٣١١الهجرية، يفي في أواسط الغيبة، فهو لم يدرك آخر زمان الغيبة. و تأليف كتابه كان في زمان قد انقضى من الغيبة أكثر من عشرين سنة.

٢ـ راجع: كمال الدين، ص ٩٢ـ ٩٣.

إمامة الإمام الحسن عليه السلام. و هكذا الحال بالنسبة إلى سائر الأئمّة عليهم السلام بل سائر الحوادث و الموضوعات التي ترويها أخبار الثقاة.

كما أنّه ما تناقلته أجيال الشيعة لساناً عن لسان يُعتبر دليلاً آخر على هذا المعنى؛ و ذلك لأنّ الكثير من معلومات الأجيال السابقة تنتقل بهذا الشكل إلى الأجيال التالية. طبعاً بالنسبة إلى الأُمور المتعلّقة بالإمام المهدي (عج) بما أنّ الظروف السياسية كانت في غاية الخطورة، و كانت السلطة تمارس رقابة صارمة و كان ينبغي اتّباع أقصى درجات التخفي و الكتمان، كان من الطبيعي أن تنشب خلافات بين الشيعة. و لكن هذه الاختلافات لا تدلّ على أنّ هذا الموضوع لا حقيقة له من الأساس، و إلّا فهل يمكن النظر إلى اختلاف فرق المسلمين و انقسامهم إلى ثلاث و سبعين فرقة، على أنّه دليل على بطلان أساس الإسلام؟!

٣ـ نقَلَ خبر ولادة و غيبة الإمام المهدي (عج) ثقاة و ممّن كان يعتمد عليهم و يثق بهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام. و بالإضافة إلى ذلك يمكن أن يستفاد هذا الموضوع من عدّة مجموعات أُخرى من الأحاديث:

المجموعة الأُولى: حديث الثقلين المتواتر الذي تحدّثنا عنه في هذا البحث، إضافة إلى ما جاء في المحور الثاني من الفصل الأوّل من كتاب «موعود الأديان» حيث أُشير هناك إلى مصادره التي ورد فيها عن طريق أهل السنّة، إضافة إلى بيان مدلوله. فقد جاءت في هذا الحديث الشريف حول القرآن و عترة النبي، جملة «**لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**» و هي ذات

معنى صريح على تلازم و عدم افتراق القرآن و العترة إلى يوم القيامة. و عدم افتراق القرآن و العترة يستدعي ولادة واحد من العترة و حياته إلى يوم القيامة. و من البديهي أنّه في زمان غيبة المعصوم لا يمكن لأحد أن يكون مصداقاً لعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى الإمام المهدي.

المجموعة الثانية: حديث «**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية**» و هو حديث مروي عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم، و هو يعني بوضوح تامّ أنّه لابدّ و أن يكون هناك إمام في كلّ زمان، و عدم معرفته تؤدّي إلى ميتة جاهلية. و هذا المعنى لا ينطبق إلّا على الإمام المعصوم. و الإمام المعصوم هو من كان في عهد كلّ واحد من أئمّة الشيعة الأحد عشر، و الذي يستلزمه معنى هذا الحديث هو أن لابدّ بعد شهادتهم من إمام معصوم. و هذا لا ينطبق إلّا على ما يقول به الشيعة.

تجدر الإشارة إلى أنّ المصار الحديث المذكور وردت في الفصل الأوّل من كتاب «موعود الأديان»[1].

المجموعة الثالثة: الأحاديث الدالّة على أنّ هذا الأمر «**لا يزال**» أو «**لن يزال**» في اثني عشر من خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم. و معناه ظاهر في أنّه لن يكون هناك زمان خالياً من خليفة لرسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و بالإضافة إلى ما جاء في كتاب «موعود الأديان» فقد شرحنا في هذا البحث أيضاً سند هذا الحديث و دلالته.

١ـ موعود الأديان، الفصل الأوّل.

المجموعة الرابعة: الأحاديث الدالّة على أنّ الإمام المهدي هو ابن الإمام الحسن العسكري، و التاسع من ذرّية الإمام الحسين عليه السلام. و هذه الأحاديث التي نقلت في الفصل الخامس، و في الفصل السابع من كتاب «موعودالأديان» عن طرق الشيعة و السنّة، أفضل دليل على ولادة و غيبة الإمام المهدي (عج).

و قد مضى دراسة أسناد هذه الأحاديث في أثنا هذا البحث و قد ادّعى الكاتب ـكما هو دأبهـ ضعف سندها. و لكنّه يكتفي في كلماته بأقوال ذات طابع عمومي و لم يأت بدليل يثبت فيه ضعفها.

والحمد للّه أوّلاً و آخراً.

المصادر

١ ـ آيين بودا، هانس ولفگانگ شومان، ترجمة ع پاشايى.
٢ ـ أئمّة أهل‌البيت في كتب السنّة، شيخ حكمت الرحمة، مؤسّسة الكوثر.
٣ ـ إثبات الوصية، علي بن الحسين المسعودي الهذلي، الرضي، قم، ١ جلد.
٤ ـ إثبات الهداة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، مطبعة العلمية، قم، ٣ جلد.
٥ ـ الاتّحاف بحبّ الأشراف، عبداللّه الشبراوي، منشورات الرضيّ.
٦ ـ اثولوجيا، ارسطو [افلوطين]، انتشارات بيدار.
٧ ـ الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، مطبعة النعمان، ٢ جلد، تحقيق سيّد محمّد باقر خراساني.
٨ ـ اديان و مذاهب جهان، سيّد صادق بنى حسينى، ٢ جلد.
٩ ـ الإذاعة لما كان و ما يكون بين يدي الساعة، السيّد محمّد صدّيق الحسن، الثقافة، مدينة، ١ جلد.
١٠ ـ الإرشاد، محمّد بن محمّد بن نعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد)، دارالمفيد، تحقيق مؤسّسة آل‌البيت، ٢ جلد.
١١ ـ الأربعين، الحافظ أبي الفوراس.
١٢ ـ الأربعين في مناقب أُمّهات المؤمنين، ابن عساكر الشافعي، دارالفكر، بيروت.
١٣ ـ استجلاب ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول و ذوي الشرف، الحافظ السخاوي، دارالبشائر الإسلامية، بيروت.
١٤ ـ الاستيعاب، يوسف عبدالبرّ القرطبي، دارالأعلام، أردن، ١ جلد.

١٥ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن أثير الجزري، إسماعيليان.
١٦ ـ إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى، محمّد الصبان، ١ جلد.
١٧ ـ الإشارات و التنبيهات، القسم الرابع، أبي‌علي بن سينا، مؤسّسة النعمان.
١٨ ـ الإشاعة لاشراط الساعة، محمّد بن رسول البرزنجي، أحمد حنفي، مصر، ١ جلد، الطبعة الأولى.
١٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، طبعة دارالفكر، بيروت.
٢٠ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، فضل بن الحسن الطبرسي، علمية إسلامية، طهران، تصحيح علي أكبر غفارى، ١ جلد.
٢١ ـ أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، دارالتعارف، بيروت، ١٠ جلد، تحقيق حسن الأمين.
٢٢ ـ الأمالي، محمّد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي)، دارالثقافة، قم، ١ جلد، تحقيق مؤسّسة بعثت، الطبعة الأولى.
٢٣ ـ الأمالي، الشيخ الصدوق، دارالثقافة، قم.
٢٤ ـ الإمامة و التبصرة، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق)، مدرسة الإمام المهدي، قم، ١ جلد.
٢٥ ـ الإمامة و السياسة، ابن قتيبة الدينوري، الشريف الرضي، قم.
٢٦ ـ إنجيل، الترجمة الفارسية من اللغات العبرانية و الكلدانية، مؤسّسة توزيع الكتب المقدّسة.
٢٧ ـ أنيس الأعلام، محمّد صادق فخر الإسلام، ٢ جلد، الطبعة الحجرية.
٢٨ ـ أنساب الأشراف، البلاذري، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.
٢٩ ـ الإنصاف، السيّد هاشم البحراني.

٣٠ ـ بحارالأنوار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١١٠ جلد، الطبعة الثانية.
٣١ ـ البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، دارإحياء التراث العربي، بيروت، ٨جلد، الطبعة الثانية.
٣٢ ـ البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم الحسيني البحراني، دارالكتاب العلمية، ٥ جلد، رحلي، الطبعة الثانية.
٣٣ ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، علي متّقي الهندي، شركة الرضوان، إيران، ١ جلد.
٣٤ ـ بهجة الآمال في شرح زبدة المقال، ملّا علي العلياري، بنياد فرهنگ اسلامى، طهران، ٦ جلد، تصحيح جعفر حائرى.
٣٥ ـ التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول، منصور علي الناصف، (بهامش غاية المأمول) عيسى البابي، الحلبي، مصر، ١١٥ جلد.
٣٦ ـ تاريخ الأُمم و الملوك (تاريخ الطبري)، محمّد بن جرير الطبري، الأعلمي، بيروت، ٨ جلد.
٣٧ ـ تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤ جلد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى.
٣٨ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، الشريف الرضي، ١ جلد.
٣٩ ـ التاريخ الكبير، البخاري، المكتبة الإسلامية، ديازبكر.
٤٠ ـ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دارالفكر، بيروت، ٧٠ جلد، تحقيق على شيرى.
٤١ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، دارالصادر، بيروت، ٢ جلد.
٤٢ ـ التبيان في تفسير القرآن، محمّد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي)، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٠ جلد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

٤٣ ـ تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، جامعة المدرّسين، قم، تحقيق على أكبر غفّارى، ١ جلد، الطبعة الثانية.
٤٤ ـ تدريب الراوي، جلال الدين السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة.
٤٥ ـ تذكرة الخواصّ، سبط ابن الجوزي، مؤسّسة أهل البيت، بيروت.
٤٦ ـ تفسير ابن كثير، ابن كثير، دارالجيل، بيروت.
٤٧ ـ تفسير الخازن، على بن محمّد البغدادي، دارالكتب العلمية، بيروت.
٤٨ ـ تفسير العيّاشي، محمّد بن مسعود بن العيّاش السلمي السمرقندي، علمية إسلامية، طهران، ٢ جلد، تحقيق سيّد هاشم رسولى محلّاتى.
٤٩ ـ تفسير علي بن إبراهيم، علي بن إبراهيم القمي، الأعلمي، بيروت، ٢ جلد، الطبعة الثانية.
٥٠ ـ تفسير القرطبي، القرطبي، دارالكتب العربي، بيروت.
٥١ ـ التفسير الكبير، محمّد بن عمر الفخر الرازي، دارالكتب العلمية، طهران، ١٦ جلد، الطبعة الثانية.
٥٢ ـ تفسير نور الثقلين، عبدعلي بن جمعة العروسي الحويزي، إسماعيليان، قم، ٥ جلد، تحقيق سيّد هاشم رسولى محلّاتى، الطبعة الرابعة.
٥٣ ـ تورات، الترجمة الفارسية عن اللغات العبرانية و الكلدانية، مؤسّسة توزيع الكتب المقدّسة.
٥٤ ـ توضيح المقال في علم الرجال، ملّا على كنى، دارالحديث، قم، ١ جلد.
٥٥ ـ تهذيب الآثار، محمّد بن جرير الطبري، الصفا، عربستان، ٢ جلد.
٥٦ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دارالفكر، ١٢ جلد.
٥٧ ـ جامع أحاديث الشيعة، تحت إشراف آيةاللّه البروجردي، مطبعة مهر.
٥٨ ـ جامع الرواة، محمّد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري، مكتبة المحمّدي، قم، ٢ جلد.

٥٩ ـ الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دارالفكر، بيروت، ٢ جلد، الطبعة الأولى.
٦٠ ـ جلاء العيون، محمّد باقر المجلسي، كتابفروشى اسلامى، طهران، ١ جلد.
٦١ ـ الجواهر المضيئة في صفات الحنفية، عبدالقادر ابن أبي الوفاء، القاهرة، حيدرآباد.
٦٢ ـ جواهر العقدين، السمهوري، دارالكتب العلمية، بيروت.
٦٣ ـ الحاوي للفتاوى، جلال الدين السيوطي، دارالكتاب العربي، بيروت.
٦٤ ـ حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين، سيّد شبّر، ٢ جزء في ١ جلد، الطبعة المركزية، انتشارات الأعلمي، طهران.
٦٥ ـ حلية الأبرار، السيّد هاشم الحسيني البحراني، دارالكتب العلمية، قم، ٢ جلد، الطبعة الأولى.
٦٦ ـ حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، أحمد بن عبداللّه الأصفهاني، دارالفكر، بيروت، ١٠ جلد.
٦٧ ـ خصائص أميرالمؤمنين، النسائي الشافعي، بيروت، ١ جلد.
٦٨ ـ الخصائص الكبير، جلال الدين السيوطي، دارالكتب العربي، بيروت.
٦٩ ـ الخصال، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق)، جامعة المدرّسين قم، ١ جلد، تحقيق على أكبر غفّاري.
٧٠ ـ خلاصة الأقوال، العلامة الحلّي، منشورات الرضي، قم.
٧١ ـ خمسون و مأة صحابي مختلق، مرتضى العسكري، كلّية أُصول الدين، بغداد، ٢ جلد، الطبعة الثانية.
٧٢ ـ دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الإسلامية، حسينعلي المنتظري، دارالفكر، قم، ٤ جلد.

٧٣ ـ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال‌الدين السيوطي، دارالمعرفة، بيروت، ٦ جلد، بهامشة تفسير ابن عبّاس.
٧٤ ـ دلائل الإمامة، محمّد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (شيعي)، مؤسّسة البعثة، قم، ١ جلد، الطبعة الأولى.
٧٥ ـ دلائل الصدق، محمّد حسن مظفّر، دارالقلم، القاهرة، ٣ جلد، الطبعة الأولى.
٧٦ ـ الديباج على صحيح مسلم، جلال‌الدين السيوطي، دار ابن عفّان، السعودية، ٦ جلد، الطبعة الأولى.
٧٧ ـ ذخائر العقبى، أحمد بن عبداللّه الطبري، مكتبة القدسي، ١ جلد.
٧٨ ـ رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي، جامعة المدرّسين، قم، ١ جلد، الطبعة الخامسة.
٧٩ ـ رجال الكشّي «اختيار معرفة الرجال»، الشيخ الطوسي، جامعة مشهد.
٨٠ ـ رسالة علم الإمام، سيّد محمّد حسين الطباطبائي.
٨١ ـ رسائل، الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا، انتشارات بيدار، قم.
٨٢ ـ روح المعاني (تفسير القرآن)، سيّد محمود الآلوسي، جهان، إيران، ٣٠ جلد في ١٠ جلد.
٨٣ ـ روح به كجا مى رود، أمير محمّد إسماعيل الطالب الشهرستاني، ١ جلد، الطبعة الثانية.
٨٤ ـ روضة المتّقين، محمّد تقي المجلسي، بنياد فرهنگ اسلامى، ١٣ جلد، الطبعة الثانية.
٨٥ ـ رياض الصالحين من حديث سيّد المرسلين، يحيى بن شرف النووي الدمشقي، دارالفكر، بيروت، ١ جلد، الطبعة الثانية.

٨٦ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشّرة، محب الدين الطبري، دارالتأليف، مصر، ١٣٧٢.
٨٧ ـ زرتشت پيامبرى كه از نو بايد شناخت، شاهرخ ارباب كيخسرو، جامى، طهران، ١ جلد، بسعي فرزانه كيانى، الطبعة الرابعة.
٨٨ ـ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمّد أمين السويدي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١ جلد.
٨٩ ـ السراج المنير شرح الجامع الصغير، علي بن أحمد العزيزي، مصطفى البابي، مصر، ١٣٥٧ ق.
٩٠ ـ سنن أبي‌داود، السجستاني الأزدي، دارالفكر، بيروت، ١ جلد.
٩١ ـ سنن الترمذي، محمّد بن عيسى السليمي الترمذي، دارالفكر، بيروت، ٥ جلد، تحقيق عبدالرحمن محمّد عثمان، الطبعة الثانية.
٩٢ ـ السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، دارالكتب العلمية، بيروت، ٦ جلد، تحقيق الدكتر البنداري و سيّد كسروي حسين، الطبعة الأولى.
٩٣ ـ السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، دارالفكر، بيروت.
٩٤ ـ سير أعلام النبلاء، محمّد بن أحمد الذهبي، مؤسّسة الرسالة، بيروت.
٩٥ ـ السيرة النبوية، ابن هشام، دارالكتب العربي، بيروت.
٩٦ ـ شرح حكمة الإشراق، شهاب الدين السهروردي، انتشارات بيدار.
٩٧ ـ شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، قم، ٥ جلد في ٤ جلد، تحقيق الدكتر عبدالرحمن حميره، الطبعة الأولى.
٩٨ ـ شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي.
٩٩ ـ شرح نهج‌البلاغة، ابن أبي الحديد، دارإحياء الكتب العربية، قم، ٢٠ جلد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

١٠٠ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، وزارت الإرشاد، ٢ جلد، تحقيق محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأولى.
١٠١ ـ الصافي في تفسير القرآن، محمّد محسن فيض الكاشاني، المكتبة الإسلامية، طهران، ٢ جلد، الطبعة الخامسة.
١٠٢ ـ صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، دارالفكر، بيروت، ٨جلد.
١٠٣ ـ صحيح الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق.
١٠٤ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النيسابوري، دارالفكر، بيروت، ٨ جلد.
١٠٥ ـ صلح الحسن، راضي آل ياسين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١ جلد.
١٠٦ ـ الصواعق المحرقة في الردّ على البدع و الزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي مكّي، مكتبة القاهرة، تعليق عبدالوهاب عبداللطيف، ١ جلد، الطبعة الثانية.
١٠٧ ـ ظهور الشيعة، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، ١ جلد.
١٠٨ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر و هو المهدي، يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي، مكتبة المنار، أردن، ١ جلد.
١٠٩ ـ عيون أخبار الرضا، محمّد بن علي بن الحسين بابويه القمّي (الشيخ الصدوق)، تهران، ٢ جلد في ١ جلد، تحقيق سيّد مهدي حسيني لاجوردي.
١١٠ ـ غاية المرام في حجّة الخصام عن طريق الخاصّ و العامّ، السيّد هاشم الحسيني البحراني، الأعلمي، بيروت، ١ جلد، الطبعة القديمة، رحلي.
١١١ ـ الغدير، عبدالحسين الأميني النجفي، دارالكتب العربي، بيروت.
١١٢ ـ غرائب القرآن، نظام الدين حسن بن محمّد القمّي النيسابوري، دارالصفوة، ٤ جلد، رحلي، الطبعة الأولى.

١١٣ ـ الغيبة، محمّد بن إبراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، تهران، تحقيق على أكبر غفّارى، ١ جلد.
١١٤ ـ الغيبة، محمّد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي)، مؤسّسة معارف اسلامي، قم، ١ جلد.
١١٥ ـ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دارالمعرفة، بيروت، ١٣ جلد.
١١٦ ـ الفتح الكبير، النبهاني، مصطفى البابي، مصر، ١٣٥٠ ق.
١١٧ ـ فتح البيان، محمّد صديق حسن خان، المكتبة العصرية، بيروت و مطبعة القاهرة.
١١٨ ـ فتح القدير، محمّد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.
١١٩ ـ الفتن، نعيم بن حمّاد المروزي، دارالفكر، بيروت، ١ جلد.
١٢٠ ـ فرائد السمطين، إبراهيم بن محمّد الحموئي الجويني الخراساني، مؤسّسة المحمودي، بيروت، ٢ جلد، الطبعة الأولى.
١٢١ ـ الفردوس، الديلمي، مخطوط مصوّر في مكتبة الإمام الحكيم العامّة عن مكتبة لاله لي، استانبول.
١٢٢ ـ فرق الشيعة، حسن بن موسى النوبختي، صدرية، نجف، ١ جلد، تحقيق محمّد صادق آل بحر العلوم.
١٢٣ ـ الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، علي بن محمّد بن الصبّاغ المالكي، النجف الأشرف، ١٣٨٢ ق.
١٢٤ ـ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، مؤسّسة الرسالة، بيروت.
١٢٥ ـ فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، محمّد عبدالرؤوف المناوي، دارالكتب العلمية، بيروت، ٦ جلد، تحقيق أحمد عبدالسلام.
١٢٦ ـ الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، دارالكتب الإسلامية، ٨ جلد، تحقيق على أكبر غفّاري، الطبعة الثانية.

١٤٠ ـ ما نزل من القرآن في علي، حسين بن الحكم الحبري الكوفي، بيروت.
١٤١ ـ ما نزل من القرآن في علي، مظفّر بن أبي‌بكر الحنفي، كتابخانه لاله لي استانبول، رقم: ٣٧٣٩.
١٤٢ ـ المباحث المشرقية، الفخر الرازي، مكتبة الأسدي، طهران.
١٤٣ ـ المبادئ العامّة للفقه الجعفري، هاشم معروف حسن، دارالقلم، بيروت، ١ جلد، الطبعة الثانية.
١٤٤ ـ المحاسن، أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، دارالكتب الإسلامية، ايران.
١٤٥ ـ المحجّة فيما نزل في القائم الحجّة، السيّد هاشم البحراني، ١ جلد، تحقيق محمّد منير الميلاني.
١٤٦ ـ مجالس «الفصول المختارة من العيون و المحاسن»، الشيخ المفيد، النجف الأشرف.
١٤٧ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، فضل بن الحسن الطبرسي، الأعلمي، بيروت، ١٠ جلد، الطبعة الأولى.
١٤٨ ـ مجمع الزوائد و منبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٠ جلد.
١٤٩ ـ مرآة العقول، محمّد باقر المجلسي، دارالكتب الإسلامية، طهران، ٢٦ جلد، الطبعة الأُولى.
١٥٠ ـ مرآة الجنان، اليافعى، دارالكتب العلمية، بيروت.
١٥١ ـ المستدرك على الصحيحين، محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري، دارالمعرفة، بيروت، تحقيق الدكتر يوسف المرعشلي، ٤ جلد.
١٥٢ ـ مسند أبي‌داود، أبي‌داود الطيالسي، دارالحديث، بيروت، ١ جلد.
١٥٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبي عبداللّه الشيباني، دارالصادر، بيروت، ٦ جلد.

١٢٧ ـ الكشّاف المنتقى لفضائل علي المرتضى عليه السلام، كاظم عبّود الفتلاوي، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى.
١٢٨ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام، علي بن أبي الفتح الأربيلي، دارالأضواء، بيروت، ٣ جلد، الطبعة الثانية.
١٢٩ ـ كشف المراد (شرح تجريد الاعتقاد، خواجه نصير الدين محمّد الطوسي)، العلّامة الحلّي، كتابفروشى اسلامى، تهران، ١ جلد.
١٣٠ ـ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام، حسن بن يوسف المطهّر الحلّي (العلّامة الحلّي)، طهران، ١ جلد، تحقيق حسين درگاهى.
١٣١ ـ كفاية الأثر، الخزّاز القمّي الرازي، بيدار، قم، ١ جلد، تحقيق سيّد عبداللطيف الحسيني الكوه‌كمري.
١٣٢ ـ كفاية الطالب، الكنجي الشافعي، مطبعة الغرى، النجف الأشرف.
١٣٣ ـ كمال الدين و تمام النعمة، محمّد بن علي بن الحسين بابويه القمّي (الشيخ الصدّوق)، جامعة المدرّسين، قم، ٢ جلد في ١ جلد.
١٣٤ ـ كنز العمّال في السنن و الأقوال و الأفعال، علي المتّقي الهندي، مؤسّسة الرسالة، ١٦ جلد.
١٣٥ ـ كنوز الحقائق، المناوي، بهامش الجامع الصغير.
١٣٦ ـ الكنى و الألقاب، الشيخ عبّاس القمّي، بيدار، قم، ٣ جلد.
١٣٧ ـ لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ٧ جلد، الطبعة الثانية.
١٣٨ ـ لوامع الأنوار البهيّة و سواطع الأسرار الأثرية، محمّد السفاريني الحلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢ جلد في ١ جلد، الطبعة الثانية.
١٣٩ ـ لوامع العقول في شرح راموز الأحاديث، الشيخ ضياء الدين الكموشخانه.

١٦٩ ـ مقتل الحسين، موفّق بن أحمد الخوارزمي، مكتبة المفيد، قم، تحقيق الشيخ محمّد السماوي.
١٧٠ ـ مقدّمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، المجلّد الأوّل، ترجمة محمّد پروين گنابادى، مركز انتشارات علمى و فرهنگى، ١٣٦٢ش.
١٧١ ـ مكتب در فرايند تكامل، حسين مدرّسي الطباطبائي منشورات كوير.
١٧٢ ـ الملل و النحل، أبو الفتح محمّد الشهرستاني، دارالمعرفة، بيروت.
١٧٣ ـ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، حيدرية، النجف، ٣ جلد [(خ ـ ل) علامه، قم، ٤ جلد].
١٧٤ ـ مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ابن المغازلي الشافعي، علميه، قم، ترجمة جواد آيةاللّه زاده، ١ جلد.
١٧٥ ـ مناقب سيّدنا علي، درويش الفقير العيني، حيدر آباد، ١٣٥٢.
١٧٦ ـ المناقب، الموفّق بن أحمد الخوارزمي، جامعة المدرّسين، قم، ١ جلد، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية.
١٧٧ ـ منتخب الأثر، لطف اللّه الصافي الگلپايگاني، ٣ جلد، الطبعة الأولى.
١٧٨ ـ منتخب كنز العمّال، المتقي الهندي، دارإحياء التراث العربي.
١٧٩ ـ منتهى المقال، محمّد بن إسماعيل المازندراني، آل‌البيت، قم، ٧ جلد.
١٨٠ ـ من هو المهدي، أبو طالب تجليل التبريزي، جامعة المدرّسين، قم، ١ جلد، الطبعة الثانية.
١٨١ ـ المواقف عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، دارالطباعة العامرة.
١٨٢ ـ المهدي، صدرالدين صدر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، بإشراف السيّد باقر خسروشاهي، ١ جلد، الطبعة الثانية.
١٨٣ ـ الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، جامعة المدرسين، قم، ٢٠ جلد.

١٥٤ ـ مسند أبي يعلي، الحافظ أحمد التميمى، دارالمأمون للتراث دمشق.
١٥٥ ـ مسند الروياني، الروياني، مؤسّسة قرطبة، القاهرة.
١٥٦ ـ مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٥٧ ـ مصابيح السنّة، حسين بن مسعود البغوي، محمّد علي صبيح، مصر، ٢ جلد، الطبعة الثانية.
١٥٨ ـ مصباح الظلام، محمّد رضا بن عبّاس الطبسي، انتشارات بلوريان.
١٥٩ ـ مصلح آخر الزمان (اولين سمپوزيوم بين المللى اسلام و مسيحيت)، سيّد حسن أبطحى، نشر حاذق، قم، ١ جلد، الطبعة الثانية.
١٦٠ ـ مصلح جهانى و مهدى موعود از ديدگاه اهل سنّت، سيّد هادى خسروشاهى، إطلاعات، تهران، ١ جلد، الطبعة الثانية.
١٦١ ـ المصنّف، أبي‌بكر عبدالرزاق الصنعاني، المجلس العلمي، ١١ جلد، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي.
١٦٢ ـ مطالب السؤول في مناقب آل‌الرسول، محمّد بن طلحة الشافعي مؤسّسة أُم القرى، بيروت.
١٦٣ ـ معالم التنزيل، أبو محمّد الفرّاء البغوي، دارالفكر، بيروت.
١٦٤ ـ معاني الأخبار، الصدوق، دارالمعرفة، بيروت.
١٦٥ ـ معجم الرجال، سيّد أبو القاسم الخوئي، مركز نشر آثار شيعه، قم، ٢٣ جلد، الطبعة الرابعة.
١٦٦ ـ المعجم الصغير، الطبراني، دارالكتب العلمية، بيروت.
١٦٧ ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، دارإحياء التراث العربي، العراق، ٢٥ جلد، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية.
١٦٨ ـ مقتضب الأثر، أحمد بن عيّاش الجوهري مكتبة الطباطبائي، قم.

١٨٤ ـ نجات بخشی در ادیان، محمّد تقی راشد محصل، مؤسّسة مطالعات و تحقیقات فرهنگی، طهران، ١ جلد، الطبعة الأولی، ١٣٦٩.
١٨٥ ـ النصّ و الاجتهاد، سیّد عبدالحسین شرف الدین، مؤسّسة الأعلمي، بیروت، ١ جلد، تقدیم محمّد صادق الصدر، الطبعة السادسة.
١٨٦ ـ نظریه نسبیت انشتاین، ماکس بورن، ترجمة هوشنگ گرمان، نشر سازمان آموزش انقلاب اسلامی، ١ جلد.
١٨٧ ـ النظم المتناثر من الحدیث المتواتر، جعفر الکتّاني، دارالکتب السفلیة، مصر، ١ جلد.
١٨٨ ـ نظم درر السمطین، محمّد بن یوسف الزرندي الحنفي، کتابخانه أمیرالمؤمنین، ١ جلد، الطبعة الأولی.
١٨٩ ـ نهج‌البلاغة، صبحي الصالح، دارالهجرة، قم.
١٩٠ ـ الوافي، محمّد محسن فیض الکاشاني، مکتبة أمیرالمؤمنین، إصفهان، الطبعة الأولی.
١٩١ ـ وسائل الشیعة، محمّدبن حسن الحرّ العاملي، مؤسّسة آل‌البیت علیهم‌السلام، قم.
١٩٢ ـ الیقین في إمرة أمیرالمؤمنین، علي بن موسی بن طاووس الحسیني، دارالکتاب، قم، ١ جلد، الطبعة الأولی.
١٩٣ ـ ینابیع المودّة، سلیمان بن إبراهیم القندوزي الحنفي، دارالأسوة، ٣ جلد، تحقیق علي جمال أشرف الحسیني، الطبعة الأُولی.

﴿ **باسمه تعالی** ﴾

دروس سماحة آیةاللّه العظمی المنتظري، متوفّرة بأقراص ممغنطة (CD)

١ ـ مجموعة آثاره و فیها خمسون مجلّداً من کتبه المطبوعة (قرص واحد CD)
٢ ـ دروس من نهج‌البلاغة، ١٩٥ درساً صوتیاً (عشرة أقراص CD)
٣ ـ دروس من نهج‌البلاغة، ١٩٥ درساً مصوراً (اربعة و ستون قرصاً CD)
٤ ـ دروس الخارج في الفقه (المکاسب المحرمة)، **٥٦٥ درساً صوتیاً** (ستة اقراص CD)
٥ ـ دروس بحث الخارج في الفقه (کتاب الزکاة)، **٧٢٢ درساً صوتیاً** (سبعة اقراص CD)
٦ ـ العروة الوثقی (صلاة المسافر)، **٢٤ درساً صوتیاً** (قرص واحد CD)
٧ ـ العروة الوثقی (صلاة المسافر)، **٢٤ درساً مصوراً** (اثناعشر قرصاً CD)
٨ ـ دروس‌الفلسفة (منظومةالحکمة،امورعامة)، **١١٩ درساًصوتیاً** (قرص واحد CD)
٩ ـ دروس‌الفلسفة (منظومةالحکمة،امورعامة)، **١١٩ درساًمصوراً** (مائةوتسعةعشرقرصاً CD)
١٠ ـ دروس‌الفلسفة (منظومةالحکمة،الالهیات)، **صوتیاً** (الدرس‌متواصل) (قرصان CD)
١١ ـ دروس‌الفلسفة (منظومةالحکمة،الالهیات)، **مصوراً** (الدرس‌متواصل) (عشرون‌قرصاً CD)
١٢ ـ دروس بحث الخارج في الفقه (سبّ المؤمن)، **١٠ دروس صوتیة** (قرص واحد CD)
١٣ ـ دروس بحث الخارج في الفقه (سبّ المؤمن)، **١٠ دروس مصوّرة** (ستة اقراص CD)
١٤ ـ من المبدأ إلی المعاد (نص الکتاب مقروءاً) (قرص واحد CD)
١٥ ـ الروضة من الکافي، ١١٩ درساً صوتیاً (ستة اقراص CD)
١٦ ـ الروضة من الکافي، ١١٩ درساً مصوراً (ثمانیة و اربعون قرصاً CD)
١٧ ـ مراسیم صلاة عید الفطر من عام ٢٠٠٥ إلی عام ٢٠٠٧ (ثلاثة اقراص CD)
١٨ ـ دروس الاخلاق (جامع السعادات، صوتیاً (الدرس متواصل) (قرصان CD)
١٩ ـ دروس الاخلاق (جامع السعادات)، مصوراً (الدرس متواصل) (مائة قرصاً CD)
٢٠ ـ اسوة في الثبات ـ صوتي و مصوّر (قرص واحد CD)

مسرد بمؤلّفات المرجع الديني الأعلى سماحة آيةاللّه العظمى المنتظري

● **الصادرة باللغة الفارسية:**

١ ـ درسهايى از نهج‌البلاغه (٣ مجلّدات) (= دروس من نهج‌البلاغة ـ ثلاثة مجلّدات) ١١٥٠٠ تومان

٢ ـ خطبهٔ حضرت فاطمهٔ زهراعليها السلام (= خطبة السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام) ٣٠٠٠ تومان

٣ ـ از آغاز تا انجام (در گفتگوى دو دانشجو) (= من المبدأ إلى المعاد ـ في حوار بين طالبين) ١٥٠٠ تومان

٤ ـ إسلام دين فطرت (= الإسلام دين الفطرة) ٦٠٠٠ تومان

٥ ـ موعود اديان (= موعود الأديان) ٤٠٠٠ تومان

٦ ـ مبانى فقهى حكومت إسلامى (٨ مجلّدات) (= الأسس الفقهية للحكومة الإسلامية ـ ثمانية مجلّدات) ٢٥٠٠٠ تومان

جلد اول: دولت و حكومت (= المجلد الاول: الدولة والحكومة) ٢٥٠٠ تومان

جلد دوم: امامت و رهبرى (= المجلد الثاني: الإمامة والقيادة) ٢٥٠٠ تومان

جلد سوم: قواى سه‌گانه، امر به معروف، حسبه و تعزيرات (= المجلد الثالث: السلطات الثلاث: الامر بالمعروف، والحسبة، والتعزيرات) ٣٠٠٠ تومان

جلد چهارم: احكام و آداب ادارهٔ زندانها و استخبارات (= المجلد الرابع: أحكام و آداب ادارة السجون والاستخبارات) ٢٥٠٠ تومان

جلد پنجم: احتكار، سياست خارجى، قواى نظامى و اخلاق كارگزاران حكومت إسلامى (= المجلد الخامس: الاحتكار، والسياسة الخارجية، والقوات المسلّحة و اخلاق المسؤولين في الحكومة الإسلامية) ٢٥٠٠ تومان

جلد ششم: منابع مالى حكومت إسلامى (= المجلد السادس: المصادر المالية للحكومة الإسلامية) ٣٠٠٠ تومان

جلد هفتم: منابع مالى حكومت إسلامى، فىء، انفال (= المجلد السابع: المصادر المالية للحكومة الإسلامية، الفىء، الانفال) ٤٥٠٠ تومان

جلد هشتم: احياء موات، ماليات، پيوست‌ها، فهارس (= المجلد الثامن: احياء الموات، الضرائب، الملحقات، الفهارس) ٤٥٠٠ تومان

٧ ـ رسالهٔ توضيح‌المسائل (= رسالة توضيح‌المسائل) ٢٠٠٠ تومان

٨ ـ رسالهٔ استفتائات (٢ مجلّدات) (= رسالة الاستفتاءات ـ مجلدان) ٤٠٠٠ تومان

٩ ـ رسالهٔ حقوق (= رسالة الحقوق) ٥٠٠ تومان

١٠ ـ احكام پزشكى (= الاحكام الطبية) ١٥٠٠ تومان

١١ ـ احكام و مناسک حج (= أحكام و مناسك الحج) ٢٠٠٠ تومان

١٢ ـ احكام عمرهٔ مفرده (= احكام العمرة المفردة) ٥٠٠ تومان

١٣ ـ معارف و احكام نوجوان (= معارف و أحكام الشباب) ١٥٠٠ تومان

١٤ ـ معارف و احكام بانوان (= معارف و احكام النساء) ٢٠٠٠ تومان

١٥ ـ استفتائات مسائل ضمان (= استفتاءات في مسائل الضمان) (غير متوفّر)

١٦ ـ جلوه‌هاى ماندگار (= تجلّيات باقية) ٣٠٠٠ تومان

١٧ ـ حكومت دينى و حقوق انسان (= الحكومة الدينية و حقوق الإنسان) ١٥٠٠ تومان

١٨ ـ مجازات‌هاى اسلامى و حقوق بشر (= العقوبات الإسلامية و حقوق الإنسان) ١٥٠٠ تومان

١٩ ـ مبانى نظرى نبوت (= الأسس النظرى للنبوة) ١٠٠٠ تومان

● **الكتب الصادرة باللغة العربية:**

٢٠ ـ دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الاسلامية (أربعة مجلدات) ١١٠٠٠ تومان

٢١ ـ كتاب الزكاة (أربعة مجلدات) ١٠٠٠٠ تومان

٢٢ ـ دراسات في المكاسب المحرمة (ثلاثة مجلدات) ١٢٠٠٠ تومان

٢٣ ـ نهاية الاصول ٣٢٠٠ تومان

٢٤ ـ نظام الحكم في الاسلام ٤٠٠٠ تومان

٢٥ ـ البدر الزاهر (في صلوة الجمعة والمسافر) ٢٥٠٠ تومان

٢٦ ـ كتاب الصوم ٤٥٠٠ تومان

٢٧ ـ كتاب الحدود ٥٠٠ تومان

٢٨ ـ الخمس والانفال ٤٥٠٠ تومان

٢٩ ـ التعليقة على العروة الوثقى ٧٠٠ تومان

٣٠ ـ الاحكام الشرعية على مذهب اهل البيت عليهم السلام ١٥٠٠ تومان

٣١ ـ مناسك الحج والعمرة ٢٥٠ تومان

٣٢ ـ مجمع الفوائد ٢٥٠٠ تومان

٣٣ ـ من المبدأ الى المعاد (في حوار بين طالبين) ١٥٠٠ تومان

٣٤ ـ الأفق أو الآفاق (في مسألة الهلال) ٥٠٠ تومان

٣٥ ـ منية الطالب (في حكم اللحية والشارب) ٥٠٠ تومان

٣٦ ـ رسالة مفتوحة (ردّاً على دعايات شنيعة على الشيعة و تراثهم) ٥٠٠ تومان

٣٧ ـ موعود الأديان ٤٠٠٠ تومان

٣٨ ـ الإسلام دين الفطرة ٦٠٠٠ تومان